

المسفر صباح

وجنى الدوح المثمر

مختصر

صبح الاعشى في كتابة الانشا

كلاهما

تأليف مالك زمام الادب في عصره الشيخ الامام محمد بن علي
القلقشندي المصري المتوفى سنة ٨٢

﴿ عنى بطبعه وتصحيحه ومقابلته على أصله ﴾

محمود سلامة

صاحب ومدير جريدة الواعظ

حقوق الطبع من هذه النسخة محفوظة

الطبعة الاولى

(بمطبعة الواعظ بشارع درب الجمايز بمصر)

١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ م

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

یا منشیء الكون ، بلا عون ، احمذك علی كل حال ، واستعینك فی جمیع الافعال ،
وأسألك افضل الصلاة ، لخیر الهداء ، محمد وصحبه ، وعترته وحزبه
اما بعد فأنتقرب الی أرباب الأدب بعمل لا أحقره فأهون بتحقیره ، ولا أكبره
فأصغر باكباره ، ولا أمن به فلا یقبل منی ، ولا أرید علیه أجرا ولا شكرا فیفتونی
ما رجوت من ثوابه

ذلك انی رأیتهم إذ علموا أن دارالكتب الحدیویة شرعت فی طبع «صبح الاعشی
فی كتابة الانشا» سرهم نشره بالطبع من طیه ، وتناولت آمالمهم لاغتنامه ، ثم لما تبین
لهم انها قبضت یدها وأبت ان تبسطها فی طبعه لأكثر من ثلاثمائة نسخة ساءهم اسرافها
فی البخل به ، ونههوا آمالمهم عن التشوف الیه یأسا من بلوغ الأمنية منه . وكنت اعلم
ان مؤلف هذا الكتاب استخلص من قشوره اللباب فی مختصر جمیل سماه «ضوء الصبح
المسفر وجنی الدوح المثمر» فنشدته ، حتی وجدته وأسفقت علیهم من ذلك الیأس فطبعته
وقات : حسبهم من الصبح سناه ، ومن الروض جاء
ولست بقائل انی لقیتم عرق القربه ، فی تقریبی الیهم هذه الایره ، فكل مشقة
فی رضاهم تهون ، ولعلمهم راضون

﴿ ترجمة المؤلف ﴾

قال السخاوى فى الجزء الاول من كتابه « الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع » :
« هو أحمد بن على بن أحمد بن عبد الله الشهاب بن الجمال بن أبى اليمن القلقشندى
ثم القاهرى الشافعى . ولد سنة ٧٥٦ واشتغل بالفقه وغيره وسمع على ابن الشيخة . وكان
أحد الفضلاء ممن برع فى الفقه والأدب وغيرهما وكتب فى الانشاء وناب فى الحكم
وشرح قطعا من « جامع المختصرات » بل شرع فى نظمه وعمل « صبح الاعشى فى قوانين
الانشاء » فى أربع مجلدات جمع فأوعى وكان يستحضر أكثر ذلك مع جامع المختصرات
والحاوى . وألف كتابا فى انساب العرب . وكان فيه تواضع ومروءة وخير . مات يوم السبت
عاشر جمادى الآخرة سنة ٨٢١ وله خمس وستون سنة . ذكره المقرئى فى عقود العيني
وآخرون وسمى العيني والمقرئى والده عبد الله وهو وهم » (١)

وترجمه صاحب شذرات الذهب فى أخبار من ذهب فقال :

« شهاب الدين أحمد بن على بن أحمد القلقشندى الشافعى نزيل القاهرة تفقه
ومهر وتعمانى الأدب وكتب فى الانشاء وناب فى الحكم . وكان يستحضر الحاوى
وكتب شيئا على جامع المختصرات . وصنف كتابا حافلا سماه « صبح الاعشى فى معرفة
الانشاء » وكان مستحضرا لا أكثر ذلك ، وصنف غير ذلك . وكان مفضالا وقورا فى الدولة
الى أن توفى ليلة السبت عاشر جمادى الآخرة عن خمس وستين سنة »

نقول : والذي يستخلص من أقواله فى كتابيه « الصبح وضوئه » ان مسقط رأسه
بلدة قلقشندة المعروفة الآن بقرقشندة احدى قرى مديرية القليوبية ؛ وان عرق نسبه

(١) اقول والمكتوب على بعض احزاء صبح الاعشى المحفوظ بالمكتبة الحديوية

انه : احمد بن عبد الله بن احمد بن محمد بن سليمان بن اسماعيل

يمتد الى أصل من الأصول العربية التي دخلت مصر أيام الفتح الاسلامي وبعده، فهو من بنى بدر بن عدى بن فزارة إذ يقول : « و بنو بدرهم قبيلتنا التي اليهانة تزي وفيها ننتسب . وأهل بلدتنا قلقشندة نصفهم من بنى بدر ونصفهم من بنى مازن بن فزارة »؛ وأنه لحق بديوان الانشاء في حدود سنة ٧٩١ أى في عهد الدولة البرقوقية ؛ وأن له من المؤلفات في الفقه كتاب « الغيوث الموامع في شرح جامع المختصرات ومختصرات الجوامع » ، وفي التاريخ « قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ونهاية الارب في معرفة قبائل العرب » وهذا الاخير محفوظ بالمكتبة الخديوية. وفي هذا بيان لأن الرجل كان فوق علماء عصرنا هذا معرفة وفضلا إذ برع في العلوم الشرعية والتاريخية والأدبية وغيرها على حين ان العالم في زماننا ان عرف النحو جهل الصرف، وان ألم بالفقه عادى اللغة... وقد شرح سبب تأليفه « صبح الاعشى في كتابة الانشا » فذكر أنه لما لحق بديوان الانشاء أنشأ مقامة بناها على أنه لا بد للانسان من حرفة يتكسب بها ، وان أليق صناعة بأهل العلم الكتابة ، وان أفضل الكتابة كتابة الانشاء ، وأنه جمع في تلك المقامة من أصول هذه الصناعة وقوانينها ما لم تتسع له بطون المؤلفات الطوال في هذا الباب ؛ ثم سئل ان يشرحها فكان شرحها « صبح الاعشى » وهو سبعة أجزاء ضخام خلافا لما قاله السخاوى كان في المكتبة الخديوية منها اربعة فقط، ثم استنسخت الثلاثة الأخر بالفوتوغراف من مكتبة او كسفورد بانكامة وأنفقت في هذا السبيل عن كرم يشكر عليه حضرة ناظرها الحالى ثم اختصره بنفسه للمقر الكمالى في كتاب سماه « ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر » ويظهر أنه وضعه في جزئين أحدهما هذا، والثانى لا أثر له في المكتبة الخديوية وقد اطلنا التنقيب عنه فلم نجده الآن ولا زلنا نشده في مظانه، فان وجدناه طبعناه بنصه وفصه، وان لم نجده فنحن في سبيل اختصار ما بقى من الكتاب على النهج الذى سلكه مؤلفه بعد ان تبيناه ، ومتى قاربنا الفراغ شرعنا في طبعه والموعد قرب ان شاء الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه التوفيق والاعانة

الحمد لله جاعل ضوء الصبح غرة نهاره ، وجرم الهلال مقدمة جيش البدر وطلية ابداره ، وزهر الروض تبيجة نضارته ومرتع عيون نظاره ، ودر البحر على صغر حجمه أنفاس نفائسه وأغر ذخائر ادخاره ، وجنى الدوح وان كان آخراً هو المقصود من انبساط (١) مياهه وغرس أشجاره . أحمدته على ان جعل الأيجاز من أعلى رتب البلاغة ، وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة يتفاصر دونها المتناول ، ويتسامى الى اقتطاف ثمرتها المتناول ، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله أفضل نبي أوتي جوامع الكلام فبذ (٢) العالمين اعجازاً ، واختصر له الكلام ففات المقاول اللسان اطناً وانجازاً . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين قربوا القصى فدنا ، وسهلوا الصعب فأراحوا من التعب والعناء . وبعد ، فلما كان (صبح الاعشى في كتابة الانشا) قد اتسع له مجال الاطباب في الكلام فجال ، وبسط لسانه في فنون الأدب فقال وطال ، وانفسح في الصناعة أملة فتقل في جنباتها تنفل الهائم ، وأوسع في حوتمها المطار نحو عذبة متناهية . تحليق الهائم ، واشتمل من كتابة الدول في كل زمن على ما ينقطع دونه . ادماج ، وأحاط من مباني دساتير الصناعة ما لم تحط به دائرة دستور ولم تنطو عليه جامعة جامع ، وصرف اكابر الرؤساء وجه عنايتهم اليه فكان له بذلك شرف الكمال وكمال الشرف ، واهتموا بتحصيله فنفتت سوقه نفاق الطرف ، ووعنوا باستكتاباه فصرفوا فيه ما لولا

(١) انبط الماء أخرجه من الارض (٢) في الاصل : « بذ » بالدال ومعناه :

فرق ، وليس المراد فهو تحريف صوابه « باً » . نقول العرب « فلان بذ المائلين »

أي سبقهم وغابهم

القول بأنه لا سرف في الخير لقليل أنه سرف، فضلا من الله ونعمة، إلا أنه قد ضاقت أوقات أصحاب المناصب العلية (١) على استيعابه بالنظر، وقصرت يد القاصر في المال عن استنساخه وغالب أيدي الناس الآن ذات قصر، وكان المقرّ الشريف العالي المولوى القاضى الكبيرى العالمى الفاضل الأمامى العلامى الاصيلى العريقى الكمالى سليل الرياسة جامع اشتات الفضائل نخبه الدهر عين أعيان الزمان أبى الفضل محمد بن المقرّ الاشرف العالمى المولوى القاضى الكبيرى النظامى المدبرى السفيرى اليمينى المشيرى الأصيلى العريقى الكفيلى الناصرى نظام الملك نعى السلطنة لسان المملكة ملك العلماء سلطان الأدباء بهجة الوجود حسنة الأيام ظهير الملوك والسلاطين خالصة أمير المؤمنين أبى المعالى محمد قاضى القضاة ثم صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية زيدت عظمته، ابن الشيخ الامام قاضى القضاة علامة الدهر بحر العلوم محيط دائرة الفضل كمال الدين ابى المعالى محمد بن الشيخ الامام قاضى القضاة نادرة الزمان فرد الوجود واحد الدهر فخر الدين أبى عمرو عثمان بن الشيخ الامام قاضى القضاة امام المحدثين بقية الحفاظ كمال الدين ابى الفضائل محمد بن الشيخ الامام قاضى القضاة شمس الشريعة عمدة الحفاظ رحلة العالم بقية المجتهدين نجم الدين ابى محمد عبد الرحيم بن الشيخ الامام قاضى القضاة زين الامثال علم الاعلام والد العلماء الاطياب شمس الدين ابى الظاهر ابراهيم بن المسلم بن هبة الله الجهنى البارزى الحوى الشافعى بلغ الله تعالى محبيه فيه غاية الأمل، وأقربه عين الزمان كما أقربه عين أبيه وقد فعل، قد تلا فى المعالى والده، وانصف بعد عراقه النسب بالكمال فجمع طارف المجد وتالده، ميرزا بن الفضائل مورد آباءه الكرام فكرع فيه لأنه أرسل وارده

ورد الفضائل كابرًا عن كابر موصولة الاسناد بالاسناد

فديج من عش المجد ووكر الكرم، وظهر بيته الكريم ظهور نار على علم، وطار مطار ابيه فى الرياسة ومن شابه أبه فما ظلم

ثم المجد معقود الأواخي وتم المجد مضروب القباب

(١) هكذا بالأصل ولكن ضاقى آمدى فى هذا المعنى بعن دون «على»

وأحكم معاهد البيان فسحب على سحبان ذيل الفخار ، وجرى في ميدان البلاغة جرى
الجواد فلم يشق له غبار ، وذكر بفضله فما كان من فضل سلفه في الزمن القديم ، وعرفته
مصر حق المعرفة فقالت هذا الفاضل من ذرية عبد الرحيم

يؤلف اللؤلؤ المنشور منطقه وينظم الدر بالأقلام في الكتب

هذا وقد صرفت بتصريف والده أمور الدولة الشريفة فجرت على السداد ، ونفذت
بتنفيذة أمورها فأربت والله الحمد على المراد ، وأتى من تدبير الملك بما أطاع نجومه
الأواقل ، واستبقى لسلطانه من جميل الذكر ما تهش اسماعه النفوس وتمطر بذكره المحافل
فهيلاً بالكرامات وبالعلمى وهيلاً بالفضل والسودد المحض (١)

مع أنه قد أعرب في العرب العاربة نسبا ، وأعرب عن الالتئام الى يعرب بن قحطان
فكرم جدًّا وأبا ، وساهم التبابعة (٢) في شرف المحتد فانتسب في حير بن سبا ، وجاوز الى
قضاة فتاهت به على الزمن ، ونالت كمال الفخر فكانت غرة قبائل اليمن ، وصار
الى جهينة فكان واسطة عقدها الثمين ، وانتهى منها الى بيت علم قضى فضله انه
جهينة اخبار الشريفة وعند جهينة الخبر اليقين . كأنه شجر الأترج طاب معاً ثمراً
ونوراً وطاب العود والورق ، ثم قد حاز تراث آبائه من الفضل واحتوى على كرم
خلالها ، وتمم مكارم أخلاقهم بمكارم أخلاقه فكان عين كمالها

تملك المجد حتى ما المفتخر في المجد ميم ولا جيم ولا دال

وكنت ممن عمته جدوى بيته الكريم بدءاً وعوداً ، وغمره فضله الوافر علماً وجوداً ،
فاستمطر سحب مؤلفات سلفه هامع الافادة فوكفت ، وانتجع غيتها الصيب فأغنت
عما سواها وكفت ، واستباح معين فضله فسح ، واستوكف غمام كفه الهاطل فمطل وماشح

أراشوا جناحى ثم بلوه بالندى فلم استطع من أرضهم طيرا نا

دعنى داعية المحبة الى ان اتطفل على ما أدب فضله ، وألحق فى القياس الجلى فرعه
الكريم فى الالتئام الى بابه العالى بأصله

(١) هيلاً كلمة يستعذبها وهي مركبة من كاهتين: حى اسم فعل بمعنى أقبل وهلاً بمعنى أسرع ، وفيها
لغات: حيهل ، وحيهلاً ، وحيهلاً (٢) فى الصبح: التبابعة ترانس شارح الفاموس انه غلط صوابه التبابعة

كفى شرقاً انى مضاف اليهم وأنى بهم ادعى وأرعى وأعرف
وأن أخدم خزانته العالية عمرها الله تعالى بطول بقائه ، وزاد فى علاها بمزيد
ارتقائه ، بتأليف اختصر فيه كتاب « صبح الاعشى » المقدم ذكره اختصاراً يأتى على
مقاصده ، ويتكفل بمصادر هذا الفن وموارده ، ويقضى قرب المأخذ فيه بأن تكون
كفته مع اطراح الاثقال هى الراجحة ، ويكون فى المعنى للطاقة محله كالريحان خفيف
الحمل طيب الرائحة . فاستخرت الله تعالى واخذت فى ذلك منتقياً درر بحره الزاخر ، وملتقطاً
من مبادئ أحاسنه نفيس جوهره الفاخر ، مقتصرأً آمنه على قواعد الكتابة التى لا يسع تركها ،
واصول الصناعة التى لا ينحصر لدى الفوات نسكها ، آتياً من مذاهب الكتاب فى كل زمن
بما يتعرف منه مصطلح زمانهم ، مورداً من كلام الدول بكل قطر ما يعلم به طرائقهم
على تقادم عهدهم وبعد مكانهم ، متحفاً من فنون الصناعة بما يتعرف منه التعريف ،
ويشرف برشاقة موارد مصادره الثقيف ، ذاكراً من الممالك المكاتب عن مملكة
الديار المصرية ما يعرف به قدر كل مملكة منها مشيراً الى حدودها وقاعدة ملكها
وما يصدر اليها من المكاتبات وما يصدر عنها ليكون مع سهولة تناوله كامل المقصود
منعظاً على مقاصد الكتابة انطباق الحد على المحدود وسميته « ضوء الصبح المسفر
وجنى الدوح المثمر » ورتبته على نحو من ترتيب أصله فى مقدمة وعشر مقالات وخاتمة

❦ المقدمة ❦

فى مبادئ يجب تقديمها على الخوض فى كتابة الانشاء وفيها خمسة ابواب :

- ❦ الباب الاول ❦ - فى ذكر فضل الكتابة ومدح فضلاء الكتاب وذم حماتهم
وما ينخرط فى سلك ذلك
- ❦ الباب الثانى ❦ - فى ذكر مدلول الكتابة لغة واصطلاحاً ، وبيان معنى الانشاء وازدادة
الكتابة اليه والتعبير عن كتابة الانشاء بصناعة الترسيل ، وبيان معنى التوقيع ، وتفضيل كتابة
الانشاء على سائر انواع الكتابة وترجيح النثر على الشعر
- ❦ الباب الثالث ❦ - فى صفات الكتاب الواجبة التى لا يسع تركها ، وهى فاتهم العرفية ،

(٥)

وأدب الكاتب من حسن السيرة وعشرة ملكه أو رئيسه واكفائه ونظرائه واتباعه والرعية ومن يمت إليه بخدمة

﴿ الباب الرابع ﴾ - في التعريف بمحقيقة ديوان الانشاء وأصل وضعه في الاسلام واستقراره بديوان الخلافة وتفريقه بعد ذلك في الممالك

﴿ الباب الخامس ﴾ - في بيان قوانين ديوان الانشاء وترتيب احواله ورتبة صاحب الديوان وصفته الواجبة فيه وآدابه وما يتصرف فيه بتدييره وما يصرفه بقله وذكر أرباب وظائفه من الكتاب وغيرهم في القديم والحديث

﴿ المقالة الأولى ﴾

فيما يحتاج اليه الكاتب وتدعو اليه ضرورته وفيها بابان :

﴿ الباب الاول ﴾ : - فيما يحتاج اليه من الفنون كاللغة والنحو والتصريف والمعاني والبيان والبديع وما يلحق بذلك من حفظ كتاب الله تعالى والاستكثار من حفظ الاحاديث النبوية ومن خطب البلاء ومكاتبات الصدر الاول ورسائلهم ومحاوراتهم ومراجعاتهم والنظر في رسائل أهل العصر ومكاتباتهم والتوغل في حفظ أشعار العرب والمحدثين وفهم معانيها والاطلاع على أمثال العرب والمحدثين وأيام العرب من حروب ومفاخرات ومعرفة الامور التاريخية وما ينضم الى ذلك من معرفة صنعة الكلام وكيفية انشائه ومعرفة الأزمنة من الاليالي والأيام والشهور القمرية والشمسية والسنين المرتبة على ذلك وما ينخرط في هذا السلك

﴿ الباب الثاني ﴾ - فيما يحتاج اليه من صناعة الخط والمفصود من وضعه وذكر آلاته وأول من وضعه ، وتوابعه من النقط والشكل والهجاء والفرق بين الضاد والطاء

﴿ المقالة الثانية ﴾

فيما يحتاج اليه من معرفة أحوال الارض وجبهاتها ورياحها وفيها ثلاثة أبواب :

﴿ الباب الاول ﴾ - في شكل الارض والبحر المحيط بها وجبهاتها وأسماء الرياح التي يهب منها والاقايم السبعة الحقيقية الممتدة بين المشرق والمغرب والبحار المنبثة في ارجائها

﴿الباب الثانى﴾ - فى مملكة الديار المصرية ومضافاتهم من الممالك الشامية وما ينخرط فى سلكها من بلاد الثغور والمواسم المعروفة الآن ببلاد الارمن واطراف الجزيرة الفراتية مما يصاقب الاعمال الحلية وحدودها المنطبقة عليها من سائر جهاتها

﴿الباب الثالث﴾ - فى ترتيب مملكة الديار المصرية وحال سلطانها وأمرائها ووظائفها وترتيب الممالك الشامية وحال نوابها وأمرائها ووظائفها

﴿ المقالة الثالثة ﴾

فى أمور تشترك فيها المكاتبات والولايات وغيرها وفيها خمسة أبواب :

﴿الباب الاول﴾ - فى الاسماء والكنى والالقباب والنعوت وما استقرت عليه الآن

﴿الباب الثانى﴾ - فى الفواتح كالبسمله والبعديه ونحوهما والخواتم كأنشاء الله والتاريخ والمستند فى كتابة المكتوب والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والحسبلة واللواحق كتريب الكتاب واستيعابه بالقراءة بعد الفراغ من كتابته

﴿الباب الثالث﴾ - فى بيان كتابة القصص وتعيين صاحب ديوان الانشاء القصص التى ترفع لطلب الكتب السلطانية والرقاع التى يكتبها كاتب السر بأمر خاصة من ولايات وغيرها والقوائم التى تحضر من ديوان الوزارة والخاص وغيرها فى معنى ذلك والمربعات الجيشية التى تحضر من ديوان الجيش بسبب كتابة مناشير والاقطاعات وما يجرى مجرى ذلك

﴿الباب الرابع﴾ - فى بيان المستندات التى يترتب عليها ما يكتب من ديوان الانشاء من المكاتبات والولايات وغيرها وبيان وجوه ذلك

﴿الباب الخامس﴾ - فى مقادير قطع الورق وما يناسب كل مقدار منها من الاقلام ومقادير البياض فى أول الدرج (١) وحاشيته وبعد ما بين السطور فى الكتب

﴿ المقالة الرابعة ﴾

فى المكاتبات السلطانيات والاخوانيات وفيها أربعة أبواب :

﴿الباب الاول﴾ - فى أمور تتعلق بالمكاتبات يجب على الكاتب تعرفها وأصول

يعتمدها الكاتب في كتبه في الابتداء والجواب

﴿ الباب الثاني ﴾ - في مصطلح الكتب السلطانيات الدائرة بين كتاب الاسلام في كل زمن من الصدر الاول وهلم جرا الى زماننا من كتب الخلفاء الى ولاة العهد بالخلافة ، وكتب الخلفاء وولاة العهد بالخلافة الى الملوك ومن في معنهم ، وكتب الملوك ومن في معنهم الى الخلفاء وولاة العهد بالخلافة ، وكتب الملوك الى ولاة العهد بالسلطنة ، وكتب الملوك الى النواب

﴿ الباب الثالث ﴾ - في المكاتبات الاخوانيات الدائرة بين الرؤساء من الكتب الصادرة من الرئيس الى مثله ومن الرئيس الى المروس ومن المروس الى الرئيس ابتداء وجوابا في القديم وما استقر عليه الحال الآن

﴿ الباب الرابع ﴾ - في مقاصد المكاتبات من التهانى والتعازى والبشارات والشفاعات وما يكتب مع الهدايا وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى ابتداء وجوابا

﴿ المقالة الخامسة ﴾

في الولايات على اختلاف مراتبها وفيها ستة أبواب :

﴿ الباب الاول ﴾ : - في طبقات الولايات وما يقع به التفاوت في مراتبها (الباب الثانى) - في البيعات التى تكتب للخلفاء ومعناها واصل مشروعيتهما وما استطرده اليه الحال من كتابتها لبعض الملوك وما يجب على الكاتب مراعاته في كتابتها وبيان صورة ما يكتب فيها واختلاف مذاهب الكتاب في ذلك (الباب الثالث) - فى العهود وبيان معانيها وانواعها وما يكتب منها عن الخلفاء لولاة العهد بالخلافة ولالملوك بالسلطنة وما يكتب منها عن الملوك لولاة العهد بالسلطنة وبالمالك الصغار

(الباب الرابع) - فيما كان يصدر عن الخلفاء فى القديم من الولايات لأرباب المناصب واصحاب الوظائف الجليلة من ارباب السيوف والاقلام كالوزراء والنواب على الاقاليم والقضاة ونقابة الطالبين وولاية الصلاة ونحو ذلك مما يكتب به الآن عن الملوك (الباب الخامس) - فيما يكتب به الآن عن الملوك لارباب الوظائف من اصحاب

السيوف والأقلام من التقاليد والتفاويض والمراسيم الكبار والتواقيع والمراسيم الصغار
(الباب السادس) - فيما يكتب به الآن من الولايات عن نواب السلطنة بالملك
الشامية لارباب السيوف والأقلام مما يفسح لهم فيه في الكتابة عنهم

﴿ المقالة السادسة ﴾

في قضايا جرت العادة بكتابتها من ديوان الانشاء في امور مختلفة وفيها خمسة ابواب :
* (الباب الاول) - في الوصايا الدينية وما كان يكتب عنها في الزمن القديم وما
يكتب منها الآن
(الباب الثاني) - في المسامحات والاطلاقات لارباب الجهات والملتزمات
(الباب الثالث) - في الطرخانيات التي تكتب بدم الموءاخذة بالخدمة السلطانية من
أرباب السيوف والأقلام بسبب المعز بكبر ونحوه
(الباب الرابع) - في تحويل السنين والتوفيق بين السنين الشمسية والقمرية عند
تباعد حباية الحراج وسبب وضع ذلك واول من وضعه وكيفية كتابته في القديم والحديث
(الباب الخامس) - في كتابة التذاكر الى تكتب من ديوان الانشاء على أيدي
المتوجهين من أبواب الخلافة او السلطنة اقضاء الامهات

﴿ المقالة السابعة ﴾

في الاقطاعات وتنوعها وكيفية ما يكتب فيها الآن وفيها بابان :
(الباب الاول) - في بيان معنى الاقطاع وانقسامه الى اقطاع تمليك واقطاع استقلال
(الباب الثاني) فيما كان يكتب فيها في الزمن القديم وما يكتب فيها الآن

﴿ المقالة الثامنة ﴾

في الأيمان التي يحلف بها للخلفاء والملوك وفيها بابان :
(الباب الاول) - فيما تنعقد به اليمين وبيان اليمين الغموس وانواع اليمين والتحذير
من الخنث

(٩)

(الباب الثاني) — في نسخ الأيمان التي يحلف بها المسلمون من اهل السنة وارباب البدع على اختلاف نحلهم واهل الملل من اليهود والنصارى والمجوس وما يحلف به الحكماء

﴿ المقالة التاسعة ﴾

في عقد الصلح وما يجري مجراه وفيه ستة ابواب :

(الباب الاول) — في الامانات وأصلها من السنة وما كان يكتب في القديم وما يكتب فيها الآن

(الباب الثاني) — في الدفن الذي يعتاده العرب والمساحة بالجبانات وما يكتب فيه عن الملوك على ما استقر عليه الحال

(الباب الثالث) — في عقد الذمة وأصل وضعه وما كان يكتب فيه في القديم وما يكتب فيه الآن

(الباب الرابع) — في الهدن الواقعة بين ملوك الاسلام وملوك الكفر وبيان معنى الهدنة وما يرادفها من الالفاظ واصل وضعها وما يجب على الكاتب مراعاته في كتابتها

(الباب الخامس) — في عقود الصلح الواقعة بين ملوك الاسلام وما يمتددها الكاتب في ذلك وصورة ما يكتب عن الخلفاء والملوك في القديم والحديث

(الباب السادس) — في ذكر جملة من الاوصاف التي يحتاج لذكرها في المكاتبات والولايات وغيرها كالوصاف الافلاك والكواكب والرياح والسحاب والرعد والبرق والمطر والازمنة والمياه والبحار والانهار ولوازمها والامكنة من المدن والقلاع والحصون والفيافي والتقفار والمفاوز والمعنى بشأنه من الميرون كالخيل والابل والبغال وجيل الوحش وجوارح الصيد كالفهودة والكلاب والصقور والبراة بأنواعها وجيل الطير وحمام الرسائل وسائر أنواع الحمام ونفيس الجواهر والسلاح والآلات الملوكية وآلات الحصار وآلات السفر وآلات المعاملات وآلات اللعب وآلات الطرب وهما ينخرط في سلك ذلك

﴿ المقالة العاشرة ﴾

في فنون من الكتابة يتداولها الكتاب ويتنافسون في عملها ليس لها تلف بكتابة ديوان الانشاء وفيها بابان :

(الباب الاول) - في الامور الجدية من المقامات والرسائل المختلفة المقاصد
وقدمات البندق والصدقات الملوكية وغيرها وما يكتب عن العلماء وأهل الأدب
من الاجازات وما يكتب على الكتب من التقریظات وما يكتب عن قضاة القضاة
من التناييد الحكيمية وسجلات العبدالة وما يكتب في الحج والعمرة وغير ذلك
(الباب الثاني) - في الهزايات مما اعتنى الملوك ببعضه كعبود التطفل ونحوها

حجرات الخاتمة

في ذكر أمور تتماق بديوان الانشاء لا تعلق لها بالكتابة وفيها أربعة أبواب :

(الباب الاول) - في الكلام على البريد ومنشئته وأول من وضعه في الجاهلية
وأول من اعتنى بأقامته في الاسلام ويان الله وهقاديره في الشرعيات ومراكره
المصطلح عليها الآن بالديار المصرية

(الباب الثاني) - في حمام الرسائل واعتناء الملوك بشأنه في القديم والحديث ومسافات
طيرانه والأبراج المقررة له الآن بالديار المصرية والبلاد الشامية

(الباب الثالث) - في الحاج الذي يصل من البلاد الشامية الى ملوك الديار المصرية
وهجته ومراكبه المفردة لذلك

(الباب الرابع) - في المناور المرتبة على رؤوس الجبال بالممالك الشامية من الفرات
الى المغرب من الديار المصرية التي كان يستعمل بها حركة التتار الى البلاد الاسلامية
ايصل الخبر بذلك الى الديار المصرية على الاجمال في أسرع وقت والمحركات التي
كان يتوسل بها الى احراق زروع التتار ومراعيهم واطراف بلادهم المجاورة للمملكة
الاسلامية

وهذا حين الشروع في المقصود

المقدمة

في المبادئ التي يجب تقديمها على الخوض في كتابة الانشاء وفيها خمسة أبواب :

﴿ الباب الاول ﴾

في ذكر فضل الكتابة ومدح فضلاء الكتاب وذم حقاقم وما ينخرط في سلك ذلك وفيه فصلان :

* (الفصل الاول) *

في فضل الكتابة - ويرجع الامر في ذلك الى فضل الخط وفضل الكتابة في الجملة وفضل كتابة الانشاء بخصوصها .

اما فضل الخط فأعظم شاهد املو قدره وأقوى دليل على رفعة شأنه ان الله تعالى نسب تعليمه الى نفسه واعتده من وافر كرمه وافضاله فقال عز اسمه : « اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » مع ما يروى ان هذه الآية والتي قبلها مفتوح الوحي وأول التنزيل على أشرف نبي وأكرم مرسل صلى الله عليه وسلم . وفي ذلك من الاهتمام بشأنه ورفعة محله والاختفاء فيه ثم زاد شرفه تأكيداً ووقر محله اجلالاً وتعليماً بأن اقسام القلم الذي هو آلة الكتابة وما يسطر به فقال تقدمت عظمته : « ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون » والاقسام لا تقع منه سبحانه الا بشريف ما أبدع وكريم ما اخترع كالشمس والتمر والجموم ونحوها . ثم كان نتيجة تفضيله أثره تعظيمه ان النبي صلى الله عليه وسلم نادى الى مقصده الأسنى وحث على مطبئه الاعنى فقال : « قيدوا العلم بالكتاب » مشيراً الى الغرض المطلوب منه وذاتية المجتاة من ثمرته وهو تقييد العلم من حيث ان العمر قصير والوقائع كثيرة وما ذا عسى ان يحفظه الانسان بقاءه ويوصله في ذهنه . قال ذو الرمة لهيبي بن عمر : « اكتب شعري فالكتاب أحب الى من الحفظ ، ان الاعرابي اينسى الكلمة قد سهرت في اللبها ايلة فيضع موضعها كلمة في وزنها لا تساويها ، والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلاماً بكلاماً » .

واما فضل الكتابة في الجملة فكفى بها فصلاً وشرفاً ان الله تعالى وصف بها

الحفظة من الملائكة الكرام فقال « وان عليكم لحافظين كراما كاتبين » وقد اطنب السلف في مدح الكتابة والحث عليها فلم يتركوا شأواً لمادح حتى قال الجاحظ : من أبين فضلها ان جملت في علية الناس . وقال الزبير بن بكار : الكتاب ملوك وسائر الناس سرقة . وقال ابن المقفع : الملوك احوج الى الكتاب من الكتاب الى الملوك . وكانت ملوك الفرس تقول : الكتاب نظام الامور وجمال الملك وبهاء الاسلام وخزان امواله والامناء علي رعيته وبلاده . وقال المؤيد : الكتابة اشرف مناصب الدنيا بعد الخلافة . ومن كلامه : كتاب الملوك عيونهم المبصرة وآذانهم الواعية والسننهم الطائفة ومن كلام ابي جعفر بن محمد (١) : للكتاب اقرب الملوك بالفاقة والحاجة ، واليهم القيت الازمة والاعنة ، وبهم اعتصموا في الازلة والنكبة ، وعليهم اتكلوا في الامل والولد والذخائر والعقد وولاية العهد وغير الدهر وقراع الاعداء وتوفير النى ، وحياطة الحرم وحفظ الاسرار وترتيب المراتب ونظم الحروب . وقال علي بن خلف : ما من احد يتوسل الى السلاطين بالادب ويمت اليهم من العلم بسبب الا وهو نافلة لا ينول ما ينوله الا على وجه الارفاق خلا الكتاب فانه ينول الرغائب العظيمة من طريق الاستحقاق لموضع الافتقار اليه والحاجة . قال : ومن المعلوم انه لا بد من واسطة تقوم بين الملوك والرعية لبعدهما بين الطبقتين العليا والدنيا وايس من طبقات الاس من يساهم الملوك في جلالة القدر وعظيم الخطر ويشارك العامة في التواضع والاقتصاد سوى الكتاب فاحتيج اليهم للامارة في مصالح الرعية والتلطف في الصلة بينهم ما

واما فضل كتابة الانشاء مع مساهمتها في جميع ما تقدم من الفضل فهي اول انواع الكتابة وضماً من حيث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتب الملوك في الدعاية الى الاسلام وكفى بالسابقة فضلاً . قال الجاحظ : لو لم يكن من فضلها الا انه لا يسجل نبي سجلاً ولا خايفة مرضى ولا يقرأ كتاب على منبر من منابر الدنيا الا استفتح بذكر الله تعالى وذكر رسوله صلى الله عليه وسلم وذكر الخليفة ثم يذكر الكتاب كما هو مشهور في السجلات التي سجها رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل

(١) في الصبيح : من كلام ابي جعفر الفضل بن احمد

نجران وغيرهم وأكثرها بخط امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه في شرفه
 ونبله وسابقته ونجدته . قال صاحب العقد : وقد تنبه قوم بها وصاروا بها بعد الخول
 الى الرتب العلية والمازل السنية . قال الجاحظ : وقد انتقل جماعة منها الى الخلافة ،
 كان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما يكتبان لابي صلى الله عليه وسلم ثم صارا الى الخلافة
 بعد ذلك ؛ وكان عثمان رضي الله عنه يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم كتب لابي
 بكر ثم صار الى الخلافة ؛ وكان معاوية يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم صار الى
 الخلافة بعد الحسن ؛ وكان مروان بن الحكم يكتب لعثمان ثم صار الى الخلافة فيما
 بعد ؛ وكان عبد الملك بن مروان يكتب لمعاوية ثم صار الى الخلافة ؛ الى غير هؤلاء
 ممن شرفته الكتابة حتى قرع الذروة العلية والسمام . وانظر الى القاضي الفاضل كيف
 رفعته هذه الصناعة حتى وزر للسلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب وعلت رتبة
 عنده وبلغ من منزلته لديه ان كان يكتب في كتب السلطان عن نفسه بما احب
 حتى كتب مرة : السلام علي الملك العزيز ابن السلطان صلاح الدين ، في كتاب عن ابيه ،
 ثم كتب في الكتاب

وغريبة قد جئت فيها أولا ومن اقتفاها كان بعدى الثاني
 فرسولى السلطان في ارسالها والناس رسالهم الى السلطان
 وناهيك بقول بعضهم في مدح قلم الانشاء
 فلكم يفل الجيتس وهو عرمم والبيض ماسلت من الاغساد
 وهبت له الآجام حين نشا بها كرم السيول وصوله الآساد

* (الفصل الثاني) *

في مدح فضلاء الكتاب وذم حقاقم

اما مدح فضلائهم فلم تزل الشعراء تاهج بمدح أفاضل الكتاب وتقر بظهم ويتغالون
 في وصف بلاغتهم وحسن حطوطهم فمن أحسن ما مدح به كاتب قول ابن المعتز
 اذا أخذ القرطاس خات يمينه تفتح نورا أو تنظم جوهرها
 وقول الآخر

يؤلف اللؤلؤ المنشور منطقته
وينظم الدر بالاقلام في الكتب
وقول الآخر

وكاتب يرقم في طرسه
فأدر ما تنظم أقلامه
ورضاه ترتع الحماظه
والسحر ما تنثر الفاظه

وقول الآخر

ان هنر أقلامه يوما ليعملها
وان أقر على رق أنامله
انساك كل كمي هنر عامله
أقر بالرق كتاب الانام له

وقول الآخر

وشارن من بني الكتاب متمدر
فلا يجاريه في ميدانه أحد
على البلاغة أحلى الساس انشاء
يريك سحبان في الاناء ان شاء

الى غير ذلك من الايات التي لا تحصى كثيرة مما يحرز الفضل بحق التمييز
واما ذم حقايم فلم تزل الشعراء يؤخذون بذلك قديماً وحديثاً . فمن ذلك
قول بعض المتقدمين بهجو كاتبا :

حمار في الكتابة يدعيها
فدع عنك الكتابة است منها
كادعوى آل حرب في زياد
ولو غرقت ثيابك في المداد
وقول الآخر بهجو أسد بن جهور

أوه اترى أ. د بن جهور قد خدا
لكن يخرق الف طوه ارادا
متذمها بأجلة الكتاب
ما احتيج منه مرة لحواب (١)

وقول الآخر

وكاتب اقلامه
يكسط ما يكتبه
معدودات بالماط
ثم يميد ما كسطن

وقول الآخر

يعي غير ما قلدا ويكتب غير ما
يعيه ويقرا غير ما هو كاتب

وقد أكثر الناس من الحكايات المضحكة من هذا النوع من الكتاب مما صاروا به هنزوا على ممر الزمان وتماقب الايام كما حكى ابو جعفر النحاس في صناعة الكتاب عن بعضهم انه قال : حضرت مجلس رجل فأحجمت عن مسألة حاجتي عنده لكثرة جمعه فأرأيتيه وقد أملى على كاتبه : « ولم أكتب بخطى اليك خوفا من ان تقف على رداوته » فكتب كاتبه « رداوته » على ما يجب فقال له : اما تحسن الهجاء ، أين الواو؟ فأثبتها الكاتب فحس حينئذ في عيني واجترأت عليه فدوت منه وسألته حاجتي . وكما حكى صاحب ذخيرة الكتاب عن بعض الوزراء أنه تقدم الى كاتبه بأن يكتب ألقاب أمير المؤمنين على برج انشاء فكتب « امر بعمارة هذا البرج ابو فلان فلان » واستر في الغابه الى آخرها ودفع المثال الى الوزير ايقف عليه فلما قرأه غضب وأنكر على الكاتب كونه كتب « أبو فلان » بالواو ولم يكتب « أبي » بالياء محتجا عليه بأن « أبو » من ألقاب العامة فلا تعظيم بها و « ابى » من الألقاب الخاصة فيقع بها التعظيم . فقال الكاتب انما كتبه بالواو لانه هنا « فاعل » فزاد انكاره عليه وقال : متى رأيت الامير فاعلا في هذا الموضع يحمل المئين وينقل المحارة على رأسه حتى تنسبه الى ذلك ؟ والله لولا سالف خدمتك لعمات بك كذا وكذا

وكما حكى العباس بن أسد ان أبا الحسن على بن عيسى كتب الى ابى الطيب احمد بن عيسى كتابا من منى (١) فقرأه ورعى به الى فقال : اقرأ . فقرأت : كتابي اليك يوم القُرْ بالرفع . فقال ما معني « يوم القُر » . فقلت : القُر البرد . فقال انما هو يوم القُر بالفتح وهو اليوم الثاني من النحرين يقرأ الناس بمنى . ومثل ذلك كثير . قال صاحب نهاية الأرب في فنون الأدب : وقد اتسع الحرق في ذلك ودخل في الكتابة من لا يعرفها البتة وزادوا عن الاحصاء حتى ان فيهم من لا يفرق بين الضاد والطاء المهملة . قال : ولقد بلغني عن بعض من أدخل نفسه في الكتابة وتوسل الى ان أثبت في ديوان الرسائل انه رسمه له بكتاب يكتبه في حق رجل اسمه « طر نطاي » فقال لكاتب الى جانبه : طر نطاي يكتب بالساقط أو بالفاءم؟ (٢) قال :

(١) في الصبح « من دكة » (٢) يريد : بالصاد أو بالفاء ،

وصار الآن حد الكاتب عند هؤلاء الجهال ان يكتب على المحرّر ويتقن بزعمه اسطارا فاذا رأى من نفسه ان خطه جاد ادنى جودة ركب برذونه او بغلته وسعى فى الدخول الى ديوان الانشاء والانضمام الى أهله . قال : واهل الكتابة انما يحصل ذمها بسبب هؤلاء وأمثالهم . والله القائل

تمس الزمان فقد أتى بمجباب ومحا فون الفضل والآداب
وأنى بكتاب لو انبسطت يدي فيهم رددتهم الى الكتاب

قلت . وانما تقاصرت الهمم عن التوغل فى صناعة الكتابة والاخذ منها بالحظ الاوفى لاستيلاء الاعاجم على الامر وتوسيد الامر ان لا يفرق بين البليغ والانوك اعدم الإمامه بالعربية والمعرفة بمقاديرها حتى صار الفصيح لديهم اعجم والبليغ فى مخاطبتهم أبكم ولم يسع الآخذ من هذه الصناعة بحظ وافر الا ان ينشد :

وصناعى عربية وكأنى أتى بأكثر ما اقول الروما
فلن اقول وما اقول واين لى فأسير بل اين لى فأقيا

قال ابن حاجب النعمان : ولما كان ار باب الامور وولاتها من الخلفاء فمن دونهم ينقدون (١) ما يكتب به الكاتب وما يرد عليهم من الكتب ويناقشون على ما يقع فيها من خطأ أو يدخله من خلل ويقدمون الفاضل ويرفعون درجته ويؤخرون الجاهل ويحطون رتبته كان الكتاب حينئذ يتبارون على اقتناء الفضيلة ويرفعون عن ان يعاقبهم من الجهل أدنى رذيلة ويجتهدون فى معرفة ما يحسن الفاظهم ويزين مكاتباتهم اينالوا بذلك أرفع رتبة ويفوزوا بأعظم منزلة . ولما انعكست القضية فى تقديم من غلط بهم الزمان ، وغفل عنهم الحدثان ، واستوات عليهم شرمة الجهل ، ونفرت عنهم أوانس الرياسة والفضل ، وصار العالم لديهم حشفا ، والأديب محارفا ، والمعرفة منكورة ، والفضيلة منقصة ، والبلاغة الكثة ، والفاصحة هجنة ، اجتنبت الآداب اجتناب المحارم ، وهجرت المعلوم هجر كباثر المآثم . ثم قال : ولو أنصف أحد هؤلاء الجهال لكانوا هم بالحشف أولى ، وبالحرقة والمنقصة أجدر وأحرى ، لكنه جهل الواجبات وأوضاعها ،

(١) فى الصبح « ينفذون » ولا يستقيم به المعنى .

وسفه حق المروءة وأضاعها (١) ويوصف بالحى الناطق ، والصنامت خير منه عند أهل
النظر وذوى الحقائق

﴿ الباب الثاني ﴾

﴿ من المقدمة ﴾

في بيان مدلول كتابة الانشاء لغة واصطلاحاً و بيان معنى الانشاء و اضافة الكتابة
اليه والتعبير عن كتابة الانشاء بصناعة الترسل و بيان معنى التوقيع و تفضيل كتابة
الانشاء على سائر أنواع الكتابة و ترجيح الترسل على الشعر وفيه فصلان :

* (الفصل الاول) *

« في بيان مدلول كتابة الانشاء لغة واصطلاحاً ومعنى الانشاء و اضافة الكتابة
اليه والتعبير عن كتابة الانشاء بصناعة الترسل و بيان معنى التوقيع »

اما مدلول كتابة الانشاء فالكتابة في أصل اللغة مصدر كتب ، يقال **كتب**
يكتب كتابة و كتاباً و مكتبة و كتبة ، ومعناها الجمع : يقال **تكتب** القوم اذا تجمعوا .
ومنه قيل لجماعة الخيل « **كتيبة** » و كتبت البغلة اذا جمعت بين شفرها بمحلقة أو سير
أو نحو ذلك . ومن ثم سعى الخط كتابة لجمع الحروف و ضم بعضها الى بعض كما سعى
خرز القرية ونحوها كتابة لجمع بعض الخرز الى بعض والى هذا المعنى أشار الحريري
في بعض مقاماته بقوله

وكاتبين وما خطت أناملهم حرقاً وما قرءوا ما خط في الكتب

وقد عرفها صاحب مواد البيان بأنها صناعة روحانية تظهر بألة جثمانية دالة على
المراد بتوسط نظرها . وفسر الروحانية بالألفاظ التي يتخيلها الكاتب في أوهامه و يصور
من ضم بعضها الى بعض صورة باطنة قائمة في نفسه ، والجثمانية بالخط الذي يخطه
القلم و يقيد به تلك الصورة فتصير بعد أن كانت صورة معقولة صورة محسوسة ظاهرة .
وفسر الآلة بالقلم . ولا يخفى ان هذا الحد يشمل جميع ما يسطره القلم مما يتصوره
الذهن ويتخيله الوهم على اختلاف المقاصد . على ان الكتابة وان كثرت أقسامها

وتعددت أنواعها لا تخرج عن كتابة الانشاء وكتابة الاموال . فانك ان اعتبرت كل نوع من أنواع الكتابة وجدته داخل ضمن واحدة منهما؛ وعند التأمل يظهر لك ذلك . الا ان العرف فيما تقدم من الزمان قد خص لفظ الكتابة عند الاطلاق بصناعة الانشاء حتى صارت اذا أطلقت عندهم لا يفهم منها غير ذلك ، واذا ذكر غيرها ذكر مقيدا فيقال : كتابة الخراج ، وكتابة الجيش ، ونحو ذلك . ومن ثم سمي العسكري كتابه في علم البلاغة « الصناعتين » يعنى الشعر وكتابة الانشاء . وسمي الوزير ضياء الدين بن الاثير كتابه في هذا المعنى « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » مريداً كتابة الانشاء ثم غلب في زماننا في الديار المصرية إطلاق اسم الكاتب على كاتب الاموال حتى صار اذا أطلق الكاتب لا يفهم منه غير ذلك ، والعرب تنقل الحقائق من معنى الى معنى والانشاء مصدر أنشأ الشيء ينشئه اذا ابتدأه واخترعه بمعنى ان الكاتب يخترع ما يؤلفه من الكلام ويبتكره من المعاني فيما يكتب به من المكاتبات والولايات وغير ذلك ، أو معنى ان عنه تبدأ هذه الامور في الاصدار والايراد . ومن هنا أضيفت الكتابة الى الانشاء من حيث انه أصلها الذي تبنى عليه

واما تسميتها « صناعة الترسل » فالصناعة في أصل اللغة حرفة الصانع ، وعمله « الصنعة » . ويقال : رجل صنيع اليدين أى صانع حاذق . والترسل تفعل من الرسالة . يقال : ترسل ، يترسل ، ترسلا ؛ وراسله ، يراسله ، مراسلة ، فهو مراسل ورسيل . وسميت « صناعة الترسل » وان اشتملت على غيرها من الأنواع كالولايات ونحوها مما لا يطلق عليه في الحقيقة « ترسل » تسمية لها بأعم أجزائها اذا الترسل هو أكثرها وقوعا وأوسعها مجالا من حيث انه لا يستغنى عنه ملك ولا سوقة . وعلى ذلك نبى الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي تسمية كتابه « حسن التوسل الى صناعة الترسل » وان كان موضوعا لما هو أعم من ذلك

واما التوقيع ، فاعلم ان التوقيع أصله الكتابة على حواشى القصص وظهورها مما يكتب به عظام ولاية الامور كالخليفة والسلطان والوزير مما صار أكثر ذلك الآن معزوقا (١).

(١) فى الصبح وضوئه كثور ودعزق به ، وعذق به ، وعذق به بمعنى نيط به وكها تحريف عن عزق به . قال فى لسان العرب : عزق به ' وعذق به ' وعسك به ' إذا التصق به ولزمه

بكتاب السر . قال ابن حاجب النعمان في ذخيرة الكتاب : ومعناه في كلام العرب التأثير الضليل الخفيف . يقال : ناقة موقعة الجنب اذا أترت فيه جبال الاحمال . ولم يزد على ذلك . على أنه يحتمل ان يكون مأخوذاً من قولهم : وقع الامر اذا حق وازم كما في قوله تعالى « ووقع القول عليهم بما ظلموا » أى حق ووجب : أو من قولهم : وقع الصيقل السيف ، اذا قبل عليه بميقته بجلوه لأنه بتوقيعه في القصص بجلو اللبس بالارشاد الى ما يعتمد في الواقعة : أو من موقعة الطائر ، وهي المكان الذي يألفه من حيث ان الموقع على الرقعة يألف مكاناً منها يقع فيه كحاشية القصة ونحوها : أو من الموقعة ، وهي المكان المرتفع في الجبل لارتفاع مكان الموقع في الناس وعلوه شأناً ، أو غير ذلك

* (الفصل الثاني) *

« في تفضيل كتابة الانشاء على سائر أنواع الكتابة وترجيح اثره على الشعر »

اما فضل كتابة الانشاء على سائر أنواع الكتابة فقد تقدم في الفصل الاول ان الكتابة وان كثرت أقسامها وتعددت أنواعها لا تكاد تخرج عن كتابة الانشاء وكتابة الاموال ، ولا شك ان اكل من النوعين قدراً عظيماً وخطراً جسيماً . الا ان أهل التحقيق من علماء الادب ما رحوا يرجحون كتابة الانشاء ويفضلونها ويميزونها على سائر الكتابات ويقدمونها ويحتجون لذلك بأمر . منها ان كتابة الانشاء مستلزمة للعلم بكل نوع من أنواع الكتابة ضرورة ان كاتب الانشاء يحتاج فيما يكتب من الكتابات والولايات وغيرها مما يتعاقب بكتابة الاموال الى ان يمثل في وصاياه ونحوها من صناعاتهم ما يعتمدونه ويبين لهم ما يأتونه ويذرونه فلا بد ان يكون عالماً بصناعة من يكتب له بخلاف كاتب الاموال فإنه انما يعتمد على رسوم مقررة وأموذجات محررة لا يكاد يخرج عنها ولا يحتاج فيها الى زيادة ولا نقص

ومنها اشتمال كتابة الانشاء على البيان الدال على لطائف المعاني التي هي زبد الافكار ، وجواهر الألفاظ التي هي حلية الألسنة وفيها تنافس أصحاب المناصب الخطيرة والمنازل الجليلة أكثر من منافستهم في الدر والجواهر ومنها ما تستلزمه كتابة الانشاء من زيادة العلم ، وغزارة الفضيلة ، وذكاة القرينة ،

وجودة الروية، لما تحتاج اليه من التصرف في المعاني المتداولة والعبارة عنها بألفاظ غير التي عبر بها من سبق الى استعمالها مع حفظ صورتها وتأديتها الى حقائقها وفي ذلك من المشقة ما لا يخفى فيه خصوصاً اذا رام الزيادة على من تقدمه في استعمالها أو حدا حدو المبرزين الذين يوقعون الكلام مواقعه مع مراعاة رشاقة اللفظ وحلاوة المعنى وبلاغته ومناسبته مع ما يحتاجه من اختراع أبكار المعاني للأمر الحادثة التي لم يقع مثلها ولا سبق سابق الى كتابتها لأن الحوادث والوقائع لا تتناهى ولا تقف عند حد

وهي اختصاص كاتب الانشاء بالسلطان وقربه منه ومناجاته في أكثر الأوقات واعتماد السلطان في أكثر المهمات عليه مع كونه أقرب الى طريق السلامة من كتاب الاموال . وقد قال بعض الحكماء : الكتاب كالجوارح كل جارحة منها ترفد الأخرى وكاتب الانشاء بمنزلة الروح في المازجة للبدن والتدبير بجميع جوارحه وحواسه . قال في مواد البيان : ولا شك في صحة هذا التمثيل فإن كاتب الانشاء هو الذي يمثل لكل عامل في تقليده ما يعتمد عليه ويتصفح ما يرد منه ويصرفه في الأمر على ما يؤدي الى استقامة ما عزق به وهو حلية المملكة وزينتها لما يصدر عنه من البيان الذي يرفع قدرها ويبلي ذكورها ويهظم خطرها ويدل على فضل ملكها اذ هو المتصرف عن السلطان في الوعد والوعيد والترغيب والترهيب والإحجاد والإذمام واقتضاب المعاني التي تقر الوالي على ولايته وطاعته وتعطف العدو والقاصي عن عداوته ومعصيته

قلت : وقد أوردت في المقامة التي أنشأتها في كتابة الانشاء من فضيلة هذه الكتابة ما يشدو بذكره المترم وأودعتها من شرف الكتاب ما يدعن له الخصم ويسلم على ما ستقف عليه فيها في المقالة العاشرة ان شاء الله تعالى

واما ترجيح الزثر على الشعر فان الشعر وان كانت له فضيلة تخصه ومزية لا يشاركه فيها غيره مما لا يخفى به فإن الزثر ارفع منه درجة واعلى رتبة وأشرف مة . اما وأحسن نظاما اذ الشعر محصور في وزن وقافية يحتاج الشاعر معها الى زيادة الالفاظ والتقديم والتأخير وقصر الممدود ومد القصور وصرف ما لا ينصرف ومنع ما ينصرف من الصرف واستعمال الكامة المرفوضة وتبديل اللفظة الفصححة بغيرها الى غير ذلك مما تلجئ اليه ضرورة الشعر فتكون معانيه تابعة لألفاظه . والكلام المتور لا يحتاج الى

شئ من ذلك فتكون الفاظه تابعة لمعانيه . وناهيك بالثر فضيلة ان الله تعالى أنزل به كتابه العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولم ينزله بالشعر بل نزحه عنه بقوله « وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون » وحرم نظمه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم تشريفا لمحلّه وتمزيها لمقامه منها على ذلك بقوله تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » وذلك أن مقاصد الشعر لا تخلو عن الكذب ، والأحالة على الامور المستحيلة ، والصفات المجاوزة للحد ، والنعوت الخارجة عن العادة ، وقذف المحصنات ، وشهادة الزور ، وقول البهتان ، وسب الاعراض ، وغير ذلك مما يجب التنزه عنه لا حد الناس فكيف بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا سيما الشعر الجاهلى الذى هو أقوى الشعر واغله . بخلاف الثر فإن المقصود الا عظم منه الخطب والترسل وكلاهما شريف الموضوع حسن التعلق من حيث أن الخطب كلام مبنى على حمد الله تعالى وتمجيدته والثناء عليه ، والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم ، والتذكير والترغيب فى الآخرة ، والترهيد فى الدنيا ، والحض على طلب الثواب ، والأمر بالصلاح والاصلاح ، والحث على التماضد والتعاطف ، ورفض التباغض والتناطح ، وطاعة الأئمة ، وصلة الرحم ، ورعاية الذم ، وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى مما هو مستحسن شرعا وعقلا .

والترسل مبنى على مصالح الامة وقوام الرعية لما يشتمل عليه من مكاتبات الملوك وسراة الناس فى مبهات الدين وصلاح الحال وبيعات الخلفاء وعهودهم وما يصدر عنهم من عهود الملوك وما يلحق بذلك من ولايات أرباب السيوف والاقلام الذين هم أركان الدولة وقواعدها الى غير ذلك من المصالح التى لا تكاد تدخل تحت الحصر ولا ياخذها الاحصاء . قال فى مواد البيان : ولا عبرة بما ذهب اليه بعضهم من تفضيل الشعر على الثر اتباعا لهواه بدون دلائل واضح . على أنه قد قال فى الصناعتين ان اكمل صفات الخطيب والكاتب أن يكونا شاعرين كما أن من أتم صفات الشاعر أن يكون خطيبا كاتباً . وكفى (١) برفعة الكتابة على الشعر ان الشاعر يقرظ الكاتب ولا عكس وإنما يليق التقريظ من الاعلى للأدنى

(١) قوله : وكفى الخ زيادة فاسدة لا وجود لها فى « الصبح » ولا فى « الصناعتين » وإنما اثبتناها لوجودها فى « الضوء »

﴿ الباب الثالث ﴾

من المقدمة في صفات كتاب الانشاء وآدابهم وفيه فصلان :

* (الفصل الاول) *

﴿ في صفاتهم وهي على ضربين : ﴾

(الضرب الاول)

في الصفات الواجبة التي لا يسع تركها وهي عشر صفات :

أحدها — الاسلام ليؤمن فيما يكتبه ويعليه ويوثق به فيما يذره ويأتيه اذ هو لسان المملكة المرهب للعدو بوقع كلامه والجادب للقلوب بلطف خطابه فلا يجوز أن يتولى احد من اهل الكفر هذه المرتبة اذ يكون عيننا للكفار على المسلمين ومطلعاً لهم على خفاياهم فيصلون به الى ما يتعذر عليهم الوصول اليه من غيره . وقد قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبائلاً ودوا ما عنكم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون » . والمراد بالبطانة في الآية من يطلع على احوال المسلمين كمقدار خزائنها من المال واعداد جيشهم من الخيل والرجال . قال ابو الفضل الصوري في تذكرته : من الفطرة التي جبل كل أحد عليها حين كل شخص من الناس الى من يرى رأيه ويدين دينه وهذا امر يجده كل أحد في نفسه ؛ ولذلك شرط بعضهم في الكتاب أن يكون على مذهب الملك الذي يتمذهب به من مذاهب المسلمين ليكون موافقاً له من كل وجه . وقد قال الشافعي رضي الله عنه في كتابه « الأم » : ما ينبغي لفاضل ولا وال ان يتخذ كاتباً ذمياً ولا يضع الذمى موضعاً يفضل به مسلماً ، ويعز على المسلمين ان يكون لهم حاجة الى غير مسلم . قال الصوري : ولا يخفى ان كاتب الانشاء أحوج الاس الى الاستشهاد بكلام الله تعالى في اثنا- محاوراته وفصول مكاتباته والتمثل بنواهيته وأوامره وهو حلية الرسائل وزينة الانشآت . فاذا كان الكاتب غير مسلم فانه ذلك . قال : ولا يحتج بالصائبى وانه كتب للمطيع والطائع من خلفاء بني العباس وممزا الدولة وعز

الدولة من ملوك بني ثويبه وهما يومئذ عمدة الاسلام وعضد الخلافة وهو على دين الصابئة . فان الصابي كان من أهل ملة قليل أهلها ليس لهم ذكر ولا مملكة وليس منهم محارب لأهل الاسلام ولا لهم دولة قائمة فتخشي غائلته

الثاني المذكورة - فقد صرح أصحابنا الشافعية بأنه يشترط في كاتب القاضي ان يكون ذكراً ؛ واذا اشترط ذلك في كاتب القاضي ففي كاتب السلطان أولى لهوموم النفع والضربه . وقد روى ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال في حق النساء : جنبوهن الكتابة . ومر أمير المؤمنين على ابن أبي طالب رضى الله عنه برجل يعلم امرأة الخط فقال : لا تزد الشرّ شراً . ورأى بعض الحكماء امرأة تتعلم الكتابة فقال : افهي تسقى الخط سماً . والله البسامي حيث يقول

ما للنساء وللكتابة والعالة والخطابه

هذا لنا ولهن من ان يتن على جنابه

ولا يحتاج بما روى ان عائشة أم المؤمنين كانت تكتب في مكاتباتها : من المبرأة عائشه بنت أبي بكر حبيبة حبيب الله . فإنه لم يصرح بأن عائشة كتبت بنفسها . واعلمها كانت تأمر بمن يكتب لها على عادة ولاية الامور في ذلك . وان صح ذلك فغيرها من النساء لا يقاس عليها

الثالث الحرية - فقد شرطوا في كاتب القاضي ان يكون حراً لما في العبد من النقص فلا يعتمد عليه ولا يوثق به في كل الاحوال

الرابع التكليف - كما في كاتب القاضي فلا يعول على الصبي في الكتابة اذ لا وثوق به ولا اعتماد عليه لاحتمال ان يحمله عدم التكليف وتحقق انه لا ياحقه اثم على ارتكاب ما لا يجوز في الكتابة

الخامس العدالة - فلا يجوز ان يكون الكاتب فاسقاً فإنه بمنزلة كبيرة ورتبة خطيرة يحكم به في ارواح الناس واموالهم اذ لو زاد في كتابه أدنى كلمة، أو حذف أيسر حرف، أو كتم شيئاً قد علمه، أو تأول لفظاً بغير معناه، أو حرفه عن جهته، لأدى ذلك الى ضرر من لا يستوجب الضرر ونفع من يجب الاضرار به وكان قد موّه على الملك حتى مدح المذموم وذم المدحوح . وربما حمله الفسق وقلة الاكثراث بأمور الدين

على وهن يدخله علي الدين بقله أو ضرر يجلبه اليه باسائه . وقد اشترط الشافعية في كاتب القاضي العدالة فكاتب السلطان أولى له موم ولايته . فحتى لم يكن له دين يحجزه عن ارتكاب المآثم ويزعه عن احتقاب المحارم كان الضرر به أكثر من الانتفاع وأثر فعله من الاضرار مالا تؤثره السيوف البواتر. والله القائل

ولضربة من كاتب بينانه امضى وأقطع من رقيق حسام
قوم اذا غزموا عداوة حاسد سفكوا الدما بأسنة الاقلام

السادس البلاغة - بحيث يكون منها بأعلى رتبة وارفع منزلة فإنه لسان السلطان الذي ينطق به ويده التي يبطش بها . ورب كاتب بليغ أصاب الغرض في كتابته فأغنى عن الكتاب وأعمل القلم فكفاه اعمال البيض القواضب . فاذا كان الكاتب جيد الفطنة صائب الرأي حسن الالفاظ فإنه تتأني له المعاني الجزلة فيجلوها في الالفاظ السهلة فيختصر حيث يكون الاختصار أليق ، ويطول حيث لا محيد عن الاطالة ، ويتهدد فيملأ القلوب روعة، ويشكر فيلقى على النفوس مسرة ، او ان كتب الى ملك كبير أو ذى رتبة خطير عظم مملكة سلطانه وفخمه في خلال كلامه من غير ان يوجد ان ذلك قصده السابع وفور العقل وجزالة الرأي - فأن العقل اس الفضائل وأصل المناقب ، ومن لا عقل له لا انتفاع به ، وكلام المرء ورأيه على قدر عقله . فاذا كان تام العقل كامل الرأي وضع الأشياء في مكاتباته ومخاطباته مواضعها وأتى بالكلام من وجهه وخاطب كل أحد عن سلطانه بما تقتضيه الحال التي يكون عاينها : فيشتد ما كانت الشدة نافعة ، ويلين حين يكون الى اللين محتاجا ، ويوبخ من لا يقتضي فعله أكثر من التوبيخ، ويذم من تعدى الى ما يستوجب الذم ، ويأتي بالمكاتبات التي يقتضيها الاحوال واقعة مواقعها صائبة مراعيها

الثامن العلم بمواد الاحكام الشرعية والفنون الادبية وغيرها مما يأتي بيانه - اذ الجاهل لا تميزه بين الحق والباطل ولا معرفة ترشده الى الطرق المعتبرة في الكتابة ومن سلك طريقا غير دليل ضل ومن تمسك بغير أصل ذل

التاسع قوة العزم وعلو الهمة وشرف النفس - فإنه يكاتب الملوك عن ملكه وكل كاتب يجذبه طبعه وحبلىته وخيمه في الكتابة الى ما يميل اليه . ومكاتبة الملوك أحوج

شئ، الى التفخيم والتعظيم وذكر التهاويل الرائعة والاشياء المرغبة . فكلما كان الكاتب أقوى نفساً وأشد عنزها وأعلى همة كان في ذلك أمضى وعليه أقدر ومهما نقص من ذلك نقص من كتابته

العاشر الكفاءة لما يتولاه - لأن العاجز يدخل الضرر على المملكة ويوجب الوهن في أمر المسلمين وربما عاد عليهم عجزه بالوبال وأدى بهم ضعفه الى الاضطراب والاختلال

﴿ الضرب الثاني ﴾

﴿ الصفات العرفية ﴾

قال ابو الفضل الصوري ينبغي ان يكون الكاتب فصيحاً، بليغاً، اديباً، سنى الرتبة، قوى الحججة، شديد العارضة، حسن الألفاظ، لهملكة يقتدر بها على مدح المذموم وذم الممدوح . وقال محمد بن ابراهيم الشيباني : من صفة الكاتب اعتدال القامة، وصغر الهامة، وخفة اللهازم، وكثافة اللحية، وصدق الحس، ولطف المذهب، وحلاوة الشمائل ولطف الاشارة، وملاحة الرى . وقال المهذب بن ممانى في كتابه « قوانين الدواوين » : ينبغي ان يكون الكاتب اديباً، حاد الذهن، قوى النفس، حاضر الحس، جيد الحدس، حلو اللسان، له جرأة يثبت بها الامور على حكم البديهة، وفيه تودة يقف بها فيما لا يظهر له على حد الروية، شريف الأنفة، عظيم النزاهة، كريم الاخلاق، مأهون الغائلة، مؤدب الخدام . قال محمد بن ابراهيم الشيباني : ومن حاله ايضاً ان يكون بهى الملبس، نظيف المجلس، ظاهر المروءة عطر الرائحة، رقيق الذهن، حسن البيان، دقيق حواشى اللسان، حلو الاشارة، رقيق الاستعارة، لطيف المسلك، مستفره المركب، ولا يكون مع ذلك فضفاض الجثة، متفاوت الاجزاء، طويل اللحية، عظيم الهامة فأنهم زعموا أن هذه الصفات لا يليق بصاحبها الذكاء والفطنة والله القائل

وشمول كأنما اعتصروها من معانى شمائل الكتاب

قلت : وبالجمل ففصاحة الكاتب وقوة بيانه والتقدم في صناعة الكتابة هو الذى يرفع رتبة الكاتب ويعظمه في النفوس ويجعله في المرتبة دون آدابه البهية وهيته بل ربما كان التعظيم في الفعل لرتب الحالة المخط الجانب أكثر وترجيحه على ذى الرياسة أغلب

— الفصل الثاني —

﴿ في أدب كاتب الانشاء — وهو على توعين : ﴾

(النوع الأول)

« في حسن السيرة وشرف المذهب — ويعتبر في ذلك ستة شروط : »

الاول - اعتماد تقوى الله تعالى في السر والعلانية والمحافظة عليها والاستناد اليها في مبادئ الامور وعواقبها فانها العروة التي لا تنفصم والحبل الذي لا ينصرم والركن الذي لا يهدم والطريق التي من سلكها اهتدى ومن حاد عنها ضل وتردى، والمحافظة على شرائع الدين التي فرضها الله تعالى على خلقه، والحذر من الاستخفاف فيها بجمه، وتوقى غضبه بتأديتها، والاستجنان من شقاء الدنيا والآخرة بتوقئها

الثاني - طلب الاجر بما ينيله من عز ساطانه ومجديه من فواضل نعمائه . وهذا هو اصح الأغراض التي يجب على كل عاقل ان يقدمه على عرضه ويحصل منه على السهم الوافر فلا خير في دنيا تنقطع السعادة عنها وانما السعادة بعد الموت في الدار الآخرة ومن اختار الفاني عن الباقي فقد خسرت صفقته وبارت تجارته . والطريق الموصل الى ذلك هو صلاح النية فيما يتولاه من أمور سلطانه، وقصد النفع العام له وارعيته، والاجتهاد في اغائة الملهوف، والأخذ بيد الضعيف، والنفع بجاهه عند ساطانه، وحمله على العدل في الرعية ما أمكنه . واذا اعتمد ذلك فاز بثواب الله تعالى وقضى حق الساطان فيما عرضه له من الشكر والاجر وقابل نعمة الله التي أقدره بها على هذه الافعال الجميلة : ما يرتبطها عنده ويستقر بها لديه

الثالث : مجانبة الريب والتنزه عنها — فانها تسخط الله تعالى وتذهب بهابة المرء وتسقطه من العيون والقلوب . وأحق من راعى ذلك من نفسه من بين اتباع السلطان أهل هذه الصناعة لاختصاصهم به واطف منزلتهم عنده : اذ المشهور عند نقلة الآثار ان الذين تقدموا من صدورهم ومشايخهم كانوا من جلة العلماء وأفاضل أهل الورع المبرئين من الدنس والطمع المتميزين على غيرهم من العلماء بفضل الآداب ، ورواية لأشعار، ومعرفة الأيام والسير، والارتياض آداب الملوك وعشرتهم ورسوم صحبتهم

وغير ذلك مما ينتظم في صناعتهم : فقد ساووه في علم الدين ، وفاقوه فيما لا يشاركونهم فيه ؛ والسلطان والدين قرينان وعونان على صلاح البلاد والعباد فلا يحتمل السلطان ما ينكره الدين لأنه تابعه وورديه

الراجح - لزوم العفاف والصيانة فيما يتولاه السلطان من أعماله ، ويتصرف فيه من أشغاله ، والتعفف عن المطامع الذميمة والمطاعم الوخيمة ، والترفع عن المكاسب الرديئة فإن ذلك يجمع القربة الى الله تعالى والحظوة عند السلطان وجميل السيرة عند الرعية . فلقد تقدم بهذه الطريقة عند السلطان المتخلفون في الفهم والمعرفة ، وسادوا من لا يقاربونه في غنا . ولا كفاية ، وحصلوا على المنازل العلية ، وقرب بها من كان بعيدا علي من كان قريبا ، واستدنى لأجابه من لا يترشح لخدمة السلطان . ولا عليه ان يجرى مجرى أهل الزهد والورع بل له الارتفاق بما يحل له مما يتوصل اليه من جاه خدمته من المنافع التي تصل اليه من أطيب المكاسب من غير خيانة للمؤمن ولا للمسلم (١) للرعية ، فإنه لولا هذه المنافع لغنى الانسان بالقناعة وسلم من المخاطرة في دينه ودنياه ؛ والا فما الفائدة في استفراغ وسعه فيما لا يحسن له عائدة وقد علم ما كان عليه أهل هذه الطبقة في سائر الدول وما اقتنوه من الأموال والذخائر النفيسة

الحامس - طلب الثناء والحمد الذي هو من أفضل المقاصد السنية وأعلىها رتبة من حيث أنه يتلو الأجر في البقاء والدوام . وأولى الناس باقتناء ذخائر الحمد من عرض جاهه وطالت يده ومضى عند السلطان لسانه . فينبغي للكاتب ان يختار هذه المكرمة ويفوز بانصيب الأوفر منها ، ولا يبخل بجأه ولا ماله على قاصد ولا مؤمل ولا ذي رحم وذمام ، ولا يضيق على أهل بطانته مع سعته ، وان يجعل ذلك بجأه وماله دون مال السلطان ، ولا يبالغ في ابتناء المعالي واقتناء المحامد ، أن ذلك مما يختص بالملوك فلا ينبغي ان يسأهوا فيه وقد علم ما كان من أمر البرامكة لما علا صيتهم وارتفع ذكركم .

السادس : الاقتصاد في طلب اللذة والاقتصار من ذلك على ما يقيم الروة - ويسلك في ذلك الطريقة الحميدة التي يظهر فيها أثر سيد التدبير وأصالة الرأي من

(١) في الصبح : ولا اشتكاه للرعية . ولو قال « اشكاه » لاستقام المعنى فإن الاشكاه

هو ان تعمل بالرجل ما يدفعه الى الشكوى . والأمام هو اقرار الأم وهي صغار الذنوب

غير خروج الى الاقبال على اللذات والانهاك في الشهوات فان ذلك غير مستحسن
لملك ولا سوقة؛ ولكنه لا يكلف ترك اللذات جملة اذ لا بد لكل أحد من ذوى الرتب
العلية من الأخذ بنصيب منها لما جبلت عليه الطبائع من الميل اليها والرغبة في
الاستمتاع بالنعم والملاذ . وأهل هذه الصناعة لاختلاطهم بالملوك ومشاركتهم لهم
في آدابهم لاغنى بهم عما يقيم مروءتهم من اللذات المشابهة لاقدارهم وموضوعهم من السلطان

﴿ النوع الثاني ﴾

« من أدب الكاتب حسن العشرة وهي على خمسة أضرب »

(الضرب الاول)

(عشرة الملوك والعظماء)

وهي أعلى الأدب رتبة وأعظمها خطرا ولا يقوم بأدائها على وجهها الا من علت
في الادب همته وسمت في رجاحة العقل منزلته لأن صحبة السلطان أمر عظيم وصاحبه
راكب خطر جسيم بتخليكه نفسه لمتحكم في شعره وبشره، متمكن من نفعه وضره، لا
يرده عن مقابلته على يسير الخيانة بكبير العقوبة الا ما يؤمل من صفحه ومسامحته .
فيجب على المتصل بخدمة السلطان النظر في عواقب أموره وحفظ نفسه من جريرة
يجرأ عليها بأغفاله فرضا من فروض طاعته وتضييعه حقا من حقوق خدمته فان من اشق
الاحوال على الانسان أن يكون هو السبب في تغير السلطان عليه فيؤول أمره مع
النكبة الى الملامة والتوبيخ على ما فرط منه . ويتعلق النظر في ذلك بستة عشر أدبا :

أحدها : الاخلاص الذي هو قوام الامر في المصاحبة - فأذن من صحب سلطانه
بعقيدة مدخولة لم ينتظم له ولا لسلطانه أمر . لان الضمائر السقيمة لا بد ان يُصرَح بما
فيها ويظهر ما في دخليتها . واذا ظهر منه ذلك لسلطانه كان سببا لتلاف نفسه

الثاني : النصيحة التي هي ترب الاخلاص -- فينبغي ان بطالع سلطانه بكل ما
يفتقر الى العلم به من خاسر أموره وعامها . وعلى من استخلصه السلطان لنفسه، واثمته
على رعيته ، وانطقه بلسانه، وأخذ وأعطى بيده، وأورد وأصدر برأيه ، ان لا يستتر عنه
دقيقا ولا جليلا من احوال ما فوضه اليه

الثالث : الاجتهاد فيما يياشره من أحوال سلطانه بما يعود عليه نفعه بحيث لا يبقى في ذلك ممكنا

الرابع : كتمان السر الذي هو من أفضل الآداب في صحبة السلطان وغيره لان الحلال الداخلى على الدول أكثر مما يحصل من افشاء السر واظهار ما تقرر في عزائم الملوك قبل أن يظهره فيجد العدو بذلك الطريق الى مقابلة آرائهم بما يفسدها . على أن افشاء السر مما جبل عليه طباع أكثر الناس . فمن علم في نفسه ذلك فليحذر معاملة السلطان في اسراره لا سيما في باب حروبه ومكائده

الخامس : شكر النعمة - لان ذلك اذا كان واجبا على الانسان مع اكفائه فجع السلطان الذي يستظل بظله اولى ، فان الانسان قد يقدر على مكافأة كفته بما يسديه اليه من معروف ولا يقدر على مكافأة السلطان الا بشكر نعمته والمحافظة على حقوق خدمته التي بها يظهر شكر الحادم دون الوقوف مع الشكر بالقول

السادس : الوفاء باظهار النصيحة وبذل الاجتهاد ومقابلة كل نعمة تفاض عليه بالهضة فيما اسند اليه مع عدم الالتفات الى غيره ليدعو ذلك سلطانه الى رب النعمة (١) لديه واقرارها عليه لان الملوك ما برحت تقرب صاحب هذه الخصلة ويرونة اهلا للاختصاص وموضعا للثقة

السابع : مجانبة الأدلال على سلطانه - إذ الدالة على السلطان من أعظم مصارع التلف وأقرب الأشياء الى زوال النعمة وبها هلك الكثير من بطانة السلطان خاصة . فان السلطان مجبول على أنفة النفس وعزتها ولا يحتمل التنازل لأحد لتزيله الكمل منازل الخدم والأرقاء ، واعتقاده انه سبب النعمة السابقة على الكفاة ، وثقته بوجود العوض عن يفقده من الاعوان والأصحاب ومثابرة الناس على خدمته وعدادهم في أتباعه ؛ واذا سألته حاجة أظهر سبوغ النعمة وسأل الزيادة : وان اتهمه بهفوة لم ينته في اقامة العذر الى براءة الساحة الى الغاية القصوى بل يتوسط في ذلك ويسأل حسن الصفح والأقالة فانه اذا قام الحججة في براءة الساحة كان فيه تكذيب لمن يعتذر اليه ولم يبق للعذر وجه الثامن : التمسك بأداب الخدمة والمواظبة عليها وصرف الاهتمام اليها - فان

(١) ربّ النعمة يرثها ، رباً ، وربابة ، ورباباً : زادها وأتمها

ذلك من أعظم الذرائع الى نيل المقاصد وبلوغ أعلى المراتب وفيه تقريب الأبعد على الاقرب . وما نال أحد عند السلطان مرتبة الا والمواظبة على خدمته سببها والمواصلة موجبها . وأولى الناس بلزوم السلطان كتابه الذين لا غنى به عن حضورهم في ليله ونهاره . ولقد كان للخلفاء الفاطميين بالديار المصرية كتاب يعرف بصاحب القلم الدقيق يبيت عنده يسامره ويكتب ما يعرض له من المهمات في ليله . وربما عرض له ما يحتاج اليه في غيبة كاتبه فاستدعى غيره لاستكتاب ما عرض له وأدى ذلك الى اقامته مقامه فيما هو فيه وان كان لا يساويه في فضل ولا علم ولا نفع بخلاف ما اذا صرف همته الى ملازمة خدمته فأن استطاع ان يقرر معه وقتاً بعينه لحضور الخدمة ليسلم من مثل هذه العوارض كان احمد لعاقبته وأحسم لاسباب اللوم في غيبته التاسع : اعتماد مقابلة سلطانه بالاحسان والاعظام في مجالسه الخاصة والعامه . ولا يحمله تأكد الخدمة وتطاول الصحبه على اهمال ذلك بل يحافظ عليه ولا يغير فيه عادته فربما أدى فوات ذلك الى المهلكة

العاشر : ان يتخير لخطاب سلطانه أو رئيسه الاوقات التي يعلم خلو سره فيها وفراغ باله وانشراح صدره وارتفاع الافكار عن خاطره الا أن يكون ما يخاطبه فيه مما لا يسع تأخيرها من الامور العائدة بانتظام سلطانه ومهمات أعماله التي متى أخرها نسب الى التقصير فيقدم الكلام فيها خف أو ثقل

الحادى عشر . اذا خاطبه سلطانه أو رئيسه في أمر من الامور أن يرعيه عينه ويصغى اليه بسمعه ويشغل به فكره حتى يستوعب ما يلقيه اليه ويحجبه عنه أحسن جواب ، ولا ياتفت في حال اقباله عليه الى غيره ، ولا يصغى الى كلام متكلم حتى لو امتحنه باستعادة ما كلفه فيه وجده قد احرز جميعه فأن التقصير في ذلك مما ينكره الملوك والرؤساء ويستدلون به على عجز المخاطب وضعفه ، وان كان فيما خاطبه به ما يحتمل التأخير بادر الى الاعتذار عنه ائلا ينسب الى التقصير بتأخيرها عند الكشف عنه ، وان كان فيه ما يخالف الصواب امضاه وإن تعذر السبيل الى فعله لم يظهر ان تأخيرها لمخالفة الصواب بل يقابله بالاستصواب ثم يتلطف في تعريفه مكان الخطأ فيما رآه الثاني عشر : ان يجري في مجالسة سلطانه أو رئيسه تلى ما يحبه ويؤثره : فان مال

الى الانبساط اطلاق لسانه فيه اطلاق المتعجب للفحش، وان اظهر الاقتباس جرى على مذهبه في ذلك؛ ولا يخالفه في حال من احواله فان من شرط هذه الخدمة ان يتصرف صاحبها في كل ما يصرف فيه بل يسرع الاتقياد في كل ما يدعى اليه الا ان يكون فيه معصية لله تعالى فلا طاعة للمخلوق في معصية الخالق؛ ولا يكثر الدعاء له والشكر على ما يوليه من العوارف فان مثل ذلك تستثقله الملوك والرؤساء.

الثالث عشر - ان لا يحضر سلطانه بملابسه التي جرت العادة ان ينفرد بها كالوشى ونحوه الا ان يكون هو الذي شرفه بها، وان يقصد في لباسه فينحط عما يلبسه سلطانه ورئيسه ويرتفع عما يلبسه السوقة، ويصرف عنايته الى التنظيف والتعطر وقطع الرائحة الكريهة من العرق وغيره حتى لا تقع عين رئيسه على دنس في اثوابه ولا يجد منه كريه رائحة في حال دنوه منه، ويتعهد نفسه بالطيب والبخور الفائق والنضح بالمسك فان الملوك والرؤساء ترى ان من اغفل تعهد نفسه كان اغيرها اشدا غفالا

الرابع عشر: ان يتجنب التفاضل في مخاطبة سلطانه ورئيسه والافتخار بالبلاغة والبيان لما في ذلك من الترفع عليه في الكلام، بل يجعل ما يلقيه اليه ضمن الفاظ تدل على المعاني بسهولة مع غض من صوته، وخفض من طرفه، وسكون من اعضائه لان التسامح بالفصاحة انما يقع للخطباء الذين يثنون على الملوك في المواقف العامة لاحتياجهم الى الالفاظ التي تقع في الاسماع احسن المواقع

الخامس عشر: اذا ارتفعت رتبته عند سلطانه اورئيسه ان يجمّل القول في خاصته وعامته، ويمسّن الوساطة لخاصيته ورعيته، ويتجنب القدرح عنده في اكفائه ونظرائه من بطانته والمقربين بحضرتة ليكون ذلك داعيا الى محبته والثناء عليه مكافأة لصنيعه وامسك اللسن عن الطعن فيه

السادس عشر: - ان يبادر بالمشورة على سلطانه اورئيسه بالصواب فيما يستشيره فيه ويورده ايراد مستفيد لا مفيد ولا معلم ويتلطف في ان يوقعه عنده موقفا يدعو الى العمل فان من عادة الملوك والرؤساء الأتفة من الاتقياد الى ما ينتحله غيرهم من الآراء ولو كانت صوابا. وان تمكن من صياغة حديث يودع فيه ما يشير به فعل مخادعة لنفسه الأبية وعزته المتقاعسة

* (الضرب الثاني) *

« آداب عشرة الاكفاء والنظراء »

وطريقة الاعتدال في ذلك الموافاة في الاخاء والمساواة في الصفاء ومقابلة كل حالة بما يضاهاها . ولانزاع في ان المسامحة بالحقوق والإغضاء عن قصر والمحافظة على ود من فرط من أصل المآثر وآثر الفضائل لاسيما لمثل اهل هذه الصناعة التي يرتفع حق الاعتزاء اليها عن حقوق القرابات والانساب . فيجب عليه ان يعرف لأكفائه حقهم ويتلقاهم بالاكرام ويجعلهم في أعلى المراتب عنده ويزيدهم على الانصاف ولا يقصر بهم عما يستوجبونه ويجرى على مثل ذلك في حق نظرائه من غير الكتاب . وان تعذر عليه الاقتدار على طلباتهم أطاب قلوبهم بالوعد الجميل واجتهد في الوفاء به

* (الضرب الثالث) *

« آداب عشرة الاتباع »

وهي لاحقة بعشرة الاكفاء من حيث ان الذين يستعين بهم الكتاب يدعون كتابا . وهم وان كانوا أتباع الكتاب فاسم الكتابة يجمع بينه وبينهم . فينبغي ان يخلصهم بالنصيب الأوفر من اكرامه وملاحظته ، ويفرض لهم من الاختصاص والتقديم وتفقد الاحوال ما ينتهي اليه أمل المرءوس من الرئيس ليجعل خدمتهم له بذلك خدمة مودة لا خدمة رهبة ؛ وان يجيب خدمته اليهم بترك مناقشتهم والتضييق عليهم وانااتهم من الترقية في بعض الاوقات ما يجدون به السبيل الى الاخذ بنصيب من لذاتهم وقضاء أوطارهم التي تميل اليها النفوس ، فأنهم متى ختمهم التعب اعترضهم الضجر والملال فقصروا في العمل وتهاونوا بالاشتغال ؛ ولكن لا يفسح لهم في مواصلة الراحة والاجلال بما يلزمهم ، فان هذا يحمل على ان يصير ذلك دأبا لهم يفسد لهم حال خدمتهم . وعليه ان يحفظ لهم حقوق الصحبة والخدمة ويوجد لهم من الاعانة ما فيه صلاح حالهم ، فان ذلك مما يستخلص مودتهم له اذ القلوب مجبولة على حب من أحسن اليها

* (الضرب الرابع) *

« آداب عشرة الرعية »

وهي من الامور العظيمة النفع الجسيمة العائدة القاضية بالسلامة اذ لا يطيب لأحد عيش مع بغض الرعية له ونفورهم عنه وان علت عند السلطان رتبته فينبغي ان يوفر العناية على استصلاحهم واسمالة قلوبهم اليه وتألقها ولين الجانب ووطأة الكنف وخفض الجناح كما يوفرها على استصلاح السلطان وسياسته لتصح له رتبة التوسط بين الطبقتين ويسلم من الطعن واللوم ويبرأ من البغض والشحناء وينقاهم عن رتبة الحسد والايذاء الى التآلف والمودة وقد أدب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك »

* (الضرب الخامس) *

« آداب عشرة من يمت اليه بحرمة كالجار والقاصد والامل والمدل بحق المفاوضة والمطاعمة والمحاضرة والسلام والمعرفة في الصبا والصداقة بين الآباء وغير ذلك من الحرم التي لا يطرحها أهل المروءات »

فعليه ان يوفيهم حقوقهم ، وينهض بقضاء أوطارهم ، ويعينهم على ما يحدث من نوب الزمان ، والمساعدة في بلوغ مطالبهم من سلطانهم ، ولا يبخل عليهم بجاه ولا مال ، ولا يخيب أمل آملهم ، ويجعل لهم من اعتائهم ما يهز جانبهم ويدهل ما آربهم ، ويكف الضيم والظلم عنهم ، فإنه اذا التزم لهم ذلك التزموا له الاعظام والاجلال وأطلقوا ألسنتهم بالثناء عليه وأشاعوا ذلك بين امثالهم فاجتلبوا له مودتهم وتمصبهم . قلت : ومن تمام آداب الكتاتب ان يعرف حقوق مشايخ الصنعة وأئمتها الذين فتحوا أبوابها وذلوا سبيلها وسهلوا طرقها ، ويعاينهم بالانصاف فيما عملوا فيه خواطرهم وآتوا فيه روياتهم : فينزلم منازلهم ولا يبخسهم حقوقهم ؛ فمن آفات هذه الصناعة على ذوى الفضل من أهلها ان القاصر منهم لا يمتنع من ادعاء منزلة المبرز بل لا يعميه من ادعاء التقدم في الفضل عليه ؛ والمبرز في الفضل لا يقدر على اثبات تقص المتخلف فيه والله يعلم المفسد من المصالح

الباب الرابع

« في التعريف بحقيقة ديوان الإنشاء واصل وضعه في الاسلام وتفرقه بعد ذلك في الممالك وفيه فصلان » :

* (الفصل الاول) *

« في التعريف بحقيقته »

لاخفاء في انه اسم مركب من مضاف وهو « ديوان » ومضاف اليه وهو « الانشاء » .

اما الديوان فاسم للموضع الذي يجلس فيه الكتاب وهو بكسر الدال . قال ابو جعفر النحاس في صناعة الكتاب : وفتحها خطأ . ويجمع على دواوين . واختلف في أصل لفظه فذهب قوم الى انه عربي . قال النحاس : والمعروف في لغة العرب ان الديوان الاصل الذي يرجع اليه ويعمل بما فيه ، ومنه قول ابن عباس رضي الله عنهما : اذا سألتموني عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فان الشعر ديوان العرب . قال : والى هذا يميل كلام سيويه . وذهب آخرون الى انه اعجمي ، وهو قول الاصمعي : وعليه اقتصر الجوهري في صحاحه فقال : الديوان فارسي معرب . وقد حكى الماوردي في الأحكام السلطانية في سبب تسميته بذلك وجهين . أحدهما ان كسرى ذات يوم اطلع على كتاب ديوانه في مكان لهم وهم يحسبون مع انفسهم فقال : « ديوانه » أي مجانين . فسمى موضعهم بهذا الاسم ولزمه من حينئذ : ثم حذفت الهاء من آخره لكثرة الاستعمال تخفيفاً فقليل : ديوان . وعلى هذا اقتصر النحاس في « صناعة الكتاب » . والثاني ان الديوان بالفارسية اسم للشياطين ، سمي بذلك الكتاب لحذقهم بالامور ووقوفهم على الجلي منها والخفي .

واما الانشاء فقد تقدم انه مصدر « أنشأ الشيء ينشئه » اذا ابتدعه واخترعه . وحينئذ فأضافة الانشاء الى الديوان يحتمل أمرين : أحدهما ان الامور السلطانية من المكاتبات والولايات تنشأ عنه وتبتدأ منه . والثاني ان الكتاب ينشئ لكل واقعة مقالا . قلت : وقد كان هذا الديوان في الزمن المتقدم يعبر عنه بديوان الرسائل تسمية

له بأشهر الأنواع التي تصدر عنه لأن الرسائل أكثر أنواع كتابة الانشاء وأعمها، وربما قيل له ديوان المكاتبات؛ ثم قلب عليه اسم ديوان الانشاء واستمر عليه الى الآن . وربما جعلوا في زماننا اسم ديوان الرسائل واقعاً على ما دون ديوان الانشاء

* (الفصل الثاني) *

« في أصل وضعه في الاسلام وتفرقه بعد ذلك في الممالك »

اعلم ان هذا الديوان أول ديوان وضع في الاسلام . وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتب امرأه واصحاب سراياه من الصحابة رضوان الله عليهم ويكاتبونه . وكتب الى من قرب منه من ملوك الارض يدعوهم الى الاسلام : فكتب الى النجاشي ملك الحبشة ، والى هرقل ملك الروم ، والى كسرى ابرويز ملك الفرس ، والى المقوقس صاحب مصر ، والى هودبة بن علي ملك اليمامة ، والى المنذر بن ساوى ملك البحرين الى غير ذلك من المكاتبات . وكتب لعمر بن حزم عهدا حين وجهه الى اليمن ، وكتب لتميم الدارى واخوته بأقطاع بالشام ، وكتب كتاب القضية بينه وبين قريش عام الحديبية ، وكتب الأمانات أحيانا الى غير ذلك مما يأتي ذكره في مواضعه ان شاء الله تعالى . وهذه المكتوبات كلها متعلقها ديوان الانشاء بخلاف ديوان الجيش فان اول من وضعه ورتبه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه في خلافته . وقد اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم الكتاب لذلك ؛ وكذلك ابو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم فمن بعدهم من الخلفاء . وكانت كتبهم من ديوان الانشاء تصدر واليه ترد . ثم تفرقت دواوين الانشاء في الاقطار بحسب تفرق الممالك بالشرق والمغرب فكان بكل مملكة ديوان انشاء تصدر منه المكاتبات الى ديوان الخلافة وغيره وترد اليه مكاتبات الخلفاء فمن عداهم . وكانت الديار المصرية لا ابتداء الأمر بها الى حين الفتح الاسلامي والى الدولة الطولونية امانة ليس لديوان الانشاء بها كبير امر الى ان كانت الدولة الطولونية واستولى عليها احمد بن طولون فظمت مملكتها واستفحل أمرها واستكتب ابا جعفر محمد بن احمد بن مودود بن عبد كان بديوان انشائه فكان لديوانه به الجمال وصدر عنه جليل المكاتبات الى ديوان الخلافة وغيرها .

وكتب لخارويه بن احمد بن طولون اسحق بن نصر العبادي، وتوالت الكتاب بديوان
انشائه بعد ذلك الى اتقراض دولتهم ثم اتقراض الدولة الاخشيدية . ثم كانت الدولة
الفاطمية فعظم أمر ديوان الانشاء بها ووقع الاعتناء به واختيار بلغاء الكتاب له .
وولى ديوان الانشاء عنهم جماعة من افاضل الكتاب وبلغائهم ما بين مسلم وذمي :
فكتب للعزیز بن المعز ابو منصور بن سوريدين النصراني ، ثم كتب بعده لابنه
الحاكم ومات في أيامه ، فكتب للحاكم القاضي ابو الطاهر البهركي ؛ ثم كتب بعده لابنه
الظافر ؛ وكتب للمستنصر القاضي ولي الدين بن خيران ؛ ثم ولى الدولة موسى بن الحسن
قبل انتقاله الى الوزارة وابو سعيد العميدى ، وكتب الامر والحافظ الشيخ الاجل ابو
الحسن على بن أسامة الحلبي الى ان توفى سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ؛ فكتب له
بعده واده ابو المكارم الى ان توفى أيام الحافظ ، وكان يكتب بين يديهما الشيخ الأمين
تاج الرياسة ابو القاسم على بن سليمان بن منجد المعروف بابن الصيرفي ، والقاضي كافي
الكفاة محمود ابن القاضي الموفق أسعد بن قادوس ، وابن ابى الدم اليهودي ؛ ثم كتب
بعد ابى المكارم المقدم ذكره القاضي الموفق ابن الحلال ايام الحافظ الى آخر أيام
العاقد آخر خلفائهم وبه تخرج القاضي الفاضل البيساني ؛ ثم شرك العاضد مع الموفق ابن
الحلال فى ديوان الانشاء القاضي جلال الملك محمود الانصارى ، وكان فى أيامه القاضي
المؤمن كاسيويه الكاتب ؛ ثم كتب القاضي الفاضل بين يدي الموفق ابن الحلال
قرب وفاته فى سنة ست وستين وخمسمائة فى وزارة الملك الناصر صلاح الدين يوسف
ابن أيوب ، وكتب من انشائه عدة سجلات ومكاتبات منها عهد المنصور شيركوه بن
شادى بالوزارة للعاقد ثم عهد ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب بالوزارة له ايضاً
ثم كانت الدولة الايوبية فكتب لاسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أول
ملوكها القاضي الفاضل البيساني مضافاً الى وزارته ، ثم كتب بعده لابنه العزيز وأخيه
العادل أبى بكر ، ثم مات ؛ وكتب للكامل بن العادل القاضي أمين الدين سليمان
المعروف بكاتب الدرج الى أن توفى ، فكتب بعده للكامل الشيخ أمين الدين عبد
المحسن الحلبي مدة قليلة ؛ ثم مات الملك الصالح نجم الدين أيوب فولى ديوان الانشاء
الصاحب بهاء الدين زهير ؛ ثم صرفه وولى بعده الصاحب فخر الدين ابراهيم بن

لقمان الأسعدي فبقي الى اقراض الدولة الايوبية
ثم كانت الدولة التركية فكتب للمعز أيبك أول ملوكها القاضي فخر الدين بن
لقمان المقدم ذكره ثم كتب للمظفر قطز، ثم للظاهر بيبرس، ثم للمنصور قلاوون، ثم نقله
المنصور قلاوون عن ديوان الانشاء الى الوزارة : وولى ديوان الانشاء مكانه القاضي
فتح الدين ابن القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في حياة والده فبقي حتى توفي
المنصور قلاوون وتملك بعده ابنه الاشرف خليل بن قلاوون فاستقر في ديوان
الانشاء في أيامه برهة من الزمان ثم مات وهو معه في سفر سافره الى الشام؛ فولى الاشرف
مكانه القاضي تاج الدين أحد بنى الاثير ثم مات بانطريق والاشرف راجع الى الديار المصرية
بمضى شهر من ولايته فولى الاشرف مكانه عماد الدين اسماعيل بن الاثير بعد وصوله الى
الديار المصرية فبقي حتى توفي؛ فولى مكانه القاضي شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله فبقي
بقية أيام الاشرف، وأيام أخيه الناصر محمد بن قلاوون في سلطنته الاولى؛ ثم أيام العادل
كتبغا بعده، ثم أيام المنصور لاجين، ثم أيام الناصر محمد بن قلاوون في سلطنته الثانية،
ثم أيام المظفر بيبرس الجاشنكير، وبرهة من أيام الناصر بن قلاوون في سلطنته الثالثة،
ثم نقله الى كتابة السر بدمشق عوضا عن أخيه القاضي محيي الدين بن فضل الله
وولى مكانه بمصر علاء الدين بن الاثير فبقي حتى مرض بالفالج وبطلت حركته،
فاستدعي الملك الناصر القاضي محيي الدين بن فضل الله من الشام وولاه ديوان
الانشاء بالديار المصرية في المحرم سنة تسع وعشرين وسبعمائة وكان ولده القاضي
شهاب الدين هو الذي يقرأ البريد على السلطان وينفذ المهمات الى سنة اثنتين وثلاثين
وسبعمائة فأعادها الملك الناصر الى دمشق وولى القاضي شرف الدين بن الشهاب
محمود في شعبان من السنة المذكورة فبقي حتى حج السلطان وعاد الى مصر فأعاد
القاضي محيي الدين وولده القاضي شهاب الدين الى ديوان الانشاء بالديار المصرية
فبقيا الى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة، ثم تغير السلطان على القاضي شهاب الدين وصرفه
عن المباشرة وأقام أخاه القاضي علاء الدين مكانه يباشر مع والده القاضي محيي
الدين، ثم سأل القاضي محيي الدين السلطان في العود الى دمشق فأعاده وصحبته
ولده القاضي شهاب الدين وقد كبر سنه وكتب له تقليد في قطع الثلثين بان يستمر

على مكاتبه دواوين الانشاء بالممالك الاسلامية وأن يكون جميع المباشرين بهذه الوظيفة بالبواب الشريف فمن دونه نوابه وأنه حيث حل يقرأ القصص والمظالم ويقرر الولايات والعزل والرواتب وغير ذلك ويوقع فيها بما يراه ويمجهز ذلك الى مصر ليعلم عليه العلامة الشريفة . وولى بديوان الانشاء بالديار المصرية ولده القاضي علاء الدين فبقي في الوظيفة بقية أيام الملك الناصر، ثم أيام ولده الملك المنصور ابى بكر، ثم أيام أخيه الأشرف كجك، ثم أيام أخيه الناصر احمد؛ فلما خلع الناصر احمد نفسه في سنة ثلاث وأربعين وسبعائة وتوجه الى الكرك صحبه القاضي علاء الدين فأقام عنده واستقر الصالح اسماعيل محمد بن قلاوون في السلطنة بعد أخيه الناصر احمد فقرر في ديوان الانشاء القاضي بدرالدين محمد بن محيي الدين بن فضل الله فبقي حتى عاد الناصر احمد بن محمد بن قلاوون الى السلطنة فعاد القاضي علاء الدين بن فضل الله وبقي بقية أيام الصالح اسماعيل، ثم أيام أخيه الكامل شعبان، ثم أيام أخيه المظفر حاجي، ثم أيام أخيه الناصر حسن في سلطته الاولى، ثم أيام أخيه الصالح صالح، ثم أيام أخيه الناصر حسن في سلطته الثانية، ثم أيام المنصور بن حاجي بن محمد بن قلاوون، ثم أيام الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون فتوفي في أيامه: وولى الوظيفة بعده ولده القاضي بدرالدين محمد فبقي بقية أيام الأشرف شعبان، ثم أيام ولده المنصور على، ثم أيام أخيه الصالح حاجي بن شعبان الى ان خلع؛ وولى السلطنة الظاهر برقوق فقرر في ديوان الانشاء القاضي اوحده الدين بن التركمانى فبقي حتى توفي فأعيد القاضي بدرالدين محمد الى الوظيفة وبقي حتى خلع الظاهر برقوق وعاد المنصور حاجي بن الأشرف شعبان وهو على ولايته ودام حتى حضر الظاهر برقوق من الكرك فتولى مكانه القاضي علاء الدين الكركي وتوجه صحبته الى الشام في طلب منطاش فمات القاضي علاء الدين الكركي فأعيد القاضي بدرالدين الى الوظيفة في سنة ثلاث وتسعين وسبعائة وبقي حتى مات صحبة السلطان بالتام؛ وولى مكانه القاضي بدر الدين محمود الكاستناني في شوال سنة ست وتسعين وسبعائة فبقي حتى توفي في جمادى الاولى سنة احدى وتماثاثة فولى الظاهر برقوق مكانه القاضي فتح الدين فتح الله فبقي أيام الظاهر وزهنا من أيام ولده الناصر فرج ثم صرفه الناصر فرج عن الوظيفة وولى

مكاتبه القاضي فخر الدين بن المزوق فبقي مدة لطيفة؛ ثم أعيد القاضي فتح الدين فتح الله الى الوظيفة ثم صرف عنها وولى القاضي سعد الدين بن غراب؛ ثم أعيد اليها القاضي فتح الدين فتح الله فبقي الى ان قبض على الناصر فرج واستبد للمستعين بالله ابو الفضل العباسي بالخلافة والسلطنة؛ ثم فوض امر السلطنة الى السلطان الاعظم الملك المؤيد شيخ عن نصره ففوض ديوان الانشاء الى المقر الاشرف العالى المولوى القاضى الكبرى الناصر محمد محمد بن البارزى والد المقر الشريف الكمالى المؤلف له هذا الكتاب فعلت رتبة ديوان الانشاء وغلت قيمته وجادت سحب الفضل وهمت ديمته وعلا به على سائر الدواوين وساد ودان فيه بالتاسخ فقال هذا المفاضل لك عاد

❦ الباب الخامس ❦

« فى قوانين ديوان الانشاء وترتيب أحواله وآداب أهله وفيه اربعة فصول »

* (الفصل الاول) *

« فى بيان رتبة صاحب هذا الديوان ورفعة قدره وشرف محله واتبه الجارى عليه فى القديم والحديث »

اما رفعة قدره وشرف محله فأشرف قدر وأرفع محل يكاد ان لا يكون عند الملك اخص منه ولا الزم لمجاسته . ولم يزل صاحب هذا الديوان معظما عند الملوك فى كل زمن مقدما لديهم على من عداه يلقون اليه اسرارهم ويخصونه بخفايا أمورهم ويطعونهم على ما لم يطلع عليه اخص الأخصاء من الوزراء والاهل والولد وناهيك برتبة هذا محله حتى قال صاحب مواد البيان : ليس فى منزلة خدم الساطان والمتصرفين فى مهماته اخص من كاتب الرسائل . فانه أول داخل على الملك وأول خارج من عنده ، ولا غنى به عن مفاوضته فى آرائه والافضاء اليه بمهماته وتقريبه من نفسه فى آناه اليه وساعات نهاره وأوقات ظهوره للعامة وخلواته واطلاعه على حوادث دواته ومهمات مملكته فهو لذلك لا يثق باحد من خاصته ثقته به ولا يركن الى قريب ولا نسيب ركونه اليه ومحله منه فى عائدة خدمته وأثرة دولته محل قلبه الذى يؤامره فى مشكل امره حتى

يتنقح ويراجعه في مهم تديره حتى يتضح، ولسانه الذي يقرر برغيبه اولياءه. على الفلاعة والمواقفة ويستقر برهبه عن المعصية والمشاقفة ويقر بأوامره ونواهيه أمور سلطانه وينزلها منازلها في تميد مجالسها ويتمكن من سياسة أجناده وعمارة بلادهم ومصاحبة رعيته واجتلاب مودتهم واستخلاص نياتهم ، وعينه التي تلاحظ أحوال سلطانه ويرعيها مهمات شأنه، وأذنه التي يثق بما وعته ولا يرتاب بما سمعته، ويده التي يبسطها بالانعام ويبطش بها في النقص والابرار . قال : ومن كانت هذه رتبته فالسبب الذي رتبه فيها أفضل الاسباب وأجدرها بالتقديم على الاستحقاق والاستيجاب . قال ابن الطوير في ترتيب الدولة الفاطمية : وكان هذا المنصب لا يتولاه في الدولة الفاطمية الا أجل كتاب البلاغة ويخاطب بالأجل ، واليه تسلم المكاتبه وارده مختومة فيعرضها على الخليفة من يده وهو الذي يأمر بتنزيهاها والاجابة عنها ، وربما بات عند الخليفة ليالي وهذا أمر لا يصل اليه غيره . قال : وهو أول أرباب الأقطاعات في الكسوة والرسوم والملاطفات ولا سبيل ان يدخل الى ديوانه أحد ولا يجتمع بأحد من كتابه الا الخواص ، وله حاجب من الامراء الشيوخ، وله في مجلسه المرتبة العظيمة والحداد والمسند والدولة العظيمة الشأن، ويحمل دواته استاذ من خواص الخليفة عند حضوره الى مجلس الخلافة . قلت : ومرتبته في زماننا أرفع مرتبة ومحل اعظم محل اليه تاتي اسرار المملكة وخفاياها ، وبرأيه يستضاء في مشكلاتها وعلى تديره يعول في مهماتها ، وعليه ترد المكاتبات وعنه تصدر ، ومن ديوانه تكتب الولايات السلطانية بأسرها، ويقوم توقيعه على القصص في نفوذ الاوامر مقام توقيع السلطان عليهما ، وجميع ما يعلم عليه السلطان من جليل وحقير في مزرته حتى ما يكتب من ديوان الجيش من مناشير الاقطاعات وما يكتب من ديوان الوزارة وديوان الحاص وغيرهما من المربعات ونحوها . وائس لاحد من أرباب مناصب الدولة التعرض لاختلامه السلطان غيره البنة . وناهيك بذلك رفعة وشرقا باذنا

وأما لقبه الجاري عليه في كل زمن فقد كانوا في أوائل امر الخلافة الى آخر الدولة الايوبية يعبرون عنه « بالكاتب » لا يعرفون غير ذلك كما أشار اليه القضاة في « عيون المعارف » فلما جاءت الدولة العباسية واقب ابو العباس السفاح اول خلفائهم

كاتبه أبا سلمة الخلال. الوزارة استقر لقب الوزارة من حينئذ ورفض التلقب بالكاتب؛ ثم كانت كتابة الانشاء تارة تضاف الى الوزارة ويكون الوزير تارة يياشرها بنفسه او يفوضها الى من يتحدث عنه فيها ، وتارة تنفرد عن الوزارة ويلقب متوليها تارة بصاحب ديوان الرسائل وتارة بصاحب ديوان المكاتبات أو متولى ديوان المكاتب وتارة بصاحب ديوان الانشاء . قال ابن الطوير : وكانوا يلقبونه في الدولة الفاطمية بالديار المصرية « كاتب الدست » . قلت : وانتهى الحال الى اوائل الدولة التركية والأمر في ذلك مختلف : فتارة يعبر عنه بكاتب الدست ، وتارة بصاحب ديوان الرسائل ، وتارة بصاحب ديوان الانشاء ونحو ذلك الى ان ولى المنصور قلاوون فتح الدين ابن القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر فلقب بكاتب السر ، ونقل لقب كاتب الدست الى طبقة دونه من كتاب الديوان ، واستمر هذا اللقب في العرف على كل من ولى الديوان بعد ذلك الى زماننا . وربما قيل « كاتم السر » بابدال الباء ميما ؛ وهو مستقيم من حيث اللغة ومن حيث المعنى . أما من حيث اللغة فإن ربيعة تبدل الباء ميما والميم باء ؛ وأما من حيث المعنى فإنه الذى يكتم سرسلطانه مما التى اليه من خفايا أموره . ثم أنهم يطلقون ذلك على صاحب ديوان الانشاء بالابواب السلطانية بالديار المصرية ، وعلى أصحاب دواوين الانشاء بالممالك الشامية كدمشق وحلب وطرابلس وحماء والكرك . اما في عرف الديوان فيما يكتب فيه التقاليد والتواقيع والتعريف في المكاتبات فانهم يعبرون عن متولى ديوان الانشاء بالابواب السلطانية بصاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية ؛ ويعبرون عن متولى دمشق بصاحب ديوان الانشاء الشريف بالشام المحروس ، ويعبرون عن متولى ديوان حلب بصاحب ديوان المكاتبات بحلب وكذا في الباقيات بخلاف غزة اذا كانت مقدمة عسكر فإنه يعبر عن متولى ديوانها بكاتب الدرج وكذلك الاسكندرية

❦ الفصل الثاني ❦

« في صفة صاحب هذا الديوان وآدابه »

قال ابو الفضل الصورى : يجب ان يكون صبيح الوجه ، فصيح الالفاظ ، طليق

اللسان ، أصيلا في قومه ، رفيعا في حيه ، وقورا ، حلما ، مؤثرا للجد على الهزل ، كثير الأناة والرفق ، قليل العجلة والحرق ، نزر الضحك ، وقور النادى ، حديد الذكاء ، متوقد الفهم ، حسن الكلام اذا حدث ، حسن الأصغاء اذا تحدث ، سريع الرضا ، بطيء الغضب ، رءوفا بأهل الدين ساعيا في مصالحهم ، محبا لأهل العلم والأدب راغبا في نفعهم ؛ وان يكون محبا للشفل اكثر من محبته للفراغ مقسما للزمان على اشغاله ؛ يجعل لكل منها جزءا منه حتى يستوعبه في جميع أقسامها ، ملازما لمجلس الملك اذا كان الملك جالسا وملازما لديوانه اذا لم يكن جالسا ليتأسى به سائر كتاب الديوان ولا يجدوا رخصة في الغيبة عن ديوانهم ؛ وأن يغلب هوى الملك على هواه ورضاه على رضاء مالم ير في ذلك خلا على المملكة ، فإنه يجب ان يهدى النصيحة فيها للملك من غير ان يوجد (١) فيما تقدم من رأيه فسادا أو تقصا لكن يتحيل لنقض ذلك وتهجينه في نفسه وايضاح الواجب فيه بأحسن تأن وأفضل تعلق ؛ وان ينحل الملك صائب الآراء ولا ينتحلها عليه ، ومهما حدث من الملك من رأى صائب أو فعل جميل أو تدبير حميد أشاعه وأذاعه وعظمه وفخمه وكرره وذكره واوجب على الناس شكره ؛ واذا قال الملك قولاً في مجلسه أو بحضرة جماعة ممن يخدمه فلم يره موافقا للصواب فلا يجبه بالرد عليه واستهجان ما أتى به فان ذلك خطأ كبير ، بل يصبر الى حين الخلو ويدخل في اثناء كلامه ما يوضح به نهج الصواب من غير تلق برد ولا تبجح بما عنده ؛ ويكون متابعا للملك على اخلاقه الفاضلة وطباعه الشريفة من بسط المدة ، ومد رواق الأمانة ، ونشر جناح الانصاف ، واغاثة الملهوف ، ونصرة المظلوم ، وجبر الكسير والانعاش على المعتر المستحق ، والتوفر على الصدقات وعمارة بيوت الله تعالى وصرف الهمم الى معالمها ، والنظر في أحوال الفقهاء وحمل كتاب الله العزيز بما يصلح ، والالتفات الى عمارة البلاد ، وجهاد الأعداء ، ونشر الهيبة ، واقامة الحدود في مواضعها ، وتعظيم الشريعة والعمل بأحكامها ؛ وان أحسن منه بخلة تنافى هذه الخلال أو فعلة تخالف هذه الافعال نقله عنها بأطف سعى وأحسن تدريج ولم يدع ممكنا في تبين قبورها

(١) اوجد الشيء : جعله يجده . فالعنى انه يتلطف في نصيح الملك بحيث لا يجعله

واصلاح رداة عاقبتها وفضيلة مخالفتها الا بينه وأوضحه حتى يعيده الى الفضائل التي هي بالملوك النبلاء أليق ؛ وان يكون مع ذلك بأعلى مكانة من اليقظة والاستدلال بقليل القول على كثيره وبيعض الشيء على جميعه ، ويستغنى عن التصريح بالاشارة والأيماء لينبه الملك على الأمور من أوائلها ويعرفه خواتم الأشياء من مفتحاتها ؛ وان لا يكتب عن الملك الا ما يقيم منار دولته ويعظمها ولا يخرج عن حكم الشريعة وحدودها ؛ ولا يكتب ما يكون فيه عيب على المملكة ولا ذم لها على غابر الأيام ومستأنف الاحقاب ، وان أمر بشيء من ذلك خرج منه بتطلف في المراجعة وبين وجه القول فيه حتى يرجع فيه الى الواجب ؛ وان يكون من كتمان السر بالمنزلة التي لا يدانيه فيها أحد حتى يقرر في نفسه امانة كل حديث يعلمه ويتناسى كل خبر يسمعه ؛ وان لا يطالع والدا ولا ولدا ولا أخا شقيقا ولا صديقا صدوقا على مادق او جل ولا يعلم بما أكثر منه ولا ما قل ، ويتوهم بل يتحقق ان في اذاعته ما يعلم به وضع منزلته وحط رتبته ، ويجتهد في ان يصير ذلك له طبعاً مركباً وأمرأ ضرورياً . قلت : وهذه الصفة هي الشرط اللازم والواجب المحتم وهي التي بها شهر وبالأضافة اليها عرف . وقد قال المأمون وهو من أعلى الخلفاء مكاناً وأوسعهم علماً « الملوك تحتمل كل شيء الا ثلاثة اشياء : القدرح في الملك ، والافشاء للسر ، والتعرض للحرم » ومن كلام بعض الحكماء « سرك من دمك » . قال صاحب العقد : يعنون انه ربما كان في افشاء سرك سفك دمك . والى ذلك يشير ابو محجن الثقفي بقوله قد أظعن الطعنة النجلاء عن عرض واكتم السرفيه ضربة العنق

* (الفصل الثالث) *

« فيما يتصرف فيه صاحب هذا الديوان ويصرفه بقلمه . والمرجع

في ذلك الى اثني عشر امراً »

أحدها - التوقيع على القصص بما يعتمده كاتب الانشاء في الولايات والمكاتبات المتعلقة بالمملكة والتحدث في المظالم . مما كان يتعاطاه الخلفاء ثم الوزراء . وهذا أمر جليل ومنصب حفيظ

الثاني - النظر في الكتب الواردة عليه من أهل مملكته ومن ملوك الأقطار .

وقراءتها على الملك وحسن السفارة في ذلك

الثالث - النظر في رد الاجوبة عن الكتب الواردة على ملكه وإشعار الملك ما يراه من الآراء الصائبة في ذلك واعلامه ان من أعظمها خطرا أن يصدر جواب كل كتاب يرد عليه في يومه وان يقال في تاريخه : « وكتب في يوم وصول كتابك وهو يوم كذا » فأن ذلك مما يقيم للملك هبة ويدل على تطلعه الأمور وانتصابه لتدبير مملكته

الرابع - النظر فيما تتفاوت به المراتب في المكاتبات والولايات من الافتتاح والدعاء والألقاب وقطع الورق ونحو ذلك . وقد كان هذا الباب في زمن الخلفاء في غاية من الضبط والتحرير حتى اقدم قال صاحب مواد البيان : « ان الملوك تسمح بيدرار المال ولا تسمح بالدعوة الواحدة ».

الخامس - النظر فيما يكتب من ديوانه وتصفحه قبل اخراج ذلك من الديوان . قال ابو الفضل الصوري : على متولى الديوان ان يتصفح ما يكتب من ديوانه من الولايات والمناشير والمكاتبات اذ الكاتب غير معصوم من الخطأ واللحن وسبق القلم : فما وجد من لحن أو خطأ أصلحه ونبه كاتبة عليه ليحذر مثله . فأن تكرر منه زجره ورددعه فربما زل الكاتب في شيء فزل بسببه متولى الديوان بل السلطان بل الدولة بأسرها . قال : فأن كان متولى الديوان مشتغلا بحضوره مجلس السلطان ومخاطباته نصب له في ذلك نائبا كامل الصنعة يقوم مقامه فيه

السادس - النظر في أمر البريد ومتعلقاته . وقد كان أمر البريد في الزمن المتقدم ، والدوادارية يومئذ امراء صغار وأجناد ، اما باقي ما رسم به فيه كاتب السر عن السلطان نفسه أو يخرج برسالة السلطان على اسان بعض الدوادارية مما يرسم به ان يركب البريد في المهمات السلطانية وغيرها الى صاحب ديوان الانشاء فيأمر بعض الموقعين بتزيتها ليعمل بمقتضاها . وكان للبريد الواح من نحاس كل واحد منها بقدر راحة الكف على احد وجهيه « لا اله الا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » وتلى الآخر ألقاب ذلك السلطان . واللوح

يعلق بشرابة حرير أصفر (١) يجعلها راكب البريد في عنقه ويرسل الشرابة بين اكنافه. وتلك الألواح عند كاتب السر: اذا رسم بخروج بريدي دفع اليه لوحا وشرابة وكتب له ورقة بخطه الى أمير اخور البريد بالاسطبلات السلطانية بما تبرز به الرسالة من الخيل ويكتب اسم البريد في آخر الكتاب، ويكتب له ورقة طريق بأن يتوجه الى جهة قصده وعوده. قلت: وقد تغير كثير من ذلك (٢) وبطل حكم الواح البريد وتعطلت مراكز البرية وصارت أكثر امور البريد يعلقها موقه برسالة عنه وتشك تلك الرسالة بأضبارات ديوان الانشاء

السابع: النظر في أبراج الحمام وتعلقاتها - والشأن في ذلك أن للحمام ابراجا قريبة يدرج الحمام من القلعة اليها: فينقل حمام القلعة الى أقرب الابراج اليها، وحمام ذلك البرج الى البرج الذي يليه في تلك الجهة الى منهاها. فإذا عرض أمر لديهم كتب (٣) بطاقتان ويؤرخان بساعة كتابتهما من النهار ويعلق كل واحدة في جناح طائر من الحمام الرسائلي ويرسلان. ولا يكتب في الواحد لاحتمال ان يعرض له عارض يمنعه من الوصول. فإذا وصل الطائر الى البرج الذي وجه به اليه أمسكه البراج وأخذ البطاقة من جناحه وعلقها بجناح طائر من حمام البرج الذي يليه وعلى ذلك الى المقصد الذي يريد من القلعة الى غيرها من الجهات أو غيرها من الجهات اليها فتقرأ البطاقة ويعلم ما فيها الثامن: النظر في امر الفداوية - وهم طائفة من الاسماعيلية من الشيعة المنتسبين الى اسماعيل بن جعفر الصادق القائلين بأمامته مقيمون بقلاع الدعوة وهي: مصياف، والرصافة، والخوابي، والقدموس، والكهف، والعليقة، والمينقة. قال في مسالك الابصار: وهم يعتقدون ان كل من ملك مصر كان مظهرا لهم ولذلك يتولونه ويرون اتلاف نفوسهم في طاعته لما ينتقلون اليه من النعيم الاكبر بزعمهم. قال: واصحاب مضر بمشايعتهم

(١) الشرابة معروفة وليست من اللغة العربية في شيء (٢) وقد تغير الخ هكذا عبارة الضوء، اما الصبح فقد اوردها على هذا السياق: وقد بطل الآن ما كان من أمر الألواح وتركت وصار كل بريدي عنده شرابة حرير صفراء يجعلها في عنقه من غير لوح. ولم يزد في هذا الصدد (٣) في الصبح: فإذا عرض امر مهم ٠٠٠٠ الى مكان من الأمكنة التي فيها برج من أبراج الحمام كتب اليها المتحدث فيها الخ

مزية يخافه بها أعداؤه لأنه يرسل منهم من يقتله ولا يبالي ان يقتل بعده ومن
يبيته الى عدوه فحين عن قتله قتله أهله اذا عاد اليهم وان هرب تبعوه وقتلوه
قلت : وكان في الزمن المتقدم يسمون كبيرهم المتحدث عليهم تارة « مقدم الفداوية »
وتارة « شيخ الفداوية » اما الآن فقد سمو أنفسهم بالمجاهدين وسموا كبيرهم « اتابك
المجاهدين » . وقد كان الملوك في متقدم الزمان ينعون هذه الطائفة من مخالطة
الناس ويمنعون الناس من الدخول الى بلادهم لشراء قماش وغيره كما لا مرهم ثم انحلت
تلك العرى وزال ذلك النظام كله

التاسع : النظر في امر العيون والحواسيس — وهو مهم عظيم من مهمات الملك
على صاحب ديوان الانشاء مداره ، واليه رجوع تديره ، واختيار رجاله ، وتصر يفهم على
وجوه السداد . فيجب عليه الاحتياط في امر الجواسيس اكثر من احتياطه في امر
البريد والرسول ؛ لان الرسول قد يتوجه الى الصديق وقد يتوجه الى العدو ، والجاسوس
لا يتوجه الا الى العدو . فاذا وثق بجاسوسه اعتمد عليه وعمل بمقتضى خبره . وقد شرطوا
في الجاسوس شروطا يجب المصير اليها : منها أن يكون ممن يوثق بنصيحته وصدقه ، وان
يكون ذا حدس صائب ، وفراصة تامة ، كثير الدهاء والحيل والخديعة ، له دربة
بالاسفار ومعرفة بالبلاد ، عارفا ببلدان أهل البلاد التي يتجسس فيها ، صبورا
على ما لعله يصير اليه من عقوبة ان ظفربه الى غير ذلك من الامور الاحاطية

العاشر : النظر في أمور القصاد الذين يسافرون بالملطفات من الكتب عند تعذر
وصول البريد الى ناحية من النواحي . وقد ذكر ابن الاثير في تاريخه ان اول من اتخذ
السعاة للمهمات معز الدولة بن بويه اول ملوك الديلم بالعراق . قلت : وذلك بالديار
المصرية الى الآن ممزوق بخفاف الشباب من مكارية الدواب ونحوهم ممن له شدة
العدو وسرعة الدر مع الدربة السفر والاخذ بالاحتراس والحذر . وقد اخبرني بعض
من سافر في ذلك منهم أنهم في الغالب عند خوف التفطن بهم يكمنون نهارا ويمشون ليلا
وربما اخذوا جانبا عن الطريق . واذا كانوا جماعة لا يمضون الا متفرقين فاذا طلع
النهار كمنوا متفرقين مع مواعدهم على مكان يجتمعون فيه
الحادي عشر : النظر في امر الماور والمحرقات — اما المناور فسيأتي انه كان

في الزمن القديم عند ملك التتار (١) ووقوع الحرب بينهم وبين الديار المصرية كان بين الفرات بآخر الممالك الشامية وإلى قريب من مدينة بليس من الديار المصرية أمكنة مرتبة بربوس جبال عوال بها اقولم مقيمون فيها لهم رزق على السلطان من اقطاعات وغيرها إذا حدث حادث عدو من بلاد التتار واتصل ذلك بمن بالقلاع المجاورة للفرات من الاعمال الحلية فأن كان ذلك بالليل أوقدت النار بالمكان المقارب للفرات من رءوس تلك الجبال فينظره من بعده فيوقد النار وهكذا حتى ينتهي الوقود إلى المكان الذي بالقرب من بليس في يوم او بعض يوم فيرسل وإلى بليس بطاقة على اجنحة الحمام بالأعلام بذلك . قلت : كان الأصل في ذلك ما حكاه قاضي القضاة ولي الدين بن خلدون في تاريخه ان المعز بن باديس حين كان بالقرب رتب مناور من سبتة ببر المدوة إلى بلاد الاسكندرية فكان ينقل الخبر من سبتة إلى الاسكندرية في يوم واحد

اما المحرقات فسيأتي انه كان قوم من هذه المملكة مرتبون بالقرب من بلاد التتار يتحولون على احراق زروعهم بأن تمسك الثعالب ونحوها من وحوش البر وتربط الحرق المغموسة في الزيت بأذنانها وتوقد فيها النار وترسل في زروعهم إذا يبست فيأخذها الذعر من تلك النار المربوطة بأذنانها فتذهب في الزروع آخذة يميناً وشمالاً فما مرت بشيء الا أحرقته وتتواصل النار بعضها ببعض فتحرق المزرعة عن آخرها . قلت : وهذان الامران قد بطل حكمهما من حين وقوع الصلح بين ملوك مصر وملوك التتار وهلم جرأ إلى زماننا

التانى عشر : النظر في الأمور العامة مما يمود نفعه على السلطان — قال صاحب مواد البيان : انه يجب على متولى ديوان الانشاء ان لا يألو سلطانه نصحاً فيما يعلم انه أفلح لمملكته وأعمر لبلاده وأرغم لأعدائه وحساده وأثبت لدولته وأقوى لأسباب مملكته . قال : فاذا انتهى إلى صاحب هذا الديوان خبر يتعلق بجلب نفع إلى المملكة او دفع مضرة عنها أطلع سلطانه عليه في أسرع وقت وابعجله قبل فوات النظر في ذلك وبحله صائب الرأي فيه ثم رد النظر فيه إلى رأي السلطان ليخرج عن عهده؛

(١) عبارة الصبيح : عند وقوع الحرب بين التتار واهل هذه المملكة الخ

وان ارتاب في خبر الخبر أحضره معه الى السلطان ليشافه فيه حتى يكون بريئاً من تبعته؛ ولا يهمل تبليغ خبره للرؤية لاحتمال صحته في نفس الامر فيلحق بواسطة اهماله ضرر لا يمكن تداركه؛ وكذلك الحال في سائر ما يرجع الى صلاح المملكة وحسن تدبيرها

* (الفصل الرابع) *

« في ذكر وظائف ديوان الانشاء بالديار المصرية وفيه حالان »

﴿ الحال الاولى ﴾

« ما كان الامر عليه في الزمن المتقدم في الدولة الفاطمية وما يابها »
قد ذكر ابو الفضل الصوري في مقدمة تذكرته ان ارباب الوظائف فيه على ضربين :

﴿ الضرب الاول ﴾

« الكُتّاب ، وعدتهم سبع »

الاول : كاتب ينشئ ما يكتب من المكاتبات والولايات - ويشترط فيه ان يكون لاحقاً بصفات متولى الديوان في الفضل والبلاغة ، واسع الباع في الكلام لأنه يتولى الانشاء من نفسه وتلقى اليه الكلمة الواحدة والمعنى المفرد فينشئ على ذلك كلاماً طويلاً ويأتى فيه بالعبارة الواسعة وهو لسان الملك المتكلم عنده فهما كان كلامه ابداع وفي النفوس أوقع عظمت رتبة الملك وارتفعت منزلته على سائر الملوك فقد حكى ان يزيد بن الوايد كتب الى ابراهيم بن الوليد وقد همّ بالعصيان : « أما بعد فاني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى ، فأذا أتاك كتابي فاعتمد على أيهما شئت والسلام » . فكان سبباً لأقلاعه عما همّ به

الثاني : كاتب يكتب مكاتبات الملوك عن ملكه - وقد شرط فيه مع ما شرط في المتصدى الانشاء ان يكون على دين الملك ومذهبه لا يحتاج اليه في مكاتبة الملك المخالف من الاحتجاج على صحة عقيدته ونصرة مذهبه بخلاف ما اذا كان مخالفاً لدينه ومذهبه فان المخالف انما يظهر له مواضع الطعن دون الحجج ، وان يكون مع ذلك من علو الهمة وقوة العزم

وشرق النفس بالمحل الأعلى والمكان الأرفع فإنه يكتب عن ملكه وكل كاتب فإنه يحجره طبعه وجبته وخينه إلى ما هو عليه من الصفات : فكلما كان الكاتب أقوى جاشاً واشد غزماً وأعلى هممة كان على التفضيم والتعظيم والتهويل والترغيب والترهيب أقدر ، وكلما نقص من ذلك نقص من كتابته بقدره ؛ وإن يكون عارفاً بقدر طبقة المکتوب إليه في معرفة اللسان العربي فيخاطب كل قوم على قدر رتبهم في ذلك وما يعرف من فهمهم الثالث - كاتب يكتب مكاتبات أهل الدولة وولايتهم وأوجوهها من النواب والقضاة والكتّاب والمشاركين والتمال وإنشاء تقليدات ذوى الخدم الصغار والامانات وكتب الأيمان والقسمات - وشرط فيه أن يكون أموناً على الأسرار ، كاف اليد ، نزه النفس ، عن العرض الدنيوي لأنه يطلع على أكثر مما يجرى في الدولة ويعلم بالوالمى قبل توليه والمصروف قبل صرفه وإن يكون مع ذلك سريع اليد في الكتابة حسن الخط إذ كان هذا القدر أكثر ما يستعمل ولا يكاد يقل عن ذلك في أكثر الاوقات

الرابع - كاتب يكتب المناشير يعنى المطلقات ونحوها مما لا يختم ، والكتب اللطاف والنسخ . وقد شرط فيه أن يكون أموناً كتوماً للسر ، فيه من الادب ما يأمن معه من الخطأ والزلل في لفظه وخطه ، ويكون مع ذلك حسن الخط بالغا فيه القدر الكافى وربما احتاج إلى ممين لكثرة تعلقات هذا الصنف من الكتابة بالديوان الخامس - كاتب يبيض ما ينشئه المنشىء مما يحتاج إلى حسن الخط كالعهد والبيعات ونحوها ، فإنه قل أن يجتمع الانشاء وحسن الخط في واحد ، لتصدر الكتب عن الملك بالألفاظ الرائقة والخط الرائع ؛ فإن ذلك أكمل للمملكة وأكثر تفضيماً عند من يكتب عنها ؛ وإن يكون مع ذلك من الامانة وكتمان السر وتزاهة النفس بالمكان الأرفع

السادس - كاتب يتصفح ما يكتب في الديوان ، فإن الكاتب غير معصوم من السهو والخطأ واللحن وعثرات القلم . وكل أحد يتغلى عليه عيب نفسه ويظهر عنده عيب غيره ، وزمن متولى الديوان أضيق من أن يقف على كل ما يكتب بديوانه بنفسه ، والمطلوب أن يكون كل ما يكتب عن الملك كامل الفضيلة خطأ ولفظاً ومعنى واعراباً حتى لا يجد طاعن فيه . طعناً . وشرط فيه أن يكون على الرتبة في اللغة والنحو وحفظ

كتاب الله تعالى ، ذكياً ، حسن الفطنة ، عاقلاً مأموناً ؛ وان يكون مع ذلك بعيداً من الغرض والعداوة والشحناء حتى لا يبغض أحداً حقّه ولا يحابي أحداً فيما أنشأه او كتبه بل يكون الكل عنده في الحق على حد واحد . وعليه ان يلزم الكتاب بعرض ما ينشئونه ويكتبونه عليه قبل عرضه على متولى الديوان . فإذا تصفحه وحرره كتب خطه فيه بما يعرف به رضاه ليلتزم بدرك ما فيه ويبرأ كاتبه ومنشيه

السابع - كاتب يكتب التذاكر والدفاتر المضمّنة لتعلقات الديوان المشتملة على مهمات الامور التي تنهى في ضمن الكتب ليسهل استخراجها منها اذا سئل عنها ويجعل لكل صفقة ووراقاً على حدة ويكتب عليها « فصل من كتاب فلان ، ورد بتاريخ كذا ، مضمونه كذا ، أجيب عنه بكذا ، او لم يجب عنه » الى ان تفرغ السنة يستجد للسنة الاخرى تذكرة أخرى ؛ وكذلك تذكرة فيها مهمات ما صرح به من الاوامر في الكتب الصادرة على نحو ما تقدم من ذكر النواحي وأرباب الخدم ؛ واذا ورد جواب فيقول « ورد جوابه في تاريخ كذا بما صورته كذا وكذا » ؛ وان يضع في الديوان دفترًا بألقاب الولاة وغيرهم من ذوى الخدم وأسمائهم وترتيب مخاطباتهم وكل واحد منهم كيف يخاطب ؛ بكاف الخطاب او هاء الكناية ومقدار الدعاء الذي يدعى له به في السجلات والمكاتبات والناشير والتوقيعات ، وألقاب الملوك الأبعاد والمكاتبين من الآفاق وكنامهم وترتيب الدعاء لهم ومقداره ؛ ومتى تغير شيء من ذلك كتبه تحته ؛ ومتى صرف أحد من الولاة كتب عليه « صرف بتاريخ كذا ، واستخدم عوضاً منه فلان بتاريخ كذا ، وأجرى في الدعاء على منهاجه او زيد او نقص » ؛ ويكون ذلك الدفتر موضوعاً في الديوان ليقل منه الكاتب ما يتقرر عليه حفظه قلت : وهذا قد استغنى عنه في زماننا بالذساتير المصنفة في هذا الباب كالتعريف والتشيف ونحوها الا ان الدفتر أولى لما يعرض من الزيادة والنقص والتغيير . وأن يضع بالديوان دفترًا للحوادث العظام وما يتلوها مما يجري في المملكة وتاريخ كل واقعة منها حتى انه لو جمع من هذين الدفترين تاريخ لا جمع ؛ وأن يعمل فهرستاً للكتب الصادرة ، وفهرستاً للكتب الواردة ، وفهرستاً لانشاء التقاليد والامانات وغير ذلك ، وفهرستاً لما يترجم من الكتب الواردة بغير اللسان العربي من الرومى والفرنجهى وغيرهما ؛ ويكون لكل شهر من شهور السنة فهرست يجعل

في إضبارة فاذا انتقضت تلك السنة أخذ فهرستاً آخر لتلك السنة مفصلاً بأشهرها

* (الضرب الثاني) *

(غير الكتاب)

والذي تدعو الضرورة اليه من ذلك اثنان :

احدهما الخازن الذي يحفظ ما في الديوان من الأضبارات والدفاتر . قال الصوري :
ويجب فيه أن يكون رجلاً ذكياً فطناً عاقلاً . أموناً بالغ الأمانة والثقة ونزاهة النفس
وقلة الطمع

الثاني : حاجب الديوان . قال الصوري : ينبغي لصاحب ديوان الانشاء ان
يقيم لديوانه حاجباً لا يمكن احداً من الناس من الدخول اليه خلا أهله الذين هو
معزوق بهم كتماً لما يجري فيه من سر المملكة وحفظاً لها عن الاشاعة
قلت : وقد استغنى عن خازن الديوان وحاجبه الآن بدوادار كاتب السر فهو
الذي يحفظ ما فيه من التعلقات ويمنع من شاء من دخوله

﴿ الحال الثانية ﴾

(ما الامر عاينه في زماننا . والكتاب فيه على طبقتين)

الطبقة الاولى : كتاب الدست - وهم الذين يجلسون مع كاتب السر بمجلس السلطان بدار
العدل في المواكب على ترتيب منازلهم بالقدمة (١) ويقرون القصص على السلطان بعد قراءة
كاتب السر عليه على ترتيب جلوسهم ، ويقعون على القصص بما يأمر به السلطان كما يوقع عليها
كاتب السر ، ثم ترفع تلك القصص الى كاتب السر ليعينها على كتاب الدرج وسموا
« كتاب الدست » اضافة الى دست السلطان ، وهو مرتبة جلوسه ، جلوسهم للكتابة
بين يديه . وهو لا هم أحق كتاب الانشاء باسم الموقعين اتوقيعهم على جوانب
القصص . ويتال انهم كانوا في أوائل الدولة التركية في أيام الظاهر بيبرس وما والاها
قبل ان يلقب صاحب ديوان الانشاء بكاتب السر ثلاثة كتاب رأسهم القاضى محبي

(١) القُدُمة السابقة في الامر والمراد بها الفضل

الدين بن عبد الظاهر . اما الآن فقد زادوا في العدة وخرجوا عن الحد إلا أن الاعيان منهم قليل لحدوثهم

الطبقة الثانية : كتاب الدست - وهم الذين يكتبون ما يقع به كاتب السر وكتاب الدست او ما كان بأشارة النائب او الوزير او برسالة الدوادار وغير ذلك من المكاتبات والتقاليد والتواقيع والراسيم والماشير والأيمان والأمانات ونحو ذلك مما يجرى مجراه . وسماوا « كتاب الدرج » لكتابتهم هذه المكتوبات ونحوها في درج الورق ؛ والمراد بالدرج في العرف العام الورق المستطيل المركب من عدة اوصال ؛ وفي عرف الديوان انه يسمى كل عشرين وصلا منها درجاً . قال ابن حاجب النعمان في ذخيرة الكتاب : وهو في الاصل اسم للفعل أخذنا من « درجت الكتاب ادرجه درجاً اذا اسرعت طيه ، وأدرجته ادراجاً اذا أعدته على مطاويه » ويجوز ان يطلق على هؤلاء : كتاب الانشاء ؛ لانهم يكتبون ما ينشأ من المكاتبات وغيرها مما تقدم ذكره . ولا يجوز في الحقيقة ان يطلق عليهم اسم الموقعين لما تقدم من ان المراد بالتوقيع : الكتابة على حواشى القصص ونحوها . ثم كما زادت عدة كتاب الدست زادت عدة كتاب الدرج حتى خرجت عن الحد ؛ وفيهم العالى الرتبة والمنحط

اما كتابة الدفاتر بالديوان بذكر ما يجرى فيه فقد كان الامر في ذلك مستمرا في بعضها ككتابة ما في المكاتبات الواردة والصادرة بدقتر في الديوان الى آخر مباشرة القاضى بدر الدين بن فضل الله في الدولة الظاهرية برقوق ؛ ثم رفض ذلك وترك واقتصر على ما يرد من المكاتبات وما يكتب من الملخصات وترجمة الكتب وكتابة الموقع الذى يكتب الجواب بسد كل فصل تحته وحفظ ذلك بأضبارات الديوان . واكتفى من الحارن بدوادار كاتب السر وصار هو المتولى لحفظ ذلك وايداعه في الأضابير واليه صار امر حجابة الديوان أيضاً . قلت : وقد أخذ المقر الاشرف الناصرى صاحب ديوان الانشاء في الدولة المؤيدية شيخ في ضبط مهم المكاتبات الصادرة والواردة بدقتر بخطه

❦ المقالة الاولى ❦

(في بيان ما يحتاج اليه كاتب الانشاء من المواد ، وفيه بيان)

❦ الباب الاول ❦

« فيما يحتاج اليه الكاتب من الامور العامة ، وفيه ثلاثة فصول »

* (الفصل الاول) *

« فيما يحتاج اليه الكاتب على سبيل الاجمال »

وقد اختلفت مقاصد المصنفين في ذلك : فابن قتيبة بعد ان بنى كتابه « أدب الكاتب » على أمور من اللغة والتصريف وطرف من المهجاء وغير ذلك قال : وليس كتابنا هذا لمن لم يتعلق بالانشاء الا بالجسم ، ولا من الكتابة الا بالرسم ، ولم يتقدم من الاداة الا في القلم والدواة ؛ ولكنه لمن سدد شيئا من الاعراب فعرف المصدر والمصدر ، واقلاب الياء عن الواو ، والالف عن الياء ، واشباه ذلك من النظر في الاشكال لمساحة الارضين حتى يعرف المثلث القائم الزاوية ، والمثلث الحاد ، والمثلث المنفرج ، ومساقط الاحجار ، والمربعات المختلفة ، والقسي والمدورات ، والعمودين . وتمتحن معرفته بالعمل في الارضين لافي الدفاتر فان المخبر عنه ليس كالمعادين . وذكر ان المعجم كانت تقول : من لم يكن عالما باجراء المياه ، وحفر فرض المشارب ، وردم المهاوى ، ومجارى الايام في الزيادة والقصان ، ودوران الشمس ، ومطالع النجوم ، وحال القمر في استهلاله واتصاله ، ووزن الموازين ، وذرع المثلث والمربع ومختلف الزوايا ، ونصب القناطر والجسور والدوالي والنواعير على المياه ، وحال أدوات الصناعات ، ودقائق الحساب كان ناقصا في حال كتابته . ثم قال : ولا بد مع ذلك من النظر في جمل من الفقه والحديث ودراسة اخبار الناس وحفظ عيون الاخبار ليدخلها في نضاعيف سطوره متمثلا بها اذا كتب او يصل بها كلامه اذا حاور . وختم ذلك بان قال : ومدار الامر في ذلك كله على القطب وهو العقل وجودة القريحة : فان القليل معها بأذن الله تعالى كاف والكثير مع غيرهما مقصر . وتابعه أبو هلال العسكري في « الصناعتين » في بعض ذلك فقال

في بعض ابوابه : وينبغي ان يعلم ان الكتابة تحتاج الى آلات كثيرة وأدوات جمة من معرفة العربية لتصحيح الالفاظ واصابة المعنى ، وفن الحساب ، وعلم المساحة والمعرفة بالازمنة والشهور والاهلة ، وغير ذلك مما ليس هذا موضع ذكره وشرحه . ولا ينبغي ان ماذكره بعض مما ذكره ابن قتيبة يتواردان فيه في المعنى وان اختلف اللفظ . وخالف أبو جعفر النحاس في كتابه « صناعة الكتاب » في كثير من ذلك فقد كرفى المرتبة الثانية منه بعد ما يتعلق بالخط ان من أدوات الكتابة البلاغة ، ومعرفة الاضداد مما يقع في الكتب والرسائل ، والعلم بترتيب أعمال الدواوين والخبرة بمجاري الاعمال ، والدربة بوجوه استخراج الاموال مما يجب ويمتنع . ثم قال : فهذه الآلات ليس لواحد منها تميز بذاته ولا انفراد باسم يخصه ، وانما هو جزء من الكتابة وأصل في أركانها : اما الفقه ، والفرائض ، والعلم بالانساب (١) فكل واحد منها منفرد على حدته وان كان الكاتب يحتاج الى أشياء منها نحو ما يكتب بالألف والياء ، وإلى شيء من المقصور والمدود . قال : ولو كلف الكاتب ما ذكره من ذكره لجعل الأصب طريقا للأسهل والأشق مفتاحا للأهون وفي طباع الناس الفار عما ألزمهم (٢) من جميع هذه الاشياء

قلت : والتحقيق ان ذلك يختلف باختلاف حال الكتابة بحسب تنوعها ، فكل نوع من أنواعها يحتاج الى معرفة فن او فنون تختص به ، ويوضح ذلك ما ذكره حائك الكلام في حكايته مع عمرو بن مسعدة وزير المأمون من ذكره ان كاتب الرسائل يحتاج الى ان يعرف الموصول والموصول ، والمقصود والمدود ، والابتداء والجواب ، وان يكون حاذقا بالمعقود والفتوح ؛ وكاتب الخراج يحتاج الى ان يعرف السطوح ، والمساحة والتقسيم ، وان يكون خيرا بالحساب والمقاسمات ؛ وكاتب القاضى يحتاج ان يعرف الحلال والحرام ، والتأويل والتنزيل ، والمتشابه ، واخدود القائمة ، والفرائض ، والاختلاف في الاموال والفروج ، وان يكون حافظا للاحكام حاذقا بالشروط ؛ وكاتب الجند يحتاج ان يعرف المالى والشيآت ؛ وكاتب الشرطة يحتاج أن يعرف القصاص ،

(١) اكتفى في الضوء بذكر الفقه والفرائض والعلم بالانساب ، وفيه نقص ينحل بمعنى^٣ ما بعده : ولو ذكر معها النحو واللغة كما في الصبح اتوقى هذا النقص وامتنع الاخلال
(٢) كذا بالاصل ويظهر ان المراد : عما هو ألزم لهم

والجراحات ، وموضع الحدود ، ومواقع العفو في الجنايات . فجعل لكل كاتب ادوات تخصه على ما ذكر في الاصل من ايراد الحكاية عليها . على أن كاتب الانشاء لا يستغنى عن علم ولا يسعه الوقوف عند فن . فقد قال ابن الاثير في « المثل السائر » : ان صاحب هذه الصناعة يحتاج الى التثبيت بكل فن حتى انه يحتاج الى معرفة ما تقوله النادية بين النساء ، والمباشطة عند جلوة العروس ، والى ما يقوله المنادي في السوق على الساعة . فما ظنك بما فوق هذا . وذلك لانه يؤهل لأن يهيم في كل واد فيحتاج الى ما يتعلق بكل فن . بل قد قيل : ان كل ذى علم يسوغ ان ينسب اليه : فيقال فلان النحوى ، وفلان الفقيه ، وفلان المتكلم ، ولا يجوز ان ينسب المتعلق بالكتابة اليها . فلا يقال فلان الكاتب لما يفتقر اليه من الخوض في كل فن . نعم ليس احتياجه الى جميع الفنون على حد واحد ، بل منها ما يحتاج اليه بطريق الذات كاللغة والنحو والتصريف وعلوم البلاغة من المعانى والبيان والبديع ونحو ذلك مما يجرى هذا المجرى ، وعلى ذلك اقتصر الوزير ضياء الدين في « المثل السائر » والشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في « حسن التوسل » . ومنها ما يحتاج اليه بطريق العرض كالطب والهندسة والهيئة ونحوها مما يحتاج اليه باعتبار ما يعرض للكاتب من الاقتباس من الفاظ فن من الفنون او الاستشهاد ببعض رجاله ؛ فانه يحتاج الى معرفة الالفاظ الدائرة بين أهل كل علم ، والى معرفة المشهورين من أهله ، ومشاهير الكتب المصنفة فيه ، فينظم ذلك في خلال كلامه فيما يكتبه من متعلقات كل فن من هذه الفنون كالالفاظ الدائرة بين أهل الطب ، ومشاهير أهله ، وكتبه فيما يكتب به ارباب الاطباء ، ونحو ذلك من الهيئة فيما يكتب به لمنجم ونحو ذلك . وربما احتيج الى معرفة ما هو دون ذلك في المرتبة كمعرفة مصطلح رماة البندق فيما يكتب به من قدماء البندق ، ومعرفة مصطلح الفتيان فيما يكتب به في دسكرة الفتوة ؛ بل ربما احتيج الى معرفة مصطلح سفل الناس كمعرفة أحوال الطفيلية فيما يكتب طفيلي ، مع معرفة ما يجب عايه من وصف ما يحتاج الى وصفه كوصاف الابطال والشجعان والجوارى والغلمان والحيل والابل وجليل الوحش وسائر اصنافه وجوارح الوحش والطيور وطيور الواجب والحمام الهدى وسائر أنواع الطير والسلاج بأنواعه وآلات الحصار والآلات الملوكية

وآلات الفر وآلات الصيد وآلات المعاملات وآلات اللهو والطرب وآلات اللعب وآلات الشرب والمدن والحصون وبيوت العبادات والرياض والاشجار والثمار والازهار والبرارى والقفار والمفاوز والجبال والرمال والادوية والبحار والانهار وسائر المياه والسفن والكواكب والعناصر والازمنة والانواء والرياح والمطر والحر والبرد والثلج وما يتعلق بكل واحد من هذه الاشياء او ينخرط فى سلكه ونحو ذلك مما تدعو الحاجة الى وصفه فى حالات الكتابة

﴿ الفصل الثانى ﴾

« من الباب الاول من المقالة الاولى - فيما يحتاج الكاتب الى معرفته من مواد الانشاء ويشتمل الغرض منه على خمسة عشر نوعا »

* (النوع الاول) *

« المعرفة باللغة وهى على ضربين »

الضرب الاول : العربية - ولا مصرية فى ان اللغة العربية هى رأس مال الكاتب وأس كلامه وكناز نفاقه من حيث ان الالفاظ قوالب المعانى التى يقع التصرف فيها بالكتابة وحينئذ فىحتاج الى طول الباع فيها وسعة الخطوب بمفظ ما يتبها له حفظه من مختصرات اللغة كفصيح ثعلب وكفاية المتحفظ والمذهبة والمعقبة لابن أصبغ، (١) وايساع النظر فى كتبها المبسوطة كصحاح الجوهري ومحكم ابن سيده وعباب الصغاني وجامع الازهرى ومجل ابن فارس وغيرها من كتب اللغة مع معرفة أنواعها من الاسماء المترادفة وهى توارد الاسماء على المسمى الواحد كالبر والخنطة ، والاسماء المشتركة وهى ان يتحد الاسم ويختلف المسمى كالعين فانها تقع على العين الباصرة والعين الجارية وغيرها وغير ذلك من أنواعها فيستظهر على ما ينشيه ويحيط علما بما يذره ويأتينه ونهايك ان ابن قتيبة لم يضمن كتابه « أدب الكاتب » غير اللغة الا النزر اليسير من الهجاء ، وأبا جعفر النحاس قد ضمن كتابه « صناعة الكتاب » جزءا وافرا من اللغة ،

(١) كذا فى الضوء ، وهو فى الصبح : ابن أصبغ : ولعله الامام ابو محمد عبد العظيم ابن أبى أصبغ العدواني المصرى مؤلف « تحرير التحبير » فى البديع

وأبا الفتح كشاجم لم يزد في كتابه « كنز الكتاب » على ذكر الالقاب وتركيبها .
 فاذا أكثر من حفظ الالفاظ اللغوية وعرف الالفاظ المترادفة والمتقاربة المعاني يمكن
 من التعبير عن المعاني التي يضطر الى الكتابة فيها بالعبارات المختلفة والالفاظ المتباينة،
 وسهل عليه التعبير عن مقصوده، وهان عليه انشاء الكلام وترتيبه، وساغ له المدول
 عن ضيق المجال من لفظ الى غيره مما هو بمعناه؛ واذا عرف المشترك تفنن في الكلام
 بتعبيره عن الشيء بالفظ ثم تعبيره عنه مرة أخرى بلفظ آخر مع ايضاح ذلك بذكر
 تخصيصه كقولك : عين حسناء في الباصرة، وعين نضاجة في الجارية، ونحو ذلك .
 وانت اذا تأملت كنز الكتاب لكشاجم عرفت فائدة كثرة الاطلاع على اللغة في
 اقتدار الكاتب بذلك على ما يروم تأليفه من الكلام لاسيما المترادف . ألا ترى الى
 كشاجم كيف يورد الرسالة متواردة الالفاظ المديدة على المعنى الواحد كما في قوله في
 كريم الأصل : مخضر الأرومة : نجيب العنصر، خالص السنخ، صادق المحتد، وافر
 الحسب، ثاقب النسب، محض الضرائب، ظاهر الحزم، صريح النصاب، زكي الفرس
 طيب المتعنى، سامي المركب، رفيع النجر، تالد المجد، موفي الشرف، سابق القدم،
 شريف المنصب، وافر المقدم، عالي البيت، مثبت الأثالة، موفر الأثرة، أغر المناقب .
 فلولا سعة باعه في اللغة ما تأتى له مثل هذه الالفاظ المترادفة والمتقاربة

الضرب الثاني : اللغة العجمية - وهي كل ما عدا العربية كالأتركية والفارسية
 والرومية وغيرها من سائر اللغات وان كان العامة يمتقدون ان العجمية هي الفارسية
 ليس الا . واعلم ان الكاتب يحتاج الى معرفة اللغة العجمية من اللغات التي ترد
 على ملكه المكاتبات بها كالمغلية، والفارسية، والرومية، والفرنجية بالنسبة الى
 كتاب ديوان الانشاء بمملكة الديار المصرية ليكون بقراءة ما يرد من المكاتبات
 الواردة في أكل رتبة وذلك أكرم لسر سلطانه من حيث انه لا يطلع على كتبه ترجمان .
 وشاهد ذلك من السنة ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ازيد بن ثابت رضي
 الله عنه : يا زيد تعلم كتاب يهود فأنى والله لا آمن يهود على كتابي . قال : فتعلمت
 كتابتهم فما مر لي ستة عشر ليلة حتى حذقتها فكنت اقرأ له كتبهم اذا كتبوا اليه

وأجيب اذا كتب ؛ وفي رواية العبرانية بدل السريانية (١) . قال محمد بن عمر المدائني : بل قد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفهم اللغات كلها وان كان عربياً لأن الله بعثه الى الناس كافة ولم يكن الله بالذي يبعث نبياً الى قوم لا يفهمون عنه ولذلك كلم سلمان بالفارسية وساق بسنده الى عكرمة انه قال : سئل ابن عباس ، هل تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفارسية ؟ . قال : نعم ، دخل عليه سلمان فقال له « درستة وسادته » قلت : وحينئذ فيكون النبي صلى الله عليه وسلم انما أمر زيدا بتعلم كتابة السريانية أو العبرانية لتحريم الكتابة عليه صلى الله عليه وسلم

﴿ النوع الثاني ﴾

مما يحتاج اليه الكاتب النحو والأخذ منه بالحظ الوافر، وصرف اهتمامه منه الى القدر الكافي ، قال في حسن التوسل : ويتبع ذلك قراءة ما يتفق له من كتبه التي يحصل بها المقصود من معرفة العربية بحيث يجمع بين طرفي الكتاب الذي يقرأه ويستكمل استشراحه ، ويكتب على الاعراب ويلازمه ويجعله دأبه ليرتسم في فكره ، ويدور على لسانه، وينطلق به عقل قلبه وكله، ويزول به الوهم عن سجيته، ويكون على بصيرة من عبارته، فإنه لو أتى من البراعة بأتم ما يكون ولحن ذهبت محاسن ما أتى به وأنهدمت طبقة كلامه وألقى جميع ما أحسنه ووقف به عند ما جهله . قال في المثل السائر : وهو أول ما ينبغي اتيان معرفة لكل متكلم باللسان العربي ليأمن معرفة اللحن . قال صاحب الريحان والريمان ولم تزل الحلفاء الراشدون بعد النبي صلى الله عليه وسلم يحثون على تعلم اللغة العربية وحفظها والرعاية لمعانيتها اذ هي من الدين بالمكان المعلوم والمحل المخصوص . قال عثمان المهري : اتانا كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه ونحن بأذربيجان يأمرنا بأشياء ويدكر فيها : « تعلموا العربية فأنها تصلح العقل وتزيد في المروءة » . وقال

(١) اقتصر الضوء في ايراد الحديث على رواية من ثلاث أوردتها الصبح ، ثم جاء بهذه العبارة ولا محل لها بعد تركه الروايتين الأخيرين لأن مرجعها اليهما . ومنهما هذه الرواية : قال (زيد بن ثابت) قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن السريانية فإنه يأتيك كتب بها ، قلت : لا . قال : فنعامها . فتعلمتها في سبعة عشر يوماً . الخ

الرشيد يوماً لبنيه : ما ضر أحدكم لو تعلم من العربية ما يصلح به لسانه ، أيسر أحدكم ان يكون لسانه كلسان عبده وأمه ؟ ومن كلام مالك بن أنس : الاعراب حلّ اللسان فلا تمنعوا ألسنتكم حايها . والله در أبي سعيد البصرى حيث يقول

النحو يبسط من لسان الأ لكن المرء تكرمه اذا لم يالحن
واذا طلبت من المعلوم أجلبها فأجلها عندي مقيم الألسن

قال في الريحان والريمان : واللحن قبيح في كبراء الناس وسرآتهم كما ان الاعراب جمال لهم وهو يرفع الساقط من السفلة ويرتقي به الى مرتبة تلحقه بمن كان فوق نمطه وصنفه . وكتب ميمون بن ابراهيم عن اسحاق بن ابراهيم وهو أمير على بعض الاعمال الى المأمون كتاباً منه : « وهذا المال مالا » فخط المأمون على موضع اللحن من الكتاب ، ويقال انه لم يتجاوزه قراءة ، ووقع على حاشيته « تكأنتى باللحن ؟ » ، وأعادته الى اسحاق ؛ فدعا اسحاق ابن قادم النحوى وسأله عن ذلك فقال « الوجهه : وهذا المال مال ، ويجوز وهذا المال مالا » فأقبل اسحاق على كاتبه بفاطمة وفضاطة وقال : الزم الوجه ودع ما يجوز ويجوز . فكان ميمون يقول : ما أدري كيف اشكر لابن قادم : بقى على روى ونعمتى . ووقف بعض الخلفاء على كتاب من بعض عماله فيه لحن في لفظه فكتب الى عامله أن قم كاتبك سوطا واصرفه عن عملك . قال احمد بن يحيى : كان هذا والعلم بحيث كانت الرغبة في طلبه والحذر من الزال . قال صاحب الريحان والريمان : فكيف لو أبصر كتاب زماننا ؛ قلت : قد قال صاحب الريحان والريمان هذا وفي الناس بعض الرمق والعلم ظاهر ، واهله مكرمون والا فلو عمر الى زماننا لقال : تلك امة قد خلت .

اما التعمق في الاعراب والمبالغة فيه فان حكمه في الاستكراه حكم التععر في الاتيان بالغريب من اللفظ . ولم تزل الفصحاء ندم من يتعاناه ويسخرون ممن يتعاطاه . ولذلك كان بعض الكتاب لشدة اقتداره على الاعراب يعرب كلامه ولا يخيل للسامع انه يعرب . ثم ان عرض مع التعمق في الاعراب لحن كان ذلك أبلغ في الشناعة واجدر بتوجيه الملامة على صاحبه والسخرية منه . وقد قال الجاحظ : أقبح اللحن لحن أصحاب التعير والتشديق والتعطيط والجهورية والتفخيم . قال : واقبح من

ذلك لحن الاعراب النازلين على طريق السابلة وبقرب مجامع الاسواق . قلت
والذي يقتضيه حال الزمان والجري على منهاج الناس الآن ان يحافظ على الاعراب
في القرآن الكريم والاحاديث النبوية وفي الشعر والكلام المسجوع وما يدون من
الكلام ويكتب من المراسلات ونحوها، ويفتقر اللحن في الكلام الشائع بين الناس،
الدائر على السنتهم مما يتداولونه بينهم ويتحاورون به في مخاطباتهم . وعلى ذلك جرت
طريقة الناس مذ فسدت الألسنة وتغيرت اللغة حتى حكى ان الفراء مع جلالة قدره
وعلو رتبته في النحو دخل يوما على الرشيد فتكلم بكلام لحن فيه . فقال جعفر بن
يحيى : يا أمير المؤمنين انه قد لحن . فقال له الرشيد : أتلحن ؟ فقال : يا أمير المؤمنين
ان طباع البدو الاعراب وطباع الحضرة اللحن ، فاذا حفظت او كتبت لم أَلْحِنُ
واذا رجعت الى الطبع لحن . فاستحسن الرشيد جوابه . وقال الجاحظ في البيان
والتبيين : ومتى سمعت حفظك الله نادرة من كلام الأعراب فايك ان تحكيها الا
مع اعرابها ومخارج ألفاظها ؛ فانك ان غيرتها بأن لحن في اعرابها وأخرجتها مخرج
كلام المولدين والمقلدين خرجت من تلك الحكاية عليك فضل كبير ؛ وان سمعت
نادرة من نوادر العوام وملحة من ملحهم فايك ان تستعمل لها الاعراب او تتخير
لها لفظا حسنا ، فان ذلك يفسد الأمتاع بها ويخرجها عن صورتها التي وضعت لها ويذهب
استطابهم اياها . وبالجملة فالهيرة في ذلك كد بحسب البلاد واهلها ألا ترى ان العرب وان
تغيرت أسنتهم بمخالطة من عداهم فانهم لا يخلو كلامهم من موافقة الأعراب في كثير من
كلامهم خصوصا عرب الحجاز وأهل البادية منهم . وقد قال الجاحظ في أثناء كلامه :
ولأهل المدينة ألسنة ذائقة وألفاظ حسنة وعبارة جيدة في اللحن ؛ واللحن في عوامهم فاش
وعلى من نظر منهم في النحو غالب . ثم لا يخفى وجه تصرف الكاتب في الأعراب
في كلامه ؛ ومن أهم ما يعتنى به من ذلك النسب لكثرة استعماله في الألقاب ونحوها
وكذلك العدد فإنه مما يقع فيه اللبس على المبتدى ومحل ذلك النحو

﴿ النوع الثالث ﴾

ما يحتاج اليه الكاتب التصريف ليعلم أصل الكلمة وزيادتها ، وحذفها ، وابدالها ،

وجمعها ، وثنيتها ، وجودها واشتقاقها ، وتصريف الفعل الى ماض ومضارع وامر ونهى وغير ذلك ؛ لانه اذا اراد جمع الكلمة أو تصغيرها أو النسبة اليها ولم يعرف الاصل في حروف الكلمة وزيادتها وحذفها وابدالها ضل عن سواء السبيل . قال في المثل السائر : وتظهر لك فائدة ذلك ظهورا واضحا فيما اذا قيل للنحوى العارى عن التصريف : كيف تصغير « اضطراب » ؟ فإنه يقول « ضطيرب » حملا على قاعدة النحو في أنه اذا كانت الكلمة على خمسة أحرف وفيها حرف زائد حذف منها كقولهم في « منطلق » مطليق ، ولفظة منطلق على خمسة أحرف وفيها حرفان زائدان هما الميم والنون الا أن الميم زيدت فيها لمعنى فلم تحذف وحذفت النون : والزائد في « اضطراب » الالف فحذفت فصغر على ضطيرب ، وهو خطأ لأن الطاء في اضطراب مبدلة من تاء فإذا أريد تصغيرها اعيدت الى الاصل فيقال « ضتيرب » باثاء . وقد حكى ابو جعفر النحاس في صناعة الكتاب أن عبيد الله بن سليمان نظر في كتاب كتبه بعض الكتاب فاذا فيه حرف مصلح هو « وقد لهوت عن جباية الخراج » فاغتاز وقال : لا يحكه غيرى ، فحكه وأصلحه : « وقد لهيت » بالياء بدل الواو . قال وحكى عن ابن اسرئيل مع تقدمه في الكتابة انه قال : كانت رسومنا مساناة ، ثم صارت مشاهرة ، ثم صارت مياومة ، ثم صارت مساعة . . . فأخطأ وكان يجب ان يقال « مساعة » . قال في المثل السائر : وكثيرا ما يقع ذلك لا كابر أهل العلم فكيف بالجهال الذين لا معرفة لهم بذلك ؛ ومما يقع الغلط فيه لا كابر أهل الشأن قول أبي نواس :

وكأن صغرى وكبرى من فواقها حصباء در على أرض من الذهب
فإن فعلى أفعال لا يجوز حذف الألف واللام منها وانما يجوز حذفها من فعلى التى لا
أفعال لها نحو حبلى الا ان تكون فعلى أفعال مضافة ، وهاهنا لا اضافة ولا الف ولا م :
وكان الصواب أن يقول : كأن الصغرى والكبرى ، أو : كأن صغراها وكبراهها وغلط
أبو تمام في قوله يمدح المعتصم

بالقائم الثامن المستخلف اطادت قواعد الملك ممتدا لها الطول

فقال « اطادت » وصوابه « انطدت » لان التاء تبديل من الواو في موضعين :
احدهما مقيس كهذا الموضع ؛ لانك اذا بنيت « افعلى » من « الوعد » قلت « اتعد » ،

وكذلك « اتطدت » في البيت فإنه من « وطد ، يظد » كما يقال « وعد ، يعد » فإذا بنى منه « افعل » قيل « انطد » ولا يقال « اظاد » . واعلم ان هذا العلم لم يزل مندرجا في علم النحو حتى أفرده عثمان المازني وتبعه الفتح بن جني وصنف فيه مختصره الذي سماه « التصريف الملوكي » ثم تتابع الناس في التصنيف فيه . ومن امنع كتبه المتوسطة « شافية ابن الحاجب » وعليها شروح لمصنفها وغيره

* (النوع الرابع) *

مما يحتاج اليه الكاتب علوم المعاني والبيان والبديع . ووجه احتياجه الى هذه العلوم أنه لما كانت صناعة الكتابة مبنية على سلوك سبل الفصاحة واقتفاء سنن البلاغة وكانت هذه العلوم هي قاعدة عمود الفصاحة ومسقط حجر البلاغة والطريق الى تحسين الكلام اضطر الكاتب الى معرفتها والاحاطة بمقاصدها ليتوصل بذلك الى فهم الخطاب وانشاء الجواب جاريا في ذلك على قوانين اللغة في التركيب مع قوة الملكة على انشاء الاقوال المركبة المأخوذة عن الفصحاء والبلغاء . من الخطب والرسائل والاشعار من جهة بلاغتها وخلوها عن اللكن وتحسين الكلام وتنميته الى غير ذلك من الامور . قال ابو هلال العسكري في كتابه « الصناعتين » : فأن صاحب العربية اذا أخل بطلب هذه العلوم وفرط في التماسها وفاتته فضيلتها وعاقبت به رذيلة فوتمها عني على جميع محاسنه وعمى سائر فضائله لأنه اذا لم يفرق بين كلام جيد وآخر ردىء وافظ حسن وآخر قبيح وشعر نادر وآخر بارد بان جهله وظهر نقصه ؛ واذا اراد أن ينشئ رسالة او يضع قصيدة وقد فاتته هذه العلوم مزج الصفو بالكدر وخطط الغرر بالعرر فجعل نفسه مهزأة للجاهل وعبرة للعاقل ؛ وكذلك اذا اراد تصنيف كلام منشور وتأليف شعر منظوم وتخطي هذه العلوم ساء اختياره وقبح آثاره فأخذ الرديء المردود وترك الجيد فدل على قصور همته وتأخر معرفته . قال : وقبيح امرى بالفقير الموثم به والقارىء المقتدر به يديه والمتكلم المشار اليه في حسن مناظرته وتمام آتته في مجادلتها وشدة تسكيمته في حجاجه ، وبالعربي الصليب والقرشى الصريح أن لا يعرف فهم اعجاز كتاب الله تعالى الا من الجهة التي يعرفها الزنجي والنبطي وان يستدل عليه بما يستدل به الجاهل النجى .

قال الشيخ شهاب الدين محمود الحلي في كتابه « حسن التوسل الى صناعة التوسل » :
وهذه العلوم الثلاثة وان لم يضطر اليها ذو الذهن الثاقب ، والطبع السليم ، والقريحة
المطاوعة ، والفكرة المنقحة ، والبديهة المحيية والروية المتصرفة لكن العالم بها
يتمكن من أزمة المعاني وصناعة الكلام ، ويتصرف عن معرفة ، وينتقد بحجة ،
ويتخير بدليل ، ويستحسن برهان ، ويصوغ الكلام بترتيب . قلت : وحقيق ما قاله
فأن الناظم أو الناثر اذا أتى بملحة أو نادرة فإنه ليس على يقين من أمره اذ ليس له
قانون يرجع اليه ، والذوق قد يصيب وقد يخطئ ؛ بخلاف العارف بهذه العلوم فإنه
على يقين من أمره من حيث ان له قانونا يرجع اليه وأصلا يقف عنده . ألا ترى انه
اذا جرى على قانون العلوم الثلاثة المتقدمة الذكر من التشبيه والاستعارة والتجنيس
وغيرها من الأنواع أتى بما يبهز العقول ويأخذ بأزمة القلوب كقول القاضي الفاضل
« في ليلة قد جمد خمرها وحمد جمرها الى يوم تود البصلة لو ازدادت قصاً الى قصها
والشمس لو جرت النار الى قرصها » وقول الواو الدمشقي :

قالت متى البين يا هذا فقلت لها اما غداً زعموا أو لا فبعد غد
فأمطرت لو لوأ من نرجس فسقت وردا وغصت على العناب بالبرد

وقول القاضي نجم الدين عبد الرحيم البارزي الحموي :

يقطع بالسكين بطيخة ضحى على طبق في مجلس لأصحابه
كشمس ب برق قد بدرأ أهلة لدى هالة في الافق بين كواكبه

وقول الآخر

ازورهم وظلام الليل يشفع لي واتنى وضياء الصبح يقرى بي
وقول الآخر : سفرن بدورا وانتقبن أهلة . ونظموا على ذلك فأتوا بالسحر
الحلال وابدوا من محاسن البلاغة بما يرفع من بدائمه في وارف الضلال . على ان الشيخ
بهاء الدين السبكي قد ذكر في شرح تلخيص المفتاح ان أهل مصر لا يحتاجون هذه
العلوم وأنهم يدرونها بالطبع . فقال في أتاء خطبته : اما أهل بلادنا فهم مستغنون
عن ذلك بما طبعهم الله عليه من الذوق السليم ، والفهم المستقيم ، والأذهان التي هي
أرق من النسيم ، وألطف من ماء الحياة في المحيا الوسيم . أكسبهم النيل تلك الحلاوة

وأشار اليهم بأصابه فظهرت عليهم هذه الطلاوة ، فهم يدركون بطباعهم ما أفنت فيه العلماء فضلا عن الاعمار الاعمار ، ويرون في مرآة قلوبهم الصقيلة ما احتجب من الأسرار خلف الاستار

والسيف ما لم يلف فيه صيقل من طبعه لم ينتفع بصقال
قلت : وهذا مما لا شك فيه : فانا نرى من عوامها الذين لا إلمام لهم بشئ من هذه العلوم من يأتي في الازجال ونحوها التي مبناهها للحن من المعاني الدقيقة بما تقف دونه افهام أرباب البيان من التشبيه وغيره كما في قول القائل

قف تقول لك يا فهم	ما صنع هذا الغزال
ارخي ليل شعرو البهيم	وتلتم بالهلال
وكشف ذاك اللثام	ورفع ليل الشعر
آهتك فيه بالغرام	كل ما كان استر

وقول بعض المواله

اسبلى على غرته طره كليل همس
فقلت ماريت مثله والكرام الخمس (١) * * * الدجى بالشمس

فانظر الى هذه التشبيهات التي لا تقع في كلام فحول الشعراء
واعلم ان هذه العلوم قد اختلفت مقاصد المؤلفين في جمعها في التأليف وتفريقها فجنح قوم الى افراد كل علم منها بتأليف : فمن الكتب المنفردة بعلم البيان « نهاية الأعجاز » الأمام فخر الدين بن الخطيب ، و« الجامع الكبير » لابن الأثير الجزري ومن الكتب المنفردة بعلم البديع « زهر الربيع » للمطرزي ، و« كتاب البديع » للتيماشى ، و« تحرير التحرير » لابن أبي الاصبع . وأكثر المؤلفين على جمع العلوم الثلاثة بالتأليف ، فمن الكتب المختصرة المشتملة على ذلك « روض الازهار » لابن مالك ، ومن المتوسطة « المصباح » له ، ومن المبسوطه « شرح القطب » للشيرازي . قلت : والمشهور بين الناس الآن الماتق بين أهل هذا الشأن بالقبول « تاخيص المفتاح » لقاضي القضاة جلال الدين القزويني ، وشروحه كالحطبي ، وشرح بهاء الدين السبكي

وشرح الشيخ أكمل الدين ، وشرح القاضي محب الدين ناظر الجيش ؛ واكثر إكبابهم الآن على شرحى الشيخ سعد الدين التفتازانى : المطول والمختصر . على ان هذه العلوم وان كانت غير خاصة بفن الكتابة فقد اتحلها جماعة من المؤلفين في صناعتها واستضافوها الى مصنعاتهم كأبى هلال العسكري فى كتابه « الصناعتين » والوزير ضياء الدين بن الاثير فى « المثل السائر » والشيخ شهاب الدين محمود الحلبي فى « حسن التوسل » اعتناءً بشأنها وتذيتها على أن حال الكتاب لا يصلح الايها بل قد ذكر فى « حسن التوسل » أنها من الامور الخاصة بالكتاب دون غيرها من العلوم الواجبة فيما يحتاج اليه الكاتب

﴿ النوع الثانى ﴾

مما يحتاج اليه الكاتب حفظ كتاب الله العزيز مع ادامة قراءته وملازمة درسه وتدبر معانيه حتى لا يزال مصورا فى فكره دائرا على لسانه ممثلا فى قلبه فيكون ذا كراهة فى كل ما يرد عليه من الوقائع التى يحتاج الى الاستشهاد به فيها ويفتقر الى اقامة الأدلة القاطعة عليها فله الحجة البالغة وكفى بذلك معينا له فى مقصده مغنيا له عن غيره . قال تعالى « ما فرطنا فى الكتاب من شئ » وقال تعالى « تبينا لكل شئ » . قال فى المثل السائر : وكان بعضهم يقول لو ضاع لى عقال لوجدته فى كتاب الله تعالى . قال فى حسن التوسل : وقد أخرج من الكتاب العزيز شواهد لكل ما يدور بين الناس فى محاوراتهم ومخاطباتهم مع قصور كل لفظ ومعنى عنه وعجز الألسن والجن عن الاتيان بسورة من مثله . فقد حكى ان سائلا سأل بعض العلماء : أين تجد فى كتاب الله تعالى معنى قولهم الجار قبل الدار؟ قال : فى قوله تعالى « وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة » فطلبت الجار قبل الدار وقد اختلف فى جواز الاستشهاد بالقرآن الكريم فى المكاتبات ونحوها فذهب اكثر العلماء الى جواز ذلك ما لم يحل عن لفظه ولم يتغير معناه فقد ثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب فى كتابه الى هرقل « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم » . الى قوله « مسلمون » . وكتب ابو بكر الصديق

رضى الله عنه في عهده بالخلافة لعمر بن الخطاب رضى الله عنهما « ولكل امرئ ما اكتسب من الأثم وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » وكتب على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى آخر كتابه الى معاوية : قد علمت مواقع سيوفنا فى جددك وخالك وأخيك وما هي من الظالمين ببيعد . وقال للمغيرة بن شعبة لما أشار عليه بتولية معاوية : « وما كنت متخذ المضلين عضدا » وكتب الى عامل من عماله فى صدر كتاب : « قد جاءكم موعظة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ » وقال الحسن بن على رضى الله عنهما لمعاوية حين نازعه فى الخلافة : « وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين » ويروى عن ابن عباس رضى الله عنهما مثل ذلك . وكتب الحسن الى معاوية : « اما بعد فأنا لله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ومنة على المؤمنين وكافة الى الناس اجمعين لينذر من كان حيا ويحقق القول على الكافرين » وكتب محمد بن عبد الله بن الحسن بن على ابن ابى طالب الى المنصور لما حاربه فى صدر كتاب « طسم تلك آيات الكتاب المبين تلو عليك من نبا موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون . . . » الى قوله « ما كانوا يحذرون » ونقض عليه المنصور فى جوابه عن قوله فى كتابه (أنا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم) بقوله « ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم » . وذهب قوم الى كراهة ذلك محتجين بما حكى عن الحسن البصرى انه بلغه ان الحجاج أنكر على رجل استشهد بآيته من كتاب الله تعالى . فقال أنسى نفسه حين كتب الى عبد الله بن مروان « بلغنى ان أمير المؤمنين عطس فسمته من حضر فرد عليهم ياليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما » قال فى حسن التوسل : واذا صحت هذه الرواية عن الحسن فيمكن ان يكون انكاره على الحجاج لكونه أنكر على غيره ما فعله هو . وذهب آخرون الى أن كل ما أراد الله تعالى به نفسه لا يجوز ان يستشهد به الا فيما يضاف الى الله سبحانه كقوله (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) وقوله (بلى ورسلنا لديهم يكتبون) ونحو ذلك مما يقتضيه الأدب مع الله تعالى . قال فى حسن التوسل : وقد أكثر الناس فى الاستشهاد ففرط فى الحسن وفرط . فأما تغيير شئ من اللفظ بغيره او احالة معنى عما أريد به فلا يجوز

وينبغي العدول عن ذلك مهما أمكن . قال في المثل السائر : واذا ضمنت الآيات في
أما كتبها اللاتفة ومواقعها المناسبة لها فلا شبهة فيما يصير للكلام من الفخامة والجزالة والرونق .
إذا علمت ذلك فمن شرف الاستشهاد بالقرآن الكريم إقامة الحجج وقطع النزاع
واذعان الخصم كما روى ان الحجاج قال لبعض العلماء : انت تزعم ان الحسين من
ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنتنى على ذلك بشاهد من كتاب الله تعالى وإلا
قتلتك فقرأ : (ومن ذريته داود وسليمان ٠٠٠) الى ان قال (وعيسى ٠٠٠)
وعيسى هو ابن بنته فأسكت الحجاج . وأبضا فإن الآية الواحدة المستشهد بها في
بلوغ الغرض وتوفية المقاصد لا تقوم به الكتب المطولة والادلة المقاطعة . فمن اخصر
ما وقع في ذلك وأبلغ ما حكى ان ملك الروم كتب الى الرشيد كتابا أغاظ فيه القول
وتهدده فلما عرض عليه أمر كتابه ان يجيبوا عنه فأثوا بما لم يرضه فكتب : أما بعد
فقد فهمت كتابك والجواب ما تراه لا ما تسمعه والسلام على من اتبع الهدى .
ويقال بل كتب : ما ترى لا ما تسمع وسيعلم الكافر ان عقبي الدار . قال في حسن
التوسل : وأقرب ما اتفق من ذلك ان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه
الله كتب الى ديوان الخلافة ببغداد كتابا يمدد فيه مواقفه في إقامة دعوة بنى العباس
بمصر فكتب في جوابه : (يمينون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله
يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين) . وأخصر من ذلك كله وأبلغ ان
الأندلس ملك الفرنج بالأندلس كتب الى يعقوب بن عبد المؤمن ملك المسلمين
ببلاد المغرب وجزيرة الأندلس كتابا بخط وزيره يقال له ابن الفخار أبرق فيه
وأرعد فكتب رحمه الله جوابه في أعلى كتابه : (ارجع اليهم فلأنتينهم بمجنود لا قبل
لهم بها ولنخرجهم منها أذلة وهم صاغرون)

واعلم ان تضمين الكلام ببعض آي القرآن الكريم عند علماء البلاغة على ضربين : الضرب
الاول الاستشهاد وهو أقلهما وقوعا في الكلام ودوراناً في الاستعمال . وهو أن يضم
الكلام شيئا منها على كونه من القرآن كقول الحريري في مقاماته : فقلت وانت
اصدق العائنين وما أرسلناك الا رحمة للعالمين . وكقول أبي إسحاق الصابي في عهد
عن خيفة لملك : فاذا اطع الله على نساء جيبه ، وطهارة قابله ، وصحة مروته ، واستقامة

سريرته أعانه على حفظ ما استحفظه ، وأنهضه بثقل ما حمله ، وجعل له مخلصاً من الشبهة ، ومخرجاً من الحيرة ، فقد قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب . وكقول علاء الدين بن غانم في تمهيدة مقدمة بصرع بعض رماة البندق لغافة : نحمده على توفيقه الذي ساد به من ساد وسما ، واصاب بتفويقه بمونة ربه طير السما ، فحسن ان يتلى له : وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى . وكما قلت في اختتام بيعة لبعض الخلفاء أنشأتها امتحاناً للخاطر : وهم يرغبون الى الله أن يضاعف لهم بحسن نيتهم الأجور ، ويلجؤون اليه ان يجعل أمتهم ممن أشار اليهم بقوله : الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور... الى غير ذلك من الاستشهادات التي لا تحصى كثيرة

الضرب الثاني : الاقتباس . وهو أكثرهما وقوعاً في الكلام . وهو أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن فلا ينبه عليه كقول ابن نباتة السعدي في بعض خطبه : فيا أيها الغفلة المطرقون ، أما أنتم بهذا الحديث مصدقون ، مالكم لا تسمعون ، فو رب السماء والارض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ؛ وقوله : يوم يبعث الله العالمين خالقاً جديداً ، ويجعل الظالمين لدار جهنم وقوداً ، ثم تكونون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه امداً بعيداً ؛ وقول الحريري : فلم يك الا كالحج البصر أو هو أقرب ، حتى أنشد فأغرب . وقوله : أنا آتيكم بأريله ، وأميز صحيح القول من عليه ؛ وكقول الوزير ضياء الدين بن الاثير في ذم البخل : ومن بسط يده فيه ثم قبضها بخله فإنه يقف دون الرجال مغموراً ، ويقعد عن نيل المعالي محسوراً ، وإذا أدركته منيته مضي وكان لم يكن شيئاً مذكوراً ؛ وقوله في وصف كاتب : له بنت فكر ما تمخضت بمعنى الا نتجته من غير ما تمهله ، وأتت به قومه بما تمهله ، ولم يعرض على ملاء من البغاء الا ألقوا أقلامهم تستعيره لأبيهم يكفله ؛ وقال الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي من عهد اساطان : وخصك بانصار دينه الذين نهضوا بما امروا به من طاعتك وهم فارهون ، وقابوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون ، وقوله من عهد المنصور لاجين : وجعل عدوه وأن أعرض بجيوش الرعب

محصورا ، وكفاه بالنصر على الاعداء التوغل في سفك الدماء فلم يسرف في القتل انه كان منصورا ؛ وكما قلت في مقامة تتعاق بكتابة الانشاء : قلت ، قد بانت لي علومها ، فما رسومها ؛ قال ان اعباءها لباهظة حملا ، وانها لكبيرة إلا ، ولكن سأحدث لك مما سألت ذكرا ، وانبتك بما لم تحط به خبرا . الى غير ذلك من مواقع الاستشهاد .

قال في المثل السائر : والطريق في استنباط المعاني من القرآن الكريم واستعمال الآيات في خلال الكلام ان تعد الى سورة سورة من القرآن وتأخذ في تلاوتها ، وكما مر بك معني أثبتته في ورقة مفردة حتى تنتهي الى آخرها ؛ ثم تأخذ في استعمال تلك المعاني التي ظهرت وادخالها في خلال كلامك وكما عادت التلاوة وكررتها ظهر لك من المعاني ما لم يظهر لك في المرة التي قبلها حتى ان الآية الواحدة لتستعمل على عدة وجوه : فيورده الناثر الى معني ثم ينقله الى معني آخر كما وقع للوزير ضياء الدين ابن الاثير في قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام (اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) فقال في دعاءه في صدر كتاب : من الحضرة السامية أحسن الله أثرها ، وأعلى خطرها ، وقضى من العليا وطرها ، وأظهر على يديها آيات المكارم وسورها ، وأسجد لها كواكب السيادة وشمسها وقرها ؛ ثم ابرزه في معني آخر فقال : اكرم النعم ما كان فيه ذكرى للعابدين ، وتقدمه اني رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ؛ ثم نقله الى معني آخر فقال في تقليد يكتب من ديوان الخلافة : فيزدد اعجابا بما نالته موادل فدماه واينظر الى سجود الكواكب في يقظته لا في منامه

* (النوع السادس) *

مما يحتاج اليه الكاتب الاستكثار من حفظ الاحاديث النبوية على قائلها أفضل الصلاة والسلام والآثار المروية عن الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وخصوصا في السير والمغازي والأحكام ، وتأمل فصاحتها ، والظرف في معرفة معانيها وغريبها ، ووقفه . لا بد له من معرفته من أحكامها لينفق منها على سعته ، ويستشهد لكل شيء في موضعه ،

ويحتج بمكان الحجّة، ويستدل بموضع الدليل، ويتصرف عن علم بموضوع اللفظ ومعناه،
ويبنى كلامه على أصل لا يزلزل، ويسوق مقاصده الى سبيل لا يضل عنه؛ فإن الدليل
على المقصد اذا استند الى النص قويت فيه الحجّة، وسلم له الخصم، وأذعن له المعاند.
والفصاحة والبلاغة اذا طلبت غايتها فأنهما بعد كتاب الله تعالى في كلام من أوتي
جوامع الكلم وقال: انا أفصح من نطق بالضاد. وقد كان الصدر الأول من الصحابة
والتابعين رضي الله عنهم يحتجون بالحديث ويستدلون به في مواطن الخلاف والنزاع
فينقاد الجرح ويستسهل الصعب؛ وقد رجع الانصار يوم السقيفة الى حديث: (الائمة
من قریش) حيث رواه لهم ابو بكر الصديق رضي الله عنه وأذعنوا له بعد ما اجتمعوا
الى سعد بن عبادة وقالوا: منا أمير ومنكم أمير. ورجع عمر رضي الله عنه لحديث
الهمي عن دخول بلد فيه الطاعون فعاد الى المدينة بعد أن قارب الشام حين بلغه ان
به الطاعون وقال على رضي الله عنه في حق الانصار: لو زالوا لزلت بهم؛ لقول رسول
الله صلى الله عليه وسلم (أزول معكم حينما زاتم). إذا تقرر ذلك فقد ذكر ابن قتيبة في أدب
الكتاب ان الاحاديث التي ينبغي للكتاب حفظها هي الاحاديث المتعاقبة بالفقهاء واحكامه
كقوله صلى الله عليه وسلم: البيعة على المدعي واليمين على من انكر، والخراج بالضمان
وجرح العجاء جبار، والزعيم غارم، ولا وصية لوارث. الى غير ذلك من احاديث اخر
اوردها من هذا الباب. والتحقيق ان حاجة الكتاب لا تختص بأحاديث الأحكام
ودلائل الفقه بل تتعاقب بما هو اعم من ذلك خصوصا احاديث الحكم والأمثال والسير
وما اشبه ذلك مما يكثر الاستشهاد به والاقتباس من معانيه في فن الكتابة. قال في
المثل السائر: وينبغي ان يكون اول ما يحفظه من الاحاديث كتاب (الشهاب في المواعظ
والآداب) للقضاعي فإنه كتاب مختصر وجميع ما فيه من الاحاديث يدخل في الاستعمال
من حيث انه يتضمن حكما وآدابا، فإذا حفظته وتدربت باستعماله حصل عندك قوة على
التصرف والمعرفة بما يدخل في الاستعمال وما لا يدخل، وعند ذلك يتصفح صحيحى
البخارى ومسلم، والموطأ، وجامع الترمذى، وسنن ابى داود، والنسائى، وغيرها من كتب
الحديث؛ ويأخذ ما يحتاج اليه واهل مكة اخبر بشعابها. قال والذي تأخذه ان امكانك
درسه وحفظه فهو المراد؛ وإلا فعليك بمداومة المطالعة للاخبار والاكتار من استعمالها

في كلامك حتى ترتقم على خاطرك، فإذا احتجت منها الى شيء وجدته وسهل عليك ان تأتي به ارتجالاً . ثم قال : وأكثر الاحاديث تدخل في الاستعمال ولا يخرج عنه الا القليل النادر . وذكرا أنه امثحن في استعمال حديث : انه اختصم الى النبي صلى الله عليه وسلم في جنين فقضى على من أسقطه بغرة عبد أو أمة ، فقال في وصف كاتب بجمود الخاطر : واذا كشف خاطره وجد بايذا لا يخرج عن الكه والعمه ، وان رام ان يستنجه في حين من الاحيان قضى عليه بغرة عبد أو أمة .

ثم اعلم ان تضمين الكلام شيئاً من الاحاديث على ضربين : استشهاد واقتباس كما تقدم في القرآن الكريم . فأما الاستشهاد فهو ان يضمن الكلام شيئاً من الاحاديث وينبه عليه كقول ابي اسحاق الصابي في وصية عن خليفة لسلطان : وان تقوم بما يعقده الرجل من عرض المسلمين ، فان ذمته ذمة جميع المؤمنين ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المسلمون يسعون بذمتهم أدناهم . وهم يد على من سواهم ؛ وكقوله في حفظ اللقطة من قضية عهد آخر : فإذا حضر صاحبها ، وعلم انه مستوجبها ، سلمت اليه ، ولم يعترض فيها عليه ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضالة المؤمن من حرق النار . الى غير ذلك من الاستشهادات الواقعة في كلامه وكلام غيره

واما الاقتباس فهو ان يضمن الكلام شيئاً من الحديث ولا ينبه عليه كقول الحريري في بعض مقاماته : وكتان الفقير زهادة ، وانتظار الفرج بالصبر عبادة ؛ وقوله : شأهت الوجوه ، وقبح اللكم ومن يرجوه . وقد أكثر الوزير ضياء الدين بن الاثير من هذا الوجه واتى منه بما نقف دونه الافكار كقوله في دعاء كتاب : اعاذ الله ايامه من الغير ، وبين بخطر مجده نقص كل خطر ، وجعل ذكره زاداً لكل ركب وانساً لكل سمر ، ومنحه من فضله . الا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر : أخذ من قوله صلى الله عليه وسلم في وصف الجنة : فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ؛ وقوله في النصر على العدو : اخذنا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في النصر الذي نرجوه ، وثرنا في وجه العدو كفاً من التراب وقنا شأهت الوجوه ، فثبت الله ما تزايل من أقدامنا ، واقدم حيزوم فأغنى عن إقدامنا . أخذ الاول من حديث نزوة حنين : ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ قبضة من

تراب والتي بها في وجوه الكفار وقال : شأهت الوجوه : واخذ الثاني من حديث غزوة بدر: ان رجلا من المسلمين اراد ان يضرب رجلا من المشركين فخر بين يديه ميتا قبل ان يصل اليه وسمع صوتا من فوقه يقول : اقدم خيزوم ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : ذلك من مدد السماء الثالثة . وكما قلت في رسالة في المفاخرة بين السيف والقلم : فقال القلم بسم الله تعالى استفتح ، وبحمده اتيمن واستنجد ، اذ من شأني الكتابة ، ومن في الخطابة ، وكل امر ذى بال لا يبدأ فيه باسم الله تعالى فهو أجذم ، وكل كلام لا يفتح بحمده فأساسه غير محكم ، ورداؤه غير معلم... اخذ من قوله صلى الله عليه وسلم : كل امر ذى بال لا يبدأ فيه باسم الله وبحمد الله فهو اجذم الى غير ذلك مما يجرى هذا الجرى

﴿ النوع السابع ﴾

مما يحتاج اليه الكاتب الاكثر من حفظ خطب البغاء والتفنن في اساليب الخطباء . قال ابو جعفر النحاس في صناعة الكتاب : وهي من آكد ما يحتاج اليه الكاتب وذلك ان الخطب من مستودعات سر البلاغة ومجامع الحكم : بها تفاخرت العرب في مشاهدهم ، وبها نطقت الخلفاء والامراء على منابرهم ، بها يتميز الكلام ، وبها يخاطب الخاص والعام ، وعلى منوال الخطابة نسجت الكتابة ، وعلى طريق الخطباء مشيت الكتاب . وقد قال ابو هلال العسكري رحمه الله في الصناعتين : والرسائل والخطب متشاكلتان في انهما كلام لا يباحقه وزن ولا تقفية ؛ وقد يتشاكلان ايضا من جهة الالفاظ والفواصل ، فالفاظ الخطب تشبه الفاظ الكتابة في السهولة والعدوابة ، وكذلك فواصل الخطب مثل فواصل الرسائل ؛ قال والفرق بينهما ان الخطبة يشافه بها بخلاف الرسالة ، والرسالة تجعل خطبة والخطبة تجعل رسالة في ايسر كلفة . وقد كان للعرب بالخطب والثر غاية الاعتناء حتى قال صاحب الريحان والريهان : ان ما تكلمت به العرب من اهل المدر والوبر من جيد المنثور ومزدوج الكلام اكثر مما تكلمت به من الموزون، إلا انه لم يحفظ من المنثور عشرة ولا ضاع من المنظوم عشرة لان الخطيب انما كان يخطب في المقام الذي يقوم فيه في مشافهة الملوك والحملات او الاصلاح بين العشائر

او خطبة النكاح، فاذا اتقضى المقام حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، بخلاف الشعر فانه لا يضيع منه بيت واحد. قال ولولا ان خطبة قس بن ساعدة كان سندها مما يتنافسه الانام وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي رواها عنه فأطارذكرها ما تميزت مما سواها: ثم جاء الاسلام فرفع أمر الخطب وعظم شأنها. فأما خطب العرب في الجاهلية فأشهرها ذكرا وأرفعها فدرا خطبة قس بن ساعدة الآيادي التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بسماعها منه يخطب بها الناس بسوق عكاظ وهي :

« أيها الناس، اسمعوا وعوا : من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت . ايل داج ؛ ونهار ساج ، وسما ذات أبراج ، ونجوم تزه ، وبحار تذخر ، وجبال مرسة ، وأرض مدحاة ، وأنهار مجرة ؛ ان في السماء لحبرا ، وان في الارض لبعرا ، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا فأقاموا ، أم تركوا فناموا ! يقسم قس بالله قسما لا اثم فيه ان الله دينا هو ارضي له وأفضل من دينكم الذي انتم عليه ، انكم لتأتون من الأمر منكرا ! »

واما خطب الاسلام فأعظمها شأننا وأفصحها مقالا وأبلغها معنى خطب النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم خطب الخلفاء الراشدين من بعده . فمن خطب النبي صلى الله عليه وسلم من رواية انس بن مالك رضى الله عنه :

« أيها الناس ، كأن الموت على غيرنا قد كتب ، وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب ، وكأن الذين نشيع من الأموات سفر عما قليل اليناراجعون ، نبوتهم أجداتهم وناكل من تراهم كأننا مخلصون بعدهم ، ونسينا كل واعظة ، وأمنا كل جائحة . طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس : طوبى لمن أنفق مالا اكتسبه من غير معصية ، وجالس اهل الفقه والحكمة ، وخالط اهل الذل والمسكنة ؛ طوبى لمن زكت وحسنت خليقته ، وطابت سريرته ، وعزل عن الناس شره : طوبى ان أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، ووسعته السنة ، ولم تستهوه البدعة »

ومن خطب ابي بكر الصديق رضى الله عنه خطبته يوم السقيفة حين اجتمع الأنصار الى سعد بن عبادة وقالوا للمهاجرين : منا أمير ومنكم أمير

« إن الله جل ثناؤه بعث محمدا بالهدى ودين الحق ، فدعا الى الاسلام ، فأخذ

الله تعالى بنواصينا وقلوبنا الى مادعانا اليه ، فكناه مشر المهاجرين أول الناس إسلاما والناس لنا فيه تبع ؛ ونحن عشيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن مع ذلك أوسط العرب انسابا ليست قبيلة من العرب الا لقريش فيها ولادة . وأنتم أنصار الله الذين آووا ونصروا ، وأنتم وزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنتم اخواننا في كتاب الله ، وشركاؤنا في دين الله وفيما كنا فيه من شر أو خير ، وأنتم أحب الناس الينا واكرمهم علينا ، وأحق الناس بقضاء الله والتسليم لأوامر الله بما ساق الله لاختوانكم المهاجرين ، وأحق الناس ان لا تحسدوهم وأنتم المؤثرون على انفسكم في الخصاصة ؛ وإنما دعوتكم الى أبي عبيدة أو عمر فكلاهما قد رضيت لذلك الامر »

الى غير ذلك من خطبهم التي لا تحصى كثرة مما قد ذكرت الكثير منها في الأصل . فإذا أكثر صاحب هذه الصناعة من حفظ الخطب البليغة وعلم مقاصد الخطابة وموارد الفصاحة ، ومواقع البلاغة ، اتسع له مجال الكلام وفاض على لسانه في وقت الحاجة ما كمن من ذلك بين ضلوعه فأورده في ثره ، وضمنه في رسائله ، فاستغنى عن شغل الفكر في استنباط المعاني البليغة والألفاظ الفصيحة التي لا تنهض فكرته بمثلها ولو جهد ، ولا يسمح خاطره بتظيرها ولو دأب . ألا ترى الى خطبة الصديق رضى الله عنه السابقة لو أراد مرید أن يوردها في صورة كتاب في ذلك المعنى لساغ . على أن الخطب جزء من اجزاء الكتابة ونوع من أنواعها يحتاج اليها الكاتب في صدور بعض المكاتبات وفي البيعات والعهود والتقايد والتفاويض وكبار التواقيع والمراسيم والمناشير على ما سيأتي بيانه في مواضعه ان شاء الله تعالى

﴿ النوع الثامن ﴾

مما يحتاج اليه الكاتب حفظ جانب جيد من مكاتبات الصدر الأول ، واطيف مخاطباتهم ومحاوراتهم ومراجعاتهم ، وما ادعاه كل منهم لنفسه اولقومه ، وما تقضه عليه خصمه ، لما في ذلك من معرفة الوقائع بنظائرها ، وتلقى الحوادث بما شاكلها ، والاقتران بطريقة من أفلح منهم على خصمه ؛ واقتفاء أثر من اضطر الى عذر واثبات دعوى أو ابطالها فيلحن بحجته ويخلص باطيف ما أخذه ودقة مسلكه وحسن عبارته . فاهام مكاتباتهم

ففيها ما كتب به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهما إلى ابن عباس رضي الله عنهما
« أما بعد فإن المرء ليسره درك ما لم يكن ليحرمه ، ويسره فوت ما لم يكن ليتركه ؛
ولكن سرورك بما قدمت من أجر أو منطلق وليكن أسفك فيما فرطت فيه من ذلك ؛
وانظر ما فاتك من أمور الدنيا فلا تكثر عليها جزعا ، وما نالت منها فلا تنعم به فرحا ؛
وليكن همك لما بعد الموت »

ومن ذلك ما حكاه الزبير بن بكار أن معاوية قال لعمر بن العاص : إن رأس الناس
مع علي بن عباس فلو ألقيت إليه كتابا يرققه ، فإنه إن قال قولا لم يخرج عنه علي ،
وقد أكلتنا هذه الحروب . فكتب إلى ابن عباس كتابا منه :

« أما بعد فإن الذي نحن وأنتم فيه ليس بأول أمر قاده البلاء ، وأنت رأس الناس
بعد علي فأنظر في هذا الأمر بعين ماضى فوالله ما بقت هذه الحروب لنا وإكم حياة .
واعلم إن الشام لا يملك إلا بهلاك العراق ، وإن العراق لا يملك إلا بهلاك الشام ؛ فآخبرنا
بعد أعدادنا فيكم ، وما خبركم بعد أعدادكم فينا ؟ ولسنا نقول : ليت الحرب عادت
إلينا ، ولكننا نقول : ليتها لم تكن . وإن فينا من يكره اللقاء كما إن فيكم من يكرهه ، وإنما
هو أمر مطاع ، أو مأمور مطيع ، أو مشاور مأمون وهو أنت »
ثم بعثه إليه فأقرأ ابن عباس عليا الكتاب ، فقال : أجبه . فكتب إليه ابن
عباس جوابا منه :

« أما بعد ، فأني لأعلم أحدا من العرب أقل حياء منك : مال بك إلى معاوية
الموى ، وبعثه دينك بالخطر اليسير ، ثم خبطت الناس في طحياء طمعا في هذا الملك
فلما لم تر شيئا أعظمت الدماء أعظام أهل الدين ، وأظهرت فيها نزاهة أهل الورع لا تريد
بذلك إلا أنك تهيبت الحرب . فإن كنت تريد الله بذلك فدع مصر وارجع إلى
بيتك : فإن هذه الحرب ليس علي فيها كماوية : بدأها علي بالحق ، وانتهى فيها إلى
العدو . وبدأها معاوية بالظلم ، وانتهى فيها إلى السرف »
ومن ذلك أن معاوية كتب إلى علي في كتاب :

« أما بعد فإنك لكل الخلفاء حسدت ، وعلي كلهم بغيت » فاجابه علي : « لم يكن
الجنابة عليك ، حتى تكون المعدرة إليك »

ومن ذلك ان محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط كتب الى جعفر المنصور كتابا منه : « فأنا أوسط بنى هاشم نسبا ، وخيرهم أما وأباً ، لم تلدني المعجم ، ولم تعرق في أمهات الاولاد ؛ وان الله عز وجل لم يزل يختار لنا فولدني من النبيين أفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم » . فأجابه المنصور : « وأما قولك انه لم تلدك المعجم ولم تعرق فيك أمهات الاولاد ، فقد رأيتك فخرت على بنى هاشم طرا وقدمت نفسك على من هو خير منك أولا وآخرأ ، وأصلا وفصلا : فخرت على ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى والد ولده ، فانظر ويحك اين تكون من الله تعالى غداً : وما ولد فيكم مولود بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من علي ابن الحسين وهو لأم ولد . وأما ما ذكرت من انك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل قد ابى ذلك فقال : ما كان محمد أباً احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ؛ ولكنكم قرابة » واما محاوراتهم ومراجعاتهم فمن ذلك ان معاوية حج فاستدعى بامرأة من بنى كنانة يقال لها « الدارمية » وكانت سوداء كثيرة اللحم ، فقال لها : ما حالك يا ابنة حام ؟ فقالت : لست لحام ادعي ان عبتني فأنا امرأة من بنى كنانة . قال : صدقت ؛ اتدرين لم استدعيتك ؟ قالت : لا يعلم الغيب الا الله . قال : استدعيتك لاسألك علام احببت عليا وابغضتيني وواليتيه وعاديتيني ؟ قالت : أو تعفيني يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا أعفئك . قالت : أما إذ أبيت فأني أحببت عليا على عدله في الرعية وقسمه بالسوية ، وابغضتك على قتالك من هو أولى بالأمر منك وطلبك ما ليس لك بحق ، وواليت علياً على ما عهد له من الولاية وعلى حبه الماسكين وإعظامه لأمر الدين ، وعاديتك على سفك الدماء ، وجورك في القضا ، وحكمك بالهوى . قال : ولذلك انتفخ بطبك ، وعظم ثدياك ، وربت عجزتك . قالت : يا هذا ، بهند كانت تضرب الأمثال لابني . قال : يا هذه ، اربى فأنا لم نقل الا خيراً : انه اذا انتفخ بطن المرأة تم خاق ولدها ، وإذا عظم ثدياها ارتوى رضيعها ، واذا ربت عجيزتها رزن مجاسها . فسكنت . قال : فهل رايت عليا ؟ قالت : اقد كنت رايته . قال : كيف رأيتيه ؟ قالت : رأيتيه لم يفتنه الملك الذي فتنك ، ولم نشغله النعمة التي شغلتك . قال : فهل سمعت كلامه ؟ قالت : نعم ، والله كان يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت الطيب من الصيدا . قال .

صدقيت ، فهل لك من حاجة . قالت : او تفعل اذا سألتك ؟ قال : نعم . قالت :
تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيتها . قال : تصنعين بها ماذا ؟ قالت : اغذى
بالبانها الصغار ، وأستحيي بها الكبار ، واصاح بها بين العشائر . قال : فأنا اعطيتك
ذلك فهل احل عندك محل علي ؟ قالت : ماء ولا كصداء ، ومرعى ولا كالسعدان ،
وفى ولا كالك . فأمر اذا بطلبها وانشد

اذا لم اعد بالحلم مني اليكم فمن ذا الذي بعدى يؤمل للحلم
خذيها هنيئاً واذ كرى فعل ماجد جزاك على حرب المداوة بالسلم

ثم قال : اما والله لو كان علياً ما اعطاك منها شيئاً قالت : والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين
ومن ذلك ما حكاه صاحب العقدة ان المنصور خطب فحمد الله واثى عليه ثم قال
ايها الناس ، اتقوا الله . . . ققام اليه رجل من عرض الناس فقال : اذكرك الذي ذكرتنا
به . فأجابه المنصور بلا فكر ولا روية : سمعاً سمعاً لمن ذكر بالله ، واعوذ بالله ان
اذكرك به وانسأه فتأخذني العزة بالأثم ، لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين . واما
انت فوالله ما الله اردت بهذا ، ولكن ليقال : قام ، فقال ، فعوقب ، فصبر : واهون
بها لو كانت . وانا انذركم ايها الناس احتما ، فأنا الموعظة علينا نرات ، ومنا انبشت .
ثم رجع الى مكانه من الخطبة

ومن ذلك ما يحكى عن الربيع انه قال : كنا وقوفاً على راس المنصور وقد وضع
لابنه المهدي ولي عهده وسادة اذ اقبل صالح ابنه الثاني ، وكان قد رشحه ان يوليه بعض
امره ، فقام بين السماطين والناس على قدر انسابهم ونازلهم فتكلم فأجاد فمد المنصور
يده اليه ثم قال : الى يا بني ! فاعتنقه ، ونظر في وجوه اصحابه فقال : هل احد يذكر
مقامه ، ويصف فضله ؟ فكلمهم كره ذلك هيئة للمهدي . فقام شبة بن عقال التميمي
فقال : لله در خطيب قام عندك يا امير المؤمنين ! ما افصح اسأه ، واحسن بيانه ، وأمضى
جنانه ، وأبل ريقه ، واسهل طريقة ، وكيف لا يكون كذلك وامير المؤمنين ابوه
والمهدي اخوه ، وهو كما قال زهير بن ابي سامي

يطلب شأواً رأين قدما حسنا بد الملوك وبنا هذه السوقا
هو الجواد فان يالحق بشأوها على تكاليفه فمشاه لحقا

او يسبقاه علي ما كان من مهلي فمثل ما قدما من صالح سبقا .
قال الربيع فأقبل علي بعض من حضر وقال : والله ما رايت مثل هذا محاجياً :
ارضى امير المؤمنين ، ومدح الغلام ، وسلم من المهدي : فالتفت الى المنصور وقال : ياربيع
لا ينصرف التميمي الا بثلاثين الف درهم

ويحكى ان رجلا دخل على المهدي ولي عهد المنصور فقال . يا امير المؤمنين ان
امير المؤمنين المنصور شتمني وقذف امي ؛ فأما امرتني ان احلله ، واما عوضتي فاستغفرت
له . قال : ولم شتمك ؟ قال : شتمت عدوه بحضرته فغضب ، فقال : ومن عدوه الذي
غضب اشتمه ؟ قال : ابراهيم بن عبد الله بن حسن . قال : ان ابراهيم أمس به رحماً ،
واوجب عليه حقاً : فان كان شتمك كما زعمت فمن رحمه ذب ، وعن عرضه دفع ؛ وما
اساء من انتصر لابن عمه . قال : انه كان عدواً له . قال : فلم ينتصر للعداوة ، وانما
انتصر للرحم . فأسكت الرجل . فلما ذهب ليولي قال : لعلك اردت امرأ قلم تجد
له ذريعة عندك ابلغ من هذه الدعوى . قال : نعم . فتبسم وامر له بخمسة آلاف درهم
ومن أطف مخاطباتهم ما حكى ان وفود العرب وفدت على هشام بن عبد الملك
يشكون جذب الحجاز فقال أصغرهم سناً : يا امير المؤمنين اصابتنا سنون ثلاثة : احداها
اذا ابت الشحم ، والثانية اكلت اللحم ، والثالثة ابلت العظم ، وفي ايديكم فضول اموال :
فإن كانت من مال الله فأنفقوا في عباد الله ، وان كانت لهم فردوا فيهم من مالهم .
وان كانت اكم فتصدقوا عليهم فان الله يجزي المتصدقين . قال هشام : لله دره لم
يترك لنا في واحد عذراً

وحكى ان عبد العزى بن زرارة وفد على معاوية وهو سيد اهل الوبر . فلما اذن له
وقف بين يديه وقال : يا امير المؤمنين لم ازل اهز ذوائب الرجاء اليك ، ولم اجد
معولا الاعليك ، أم تعطي الليل بعد النهار ، وأسم المجاهل بالآثار ، يقودني اليك امل ،
ويسوقني اليك بلوى ، والمجتهد يمذر ، واذا بلغتك فقط (١) فقال معاوية : فاحطط عن
راحلتك وخاها (٢) وخرج عبد العزى هذا مع يزيد بن معاوية الى المصائد وابوه زرارة

(١) لعله يريد : واذا بلغتك فحسبي وكفي ، فان قط بمعنى حسب : وقد أهلها
الضوء ووقف بالكلام عند قوله : واذا بلغتك ، وأبناها الصبح (٢) في الصبح : رحلها

عند معاوية فهلك هنالك؛ فكتب يزيد الى ابيه معاوية بذلك . فقال معاوية لزرارة :
 اتانى اليوم نعى سيد شباب العرب . فقال : زرارة يا امير المؤمنين هو ابني او ابنك .
 قال : بل ابنك . فقال : للموت ما تلد الوالدة .

قال في حسن التوسل : فالنظر في هذا وامثاله ، والحفظ منه ، والاكثر من
 مطالعته مما يشهد القرائح ، ويفتح الازهان ويرتسم في الخواطر ، ويمكن في الافكار
 حتى يفيض منه ما فاض على اسان القلم ويبدو اكل واقعة منوال ينسج عليه ومثال
 ينظر في نظائره اليه

﴿ النوع التاسع ﴾

ما يحتاج اليه الكاتب الاستكثار من حفظ الاشعار التي هي مادة الكتابة التالية
 بعد القرآن الكريم والاحاديث النبوية على قائلها افضل الصلاة والسلام خصوصا اشعار
 العرب وما توفرت ذراعي العلماء على اختياره كالحجاسة ، والمفضليات ، والاصعيات ،
 وديوان هذيل ، والمعلقات السبع وما اشبه ذلك ، وفهم معانيها ، واستكشاف غوامضها ،
 والتوفر على مطالعة شروحها . ويلحق بذلك شعر المولدين من العرب وهم الذين كانوا
 في اول الاسلام كجرير ، والفرزدق ، والاخلط ، وغيرهم ؛ وكذلك حفظ جانب جيد من
 شعر المفاقيين من المحدثين كأبي تمام ، ومسلم بن الوليد ، والبحترى ، وابن الرومي والمتنبى ؛
 ومهرة المتأخرين كالواو الدمشقي ، والبها زهير ، وابن النبيه ، وابن شمس الخالقة ، وهن
 جرى مجراهم .

اما شعر العرب والمولدين فلهذا في ذلك من غزارة المواد ، وصحة الاستشهاد ، وكثرة
 النقل ، وصقل مرآة العقل ، واتزاع الأمثال ، والاحتذاء في اختراع المعاني على اصح
 مثال ، والاطلاع على اصول اللغة وشواهدا ، والاضطلاع من نوادر العربية وشواردها .
 وقد كان الصدر الاول يعتنون بذلك غاية الاعتناء حتى ان امير المؤمنين عمر رضي الله
 عنه كان يقدم زهير بن ابي سلمى في الشعر فقيلا له : بم استحق ذلك عندك . قال : لم
 يكن يعاضل بين القول ، ولا يتبع حوشي الكلام ، ولا يصف الرجل الا بما يكون في الرجال .
 ويذكر عن الامام الشافعي او غيره من الائمة أنه كان يحفظ ديوان هذيل . فلا يخفى

أن شعر العرب هو ديوان أدبهم ومستودع حكمهم وأنفس علومهم في الجاهلية : بة
يفتخرون واليه يحتكمون . فإذا أكثر الكاتب من حفظه وفهم معانيه غنرت لديه المواد
وترادفت عليه المعاني وتوالت على فكره

وأما شعر المحدثين فلاطف مأخذهم ، ودوران الصناعة في كلامهم ، وقرب أسلوبهم
من أسلوب الخطابة والكتابة لا سيما المتنبي الذي كأنه ينطق على ألسنة الناس في
محاوراتهم وكثر الاستشهاد بشعره حتى قل من يجمله واكتفى بالبيت الواحد من شعره
في الدلالة على المقصد وبلوغ الغرض . أما قول الشافعي رضي الله عنه :

ولولا الشعر بالعلماء يزرى لكنت اليوم أشعر من لييد

فأنه يريد صرف الهممة الى الشعر بحيث يصير شأن الانسان ودينه والى ذلك
الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : لأن يملأ أحدكم جوفه قبحاً خيراً من أن يملأه شعراً .
والا فقد قال صلى الله عليه وسلم : ان من الشعر لحكمة . وكان عمر رضي الله عنه يسمع
البيت فيعجبه فيكرره مرات كما ذكره الجاحظ وغيره

واعلم أن للكاتب في استعمال الشعر ثلاث طرق : الطريق الاول . الاستشهاد : وهو
أن يورد البيت من الشعر او البيتين أو أكثر في خلال الكلام المنشور مطابقا لمعنى
ما تقدم من النثر ولا يعتبر فيه ان ينبه عليه بقوله : قال ، ونحوه كما يعتبر ذلك في الاستشهاد
بالقرآن الكريم والاحاديث النبوية على ما تقدم . فان الشعر يتميز بوزنه وصيغته عن
غيره من أنواع الكلام فلا يحتاج الى التنبيه عايه كما كتب القاضي الفاضل في صدر
كتاب الى بعض اخوانه يتشوق اليه :

« فيارب ان البين اضحت صروفه على ومالى من معين فكن معي

على قرب عذالى وبعد احبتي وامواه اجفانى ونيران اضلعي

هذه تحية القاب العذب ، وسريرة الصبر المذبذب ، وظلامه عزم السلو المكذب ،
اصدرها للمجلس وقد وقد في 'لحشا' ارها الرفير اوارها ، والدموع شرارها ، والشوق
آثارها ، وفي الفؤاد ثارها

لورارنى منكم خيال هاجر لهدته في ظلماته انرارها

أسفا على ايام الاجتماع التي كانت هـ اسم الـ سرور والاسرار ، وهـ باسم النور

والاوطار ، وتذكر الاوقات عذب مذاقها ، وامتد بالانس رواقها ، وزوجت بكرها ،
وروجت ذكرها

والله مانسيت نفسي حلاوتها فكيف اذكر انى اليوم اذكرها «
الطريق الثانى : التضمين ، وهو أن يضمن البيت او نصفه لبعض القرينة كما كتب
القاضى الفاضل :

« وصل من الحضرة

كتاب به ماء الحياة وتقع السحيا فكأنى اذ ظفرت به الخضر
فوقفت عنده منه على

عقود هي الدر الذى انت بحره وذلك مالا يدعي مثله البحر
ورتمت منه في

رياض يد تجني وعين وخاطر تسابق فيه النور والزهر والشمر
وكرعت منه في حياض

تسر مجانيتها اذا ما جنى الظما وتروى مجاريها اذا بخل القطر «
وأما تضمين نصف البيت فكما كتب القاضى الفاضل :

« وصل كتاب مولاي بعد ما « أجاب المنادى للصلاة فأعتما » ، فلما استقر لدى
« تجلى الذى من جانب البدر أظلاما » ، فقرأه « بين اذ استمطرتها امطرت دما »

وربما ركب القرينة الكاهنة على البيت او نصف البيت كما كتب به القاضى الفاضل أيضا :
ورد كتاب الحضرة بعد أن عدت الليالى لطلوع صديعه (١) « وقد عشت دهرًا

لأعد اللياليا » ، وبعد ان انتظرت القيظ والشتاء افصل ربيعه ، « فما للنوى ترمى بليلى
المراميا » ، واستروحت الى نسيم سحره ، « اذا الصيف ألقى فى الديار المراسيا » ، وهددت
يدى لاقتطاف ثمره ، « فله ما أحلى وأحى المجانبا » . . .

وربما ركب نصف البيت على نصف القرينة كما ذكرت فى المفاخرة بين السيف
واقلم على لسان السيف فى مخاطبته للقلم ؛ فقلت : « . . . لكنى قد نلت من هذه الرتبة
أسنى المقاصد ، وشهدت معه من الوقائع ما لم تشاهد ، وحلانى من كفه شرفا لا يزول

(١) الصديع : الصبح ، وقبل : الفجر لانصداعه أو لأنه بصدع اللبل بمعنى يشمه

حليه أبداً، وقت بنصره في كل معترك « فسل حينئذ وسل بدرًا وسل أحدًا »
 وقد يضمن الكاتب بعض القرينة نصف بيت ثم يستطرد ليذكر آياتا كاملة الأجزاء
 على نمط أنصاف الآيات التي يوردها كما كتب الشيخ ضياء الدين أحمد بن عمر القرطبي
 في كتاب كتب به من قتي من الصعيد بمصر الى الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد
 بالقاهرة في جواب مكاتبة . منه :

وينهى ورود عذرائه التي لها « الشمس خدن والنجوم ولائد » ، وحسنائه التي
 « لها الدر لفظ والدراري قلائد » ، ومشرفته التي « لها من براهين البيان شواهد » ،
 وكريمته التي « لها الفضل ورد والمعالى موارد » ، وبديعته التي « لها بين أحشائي
 وقلبي معاهد »

وآيتها الكبرى التي دل فضلها على أن من لم يشهد الفضل جاحد
 وأنتك سيف سله الله للهدى وليس لسيف سله الله غامد
 وقد يخالف بين قوافي أنصاف الآيات الممزوجة ببعض القرائن كما يخالف بين فواصل
 القرائن كما كتب البديع الهمداني :

أنا لقرب دار مولاي « كما طرب النشوان مالت به الخمر » ، ومن الارتياح الى
 لقاءه « كما انتفض العصفور بلله انقطر » ، ومن الامتزاج بولائه « كما التقت الصبياء
 والبارد العذب » ، ومن الاتهام بزمزارة « كما اهتزت تحت البارح الغصن الرطب » . . .
 الى غير ذلك من فنون الامتزاج التي يزوج فيها بين المشور والمظوم . واعلم أنه ربما قام
 البيت الواحد مقام الكتاب البليغ من الكتابة به كما كتب بعض كتاب الخلفاء عن
 الحايفة بالانذار والحث على الطاعة :

أناة فأن لم تجد عتب بعدها وعيد فأن لم يجد أجدت عزائه
 وكما كتب بعض ملوك العرب الى من كرر كتبه ورسله اليه بقول المتنبى
 ولا كتب الا المشرفية عنده ولا رسل الا الخنيس العرموم
 الطريق الثالث : الحُل . وهو أن يعتمد الكاتب الى الآيات من الشعر ذوات
 المعاني البديعة فيحاطها من عقد الشعر ويسبكها في كلامه المنثور . قال في الریحان والريمان : وهو
 شأن حذاق الكتاب في زماننا ، وفيه من الجمال فنون . وقال في المثل السائر : وإنما جعل

المنظوم مادة المنشور بخلاف العكس لان الاشعار اكثر والمعاني فيها أغزر . قال : وسبب ذلك ان العرب الذين هم أصل الفصاحة كان جل كلامهم الشعر فلا يوجد المنشور في كلامهم الايسرا ، وان كثرة فأنه لم ينقل عنهم ؛ وقد اودعوا أشعارهم كل المعاني كما قال تعالى : « ألم تر أنهم في كل واد يهيمون » . ثم جاء الطراز الاول من المحضرمين فلم يكن لهم الا الشعر ، واستمر الحال على ذلك فكان الشعر هو الاكثر والمنشور بالنسبة اليه قطرة من بحر . قال في الريحان والريمان : وأول من فك رقاب الشعر ومرح مقيده الى النثر عبد الحميد الاكبر كاتب بنى أمية الى انقضاء خلافهم . قال : وربما رآه غير المطبوع المتصرف فعقده وأفسده كما قيل : وبعضهم يحل فيعقد قال في حسن التوسل : والحل باب يتسع على المجيد بمجاليه ، وتتصرف في كلام العارف رويته وارتجاله . قال : وكيفية الحل ان يتوخى البيت المنظوم ويحل فرائده من سلكه ، ثم يرتب تلك الفرائد وما يشابهها ترتيب متمكن لم يحصره الوزن ولا اضطرته القافية ويبرزها في أحسن سلك ، وأجل قالب وأصح سبك ، ويكملها بما يناسب من أنواع البديع إذا أمكن من غير كلفة ، ويتخير لها القرائن ؛ واذا تم له المعنى المحلول في قرينة واحدة فيضيف له من حاصل فكره او من ذخيرة حفظه ما يناسبه ؛ وله أن ينقل المعنى إذا لم يفسده الى ما شاء : فان كان نسيبا وتأتي له ان يجعله مديحا فيفعل ، وكذلك غيره من الانواع ؛ واذا أراد الحل بالمعنى فلتكن الفاظه مناسبة لالفاظ البيت المحلول غير قاصرة عنها ، فتي قصرت ولو بلفظة واحدة فسد ذلك الحل وعد معييا ؛ واذا حل اللفظ فلا يتصرف بتقديم ولا تأخير ولا تبديل الا مع مراعاة تدبير الفصاحة واجتباب ما ينتص المعنى . قال : وهذا الباب لا تنحصر المقاصد فيه ولا حجب على التصرف فيه واعلم ان حل الايات الشعرية واستعمالها في النثر على ثلاثة اصناف :

الاصناف الثلاثة

(أن يأخذ الناثر البيت من الشعر فينتزعه بلفظه وهو أدنى مراتب الحل)

قال في المثل السائر وهو عيب فاحش اذا لم يزد في نثره على أنه أزال رونق الوزن وطلاوة الظم لا غير . قال : ومثله كمن أخذ عقدا قد اتقن نغمه وأحسن تأليفه

فأوهاه و بدده ، وكان يقوم عذره في ذلك لو نقله عن كونه عقدا الى صورة أخرى مثله او احسن منه ؛ وايضا فانه اذ نثر الشعر بلفظه كان صاحبه مشهور السرقة فيقال : هذا شعر فلان بعينه ؛ لكون الفاظه باقية لم يتغير منها شيء . وبالجملة فنثر الشعر بلفظه لا يخرج عن حالين :

الحال الاول -- ان يكون الشعر مما يمكن حله بتقديم بعض الفاظه وتأخير بعضها . وله في ذلك طريقان

الطريق الاول -- ان يحله بالتقديم والتأخير من غير زيادة في لفظه كما ذكر صاحب الصناعتين عن بعض الكتاب انه حل قول البحترى :

أطل جفوة الدنيا وتهوين شأنها فما الغافل المغرور فيها بعامل
يرجى الخلود معشر ضل سعيهم ودون الذي يرجون غول الغوائل
اذا ما حريز القوم بات وماله من الله واق فهو بادي المقاتل

فقال في نثرها : اطل تهوين شأن الدنيا وجفوتها فما المغرور الغافل فيها بعامل ، ويرجو معشر ضل سعيهم الخلود وغول الغوائل دون ما يرجون ، واذا بات حريز القوم وماله واق من الله فهو بادي المقاتل . فلم يزد في أفاظها شيئا

الطريق الثاني -- ان يحله بزيادة على لفظه كما حكى الجاحظ عن قايب المعتزلى انه سمع منشدًا ينشد للمتنبي :

أقلت بطالته وراجعه حلم وأعقبه الهوى ندما
أني عليه الدهر كلكاه وأعاره الاقتار والعدما
فاذا ألم به اخوة ثقة غض الجفون ومجج الكلمما

فنثرها فقال يستعطف بعض الملوك علي رجل من اهله : جماني الله فذاك ايس هو اليوم كما كان . انه وحياتك أفت بطالته ، اى والله وراجعه حله ، وأعقبه وحقك الهوى ندما . أخنى الدهر عليه بكلكاه فهو اليوم اذا رأى أخا ثقة غض بصره ومجج كلامه . . . فزاد في نثره أفاظا على أفاظ الشعر

الحال الثاني -- ان يكون الشعر مما لا يمكن حله بتقديم بعض أفاظه وتأخير بعضها فيحتاج في نثره الى الزيادة فيه والنقص منه حتى يستقيم كقول الشاعر :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم
فإن المصراع الثاني من البيت لا يمكن حله بالتقديم والتأخير وإنما ينحل بزيادة
وتغيير بخلاف المصراع الاول فإنه يمكن حله بالتقديم والتأخير لأنك تقول فيه : فؤاد
الفتى نصف واسانه نصف؛ ولا يمكن ذلك في المصراع الثاني حتى يزيد فيه او ينقص
فيقول مثلا : فؤاد الفتى نصف واسانه نصف ، كما تقدم ، ثم يقول : وصورته من اللحم
والدم فضلة لا غنى بها دونهما ولا معول عليهما الا معهما . قال في الصناعتين : وزيادة
الألفاظ التي تحصل فيه ليست بضائرة لأن بسط الألفاظ في انواع المنثور سائغ . ألا
ترى انها تحتاج الى الازدواج ، ومن الازدواج ما يكون بتكرير كلمتين لهما معنى واحد
وايس ذلك بقبیح الا إذا اتفق لفظاهما : الا أن أكثر ما يحسن فيه ايراد المعنى
على غاية ما يمكن من الایجاز . ومعنى قوله : فلم يبق الا صورة اللحم والدم ، داخل في
قوله : لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ، والمصراع الثاني تذييل للأول . قال :
فإذا أردت ان تحله - لامقتصر ابغير افظه قلت : الانسان شطران اسان وجنان

﴿ الصنف الثاني ﴾

(وهو أعلى من الصنف الاول ، أن ينثر المنظوم ببعض الفاظه ويأتي عن البعض
بألفاظ آخر ، ويحسن ذلك في حالتين) :
الحالة الاولى - ان يكون في الشعر ألفاظ لا يقوم غيرها من الالفاظ مقامها بأن
تكون مثلا سائرا ، أو جارية مجرى المتل كقول بعض شعراء الحماسة
لو كنت من مازن لم تستبح ابلى بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
فإن لفظ « بنو اللقيطة » لا يقوم غيره من الالفاظ مقامه لوقوعه علما على قوم
مخصوصين ، فيحتاج البائر أن يبقيه بافظه كما فعل الوزير ضياء الدين بن الاثير في قوله
في نثر البيت المذكور : است ممن يستبيح ابله بنو اللقيطة ولا الذي اذا هم بأمر
كانت الآمال اليه وسيطة ، ولكنني أحى العمل ، وأفوت الامل ، وأقول : سبق السيف
العدل . . . قلت : ويحكى ذلك . احللت من قول الشاعر
اذا مضى الحراء كانت عشيرتي وقام بنصرى خارم وابن خارم

عطست بأنف شامخ وتناولت يداى الثريا نائمًا غير قائم
فخلته في المفاخرة بين السيف والقلم بأن قلت : فمطس كل منهما بأنف شامخ غير
مسلم الآخر ولا مسلم ، ومد للعليا يد المطاولة فتناول الثريا نائمًا غير قائم وكذلك
كل ما جرى هذا المجرى

المائة الثانية - ان يكون في البيت لفظ رائق قد اخذ من الفصاحة بزمامها وأحاط
من البلاغة بجوانبها فيبقى على حاله ويقرنه بلفظ يماثله ويوازنه . قال في المثل السائر:
وهناك تظهر الصنعة في المائة والمشكلة ومواخاة الالفاظ الباقية من البيت بالالفاظ
المرتبلة ؛ فإنه اذا أخذ لفظا لشاعر مجيد تقحه وصححه فقرنه بما لا يلائمه كان كمن جمع
بين لؤلؤة وحصاة ، ولا خفاء بما في ذلك من التعرض للقدح والاستهداف للطعن .
قال : وهو عندي أصعب منالا من نثر الشعر بغير لفظه لأنه مسلك ضيق لما فيه من
التعرض للمائة ماهو في غاية الحسن والجودة بخلاف نثر الشعر بغير لفظه فإن نثره يتصرف
فيه على حسب ما يراه ولا يكون مقيدا فيه بمثل يضطر الى مواخاته . ومثل لذلك
بقول ابى تمام

حذاء تملأ كل أذن حكمة وبلاغة وتدر كل وريد

ثم قال : فقوله « تملأ كل أذن حكمة وبلاغة » من الكلام الحسن ، وهو أحسن
ما في البيت ؛ وقد نثر ذلك فقال يصف كلام نفسه . « وكلامي قد عرف بين الناس
واشتهر ، فلو قال قائل : لمن هذا ؟ قيل : وهل يخفى القمر ؛ واذا عرف الكلام صارت
المعرفة له علامة ، ولم يخش عليه سرقة إذ لو سرق لدات عليه الوسامة ؛ ومن خصائص
صفاته أنه يملأ كل أذن حكمة ، ويجعل فصاحة كل لسان عجمة » . فبقى لفظة « يملأ
كل أذن حكمة » وأتى معها بما يناسبها من الالفاظ الحسنة الرائقة . ونحو ذلك ما ذكره
الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي أنه يؤاخي القرينة بالقرينة كما فعل هو في تقايد
أنشأ فقال : فكلم ملّ ضوء الصبح مما يغيره ، - ثم قال : وظلام النقع مما يثيره ، -
ثم قال بعد ذلك : وفان حديد الهند مما يلاطمه ، - ثم قال : والأجل مما يسابقه الى
قبض النفوس ويزاحمه والقرينتان الأوايان نصفا بيتين للمتنبى . فأضاف الى كل
قرينة ما يناسبها ، وذكر ان هذا أكثر ما يستعمل في الكتابة

﴿ الصنف الثالث ﴾

(وهو اعلى من الصنفين الاولين ، ان يأخذ معنى الشعر فيكسوه الفاظا من عنده
ويصوغه بلفظ غير لفظه)

قال في المثل السائر: وثم يتبين حذق الصانع في صياغته ويعلم مقدار تصرفه في
صناعته وان استطاع الزيادة على المعنى فتلك الدرجة العالية وإلا أحسن التصرف وأتقن
التأليف ليكون أولى بذلك المعنى من صاحبه الاول . وتعلم ان الأبيات الشعرية في
حلها بالمعنى لها حالان :

الحال الاول - ان يكون البيت مما يتسع المجال لناثره في ثره فيورده بضروب
من العبارات . قال ابن الاثير : وذلك عندي أشبه بالمسائل السيالة في الحساب التي
يجاب عنها بعدة من الاجوبة . فمن ذلك قول المتنبي

لا تعذل المشتاق في أشواقه حتى تكون حشاك في احشائه

فهذا البيت يتصرف في ثره في وجوه من المعاني . وقد ثره بن الاثير فقال : لا تعذل
المحب فيما يهواه ، حتى تطوى القلب على ما طواه . ثم ثره على وجه آخر فقال : اذا
اختلف العينان في النظر ، فالعدل ضرب من الهذر . وعلى هذا النهج يجري قول ابن
الرومي في وصف الحديث

وحديثها السحر الحلال لو انه لم يجن قتل المسلم المتحرز

ثره الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في وصف السيوف فقال : وكفى السيوف فخرا
انها للجنة ظلال ، وإلى النصر مآل ، واذا كان من بين الحديث سحر فان بيان حديثها
عن كلمته هو السحر الحلال . ثم نقله الى وصف الأسنه فقال : حسب الأسنه الأسنه
شرفا ان كشف خبايا القلوب يذم الا منها ، وان بث اسرار الضمائر تكره روايته الا
عنها ، فمكرر حديثها في ذلك لا يفضي الى ملال ، واذا لم يكن حسن حديثها الذي
يسحر الالباب مما يحل فليس في الحديث سحر حلال . ثم نقله الى وصف البلاغة
فقال : البلاغه تسحر الالباب حتى تخيل العرض جوهرها ، وبخيل الهوى المدرك بالسمع
لانسجامه وعذوبته في الذوق نهرا ، لكننه سحر لم يجن قتل المسلم فيتأول في حله ،

وان كان في الحديث ما هو عقلة المستوفز فهذا أنشودة نشاط البليغ وحل عقال عقله .
ثم نقله الى وصف الكتابة فقال : خطه شرك العقول ، وفتنة تشغل المظنن بملاحة
المرئي المكتوب عن فصاحة المسموع المعقول ، ولو لم يكن البيان سحراً لما تجسدت منه
في طرسه هذه الدرر ، ولو لم يكن بعض السحر حلالاً لما انجلى ظلام النقس عما يهتدى
به من هذه الاوضاع وانغرر

الحال الثاني — ان يكون الشعر مما يضيق المجال فيه فيعسر على الناثر تبديل الفاظه .
وذلك قليل بالنسبة لما يتسع في حله المجال . قال في المثل السائر : وسببه ان المعنى
ينحصر في مقصد من المقاصد حتى لا يكاد يأتي الا فداً . فمن ذلك قول المتنبي
وكان بها مثل الجنون فأصبحت ومن جث القتلى عليها تمام

فان ابا الطيب بنى بيته على واقعة مخصوصة ، وذلك ان الروم قصدوا حصان من
حصون سيف الدولة بن حذان فانزعوه وهدموه ثم ظهر عليهم سيف الدولة فانزعه
منهم وأعاد عمارته وحصانته ونصب جملة من جث القتلى على السور فظم ابو الطيب
في هذا قصيدته التي اولها : « على قدر أهل العزم تأتي العزائم » الى أن انتهى الى
ذكر الحصن فأتى بهذا البيت فأبرز صورة الحال في معنى التمثيل بالجنون والتمام :
وذلك مما لا يمكن تبديل لفظه . وحينئذ فيجب على الناثر حسن الصنعة في حله وثره .
وقد ثره ابن الأثير فقال : سرى الى حصن كذا . تعيداً منه سببية نزاعها العدو واختلاسا ،
وأخذها مخادعة لا اقتراسا ، فما نزلها حتى استقادها ، ولا نازلها حتى استعادها ، فكأنما
كان بها جنون فبعث عليها من عزائم عزائم ، وعاق عليها من رؤس القتلى تمام .
ثم قال : وفي هذا من الحسن ما لا يخفاء فيه فمن شا . ان ينثر شعرا فليثر هكذا والا
فليترك . ثم نقله الى معنى آخر بعد أن أضاف اليه البيت الذي قبله وهو قوله

بناها فأعلى وانما يقرع التنا وهو ج المنايا حولها متلاطم

فثرها فقال : بناها والاسن في بناءها من خاصمة ، وأمواج المنايا فوق أيدي البانين
متلاطمة ، وما أجات الحرب عنها حتى زارات أقطارها بركن الجياد وأصيبت بمثل
الجنون فعلمت عليها تمام من الزوس والأجساد ، ولا شك ان الحرب تُعَرِّد عن
عز جانبه ، وتقول ألا هكذا فليكسب الحد كاسبه ؛ وقال هذا أحسن من الاميل وأنم

معنى - قلت : وقد استعملت هذا المعنى في كتاب كتبتة الى المقر الاشرف الناصري محمد بن البارزي صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية وهو صاحبه المقام الشريف السلطاني المؤيدى شيخ بالشام في سنة تسع عشرة وثمانمائة عند بعثه برءوس من عصي عليه من الامراء فعلقت على باب زويلة وقد أخذ في بناء الجامع المؤيدى بجواره ، قلت : وحملت رءوسهم على الرياح فكانت لها عمائم ، وخيف على باب زويلة لمجاورة الجامع المين فعلق عليه منها تمام . وهذا باب متسع وفيما ذكرته منه ارشاد لما لم يذكر

﴿ النوع العاشر ﴾

الاكثر من حفظ امثال العرب نثرا ونظما ، والنظر في الكتب المصنفة في ذلك كما مثال ابي عبيد الميداني ، والمفضل بن سلمة الضبي ، وحمزة الاصبهاني ، والقعي ، وغيرهم ؛ وكذلك امثال المولودين الواردة في اشعارهم كالأمثال الواردة في شعر جرير ، والفرزدق ونحوهما ؛ وامثال المحدثين الواردة في اشعارهم أيضاً كأبي العتاهية ، وأبي تمام ، والمتنبي وما يجرى مجرى ذلك من الامثال الموضوععة على السنة الحيوان عن العرب وغيرهم ليستشهد بذلك في موضعه ويورده في مكانه عارفاً بأصل ذلك وما بنى عليه ؛ لأن المثل له مقدمات وأسباب قد عرفت وصارت مشهورة بين الناس معلومة عندهم ؛ وهذه الالفاظ الواردة في المثل دالة عليها معبرة عن المراد بها بأخصر لفظ وأوجزه . ولولا تلك المقدمات المعلومة والاسباب المعروفة لما فهم من هذه الالفاظ القلائل تلك الوقائع المطولات ، وليس في كلامهم الكثير الدوران أخصر منها . ولما كانت الامثال كالرموز والاشارات التي يلوح بها الى المعاني ، تلويحاً صارت من أوجز الكلام وأكثره اختصاراً وحيث كانت بهذه المرتبة فلا ينبغي الاخلال بمعرفتها . قال صاحب العقد : والامثال هي وشي الكلام وجوه الالفاظ وحلى المعاني وهي التي تخيرتها العرب وقدمتها العمم ونطق بها في كل زمان على كل اسان . فهي أبقى من الشعر واشرف من الخطابة لم يسرشي كسيرها ولا عم عمومها حتى قالوا « أسير من مثل » والى ذلك يشير الشاعر بقوله ما أنت الا مثل سائر يعرفه الجاهل والخابر

وقد ضرب الله تعالى الامثال في كتابه العزيز في غير موضع من القرآن فقال « وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم الامثال في غير موضع . فاما الامثال الواردة ثرا فضربان الضرب الاول - ان يصرح بذكر المثل في الكلام . وعلى ذلك أكثر امثال القرآن الكريم والسنة النبوية . فما ورد من ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى « ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين أبذن ربها - الى ان قال - ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار » ؛ وقوله جلت قدرته « وضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ وهو كائن على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم » ؛ وقوله « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » الى غير ذلك من الآيات الواردة في هذا المعنى ومما ورد في السنة من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « ضرب الله مثلا صراطا مستقيما ، وعلى جنبي الصراط أبواب مفتحة ، وعلى الابواب ستور مرخاة ، وعلى رأس الصراط داع يقول ادخلوا الصراط ولا تعرجوا » فالصراط الاسلام ، والستور حدود الله ، والداعي القرآن . الى غير ذلك من الامثال

الضرب الثاني - ان لا يصرح بذكر المثل في القرآن بل تقع الاشارة اليه بكلام يدبر . وعليه ورد بعض آي القرآن كقوله تعالى « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ونحوه . وعلى ذلك ورد أكثر امثال العرب * ثم منه ما هو قريب من الفهم لظهور معناه وكثرة دورانه على الألسنة ، ومنه ما هو على خلاف ذلك . فالقريب من الفهم مثل قولهم : عند الصباح يحمد القوم السرى . وهو مثل يضرب للترغيب في السير في الليل والحث عليه . وأول من ارسله مثلا خالد بن الوليد رضى الله عنه : قاله في صبح ليلة قطع فيها مفازة كانت في طريقه من العراق الى الشام . ومن أمثال المحدثين في ذلك قولهم : المؤمن لا يكون حبلجى * والبعيد من الفهم مثل قولهم : ان يبيع عليك قومك لا يبغي عليك القمر . وهو يضرب لمن ينكر الامر الظاهر عنادا . وأصله

ان بنى ثعلبة بن سعد بن ضبة في الجاهلية تراهنوا على الشمس ليلة البدر : فقالت طائفة تطلع الشمس والقمر ظاهرا ، وقالت طائفة يغيب القمر قبل ان تطلع الشمس ؛ فتراضوا برجل جعلوه بينهم حكما . فقال واحد منهم : ان قومي يبنون علي . فقال الحكم : ان يبنغ عليك قومك لا يبنغ عليك القمر ؛ فجرت مثلا . قال في المثل السائر : ومن المعلوم ان قول القائل : ان يبنغ عليك قومك لا يبنغ عليك القمر اذا أخذ على صبغته من غير نظر الى القرائن المنوطة به والاسباب التي قيل من أجلها لا يعطى من المعنى ما قد اعطاه المثل بل كان يفهم من هذا القول معنى لا يفيد ؛ لان البنى هو الظلم ، والقمر ليس من شأنه ان يظلم احدا فيصير معنى المثل : ان كان يظلمك قومك فلا يظلمك القمر ؛ وهو كلام مختل المعنى غير مستقيم

واما الامثال الواردة نظما فهي كلمات استحسنت في الشعر وطابقت وقائع عامة جارية بين الناس تداولها الناس وأجروها مجرى الامثال النثرية كقول طرفة
ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود
وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بالاصنف الأخير منه ، وقد روى أنه كان يخرجهم عن الوزن ويحوله عن طريق الشعر فيقول : ويأتيك من لم تزود بالآخبار، فرارا من قول الشعر المنزه عنه مقامه الملى ؛ على أنه صلى الله عليه وسلم انما هو ممنوع من نظم الشعر لا من إنشاده . فقد ثبت في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال : اصدق كلمة قالها شاعر كلمة ابيد : الاكل شئ ما خلا الله باطل . ويروى ان عمر رضى الله عنه تمثل بقول النابغة

ولست بمستبق أخا لا تلومه على شعث أى الرجال المهذب
وأما ذلك مما تمثل به الصحابة رضى الله عنهم كثير . وكذلك وقع في أمثال المحدثين الواردة في اشعارهم ما يستظرف كقول الفاضل الأرجاني
تأمل منه تحت الصدغ خالا لتعلم كم خبايا في الزوايا
استعمل فيه المثل السائر في قولهم : في الزوايا خبايا . الى غير ذلك من الأمثال الواردة في هذا الباب

وأما الامثال الموضوععة على السنة الحيوانات فكما روى ان أمهر المؤمنين على بن

ابى طالب رضى الله عنه لما رأى اختلاف الصحابة وتخاذلهم تمثل بقولهم : انما اكلت يوم أكل الثور الابيض ، يعنى : انما خذلت يوم خذل عثمان . وأصل ذلك ما يحكى من قولهم انه اصطحب اسد ، وثور أحمر ، وثور أسود ، وثور أبيض فى أجسة ؛ فقال الأسد للأحمر والأسود : هذا الابيض يفضحننا بلونه ويُطمع فينا من يقصدنا ، فلو تركتاني آكله أمنا فضيحة لونه ؛ فأذنا له فى ذلك ، فأكله . ثم قال للأحمر : هذا الأسود يخالف لوني ولو ذك ، ولو بقيت أنا وأنت ظنك من يراك أسدا مثلى ، فدعى آكله . فسكت عنه ، فأكله . ثم قال للثور الأحمر : لم يبق الا انا وأنت ، وأريدان آكلك . فقال ان كنت فاعلا ولا بد فدعى أصعد تلك الهضبة وأصبح ثلاثة أصوات . فقال : افعل ما تريد . فصعد وصاح ثلاثة اصوات : ألا انما أكلت يوم أكل الثور الابيض ؛ فجرت مثلا . . . الى غير ذلك من الامثال الواردة فى هذا الباب

فإذا أكثر الكاتب من حفظ الامثال السائغ استعمالها انقادت اليه معانيها وسيقت اليه الفاظها فى وقت الاحتياج اليها فى نظائرها من الوقائع والأحوال فأوردعها فى مكانها واستشهد بها فى موضعها . والطريق فى استعمالها فى التركا فى حل الشعر واستعماله فى النثر ، الا أن الامثال لا يجوز تبديل لفظها ولا تغيير اوضاعها لأنها بذلك عرفت واشتهرت . وقد أكثر حذاق الكتاب فى استعمالها فى كلامهم وايرادها فى خلال نثرهم بحسب ما يقتضيه الحال ويسوق اليه الكلام . فمن ذلك قوله فى التعريف فى وصية أمير مكة : وهو أجدر من طهر هذا المسجد من أسياء ينزه ان يالحق به فحش عابها ، وشنعاء هو يعرف كيف يتبعها « وأهل مكة أخبر بشعابها » . وقد وقع هذا المثل فى كلامه أحسن موقع اذ أتى به فى مكانه اللائق به ومحله المخصوص بوضعه . وقد نقله الشيخ جمال الدين بن نباته فاستعمله فى غير هذا المعنى فجاء منحطاً عن هذه الرتبة ، فقال فى وصية خطيب : ووصايا هذه الرتبة متشعبة وهو كأهل مكة أخبر بشعابها .

ومما نحل من الامثال الواردة نظماً قول القاضى شهاب الدين بن فضل الله فى وصية أمير مكة على وفود الحجيج : فليأخذ بمن أطاع الله من عصى ، وليردع كل مفسد ولا سيما العبيد فإن العبد لا يزجره الا العصا . استعمل فى ذلك قول ابن دريد فى مقصورته

واللوم للحرّ مقيم رادع والعبد لا يردعه الا العصا
ومما استعمل من الأمثال الموضوعة على أسنة الحيوان ما قلته في موضوع امتناع الصلح:
وأنى يتم الصلح وشجة ذات الصفا بعد ما اندملت ، ولسان ملامتها يتلو بأى ذنب
قتلت ، وراعى سائمة المراوضة ينظر الى قبر أخيه فيذكر مساءته ، ولسان الأيثار ينشد
إذا وترت امرأ فأحذر عداوته . استعملت فيه حال الحية التي كانت تخرج من جحر
وتعطي البدوى الذي كان يرعى الغنم في واد كل يوم دينارا ، فظن أنها على كنز فأراد
قتلها ليأخذ الكنز ، فتناول مسحاة وارقبها حتى خرجت من الجحر وضربها فشج
رأسها ، فوثبت عليه فقتلته ، فجاء اخوه فأخذه ودفنه في قبر وأقام يرعى الغنم مكانه
في ذلك الوادى : ثم أتى الحية فقال لها : ان أخى كان ظالما لك ، فأمرأيت ان تعطينى
الدينار الذى كنت تعطينه له كل يوم فتبقى الصحبة بينى وبينك فافعلى . فقالت :
ان ذلك لا يتم ، لأنى كلما نظرت لشجة رأسى ذكرت صنع أخيك فى ، وأنت كلما
نظرت الى قبر أخيك ذكرت قتلى اياه فلا تنتظم بيننا صحبة . ومنه قول الشيخ جمال
الدين ابن نباتة من توقيع بنظر مدرسة : وكيف لا وهونم الناظر والانسان ، وفي مصالح
القول والعمل ذواليدى واللسان ، وذوالعزائم الذى تقيدت في حبه الرتب ومن وجد
الاحسان . استعمل فيه البيت المشهور : « ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا » وأتى فيه
بالاكتفاء فزاد فى كلامه حسنا وطلاوة .

ومما استعمل من امثال المحدثين نثرا قول الشيخ جمال الدين ابن نباتة فى وصف
خطيب من جملة توقيع : ومن إذا قام فريداً عدّ بألف من الرجال تنظم ، واذا أقبل
فى سواد طيلسانه واحداً قيل جاء السواد الأعظم . فاستعمل المثل السائر فى قولهم
« السواد الاعظم » يريدون الجم الغفير . ومن ذلك ما ذكرته فى المفاخرة بين السيف
والقلم وهو : وأظهر كل منهما ما كان يخفيه فكتب وأملى ، وباح بما يكفه صدره
والمؤمن لا يكون حبلى . فاستعملت المثل السائر فى قولهم « المؤمن لا يكون حبلى » .
الى غير ذلك من الاستعمالات التى لا تحصى كثرة

﴿ النوع الحادى عشر ﴾

معرفة ايام العرب ، وتسمية الايام التى كانت بينهم ، ويوم كل قبيلة على الاخرى وما جرى بينهم من الاشعار والمناقضات ، وذكر فارس مشهور وملك مذكور وواقعة معينة لشخص خاص ، وما ادعاه كل منهم لنفسه أو لقومه لما فى ذلك من العلم بما يستشهد به من واقعة قديمة ، أو يرد عليه فى مكتوبة من ذكر يوم مشهود او فارس معين ، أو غير ذلك مما مضى عليه أمر الجاهلية أو جرى فى الاسلام ؛ فأن الكاتب اذا لم يكن عارفا بالوقائع عالما بما جرى فيها لم يدرك كيف يجيب عما يرد اليه من مثلها ولا ما يقول اذا سئل عنها فأما ايام الحروب فهى التى كان يقع فيها القتال بين قبائل العرب فيسمى ذلك اليوم تارة باسم المكان وتارة باسم سبب الحرب وتارة بغير ذلك كيوم جرار ، وهو جبل بين البصرة ومكة كانت الواقعة عنده فعرفت به ، وكانت الحرب فيه بين ربيعة وقبائل اليمن ، وكانت الغلبة فيه لربيعة ؛ ويوم عين أباغ ، وهو موضع يقال له ذات الخيار ، وكانت الحرب فيه بين غسان ولخم ، وفيه قتل المنذر بن ماء السماء فانهزمت لخم ؛ ويوم الكديد ، وكان بين كنانة وسليم وانتصرت فيه سليم على كنانة وقتل فيه فارس كنانة ربيعة بن مكدّم ؛ ويوم ذى قار ، وكان بين النعمان بن المنذر ملك الحيرة وبين كسرى ابرويز ملك الفرس ، وكانت الغلبة فيه للعرب على العمجم . . . الى غير ذلك من ايام الحرب التى لا تحصى كثيرة . وقد افردنا ابو عبيد بتصنيف ، وأورد فى العقد جملة منها ، وفي آخر الامثال للميدانى جملة سالحة من ذلك

وأما ايام المفاخرة فهى الأيام التى وقعت المفاخرة فيها بين قبائل العرب كما حكى ابن الكلبي ان كسرى ابرويز قال للنعمان بن المنذر يوما : هل فى العرب قبيلة أشرف على قبيلة ؟ قال : نعم ، قال : فبأى شىء ؟ قال : من كانت له ثلاثة آباء متواليه رؤساء ، ثم اتصل ذلك بكال الرابع فالبيت من قبيلة فيه وينسب اليه . قال ، فاطلب ذلك . فطلبه فلم يجده الا فى آل حذيفة بن بدر ، وآل حاجب بن زراة ، وآل ذى الجدين ، وآل الاشعث بن قيس بن كندة . فجمع هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائره وأقعد لهم الحكام والعدول وقال : ايتكلم كل رجل منكم بما نر قومه وياصدق . فكان حذيفة

ابن بدر الفزاري اول متكلم ، وكان أسن القوم . فقال : قد علمت العرب أن فينا الشرف الأقدم ، والأعز الأعم ، ومأثرة الصنيع الأكرم . فقال من حوله : ولم ذاك يا أخا فزارة ؟ فقال : أسنا الدعائم التي لا ترام ، والعز الذي لا يضام ؟ . قيل : صدقت ثم قام شاعرهم فقال :

فزارة بيت العز والعز فيهم فزارة قيس حسب قيس نضالها
لها العزة القعساء والحسب الذي بناه لقيس في القديم رجالها
في أبيات أخرى . ثم قام الأشعث الكندي فقال : قد علمت العرب أنا تقاتل عديدها الأكبر ، وزحفها الأكبر ، وأنا لغياث الكربات ، ومعدن المكرمات . قالوا : ولم يا أخا كندة ؟ قال : لانا ورثنا ملك كندة فاستظلنا بأفيائه وتقلدنا منكبه الاعظم وتوسطنا بمجوحه الاكرم . ثم قام شاعرهم فقال

إذا قست ابيات الرجال بيتنا وجدت لنا فضلا على من يفاخر
فمن قال كلاً أو اتانا بحطّة ينافرنا فيها فنحن نخاطر
تعالوا قفوا كي يعلم الناس ايننا له الفضل فيما اورثته الاكابر
ثم قام بعده بسطام الشيباني فذكر ما أثر قومه ؛ ثم حاجب بن زرارة التميمي ففعل كذلك ، ثم قام بعده قيس ابن عاصم السعدي فأتي بمثل ذلك . فقال كسرى : حينئذ ليس منهم الا سيد يصلح لموضعه واسنى حياءهم واعظم صلاحهم الى غير ذلك من المفاخرات الواقعة بينهم . وقد اوردت جملة منها في الاصل . فاذا اكثر الكاتب من معرفة ايام العرب من حرب او مفاخرة ومن يعد من فرسان حروبها ومصاقع خطبائها ومفلق شعرائها وما جرى بينهم في ذلك من الخطب والاشعار والمناقضات كان مستعدا لما يستشهد به كما قال ابو تمام يمدح بني شيبان

إذا افتخرت يوما تميم بقوسها وزادت على . او طدت من . ناقب
فأتم بنى قاراءات سيوفكم عروش الذين استرهنوا قوس حاجب
يشير بذلك الى ان حاجب بن زرارة التميمي وفد على كسرى في سنة جذب فقال له الحاجب : من أنت ؟ قال . رجل من العرب . فلما دخل على كسرى قال له : من انت ؟ قال : سيد العرب . قال : ألم تقل بالباب انك رجل من العرب : قال : كنت

بالباب رجلا منهم فلما حضرت بين يدي الملك سدتهم . فلا فقه درا . فشكا اليه محل الحجاز وطلب منه حمل الف بعير بُرّاً علي ان يبعث اليه بقيمتها بعد قفوله الى الحجاز . فقال : وما ترهني على ذلك ؟ قال : قوسى . فاستعظم همته وامر له بطلبته فأخذها وذهب فمات بعد ذلك فأحضر بنوه المال بعد موته وطلبوا قوس ايهم . فافتخر بنو تميم بذلك فاشار ابو تمام فى شعره الى هذه القضية وكما قال ابو نصر الفتح بن خاقان فى خطبة كتابه قلائد العقيان : لو جاوره كليب ما طرق حماء ، أو استجار به احد من الدهر حماء ، أو كان بوادى الاخرم ، لطاق به ربيعة واحرم ، أو استنجده الكندى ما كساه الملاءه ، أو كان حاضر بسطام لما خر على الألاءه » ؛ وكما قلت فى المفاخرة بين السيف والقلم عند التعرض لذكر الامير ابى يزيد الدوادار الموضوعه له : « فلو لقيه فارس عبس لولى عابسا ، أو طرق حمى كليب لبات من حماء آيسا ، أو قارعه ربيعة ابن مكدم لعلا بالسيف مفرقه ، أو نازله بسطام لبدد جمعه وفرقه » . الى غير ذلك مما يجرى هذا المجرى قلت : وقد ذكرت فى الاصل هنا جملة فى أنساب العرب وقبائلهم وأوابدهم التى كانوا يعتقدونها وكثير من احوالهم ووقائعهم فليراجعها فيه من اراد الوقوف على ذلك

﴿ النوع الثانى عشر ﴾

النظر فى كتب التاريخ والمعرفة بأحواله وتفصيلها وما جرىاتها واحوال الملوك والاعيان والحوادث والوقائع ليحتج بكل واقعة منها فى موضعها ويستشهد بها فيما يلائمها ؛ فإنه متى اخل بمعرفة ذلك احتج بالقضية فى غير موضعها او نسبها الى غير من هي له أو ألبس عليه خصمه باستشهاد بواقعة لاحقيقة لها واعلم أن التاريخ بحر لا ساحل له . ومن أهم ما يحتاج اليه الكاتب من فنونه أمور «الاولايل» ، وهي المعرفة بأول من وضع كل أمر من الامور المهمة ورتبه . واول من قال كذا ، واول من تسمى بكذا ، ومعرفة نوادر الامور واطائف الوقائع والماجريات وما يتعلق من ذلك بالملوك واحوال الدول ومشاهير الناس والاتفاقيات . وقد ذكرت فى الاصل من هذه الامور ما فيه مقنع مما لم يجتمع فى غيره . فاذا أكثر الكاتب من معرفة

الامور التاريخية هرف كيف بتصرف فيما يكتب وأورد كل قضية في موضعها .
وانت اذا نظرت الى رسالة الوليد بن زيدون التي كتبها على لسان محبوبته ولادة بنت
محمد بن عبد الرحمن الناصري توييخ من استمالها عنه لنفسه علمت وجه انتفاع الكاتب
بفن التاريخ وموقعه من فن الكتابة . ألا ترى الى قوله : . . . حتى خلت ان يوسف عليه
السلام حاسنك ففضضت منه ، وان امرأة العزيز رأتك فسلت عنه ، وان قارون أصاب
بعض ما كنزت ، والطف عثر على فضل ماركرت ، وكسرى حامل غاشيتك ، وقصر
راعي ماشيتك ، والاسكندر قتل دارا في طاعتك ، وأزدشير جاهد ملوك الطوائف
بمخروجهم عن جماعتك ، والضحاك استدعى مسالمتك ، وجذيمة الأبرش تمنى منادمتك ،
وشيرين نافست بوران فيك ، وبلقيس غايرت الزباء عليك ، وأن مالك بن نويرة انما
أردف لك ، وعروة بن جعفر انما رحل اليك ، وكليب بن ربيعة انما حى المرعى بعزتك ،
وجساسا انما قتله بمنمتك ، ومهلهلا انما طلب ثاره بهمتك ، والسموأل انما وفي عن
عهدك ، والأحف انما احتبى في بردك ، وحاتما انما جاد بوفرك ، ولقي الأضياف يبشرك ،
وزيد بن مهلهل انما ركب بفخذيك ، والسليك بن السليكة انما عدا على رجلك ، وعامر
ابن مالك انما لاعب الأسنه بيديك ، وقيس بن زهير انما استعان بدهائك ، واياس
ابن معاوية انما استضاء بمصباح ذكائك ، وسحبان وائل انما تكلم بلسانك ، وعمرو
ابن الأهم انما سحر ببيانك ، وأن الصلح بين بكر وتغلب تم برسالتك ، والحمالات في دعاء
عبس وذبيان أسندت الى كفالتك ، وان احتيال هرم لعامر وعلقمة حتى رضيا كان
عن إشارتك ، وجوابه لعمر وقد سأله عن أيهما كان ينفر وقع عن مشورتك ، والمهلب
أوهن شوكة الأزارقة بأيدك ، وأفسد ذات بينهم بكيدك ، وأن هرمس اعطى بليئوس
ما اخذ منك ، وافلاطون أورد على أرسطاطاليس ما حدث عنك ، وبطليموس سوى
الاسطرلاب بتدبيرك ، وصور الكرة على تقديرك ، وأبقراط علم العلل والأمراض بلطف
حسك ، وجالينوس عرف طبائع الحشائش بدقة حدسك ، وكلاهما قلدك في العلاج ،
وسألك عن المزاج ، واستوصفك تركيب الأعضاء ، واستشارك في الداء والدواء ،
وأنك نهجت لأبي معشر طريق الفضا ، وأظهرت جابر بن حيان على سر الكيمياء ،
وأعطيت النظام أصلا أدرك به الحقائق ، وجعلت لاكندى رسما استخرج به الدقائق ،

وأن صناعة الألمان اختراعك ، وتأليف الأبقار توليدك وابتداعك ، وأن عبد الحميد ابن يحيى بارى أقلامك ، وسهل ابن هارون مدون كلامك ، وعمرو بن بحر مستمليك ، ومالك بن أنس مستفتيك . . . الى غير ذلك من الامور التاريخية التي انتظمها سلك هذه الرسالة . وقد أوردتها بجملة في الأصل

﴿ النوع الثالث عشر ﴾

المعرفة بأنواع العلوم الشهيرة التي تقع الولايات السلطانية لأربابها كالتفسير والقرآن والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع والهندسة وعلم النجوم وما يجري مجرى ذلك ومعرفة أعيان أهلها والمصنفين في كل علم منها وأسماء الكتب المصنفة فيه ومصطلح كل علم والألفاظ المتداولة بين أهله وما في معنى ذلك ليتوصل بذلك الى ذكر ما يحتاج لذكره في انشائه من تفاصيل هذه الامور التي يحسن الكلام بأيرادها وينقح بذكرها . وقد ذكرت في الاصل هنا من العلوم والكتب المصنفة ما فيه غنية للناظر في استعمال ذلك . فإذا عرف الكاتب هذه العلوم وما صنف فيها من الكتب امكنه التصرف فيها في كتابته بذكر علم نبيل لمساواته أو التفضيل عليه وذكرك كتاب مصنف في ذلك العلم حيث تدعو الحاجة الى ذكره كما وقع لي في تقريري لمولانا قاضي القضاة شيخ الاسلام جلال الدين عبد الرحمن الكنناني البلقيني الشافعي :

« ان تكلم في الفقه فكأنما بلسان الشافعي تكلم ، والربيع عنه يروى والمزني يتعلم ، أو خاض في اصول الفقه قال الغزالي هذا هو الامام باتفاق ، وقطع السيف الآمدي بأنه المقدم في هذا الفن على الاطلاق ، وجرى في التفسير قال الواحدى هذا هو العالم الاوحد ، وأعطاه ابن عطية صفقة يده بأن مثله في التفسير لا يوجد ، واعترف له صاحب الكشاف بالكشف عن الغوامض ، وقال الأمام فخر الدين هذه مفاتيح الغيب واسرار التنزيل فارتفع الخلاف واندفع المعارض ، وأخذ في القراءات والرسم أزرى بأبي عمرو والداني ، وعدا شأ والشاطبي في الرائية وتقدمه في حرز الاماني ، أو تحدث في الحديث شهد له السفينان بملو الرتبة في الرواية ، واعترف له ابن معين في التبريز والتقدم في الدراية ، وهتف الخطيب البغدادي بذكره على المنابر ، وقال ابن الصلاح لمثل هذه الفوائد تتعين الرحلة ، وفي

بمحصليها تنفذ المعابر، أو أبدى في أصول الدين نظراً تعلق منه أبو الحسن الأشعري بأوفي زمام، وسدّ باب الكلام على المتميزة حتى يقول عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء: ليتنا لم نفتح باباً في الكلام، أو دقق النظر في المنطق بهر الأبهري في مناظرته، وكتب الكتّابي وثيقة على نفسه بالعجز عن مقاومته، أو ألمّ بالجدل رعى الأرموي نفسه بين يديه، وجعل العميدى عمدته في آداب البحث عليه، أو بسط في اللغة لسانه اعترف له ابن سيدة بالسيادة، وأقر بالعجز لديه الجوهري وجلس ابن فارس بين يديه مجلس الاستفادة، وانحأ إلى النحو والتصريف أربى فيه على سيوييه، وصرف الكسائي له عزمه فسار من البعد إليه، أو وضع أنموذجا في علوم البلاغة وقف عنده الجرجاني، ولم يتعد حده ابن أبي الأصبع ولم يجاوز وضعه الرماني، أو روى أشعار العرب أزرى بالأصمعي في حفظه، وفاق أبا عبيدة في كثرة روايته وغزير لفظه، أو تعرض للعروض والقوافي استحقهما على الخليل، وقال الأخصش عنه أخذت المتدارك واعترف الجوهري بأنه ليس له في هذا الفن مثيل، أو أصل في الطب أصلا قال ابن سينا هذا هو القانون المعتبر في الأصول، وأقسم الرازي بحبي الموتى أن بقراط لو سمعه لما صنف الفصول، أو جنح إلى غيره من العلوم الطبيعية فكلأ بما طبع عليه، أو جذبه بزمام فانقاد ذلك العلم إليه، أو سلك في علوم الهندسة طريقاً لقال اقليدس هذا هو الخط المستقيم، وأعرض ابن الهيثم عن حل الشكوك وولى وهو كظيم، وحمد المؤمن بن هود عدم أكمل كتابه الاستكمال وقال عرفت بذلك نفسى وفوق كل ذي علم عليم، أو عرج على علم الهيئة لا اعترف أبو الريحان البيروني أنه الاعجوبة النادرة، وقال ابن أفلح هذا العالم قطب هذه الدائرة، أو صرف إلى علم الحساب نظره لقال السموال بن يحيى لقد أحوج هذا العز الدارس، وانجالت عن هذا العلم غياهبه حتى لم يبق عمه لعاهه ولا غمة على ممارس

وقد وجدت مكان القول ذاسعة فان وجدت اسانا قائلاً فقل»

﴿ النوع الرابع عشر ﴾

﴿ المعرفة بالاحكام الساطانية ﴾

ليعرف كيف يخلص قلبه على حكم الشريعة المطهرة وما يثترط في كل ولاية من

الشروط فينبه عليها ويقف عندها وما يلزم رب كل وظيفة من أرباب الوظائف وما يندب له فيورده في وصاياه. وقد أورد أفضى القضاة أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي رحمه الله تعالى في « الاحكام السلطانية » له من ذلك ما فيه مقنع، وأوردت في الاصل ما لا غنى بالكاتب عنه من معرفة احوال الامامة والوزارة وانقسامها الى وزارة نفويض، ووزارة تنفيذ، وتقليد الامارة على البلاد، والامارة على الجهاد، والولاية على ضروب المصالح، وولاية القضاء، والمظالم، والنقابة على ذوى الانساب، وأمور الصلاة والحجيج، والصدقات وقسم النبي، والغنيمة، ووضع الجزية والخراج، ومعرفة ما تختلف أحكامه من البلاد، وإحياء الموات، واستخراج المياه، والحجى، والاقواف، وأحكام الاقطاع، وأحكام الديوان، وأحكام الجرائر، وأحكام الحسبة. فاذا عرف الكاتب حكم كل ولاية من هذه الولايات، وما يجب توليتها، وما يعتبر في متواليها من الشروط، وما يلزمه من الامور إذا تولها، وما ينافي امورها وبجانب احوالها، عرف ما يأتي من ذلك وما يندر فيكون ما ينشئه من البيعات والعهود والتقاليد والتفاويض والتوافيع وما يجري مجرى ذلك جارياً منه على السداد ماشياً على القواعد الشرعية التي من حاد عنها ضل ومن سلك خلاف طريقها ذل. وكذلك لمناسير المتعلقة بالأقطاعات وعقد الجزية والمهادنات والمفاسخات وما يجري مجرى ذلك من الامور السلطانية

وهذه فقر من بيعة أنشأتها الخليفة توضح ما أشرت اليه من ذلك. فمن ذلك ما قلته فيها مشيراً الى وجوب القيام بالامامة: « أما بعد فإن عقد الامامة لمن يقوم بها من الواجب بالأجماع، مستند لا أقوى دليل تنقطع دون تقضه الاطماع، وتنبو عن سماع ما يخالفه الاسماع » - ومن ذلك ما قلته أيضاً فيها مشيراً الى اجماع شروط الخلافة في المولى: « وكان فلان أمير المؤمنين هو الذي جمع شروطها فوقها، واحاط منها بصفات الكمال واستوفها، ورامت به ادنى مراتبها فبلغت أغياها، وتسور معاليها فرقي الى اعلاها، واتحد بها فكان صورتها ومعناها » - ومن ذلك ما قلته فيها مشيراً الى عقد البيعة: « فجمع اهل الحل والعقد المعتبرين للاعتبار والعارفين بالنقد من القضاة والعلماء، وأهل الخير والصلحاء، وأر باب الرأى والنصحاء، واستشارهم في ذلك فصوبوه، ولم يروا المدول عنه الى غيره بوجه من الوجوه... » فلولا العلم بالاحكام السلطانية لما تآتى

ذكر هذه الاعتبارات وايرادها في مواضعها

﴿ تنبيه ﴾

قد أوردت في الاصل طرفاً في جملة ما يحتاج اليه الكاتب من وصف الانسان والخيال والابل والبغال وجيليل الوحش كالاسد والنمر وغيرها وجوارح الصيد وجيليل الطير ونفيس الاحجار وأنواع الطيب وغير ذلك مما تقدمت الاشارة اليه فأخرته لا ذكر ما يحتاج اليه من ذلك عند ذكر أوصافها ان شاء الله تعالى

﴿ الفصل الثاني ﴾

(فيما يحتاج اليه الكاتب من صنعة الكلام وكيفية انشائه وفيه طرفان)

﴿ الطرف الاول ﴾

(في اصول يجب على الكاتب ان يعرفها قبل الخوض في صنعة الكلام وهي ستة اصول)

﴿ الاصل الاول ﴾

(في النظر في المعاني والالفاظ وأحكامها)

فأما المعاني فهي سر الكلام وخلاصة المقصود منه . فقد قال في الصناعتين: المعاني من الالفاظ بمنزلة الابدان من الثياب ، بل المعاني هي أرواح الالفاظ وغايتها التي لأجلها وضعت وعاليها بنيت ؛ فالالفاظ تابعة والمعاني متبوعة ، واحتياج صاحب البلاغة الى اصابة المعني اشد من احتياجه الى تحسين الالفاظ ؛ لانه اذا كان المعني صواباً واللفظ منحطاً ساقطاً عن اسلوب الفصاحة كان الكلام كالانسان المشوه الصورة مع وجود الروح فيه ؛ واذا كان المعني خطأ كان الكلام بمنزلة الانسان الميت الذي لا روح فيه ولو كان علي أحسن الصور وأجملها . قال في المثل السائر : وانما اعتنت العرب بالالفاظ فأصلحتها وهذبته لان المعاني أقوى عندها واكرم عاينها وأشرف قدرها في نفوسها . ولما كانت الالفاظ عنوان المعاني وطريقاً الى اظهار اغراضها اصلحوها وزينوها وبالغوا في تحسينها ليكون ذلك أوقع لها في النفس وأذهب بها في الدلالة على المقصد . قال في الصناعتين : ومن عرف ترتيب المعاني واستعمال الالفاظ على وجوهها باقعة من اللغات ثم انتقل

الى لغة أخرى تهبأ له فيها من صنعة الكلام ما تهبأ له في الأولى . ألا ترى ان هبدا
الحمد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي وحوها
الى اللسان العربي ؟ وقد قسم أبو هلال العسكري المعاني الى خمسة أقسام :
﴿ اقسام الأولى منها ﴾ - ان يكون المعنى مستقيماً حسناً كقولك : رأيت زيدا . قال وهو
أعلى الانواع الخمسة وأشرفها . فمن المعنى المستقيم الحسن من الشعر في الوعظ قول
العمربن توبل يذم طول الحياة

يكاد الغنى بعد اعتدال وصحة
وفي وصف الايام قول ابى تمام
على انها الايام قد صرن كلها
وفي المدح قول الآخر

فما يبألون . انالوا اذا حبدوا
هم الأولى وهبوا للمجد انفسهم
وفي الفخر قول الآخر
ولست بنظار الى جانب الغنى
وفي الغزل قول النظام

توهه طرفى فآلم خده
وصافحه قلبى فآلم كفه
ومر بفكرى خاطرا فجرحته
وفي النسيب قول القائل

اذا أنت لم تشرب مراراً على القدى ظمئت وأى الناس نصفوه شاربه .
ومن المعنى المستقيم الحسن فى النثر قول القاضى الفاضل : وأنتم يا بنى أيوب لو
ملكتم الدهر لا متطيتم اياياه أداهم ، وقد تم أيامه صوارم ، وأفنيتم شموسه وأقماره فى الهبات
دنائير ودراهم ، وأيامكم : أعراس ومآتم ، فيها على الاموال مآتم ، والجود فى أيديكم
خاتم ، ونفس حاتم فى نقش ذلك الخاتم . . . الى غير ذلك مما يجرى هذا المجرى
﴿ القسم الثانى من المعانى ﴾ - ان يكون المعنى مستقيماً قبيحاً كقولك : قد زيدا رأيت .
قال فى الصناعتين وانما قبح لانك أفسدت نظام اللفظ بالتقديم والتأخير . وهذا النوع

بإسبوبة علماء المعاني « التعقيد » وسماه ابن الاثير « المعاطلة المعنوية » وهو تقديم ما الاولى به التأخير كتقديم الصفة أو ما يتعلق بها على الموصوف . وهو ضد الفصاحة لان الفصاحة هي الظهور والبيان . ومنه قول الفرزدق يمدح خال هشام بن عبد الملك الى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاهره

يريد : الى ملك أبوه ما أمه من محارب ، والمعنى ما أمم أيه من محارب ؛ يمدحه بذلك ذما لمحارب . وسيأتي الكلام على ذلك في الكلام على الفصاحة فيما بعد ان شاء الله ﴿القسم الثالث من المعاني﴾ - أن يكون المعنى مستقيا ولكنه كذب ، كقولك : حملت الجبل وشربت ماء البحر ، وما أشبه ذلك . وتعلم ان أكثر المعاني المستعملة في الشعر والكتابة جارية على هذا الاسلوب لا سيما المعاني الشعرية فانها مقدمات تخيلية تؤثر في النفس اقتباضا وانبساطا على ما هو مقرر في علم المنطق . وقد قال في الصناعتين ان أكثر الشعر مبني على الكذب والاستحالة من الصفات الممتعة والنوع الخارجة عن العادة والالفاظ الكاذبة ، وليس يراد منه الاحسن اللفظ وجودة المعنى ؛ فهذا الذي يسوغ استعمال الكذب وغيره مما جرى ذكره فيه . قال ابن ابي الاصبغ : وقد اختلف في المبالغة ، فقوم يرون أن أجود الشعر أ كذبه وخير الكلام ما بولغ فيه ، وقوم يرون ان المبالغة من عيوب الكلام ولا يرون من محاسنها الا ما خرج مخرج الصدق وجاء على منهج الحق ، يزعمون ان المبالغة من ضعف المتكلم وعجزه عن ان يخترع معنى ، أو يفرع معنى من معنى ، أو يحلى كلامه شيئا من البديع ، أو ينتخب ألفاظا موصوفة بصفات الحسن وبمجيد تركيبها . فإذا عجز عن ذلك كله عدل الى المبالغة لیسدبها خاله ويتم نقصه لما فيها من التهويل على المسامح . قال : ونحن نرى كثيرا من الكلام والاشعار جاريا على الصدق المحض وهو في غاية الجودة ونهاية الحسن وتتمام القوة . ثم قال : وهذا شعر زهير والحطيئة وحسان ومن كان مذهبه توخي الصدق في شعره غالبا ليس فوق أشعارهم غاية لمرتقى . وانظر الى قول زهير

ومها يكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم
وقول الحطيئة

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ان يذهب العرف بين الله والناس

وناهلك بقول حسان رضي الله عنه

وان أشعر بيت أنت قائله بيت يقال اذا أنشدته صدقا

والذي يدل على أن مذهب أكثر الفحول ترجيح الصدق في أشعارهم على الكذب
أن الحرورية امرأة عمرو بن حطان قاضى الصفرية من الخوارج قالت لزوجها يوما :
أنت اعطيت الله تعالى عهدا أن لا تكذب في شرك فكيف قلت :

فهناك مجزأة بن ثور ركان اشجع من أسامه

فقال : يا هذه ان هذا الرجل فتح مدينة وحده وما سمعت بأسد فتح مدينة
قط . . . والتحقيق ان المبالغة اذا لم تخرج عن حد الامكان ولم تجر مجرى الكذب المحض
لا تدم ، كقول قيس ابن الخطيم

طغنت ابن عبد القيس طعنة ناثر لها نفذ لولا الشعاع أضواءها

ملكنت بها كفى فأبهرت فتقها يرى قائم من دونها من وراءها

فانه وان بالغ غاية المبالغة لم ينته الى حد الاستحالة بخلاف ما خرج منها عن حد الامكان
فانه مذموم كقول البحري

ولو قست يوما حجلها بحقابها لكان سواء لابل الحجل أوسع

فانه وصفها بدقة الحصر وغلظ الساق حتى جعل حجلها الذى يدور على ساقها

أوسع من حقابها الذى يدور على خصرها

﴿ القسم الرابع ﴾ — ان يكون المعنى مما لم يمكن كونه ألبتة كقولك : آتيتك أمس
وآتيتك غدا ، وما أشبه ذلك . قال فى الصناعتين : وهو قليل الوقوع فى الشعر كقول
عبد الرحمن بن عبد الله القس

وإني إذا مالوت جل بنفسها يزال بنفسى قبل ذاك فأقبر

قال فى الصناعتين : فهذا من المحال الذى لا وجه له ؛ وهو شبيه بقول القائل :

اذا دخل زيد الدار دخل عمرو قبله ؛ يعنى ان كلا منهما متوقف على الآخر فيلزم

الدور . قال : فان اتصل الكذب بمحال صار كذبا محالا كقولك : رأيت قاءدا

قائما ، ومررت بيقظان نائم ؛ فانه كذب للاخبار بغير الواقع ، ومحال اعدم امكان الجميع

بين النقيضين

القسم الخامس - ان يكون المعنى غلطاً ، وهو ان تريد الكلام بشئ فيسبق
لسانك الى خلافه كقولك : ضربني زيد ، وأنت تريد : ضربت زيدا . قال في الصناعتين
وهذا أكثر وقوعا في الكلام من الذي قبله ؛ وقد وقع فيه الفحول من الشعراء كقول المرار
وخال على خديك يسدو كأنه سنا البدر في دعجاء ياد دجونها
فشبه الخال بالبدر ، والمعروف ان الخال أسود . وقول ذى الرمة
إذا أنجابت الظلماء أضحت رؤوسها عليهن من جهد الكرى وهي ضلع .
فوصف الرؤوس بالضلع وهو العوج . . . الى غير ذلك من الغلط الذي لا تكاد تحصر
أنواعه

وأما الألفاظ فقد تقدم في الكلام على المعاني ان الألفاظ من المعاني بمنزلة الثياب
من الأبدان ولا خفاء في أن الوجه الصبيح يزداد حسنا بالحلل الفاخرة والملابس البهية
والقبيح يزول عنه بذلك بعض القبح ، كما ان الحسن ينقص حسنه برثائه ثيابه وعدم
بهجة ملبوسه والقبيح يزداد قبحا الى قبحه بمثل ذلك . وقد ذكر في الصناعتين هنا
ما يدل على تعظيم شأن الألفاظ وعلو مرتبتها فقال : ليس الشأن في ايراد المعاني ، لأن
المعاني يعرفها العربي والمعجمي والقروى والبدوى ؛ وإنما هو في جودة اللفظ وصفاته ،
وحسنه وبهائه ، ونزاهته وتقائه ، وكثرة طلاوته ومائه ، مع صحة السبك والتركيب
والخلو من أود النظم والتأليف . قال : وليس يطلب من المعنى إلا أن يكون صوابا ، ولا
يقنع من اللفظ بذلك حتى يكون على ما تقدم من نعوته . ثم قال : ومن الدليل على
أن مدار البلاغة تحسين اللفظ ان الخطب الرائعة والشعار الرائعة ما علمت لا لفهام المعاني
فقط ، لأن الرديء من الألفاظ يقوم مقام الجيد منها في الإفهام ؛ وإنما يدل حسن
الكلام وإحكام صنعه ورونق ألفاظه وجودة مقاطعه وبديع مباديه وغريب مبانيه
على فضل قائله وفهم منشيه : وأكثر هذه الأوصاف يرجع الى الألفاظ دون المعاني ،
وتوخى صواب المعاني أحسن من توخى هذه الأمور في الألفاظ ؛ فلهداياتنا في الكتاب
في الرسالة والخطيب في الخطبة والشاعر في القصيدة وبياتون في تجويدها ويغنون في
ترتيبها ليدلوا على براعتهم وحنقهم بصناعتهم ؛ ولو كان الامر في المعاني لطرحوا أكثر
ذلك فربحوا كذا كثيرا وأسقطوا عن أنفسهم تعباً طويلاً . وأيضا فإن الكلام اذا

كان لفظه حلواً عذباً سلساً سهلاً ومعناه وسطاً دخل في جملة الجيد وجرى مع الرائع النادر . ألا ترى الى قول الشاعر

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطح
ليس تحته كثير معنى ؛ ومع ذلك فهو رائع معجب بخلاف ما اذا كان المعنى
صواباً واللفظ بارداً فاتراً فإنه يكون مستهجننا مرفوضاً كقول أبي العتاهية يرثى أبا
عثمان سعيد بن وهب

مات والله سعيد بن وهب رحم الله سعيد بن وهب
يا ابا عثمان أبكيت عيني يا ابا عثمان أوجعت قلبي

فأنه منحط الى الغاية

❖ الاصل الثاني ❖

﴿ الفصاحة في اللفظ المفرد ﴾

مما يجب معرفته قبل الخوض في صنعة الكلام : الفصاحة والبلاغة . فأما الفصاحة فهي في أصل اللغة « الخلوص » . يقال أفصح اللبن اذا انجلت عنه رغوته فظهر ، وأفصح الاعجمي اذا أبان بعد أن لم يكن يُبين ، وأفصح الرجل عما في نفسه اذا أظهره . ويوصف بها المفرد ، والكلام ، والمتكلم ؛ فيقال : لفظ فصيح ، وكلام فصيح ، ومتكلم فصيح . والفصاحة في المفرد اعتبر فيها المحققون من علماء المعاني أربع صفات

* (الصفة الاولى) *

سلامة اللفظ من تنافر الحروف وهو ما يثقل النطق به ويعيب وجعله في الايضاح

على مرتبتين :

﴿ المرتبة الأولى ﴾ - ما يخف الثقل فيه بعض الخفة كلفظ « مستشزرات »

في قول الشاعر

غداثره مستشزرات الى العلى تضل المدارى في مثنى ومرسل

فالعذائر: الذوائب ، والمستشزرات بفتح الزاي بمعنى « مرفوعات » وبكسرهما بمعنى « مرتفعات » ، والمدارى : أسنان المشط ، والمثى والمرسل صفتان للشعر . وإنما وقع الثقل في « مستشزرات » لتوسط الشين وهي مهموسة رخوة بين التاء وهي مهموسة شديدة والزاي وهي مجهورة

﴿ المرتبة الثانية ﴾ — ما تكون الكلمة فيه متناهية في الثقل وعسر النطق بها كما يحكى ان أعرايا سئل عن ناقة فقال : تركتها ترعى «المعنع» بضم الخاء المعجمة والهاء ، ويقال : « المعنع » بخاءين معجمتين مضمومتين ، ويقال : « المعنع » بضم العينين المهملتين : ثم قيل إنه نبت ، وقيل : شجر ، وقيل : هي كلمة ما ياء لا أصل لها في اللغة

﴿ الصفة الثانية ﴾

من صفات اللفظ الفصيح سلامته من الغرابة عند أهل اللسن من العرب كقريش وغيرهم وهو لقله استعماله عندهم ليس بفصيح بخلاف ما كان غير غريب عندهم ثم صار غريبا بالنسبة لمن بعدهم فإنه فصيح وإلا لزم ان يكون جميع ما في كتب غريب القرآن والحديث غير فصيح وهو ممتنع كما أشار اليه السبكي في شرح التلخيص . واعلم أن صاحب المثل السائر قد جعل ، الألفاظ على أصناف :

﴿ الأول ﴾ — المؤلف المتداول الاستعمال عند كل قوم في كل زمان ، وهو ما تداول استعماله الأول والأخر وهلم جرا الى زماننا كالسما والارض والليل والنهار والحر والبرد وما أشبه ذلك ؛ وهو أحسن الألفاظ وأعذبها وأعلاها درجة وأغلاها قيمة . قال في المثل السائر : وأنت اذا نظرت الى كتاب الله العزيز الذي هو أفصح الكلام وجدته سهلا سلسا ، وما تضمنه من الكلمات الغريبة يسير جدا مع انه قد أنزل في زمن العرب العرباء وكفى بالقرآن قدوة . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « ما أنزل في التوراة ولا في الانجيل مثل أم القرآن » يريد فاتحة الكتاب ، وألفاظها من أسهل الالفاظ وأقربها يفهمها كل أحد حتي صبيان المكاتب وعوام السوق وان لم يفهموا ، ماتحتها من أسرار الفصاحة والبلاغة : فأن أحسن الكلام ما عرف الخاصة فضله وفهم العامة معناه . قال : وقد كانت العرب في الزمن القديم تتعاشي اللفظ الغريب في نظمها ونثرها وتقبل

الى السهل وتستعذبه وانظر الى قول امرئ القيس وهو أفحل شعراء الجاهلية كيف يقول
 فلو أنما أسعى لأذني معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال
 ولكنما أسعى لمجد مؤئل وقد يدرك المجد المؤئل أمثالي
 تجده في غاية السهولة والوضوح . وأمثال ذلك في كلامهم كثير

﴿ الثاني ﴾ - الغريب المتوحش عند كل قوم في كل زمن . وهو ما لم يكن متداول
 الاستعمال في الزمن الاول ولا ما بعده بل كان مرفوضا عند العرب فمن بعدهم ؛ ويسمى
 « الوحشى » نسبة الى الوحش لنفاره و « الحوشى » نسبة الى الحوش وهي النار ،
 ويقال هي بلاد الجن وراء رمل بيرين حيث لا يسكن أحد من الناس ؛ ور بما قيل فيه
 « الغليظ ، والعكر ، والمتوعر » قال في المثل السائر : والناس في قبح استعماله سواء لا يختلف
 فيه عربى بادر ولا قروى متحضر وليس وراءه في القبح درجة ؛ وهو ما مجه سمعك
 ونباغته لسانك وثقل عليك النطق به . ومثل له بلفظ « جحيش » من قول تأبط شرا

يظل بمومة ويمسى بغيرها جحيشا ويمرورى ظهور المسالك
 ولفظ « اطلخم » في قول أبى تمام

قد قلت لما اطلخم الامر وانبعثت عشواء تالية عبسا دهاريسا
 و بلفظ « جفخت » في قول المتنبي

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم شيم على الحسب الاغتر دلائل

وجحيش بمعنى فريد ، واطلخم بمعنى اشتد ، وجفخت بمعنى فخرت

﴿ الثالث ﴾ - المتوحش في زمن دون زمن . وهو ما كان متداول الاستعمال في
 زمن العرب ثم رفض وترك بعد ذلك كقول بعض الاعراب في وصف ابل . كوم
 بها زر ، ممكنة خناجر ، عظام الخناجر ، سباط المشافر . . . في كلام آخر ؛ يريد
 بالكوم جمع « كوما » وهي الناقة العظيمة ، والمكد جمع « مكود » وهي الناقة الغزيرة
 اللبن ، والخناجر جمع خنجور وهي الغزيرة اللبن أيضا ، والعظام الخناجر الغلاظ الاعناق ،
 وسباط مسترسلات ، والمشافر جمع مشفر وهو من الناقة كالجحذلة من الفرس . ونحو
 ذلك مما يجرى هذا الجرى . قال في المثل السائر : وهذا ومثله لا يعاب استعماله على
 العرب لأنه لم يكن عندهم غريبا ولا لديهم وحشيا . وأعظم شاهد لاستحسان استعماله

عندهم ووضوح منهجه لديهم ان القرآن الكريم الذي هو أفصح كلام وأبهج لفظ قد اشتمل على ألفاظ من ذلك كقوله تعالى «ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب» وقوله «ان الانسان لربه لكنود» وما أشبه ذلك لان هذه الالفاظ كانت مفهومة عند العرب ، وكذلك ورد في كلام النبوة جملة مستكثرة من ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم « من قعد مقعدا لم يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله تعالى ترة » أى تقص ، وقيل تبعه ، وقيل حسرة ؛ وقوله صلى الله عليه وسلم « ليسترجع أحدكم حتى فى شسع نعله فأنها من المصائب » والشسع أحد سيور النعل ؛ ونحو ذلك أما غير العرب ممن تكلف ذلك وأتى به فى كلامه المعتاد فى مخاطباته أو أثره ونظمه فإنه يعاب عليه ذلك وينحط عن درجة الفصاحة لان المقصود من الكلام إفهام المخاطب. وأنت اذا تأملت رسائل الكتاب ومكاتباتهم فى كل زمن علمت مراعاتهم لذلك فان كتاب الدولة الاموية قد أتوا فى مكاتباتهم بالالفاظ الغريبة بكثرة فلما جاءت الدولة العباسية تنازلوا فى مكاتباتهم عن الغريب ثم تقهقر الحال فى ذلك الى ما صار عليه الامر الآن

﴿ الرابع ﴾ - المتوحش عند قوم دون قوم ككلام أهل البادية من العرب بالنسبة لأهل الحضرة فان أهل الحضرة يأفون السهل من الكلام ويستعملون الالفاظ الرقيقة ولا يستعملون الغريب الا فى البادر ، وأهل البادية يأفون اللفظ الجزل ويميلون الى استعمال الغريب المتوحش . واذا نظرت الى كلام أهل مكة وكلام قريش وكلام أهل حضرموت وما جاورها من اليمن ومخاليف الحجاز علمت فرق ما بين الكلامين وتباين ما بين الطرفين حتى كأن البادى يرطن بالنسبة الى الحاضر ويتكلم ب لغة غير العربية . قال بعضهم : دخلت بلاد حضرموت فسمعت رجلا يقول « حسناه سويحسم فما وجدناه ا » فظننته يتكلم بالحبشية فسألت رجلا عن كلامه فقال انه يقول : طلبناه يأكل فما وجدناه .

﴿ الصفة الثالثة ﴾

من صفات اللفظ الفصيح سلامته من مخالفة التياس نحو قول ابى النجم : الحمد

لله العلى الأجل . فإن قياس التصريف ان يقال : الأجل لاجتماع المثليين وتحرك اللتانى
وذلك مما يوجب الادغام

﴿ الصفة الرابعة ﴾

من صفات اللفظ الفصيح سلامته من الابتذال ، وهو الامتهان بأن لا يكون عاميا
ولا ساقطا سوقيا . والمبتذل ضربان

﴿ الضرب الاول ﴾ — مالم يتغير عن وضعه اللغوى إلا ان العامة اختصت باستعماله
فابتذل لاجل ذلك وسخف لفظه وأنحطت رتبته وصار من استعماله من الخاصة ملوما
على الاتيان به لمشاركة العامة فيه وقد وقع ذلك لجماعة من فحول الشعراء كقول الفرزدق
وأصبح مبيض الضريب كأنه على سروات النبت قطن مندف

فقوله « مندف » من الالفاظ العامة المبتذلة ؛ وكقول أبى نواس

وملحة بالعدل تحسب انى بالجهل أترك صحبة الشطار

فالشطار جمع شاطر وهو الشجاع الذى أعى اللباس شجاعة ، وغلب دورانه على
لسان العامة فابتذل ؛ وكقول المتنبي

ومن اللباس من يجوز عليهم شعراء كأنها الخاز باز

ونحو ذلك مما يجرى هذا المجرى

﴿ الضرب الثانى ﴾ — ما كان فى أصل اللغة دالا على معنى فغيرته العامة وجعلته

دالا على معنى آخر . وهو إما غير مستقيح فى الذكر أو مستقيح

فأما غير المستقيح فكأنسميتهم الانسان اذا كان دمث الاخلاق حسن الصورة

واللباس او ما فى معنى ذلك « ظريفا » ، والظرف فى أصل اللغة يختص بنطق اللسان

فقط ؛ فغيرته العامة عن بابه وثقاته الى اعم من موضوعه وقد وقع الذهول فى ذلك
لأبى نواس فى قوله

وقال هناك وجهه لى للظرف والمسن والكمال

فوصف الوجه بالظرف وهو من صفات النطق كما تقدم

واما المستقيح الذكر فكما فى لفظ « الصرم » بالصاد المضمومة فإنه فى أصل اللغة

هو القطع . يقال : صرمه ، يصرمه ، صرما بالفتح والضم اذا قطعه ، وبالسین المحل
المخصوص فقلبت العامة السین من المحل المخصوص صاداً واستعملوه بمعنى السرم الذي
هو المحل المخصوص فصار لفظه مستقبها وسماعه مستكراها حتى عيب على ابي الطيب في قوله
أذاق الغواني حسنه ما أذاقني وعف فجأ زاهن غني بالصرم
على ان العرب كانت تستعمله في أشعارها بالصاد فلا يعاب عليها لأن الالفاظ
في زمنهم كانت باقية على أوضاعها . ومن استعمله منهم ابو صخر الهذلي في قوله
فقد كان صرم في المات لنا فمجلت قبل الموت بالصرم

﴿ الفصاحة في الكلام والمتكلم ﴾

والفصاحة في الكلام اعتبروا فيها ثلاث صفات :
﴿ الصفة الاولى ﴾ — سلامته من ضعف التأليف نحو ضرب غلامه زيد . فإن
فيه عود الضمير الى المتأخر لفظاً ورتبة والجمهور على منعه وإن جوزه ابن جنى وابن مالك
وغيرهما مستدلين بقول الشاعر

جزى ربه غنى عدى بن حاتم جزاء الكلاب العاديات وقد فعل
وإذا كان الجمهور قد ذهبوا الى امتناعه فلا أقل ان يكون ضعيفا

﴿ الصفة الثانية ﴾ — سلامته من تنافر الكلمات كقول الشاعر
وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر
قال الزيجاني : يقال انه من شعر الجن لأنه لا ينشده أحد ثلاث مرات متواليات
الا تمتع فيه . قال الحفاجي : وثقل هذا البيت لتقارب الحروف المماثلة وتكررها أيضاً.
وجعل في الايضاح التنافر منقسماً الى : أعلى وهو ما تقدم، وأدنى كلفظ «امدحه» من
قول أبي تمام

كريم متى أمدحه أمدحه والنورى معى وإذا مالته لمته وحدى
وعله بأن في قوله « أمدحه » ثقلاً لما بين الحاء والهاء من التنافر لتمامهما، فان التقارب
قد يكون سبباً للتنافر، ولذلك حكم على الكلمات التي تكررت فيها الحروف المماثلة بالثقل
﴿ الصفة الثالثة ﴾ — سلامته من التعقيد . وهو ان لا يكون ظاهر الدلالة على

المراد لخلل . وهو على ضربين :

الضرب الاول - وهو الذى يسميه ابن الاثير « المعاظلة المعنوية » ، ان لا يكون ترتيب الالفاظ على وفق ترتيب المعانى بسبب تقديم او تأخير او اضمار او غير ذلك مما يوجب صعوبة فهم المراد وان كان ثابتا فى الكلام جاريا على القوانين بحيث ينجيل ا على السامع نظم الكلام فلا يدري كيف يصل الى معناه كقول الفرزدق يمدح ابراهيم ابن هشام بن اسماعيل الخزومي خال هشام بن عبد الملك
وما مثله فى الناس الا مملكا ابو أمه حى ابوه يقاربه

يريد: وما مثل هذا الممدوح فى الناس حى يقاربه الا مملكا، ابو أم ذلك الملك ابو الممدوح . والمعنى انه لا يماثل أحدهما الممدوح الذى هو ابراهيم بن هشام إلا ابن أخته هشام . ففصل بين « ابو أمه » وهو مبتدأ و « أبوه » وهو خبر ؛ « حى » الأجنبي ، وفصل بين المبتدأ والخبر وهما « مثله » و « حى » بقوله « فى الناس الا مملكا ابو أمه » ، وفصل بين « حى » وهو موصوف يقاربه بـ « أبوه » وهو أجنبي ، وقدم المستثنى على المستثنى منه فضعف وتعقد . والحالى من التعقيد ، لا يكون فيه ما يخالف الاصل من تقديم او تأخير او اضمار او غير ذلك الا بقرينة ظاهرة لفظا او معنى مع نكتة

﴿ الضرب الثانى ﴾ - ان لا يكون ظاهر الدلالة على المراد للخلل فى انتقال الذهن من المعنى الاول المفهوم بحسب اللغة الى الثانى المقصود كقول العباس بن الاحنف

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناى الدموع لتجمدا
يريد أن من عادة الدهر مما كسة المقاصد : فاراد بعد الدار اي حصل القرب وتسكب عيناه الدموع فتجمد بحصول السرور بالملاقة : فكنى بسكب الدموع عن الكتابة والحزن وهو الظاهر من المعنى لانه كثيرا ما يجعل دايلا عليه فيقال أبكاني اندهر ، وكنى بجمود العين عما يوجب دوام التلاقي من الفرح وأن المتبادر الى الذهن من جمود العين بنحها بالدموع عند ارادة البكاء حال الحزن بخلاف ما أراده الشاعر من التعبير به عن الفرح وان كانت حالة جمود العين مشتركة بين بخل العين بالدموع عند

(١) لعله من حيث السماء إذا تغيمت فيكون المعنى : بحيث بغم (اى يغمض) على

السامع نظم الكلام


(١١٣) -



ارادة البكاء وبين زمن السرور الذي لم يطلب فيه بكاء قلت وقد شرط شارطون في الفصاحة أمورا أخرى ليس هذا موضع ذكرها
والفصاحة في التكلم ، قال في التلخيص ، هي ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح وهو يشمل اللفظ المركب والمفرد
واما البلاغة فقال في الصناعتين : وهي مأخوذة من قولهم بلغت الغاية اذا انتهت اليها وبلغتها غيرك ، والمباغة في الشيء الاتهاء الى غايته فسميت البلاغة بلاغة لانها تنهى المعنى الى قلب السامع فيفهمه وهي مما يوصف به الكلام والمتكلم
فأما البلاغة في الكلام فقد اختلفت عبارتهم فيها اختلافا كثيرا أتى على نيف وثلاثين بلاغة ترجع الى معنى الوصف لها وقد عرفها صاحب التلخيص بأنها مطابقة الكلام لتقتضى الحال مع فصاحته ؛ وعرفها في حسن التوسل بأن يبلغ المتكلم بعبارة كنه مراده مع رعاية الحال بلا اخلال واطالة في غير املال . وهذان التعريفان مما لا خفاء فيه . ثم لها طرفان : أعلى وهو حد الاعجاز وما يقرب منه ، وأسفل وهو ما لو عبر عنه الى مادونه للحق عند البغاء بأصوات البهائم . وقد ظهر لك بذلك أن كل بليغ من كلام او متكلم فصيح ولا عكس

❖ الاصل الثالث ❖

مما يجب معرفته قبل الحوض في صنعة الكلام . معرفة الايجاز والاطناب والمساواة وواقعها
❖ الايجاز ❖ - فأما الايجاز فهو في اللغة تقصير الكلام : يقال اوجزت الكلام اذا قصرته ، وكلام موجز وموجز بفتح الجيم وكسر ها ، ووجز بسكونها ، ووجيز ؛ وفي الاصطلاح جمع المعاني الكثيرة في الالفاظ القليلة . وعليه ورد اكثر آي القرآن الكريم كافي مفتتح سورة الفاتحة وهو قوله تعالى « الحمد لله رب العالمين » ؛ فانه انتظم فيه خلق السموات والارض وسائر المخلوقات لم يشذ عنه شيء في اوجز افظ وأقربه وأسهبه ، وقوله تعالى « أله الخلق والامر » استوعب جميع الاشياء على الاستقصاء ، حتي يقال ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ هذه الآية فقال : من بقى له شيء فليلطبه ، وقوله « فاصدع بما تؤمر » ثلاث كلمات اشتمت على امر الرسالة وشرائطها وأحكامها . . . الى غير ذلك من الآيات

الجارية هذا المجرى. وكذلك وقع في مثل هذا المعنى من كلام النبوة مثل قوله صلى الله عليه وسلم « نية العبد خير من عمله » ، وقوله صلى الله عليه وسلم « حبك الشيء يعنى ويصم » . . . الى غير ذلك من جوامع الكلم

سبح الاطناب  - واما الاطناب فهو في اللغة المبالغة ، فيقال : أطنب في الكلام اذا بالغ فيه ؛ وفي الاصطلاح الاشباع في القول وترديد الالفاظ المترادفة على المعنى الواحد . وقد وقع منه الكثير في القرآن الكريم مثل قوله « فأن مع العسر يسرا ان مع العسر يسراً » ؛ وقوله « كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون » كسر اللفظ في الموضوعين تأكيداً للامر واعلاماً انه كذلك لا محالة ؛ وقوله « ففرّوا الى الله انى لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الهماً آخر اى لكم منه نذير مبين » . وكرر سبحانه وتعالى في سورة « الرحمن » قوله « فبأى آلاء ربكما تكذبان » حيث عدد فيها نعمه وأذكر عباده آلاءه ونهبهم على قدرها وقدرته عاينها واطفء فيها ، وجعلها فاصلة بين كل نعمة ونعمة نذيرها على موضع أسداه اليهم فيها . وكذلك كثر في سورة « والمرسلات » قوله « ويل يومئذ للمكذبين » تأكيداً لامر القيامة المذكورة فيها . وقد وقع التكرار لتأكيد في كلام العرب كثيراً كما في قول الشاعر : أتاك أتاك اللاحقون احبس احبس ؛ فكرر أتاك مرتين ، واحبس مرتين تأكيداً للامر ؛ وكما في قول الآخر : كم نعمة كانت لكم كم لكم ، فكرر « كم » اربع مرات في سبع كلمات . . . الى غير ذلك مما وقع في كلامهم مما لا تأخذه الأحاطة

 المساواة  - وأما المساواة فهي ان تكون الالفاظ بأزاء المعانى في التلوة والكثرة لا يزيد بعضها عن بعض . وقد مثل له العسكرى في الصناعتين بقوله تعالى « حور مقصورات في الخيام » وقوله « ودوا لو تدهن فيدهنون » وقول النبي صلى الله عليه وسلم « لا تزال أمتى بخير ما لم تر الامانه مغنما والزكاة مغرماً » وقوله « اياك والمشاركة فانها تيمت الغرة وتحي العرة » وقول بعض الكتاب : سألت عن خبرى وأنا في عافية لا عيب فيها الا فندك ونعمة لا مزيد فيها الا بك ، وقول آخر : وقد علمتني نبوتك سلوتك ، وأسلمتني ياسى منك الى الصبر عنك ؛ وقول الآخر : فتولى الله النعمة عليك وفيك ، وتولى اصلاحك والاصلاح بك ، وأجرل من الحير حظك والحظ منك ، ومن عليك وعلينا بك ،

وقول الشاعر

أهابك اجلالاً وما بك قدرة على ولكن ملء عين حبيبها
وما هجرتك النفس انك عندها قليل ولا ان قل منك نصيبها
اذا علمت ذلك فقد اختلف البلغاء في أي الثلاثة أبلغ وأولى بالكلام : فذهب
قوم الى ترجيح الايجاز محتجين بأنه صورة البلاغة وان ما تجاوز مقدار الحاجة من
الكلام فضلة داخله في حيز اللغو والهذر وهما من أنظم أدواء الكلام وفيهما دلالة على
بلادة صاحب الصناعة وغباوته ، وقد قال الامين محمد بن الرشيد : عليكم بالايجاز فان
له افهاماً ، والاطالة استهماماً : وقال جعفر بن يحيى لكتابه : ان قدر تم على أن تجعلوا
كتبكم توقيعات فافعلوا حثامنه لم على الايجاز والتقصير . وقال بعضهم : البلاغة بالايجاز
أنجع من البيان بالاطاب وقيل لبعضهم : ما البلاغة ؟ قال : الايجاز . وقيل لابن حازم :
لم لا تطيل القصائد ؟ فأنشد

أبى لي أن أطيل الشعر قصدي الى المعنى وعلى بالصواب

وايجازي بمختصر قريب حذفته الفضول من الجواب

وقيل لبعض الشعراء : لم اخترت البيتين واثلثة على القصائد الطوال ؟ . فقال :
لأنها في القلوب أوقع ، وفي الآذان أوج ، وفي الآفاق أسير
وذهبت طائفة الى ان الاطاب ارجح . واحتجوا لذلك بأن النطق انما هو بيان ،
والبيان لا يحصل الا بوضوح العبارة ، وايضاح العبارة لا يتم الا بمرادفة الالفاظ على
المعنى حتى يحيط به احاطة يؤمن معها اللبس والابهام : وأن الكلام الوجيز لا بد من
وقوع التشكال فيه ، ومن ثم لم يحصل على معانيه الاخواس أهل اللغة العارفين
بدلالات الالفاظ بخلاف الكلام المشبع الشافي فإنه سالم من الالتباس اتساوى الخاص
والعام في جهته

وذهبت فرقة الى ترجيح مساواة اللفظ المعنى . واحتجوا لذلك بأن منزع الفصيحة
من الوسط دون الأطراف ، وأن الحسن انما يوجد في الشيء المعتدل . قال في مواد
البيان : والذي يوجب النظر الصحيح ان الايجاز والاطاب والمساواة صفات موجودة
في الكلام ولكل منها موضع لا يخلفه فيه رديفه إذا رضع فيه انتظم في سلك البلاغة

ودل على عقل الواضع ، واذا وضع فيه غيره دل على نقص الواضع وجهه برسوم الصناعة : فأما الكلام الموجز فإنه يصلح لمخاطبة الملوك وذوى الأخطار العالية والشئون السنية ومن لا يجوز أن يشغل زمانه بما همته مصروفة الى مطالعة غيره ؛ وأما الأطناب فإنه يصلح للمكاتبات الصادرة في الفتوحات ونحوها مما يقرأ في المحافل واليهود السلطانية ومخاطبة من لا يصل المعنى الى فهمه بأدنى إشارة ؛ وأما مساواة اللفظ المعنى فإنه يصلح لمخاطبة الأكفاء والنظرء والطبقة الوسطى من الرؤساء . فكما ان هذه المرتبة متوسطة بين طرفي الأيجاز والأطناب كذلك يجب أن تخص بها الطبقة الوسطى من الناس ؛ قال : اما لو استعمل كاتب ترديد الألفاظ وترادفها على المعنى في المكاتبة الى ملك مصروف المهمة الى أمور كثيرة حتى انصرف منهم الى غيرها دخلها الخلل ، ارتب كلامه في غير رتبته ودل على جهله بالصناعة ؛ وكذا لو نبى على الأيجاز كتابا يكتبه في فتح جليل الخطر حسن الأثر يقرأ في المحافل والمساجد الجامعة على رؤوس الأشهاد من العامة ومن يراد منه تفخيم شان السلطان في نفسه لأوقع كلامه في غير موقعه ونزله في غير منزلته ؛ لأنه لا أقبح ولا أسمح من أن يستنفر الناس لسماع كتاب قد ورد من السلطان في بعض عظامم امور المملكة او الدين فأذا حضر الناس كان الذى يمر على أسماعهم من الألفاظ واردا موارد الأيجاز والاختصار ولم يحسن موقعه وخرج عن وضع البلاغة بوضعه في غير موضعه ؛ قال : ولا يحتج بما كتبه المهاب بن ابى صفرة الى الحجاج في فتح الأزارقة ، وكان من اعظم الفتوح ، موردا له فى قالب الاختصار فأن الذى حمله على الاختصار فيه إنما هو كونه الى السلطان الذى من شأنه اختصار الكنب التى تكتب اليه ، بخلاف ما لو كتب به عن السلطان الى غيره فإنه بتعين فيه بسط الفول واطالته . . . قات : ومما يدل على أن الأيجاز والأطناب يختلف باختلاف المقامات انك اذا نامات القرآن الكريم وجدت أن الله تعالى اذا خاطب العرب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحى ، واذا خاطب بنى اسرائيل أو حكى عنهم جعل الكلام مبسوطا ، وقلما تجرد فى القرآن قصة ابى اسرائيل إلا مطولة مشروحة ومكررة فى مواضع معادة ابعد فهمهم وغباوتهم

﴿ الاصل الرابع ﴾

(مما يجب معرفته قبل الخوض في صناعة الكلام معرفة الاختراع والاتباع وتراقبهما)

﴿ الاختراع ﴾ - فأما الاختراع فهو الابتداع والاختيان بما لم يسبق إليه المخترع . قال الوزير ضياء الدين بن الأثير : وطريقه ان لا يتصفح كتابه المتقدمين ولا يطلع على شيء منها ، بل يصرف همه الى حفظ القرآن الكريم وكثير من الأخبار النبوية والأشعار ويستنبط منها المقاصد التي يريد كتابتها فيقوم ويقع ويخطئ ويصيب ويضل ويهتدى حتى يستقيم له طريق يفتحها لنفسه . قال : وأخلق بتلك الطريقة ان تكون مبتدعة غريبة لا شركة لأحد من المتقدمين فيها . وهذه الطريق هي طريق الاجتهاد وصاحبها يعد اماما في الكتابة كما يعد الشافعي وابو حنيفة وابن مالك وغيرهم من الأئمة المجتهدين في علم الفقه ؛ الأئمة مستوعرة جدا لا يستطيعها الا من رزقه الله تعالى لسانا هجاما وخاطرا راقما . قال : ولا أريد بهذا الطريق أن يكون الكتاب مرتبًا في كتابته بما استخرجه من القرآن والأخبار والأشعار بحيث انه لا ينشئ كتابا الا من ذلك ، بل اذا حفظ الاخبار والأشعار ثم نقب عن ذلك تنقيب . مطلع على معانيه مفتش عن دقائقه وقلبه ظهرا لبطن عرف حينئذ من أين توكل الكتف فيما ينشئه من ذات نفسه واستعان بالمحفوظ على الغريزة الطبيعية . على أنه لا بد للكتاب المرتقى الى درجة الاجتهاد في الكتابة مع حفظ القرآن الكريم والاستكثار من حفظ الأخبار النبوية والأشعار المختارة من العلم بأدوات الكتابة وآلات البيان من علم اللغة والتصريف والنحو والمعاني والبيان والبدیع وغير ذلك من الآلات ليتمكن من التصرف في اقتباس المعاني واستخراجها والترقي الى درجة الاجتهاد ، كما ان المجتهد من الفقهاء اذا عرف أدوات الاجتهاد من آيات الأحكام وأحاديثها وأغنيها وعرف النحو والناسخ والمنسوخ من الكتاب والسنة والحساب والفرائض والأجماع وغير ذلك من آلات الاجتهاد وأدواته استخرج بفكره ما يؤديه اليه اجتهاده . فالمجتهد في الكتابة يستخرج المعاني من وظائف القرآن الكريم والأخبار النبوية والأشعار والأمثال وغيرها بواسطة آلة الاجتهاد كما ان المجتهد في الفقهيات يستخرج الأحكام من نصوص الكتاب والسنة بواسطة آلة لاجتهاد . . .

قال : ولا يخفى أن هذه الرتبة لا يبلغها الا المبرز الكامل
 ❦ الاتباع ❦ اما الاتباع فهو أن يتبع غيره فيما يقدمه عليه . وسماه ابن
 الأثير التقليد . وهو على ضربين :

(الضرب الأول) - الاتباع في الألفاظ - وهو اعتماد الكاتب على مراتبه
 غيره من الكتابة وأنشأه سواء من أهل الصناعة بأن يعتمد الى ما أنشأه أفاضل الكتاب
 ورتبه علماء الصناعة من نثر أو نظم فيأخذه برمته ويأتي عليه بصيغته فيكون ناسخاً ناقلاً
 لكلام غيره حاكياً له . ولمثل هذا توضع الدساتير وتدوّن الدواوين . على أنه ربما غير
 وبدّل وحرّف وصحّف وأزال اللفظ عن وضعه وأحال المعنى عن حكمه، وربما حمل أحدهم
 الأنفة والخوف من أن يقال : أخذ كلام فلان برمته ، على أن يلتقط من كلام غيره
 من كل مكان سجعيتين أو سجمات فيرتب بعضها على بعض حتى يقوم بمقصوده وينتهي
 الى مراده . فإن كان لطيف الذوق حسن الاختيار رائق الترتيب فاختر من خلال السجع
 لطيفه وأحسن ترصيفه وتأليفه جاء بهجاً رائعاً الا أن فيه اخراج الكلام عن وضعه الذي
 قصده الناثر ، وتفريق مادون من كلام الافضل ، وتبديد شمله ، وخروج الكلام عن أن
 يعرف قائله ويعلم منشئه فيقع من القلوب بمكان صاحبه ويهتدى بهديه وينسج على منواله .
 وان لم يكن لطيف الذوق ولا حسن الاختيار جاء ما فقه من كلام غيره نثاراً كما كانا
 عن الذوق بعيداً عن الصناعة ، وعاد من النسخ الى المسخ ، وأخرج الكلام عن موضوعه ،
 وأفسده في وضعه وتركيبه ؛ أن صحبه التصحيف والتحريف فتلك الطامة الكبرى ثم
 لا يكتفى بذلك حتى يتبجح به معتقداً أن ذلك عين الانشاء وحقيقته محتججا في ذلك
 بقول الحريري : ان صناعة الحساب موضوعة على التحقيق ، وصناعة الانشاء مبنية على
 التفليق . ظاناً أن التفايق هو ضم سجات منظمة وققرات مؤلفة بعضها الى بعض ولم
 يعلم أن المراد بالتأفيق ضم لفظة الى آخرها وازافة كلمة الى مشاكلها . وشتان ما بين
 التأفيقين وبعداً لما بين الطريقتين

وللزبور والبارى جميعاً لدى الطيران أجنحة وخفق
 ولكن بين ما يصطاد باز وما يصطاده الزبور فرق
 واعلم ان الشاعر الملق والمأثر الماهر قد يأتي بكلام سبق اليه غيره فيأتي بالبيت

من الشعر او القرينة من النثر أو أكثر من ذلك بلفظه الاول من غير زيادة ولا نقص او بتغيير يسير . وهذا هو الذى تسميه اهل هذه الصناعة « وقوع الحافر على الحافر » . وقد سئل ابو عمرو بن العلاء عن الشاعرين يتفقان على لفظ واحد ومعنى واحد فقال : عقول رجال توافت على أسنتها . كما روى أن عمر بن أبى ربيعة أنشد ابن عباس رضى الله عنهما :

تشط غداً دار جيراننا

فقال ابن عباس : وللدار بعد غد أبعد

فقال عمر : والله ما قلت إلا كذلك . . . الى غير ذلك مما لا يحصى كثرة . قال فى الصناعتين : وإذا كان القوم فى قبيلة واحدة فى أرض واحدة فإن خواطرم تقع متقاربة كما ان أخلاقهم وشمائلهم تكون متضارعة . قال فى المثل السائر : ويقال ان الفرزدق وجريراً كانا ينطقان فى بعض الاحوال عن ضمير واحد ، قال : وهذا عندى مستبعد ؛ فإن ظاهر الامر يدل على خلافه وباطن الامر لا يعلمه الا الله . وربما وقع الاتفاق فى البيت فى المعنى وبعض اللفظ إما فى الكثير منه كقول امرئ القيس وقولاً بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتحمل وقول طرفة

وقولاً بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجلد

وإما فى القليل من اللفظ كقول البحترى فى وصف غلام فوق ضعف الصغير ان وكل الأُم هـ ر اليه ودون كيد الكبار

أخذه من قول أبى نواس

لم يخف من كبر عما يراد به من الامور ولا أزرى به الصغر

✶✶✶ الضرب الثانى ✶✶✶ — الاتباع فى المعانى دون الألفاظ ، وهذا مما لا

يستغنى عنه ناظم ولا نائر . قال فى الصناعتين : ايس لأحد من اصناف القائلين غنى عن تناول المعانى ممن تقدمهم ، والصب على قوالب من سبقهم ؛ ولكن عليهم اذا اخذوها أن يكسوها الفاظاً من عندهم ، ويبرزوها فى معارض من تأليفهم ، ويوردوها فى غير حليتها الاولى ، ويزيدوا عليها فى حسن تأليفها وجودة تركيبها . فاذا فعلوا ذلك فهم أولى بها ممن

سبق اليها . قال ولولا ان القائل يؤدى ماسمع لما كان في طاقته أن يقول ؛ وإنما ينطق
 الطفل بعد استماعه من البالغين . وقد قال أمير المؤمنين على رضي الله عنه : لولا ان
 الكلام يعاد لنفد . على ان المعاني مشتركة بين العقلاء فربما وقع المعنى الجيد للسوقي
 والنبطي والزنجي ؛ وإنما يتفاضل الناس في الألفاظ ووضعها وتأليفها ونظمها . وقد أطبق
 المتقدمون والمتأخرون على تداول المعاني بينهم فليس على أحد فيه عيب الا اذا أخذه
 بكل لفظه . أو أفسده في الأخذ وقصر فيه عن تقدمه . ولا خفاء أن ابتكار المعاني
 والسبق اليه ليس فيه فضيلة ترجع الى المعنى ؛ وإنما مرجع الفضيلة فيه الى الذي ابتكره
 وسبق اليه ؛ فالمعنى الجيد جيد وان كان مسبوقا اليه ، والوسط وسط والردى ردى
 وان لم يكن مسبوقا اليهما . على ان بعض الأدباء قد ذهب الى أنه ليس لأحد من
 المتأخرين معنى مبتدع ، محتجا بأن قول الشعر قديم مذ نطق باللغة العربية ، وأنه لم يبق
 معنى من المعاني الا وقد طرق مرارا . قال في المثل السائر : والصحيح أن باب الابتداع
 مفتوح الى يوم القيامة ؛ ومن ذا الذي يحجر على الخواطر وهي قاذفة بما لانهاية له . الا
 أن من المعاني ما يتساوى فيه الشعراء ولا يطلق عليه اسم الابتداع لأول قبل آخر ، لان
 الخواطر تأتي به من غير حاجة الى اتباع الآخر الاول كقولهم في الغزل

عفت الديار وما عفت آثارهن من القلوب

وقولهم في المديح : ان عطاه كالبجر أو كالسحاب ، وما أشبه ذلك من سائر المعاني
 التي تتوارد عليها الخواطر من غير كلفة ويستوى في ايرادها كل بارع . ومثل ذلك لا يطلق على
 الاخر فيه اسم (السرقة) من الأول ؛ وإنما يطلق اسم السرقة في معنى مخصوص . ولم
 تزل الشعراء والخطباء يقتبسون من معاني من قبلهم ويبنون على بناء من تقدمهم كقول
 أبي تمام

خلقنا رجالا لتجدوا الأسي وتلك الغواني للبكا والمآتم

أخذه من قول عبد الله بن الزبير لما قتل أخوه مصعب : وإنما التسليم والسلو لحزماء
 الرجال ، وان الجزع وانهاج لربات الحجال ؛ وكقول المتنبي

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فاعلمه لا يظلم

أخذه من قول ارسطاطاليس : الظلم كمين في النفس يخفيه العجز وتبديه المقدرة . . .

إلى غير ذلك من أنواع أخذ المعاني التي لا تنحصر كثيرة . ومما وقع للكتاب من ذلك ما كتب به ابراهيم بن العباس في قوله في فصل من كتاب له : « اذا كان للمحسن من الثواب ما يقنعه ، وللمسيء من العقاب ما يقمعه ، ازداد المحسن في الاحسان رغبة ، وانقاد المسيء للحق رهبة » أخذه من قول علي رضي الله عنه : « يجب على الوالي ان يتعهد أموره ويتفقد اعوانه حتى لا يخفى عليه احسان محسن ولا اساءة مسيء ، ثم لا يترك واحدا منهما من غير جزاء . فان ترك ذلك تهاون المحسن واجترأ المسيء ، وفسد الامر وضاع العمل » ؛ وكما كتب احمد بن يوسف في فصل من كتاب : « أحق من أثبت لك العذر في حال شغلك من لم يخل ساعة من برك في وقت فراغك » ، أخذه من قول علي أيضا « لا تكونن كمن يعجز عن شكر ما أوتى وياتمس الزيادة فيما بقى » .

قال في الصناعتين : ومن أخفى اسباب السرقة أن يأخذ معنى من نظم فيورده في نثر ، أو من نثر فيورده في نظم ، أو ينقل المعنى المستعمل في صفة خمر فيجعله في مديح ، أو في مديح فينقله في وصف ؛ إلا أنه لا يصل لهذا إلا المبرز الكامل المقدم . وقال في المثل السائر : أتكل سرقات المعاني وأدقها وأغربها وأبعدها مذهباً أن يؤخذ المعنى مجرداً من اللفظ ؛ قال : وذلك مما يصعب جداً ولا يكاد يأتي كقول أبي تمام في المدح

ففي مات بين الضرب والظعن ميتة تقوم مقام النصر اذ فاته النصر

أخذه من قول عمرو بن الورد من شعراء الحماسة

ومن يك مثلي ذاعبال ومقترأ من المال يطرح نفسه كل مطرح

ليبلغ عذراً أو ينال رغبة ومبلغ نفس عذرها مثل منجج

فعروة جعل اجتهاده في طلب الرزق عذراً يقوم مقام النجاح ، وأبو تمام جعل الموت في الحرب الذي هو غاية اجتهاد المجتهدين في لقاء العدو قائماً مقام الانتصار . قال في المثل السائر : وكلا المعنيين واحد غير أن اللفظ مختلف

اذا علمت ذلك فقد جعل في المثل السائر سرقة المعنى المجرد عن اللفظ أنواعاً :

احدها - ان يؤخذ المعنى ويستخرج منه ما يشبهه ولا يكون هو اياد . وقوله ابقع ،

كقول المتنبى

واذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

استخرجه من قول بعض شعراء الحماسة
 لقد زادني حبا لنفسي اني بغيض الى كل امرئ غير طائل
 فان الاول يقول : ان بغض الذي هو غير طائل ايبي قد زاد نفسي حبا الى لانه قد
 كلها في عيني وحسنا عندي كون الذي هو غير طائل مبعضى ، والمتنبي يقول : ان ذم
 الاقص اياه بفضلته كتحسين بغض الذي هو غير طائل نفس ذلك الرجل عنده
 الثاني - ان يؤخذ المعنى فيعكس . قال في المثل السائر : وهو حسن يكاد يخرج
 عن حد السرقة كقول أبي نواس

قالوا عشقت صغيرة فأحببتهم
 اشهى المطي الى ما لم يركب
 كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة
 نظمت وجبة لؤلؤ لم تثقب
 وقول مسلم بن الوائد في عكسه

ان المطية لا يلد ركوبها
 حتى تذال بالزمام وتركبا
 والدر ليس بنافع أصحابه
 حتى يزين بالنظام ويثقبا
 الثالث - ان يؤخذ بعض المعنى دون بعض كقول علي بن جبلة
 وآثل ما لم يحوه متقدم
 وإن نال منه آخر فهو تابع

وقول المتنبي بعده

ترفع عن عون المكارم قدره
 فما يفعل الفعلات الاعذاريا
 فان جبلة أتى بمعنيين : احدهما ان الممدوح فعله لم يفعله أحد ممن تقدمه ، والثاني أن من
 نال شيئا من ذلك لم يفعله الا اقتداء به وتبعاله ؛ والمتنبي أتى بالمعنى الاول فقط ، وهو أنه
 يفعل الا يفعله غيره مشيرا الى ذلك بقوله «فما يفعل الفعلات الاعذاريا» بمعنى انه يستبكرها
 ويزيل عذرتها

الرابع - أن يؤخذ المعنى فيزيد عليه معنى آخر . قال في المثل السائر : وهذا النوع
 من السرقات قليل الوقوع بالنسبة الى غيره كقول الاخنس بن شهاب
 اذا قصرت أسيافنا كان وصاها
 خطانا الى اعدائنا فنضارب
 خذه مسلم بن الوائد فقال

ان قصر الرمح لم تمش الخطا عددا
 أو عمد الرمح لم نهم بتعريد

فزاد على الاخذس عدم تعريدهم اذا عرد السيف يعنى انهم لا يفرون اذا نبت سيوفهم
عن الضريبة ٠٠٠ قلت : ومما تنفق لى نظمه في هذا الباب أنه لما عمرت مدرسة الظاهر
برقوق بين القصرين بالقاهرة وكان القائم بعمارته الامير جركس الخليلي وقد حمل اليها
الحجارة العظيمة على عجل نظم ابن أبي العباس الدهموري آياتا منها

و بعض خدامه طوعاً لخدمته يدعو الصخور فتأتيه على عجل

وكان قد أقام على الباب مستحثاً اسمه عمرو ويستحث أر باب العمل ويضر بهم بالسياط
فكلفت نظم آيات في المعنى فوق لى آيات منها

وبالخليلي قد راجت عمارتها في سرعة بنيت من غير ما مهل

كم أظهرت عجباً أسواط حكمته وقد غدت مثلاً ناهيك من مثل

وكم صخور تخال الجن تنقلها قانها بالوحا تأتي و بالعجل

فزدت عليه ذكر « الوحا » الذي معناه السرعة فصار مطابقاً لما يأتي به المعزومون في
عزائمهم من قولهم : الوحا ، الوحا ، العجل ، العجل مع ما تقدم له من التوطئة بقولي « تخال
الجن تنقلها » . على أنى لست من فرسان هذا الميدان ولا من رجال هذا الوغي

الحامس - ان يؤخذ المعنى فيكسى عبارة احسن من العبارة الاولى . قال ابن

الاثير : وهذا هو المحمود الذي يخرج حسنه عن باب السرقة كقول العلاء بن سايان في مرثية

وما كلفة البدر المير قديمة ولكنها في وجهه اثر اللطم

نقله ابن القيسراني الى الغزل فقال

وأهوى الذي يهوى له البدر ساجدا ألت ترى في وجهه أثر الترب

السادس - ان يؤخذ المعنى ويسبك سبكاً موجزاً . قال في المثل السائر : وهو من أحسن

السرقات لما فيه من الدلالة على بسط الناظم في القول وسعة باعه في البلاغة كقول أبي العتاهية

واني لمعذور على فرط جبهها لان لها وجهها يدل على عذري

أخذه أبو تمام فقال

له وجه اذا أبصر ته نأجك عن عذري

فأوجز في هذا المعنى غاية الایجاز

السابع - ان يؤخذ المعنى فبزيادة بيان مع المساواة في المعنى بأن يضرب له مثال يوضحه

كقول ابى تمام

تفصلت شفتاه من حفيظته فخيّل من شدة التعيش مبتسما

أخذه ابو الطيب فقال

وجاهل مده في جهله ضحكى حتى أتته يد فزاسة وفم

إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن ان الليث مبتسم

فضرب له مثلا بظهور أنياب الليث فزاده وضوحا

الثامن - أن تتحد الطريق في المعنى ويختلف المقصود مثل أن يملك الشاعران

طريقا واحدة فتخرج بهما الى موردين فيتبين فضل أحدهما على الآخر كقول النابغة

إذا ما غزا بالجيش حلق فوقه عصائب طير تهتدى بعصائب

جوانح قد أيقن أن قبيله إذا ما التقى الجمعان اول غالب

وقول مسلم بن الوليد بعده

قد عود الطير عادات وثقن بها فمن يتبعنه في كل مرتحل

التاسع - ان يكون المعنى عاما فيجمل خاصا أو خاصا فيجعل عاما قال ابن الأثير:

وهو من السرقات التي يسامح فيها . أما جعل العام خاصا فكقول الأختل

لا تنه عن خلقي ونأني مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

أخذه ابو تمام فقال

ألوم من بخلت يداه وأغتدى للبخل تريبا ساء ذلك صنيع

وأما جعل الخاص عاما فكقول ابى تمام

ولو حاردت شول عذرت اءاحها ولكن ممن الدرّ والدر حافل

وقول المتنبي بعده

وما يؤلم الحرمان من كف حارم كما يؤلم الحرمان من كف رازق

العاشر - قلب الصورة القبيحة الى صورة حسنة . قال في المثل السائر : وهذا

لا يسمى سرقة، بل إصلاحا وتهذيبا كقول ابى نواس يصف لاعبي الكرة والصوبان

من أرجوزة

جن علي جن وإن كانوا بتر كئاما خيطوا عليها بالأبر

وقول المتنبي بعده

فكأنما نتجت قيما تحتهم وكأنهم خلقوا على صهواتها
الحادى عشر - قلب الصورة الحسنة الى صورة قبيحة . وهو الذى يعبر عنه أهل
هذه الصناعة بالمسخ ، وهو من اردل السرقات وأقبحها كقول ابى تمام
قى لا يرى ان الفريضة مقتل ولكن يرى ان العيوب مقاتل
أخذه المتنبي فمسخه فقال
يرى أن ماما بان منك اضارب بأقل مما بان منك لعائب

﴿ الاصل السادس ﴾

من أصول صنعة الكلام وجود الطبع السليم وخلق الفكر عن المشوش وبيان ما يستحسن
من الكلام

﴿ اما وجود الطبع السليم ﴾ فقال في مواد البيان : اول معادن هذه الصناعة الجليلة
القرينة الفاضلة والغريزة الكاملة التى هي مبدأ الكلام ومنشأ التمام والاساس الذى يبنى
عليه والركن الذى يستند اليه ؛ فان المرء قد يجتهد في تحصيل الآداب ويتوفر على اقتناء
العلوم واكتسابها وهو مع ذلك غير مطبوع على تأليف الكلام فلا يفيد ما اكتسبه .
بخلاف المطبوع على ذلك فانه وان قصر في اقتباس العلوم واكتساب المواد فقد يالحق
بأوساط اهل الصناعة ؛ وذلك ان الطبع حظ ينحس الله به المطبوع دون المتطبع والماسب
بغريزته للصناعة دون المتصنع فلا سبيل الى اكتساب سهولة الطبع ولا كرازته ، بل هو
موهبة تخص ولا تعم وتوجد في الواحد وتمقد في الآخر . قال في تحرير التحبير : ومن
الاس من يكون في البديهة أبداع منه في الروية ، ومن هو مجيد في الروية وليست له
بديهة ، وقلما يتساويان ؛ ومنهم من إذا خاطب أبداع وإذا كتب قصر ، ومن هو بضد ذلك
ومن قوى نثره ضعف نظمه ، ومن قوى نظمه ضعف نثره ، وقلما يتساويان ؛ وقد يبرز الشاعر
في معنى من مقاصد الشعر دون غيره من المقاصد ولهذا قيل : أشعر الناس امرؤ القيس
إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والابنيرة إذا رهب ، وعنترة إذا كلب ، والأعشى إذا طرب .
قال في المثل السائر : بل ربما مهر في بعض أنواع الشعر أو الترددون بهض : فيرى مجيدا

في المدح دون الهجو ، أو بالعكس ؛ أو ما هرا في المقامات ونحوها دون الرسائل ؛ أو في بعض الرسائل دون بعض . قال ابن أبي الأصبغ : وربما واتاه العمل في وقت دون وقت ؛ ولذلك قال الفرزدق : أنى ليعر على الوقت ولقلع ضرر من أضراسى أيسر على من قول الشعر . ولذلك عز تأليف الكلام ونظمه على كثير من العلماء باللغة والمهرة في معرفة حقائق الألفاظ من حيث يذبو طبعهم عن تركيب بسائط الكلام الذي قامت صور معانيه في نفوسهم وصعب الأمر عليهم في تأليفه ونظمه فقد حكى ان الخليل بن أحمد مع تقدمه في اللغة ومهارته في العربية واختراعه علم العروض الذي هو ميزان شعر العرب لم يكن يتهيأ له تأليف الألفاظ السهلة لديه الحاصلة المعاني في نفسه على صورة النظم إلا بصعوبة ومشقة ؛ وكان إذا سئل عن اعراضه عن نظم الشعر يقول : يا باني جيدة وأبي رديته ؛ مشيراً بذلك الى أن طبعه غير مساعد له على تأليف المرضى الذي تحسن نسبه الى نفسه . وقد قيل لامفضل الضبي : ألا تقول الشعر وأنت اعلم الناس به ؟ فقال : علمي به يمنعني من قوله وأنشد

أبي الشعر الا أن يني رديته على وينأى منه ما كان محكما
فيا ليتني ان لم أجد حوك وشيه ولم أك من فرسانه كنت منمحا

وأنشد ابو عبيدة خافاً الأحمر شعراً له فقال : « اخبأ هذا كما تخبأ السنورة حاجتها » مع ما كان عليه أبو عبيدة من العلم باللغة وشعر العرب وامثالها وأيام حروبها وما يجري مجرى ذلك من مواد نظم الشعر . ويحكى عن المبرد أنه قال : لا احتاج الى وصف نفسي ، لان الناس يعلمون أنه ليس أحد بين الحافقين يحتاج في نفسه مسألة مشكلة الا لقيني بها وأعدني لها ؛ فأنا عالم وتعلم وحافظ ودارس لا يخفى على مشتبه من الشعر والنحو والكلام المنشور والخطب والرسائل ، ولربما احتجت الى اعتذار من فلتة او التماس فأجمل المعنى الذي أقصد نصب عيني ثم لا أجد سبيلا الى التبرير عنه بيد ولا لسان ؛ واتمد بلغني ان عبد الله بن سليمان ذكرني بجميل فحواوات أن أكتب اليه رقعة أشكره فيها وأعرض ببعض أموري فأعبت نفسي يوماً في ذلك فلم أقدر على ما أرتضيه منها ، وكنت أحاول الافصاح عما في ضميري فينحرف اساني الى غيره . ولذلك قيل : زيادة المنطق على الأدب خدعة وزيادة الأدب على المنطق هجنة . فقد تبين ان العبرة بالطبع وأنه الأصل المرجوع اليه في ذلك

﴿ وأما خلو الفكر عن المشوش ﴾ فإنه يرجع الى أمرين :
 ﴿ الأمر الاول ﴾ - صفاء الزمان . فقد قال أبو تمام في وصيته للبحرئى مرشداً له
 للوقت المناسب لذلك : « تخير الاوقات وأنت قليل المهوم صفر من العموم . واعلم
 ان المادة فى الاوقات اذا أراد الانسان تأليف شئ أو حفظه أن يختار وقت السحر :
 فأن النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم وخف عنها ثقل الغذاء
 وصفاء الدماغ من كدر الأبخرة والادخنة وسكنت الغمام وركت النسيم وتفتت
 الحائم » وخالفه ابن أبى الاصبع فى ذلك وجنح الى اختيار وسط الليل أخذاً
 من قول أبى تمام فى قصيدته البائية

خذها ابنة الفكر المهذب فى الدجى والليل أسود رقعة الجباب

مفسراً للدجى بوسط الليل؛ محتجاً لذلك بأن وقت السحر وان كان فيه برق النسيم وينهمم
 الغذاء فإنه يكون قد اتبته فيه أكثر الحيوان من الناطق وغيره ويرتفع معظم الأصوات
 ويجرى الكثير من الحركات وينتشم بعض الظلماء بطلائع أوائل الضوء، وربما انهمم
 عن بعض الناس الغذاء فتحركت الشهوة لأخلاف ما انهمم منه وخرج من فضلاته
 فكان ذلك داعياً الى شغل الحاطر وباعثاً على انصراف الهم الى تدبير الحدث الحاضر
 فيتقسم الفكر ويتذبذب القلب ويتفرق جميع الهم، بخلاف وسط الليل فإنه خال من جميع ذلك
 ﴿ الأمر الثانى ﴾ - صفاء المكان الذى هو فيه بأن يكون خالياً من الاصوات عارياً
 عن الخوفات والمهولات والطوارق، وأن يكون مع ذلك مكاناً راقماً حياً رقيق الحواشى
 فسيح الأرجاء بسيط الرحاب غير غمر ولا كدر؛ فأن انضم الى ذلك ما فيه بسط الحاطر
 من ماء وخضرة وأزهار وطيب رائحة كان أبسط للفكر وأبجح للخاطر ان تصدى للعمل
 فى النهار . على أن بعضهم قد ذهب الى أنه ينبغى خلو المكان من القموش الغربية والمرأى
 العجبية فأنها وان كانت مما يبسط الحاطر فأن فيها شغلاً للناظر فيتبعه القلب فيتشتت

﴿ الاصل السادس ﴾

من أصول صنعة الكلام معرفة السجع وأحكامه واختلاف احواله . وهو عمدة
 هذه الصناعة وأساس بنائها . قال فى مواد البيان : هو مشتق من الساجع وهو المستقيم

لاستقامته في الكلام واستواء أوزانه؛ وقيل من سجع الحمامة وهو ترجيعها الصوت على عدد واحد. يقال منه: سجعت الحمامة تسجع سجعاً فهي ساجمة؛ سمي السجع في الكلام بذلك لأن مقاطع الفصول تأتي على ألفاظ متوازنة متعادلة وكلمات متوازنة متماثلة فأشبه ذلك الترجيع. قال: وهو في الاصطلاح تقفية مقاطع الكلام من غير وزن وقال في المثل السائر: هو تواطؤ الفواصل من الكلام المنشور على حرف واحد؛ ويقال للجزء الواحد منه «سجعة» وتجمع على سجعات، وفقرة - بكسر الفاء - أخذنا من فقرة الظهر وهي إحدى عظام الصلب وتجمع على فقر وفقرات - بكسر الفاء وسكون القاف وفتحها وربما فتحت الفاء واقاف جميعاً - ويقال لها أيضاً قرينة بمقارنة اختها، وتجمع على قرائن؛ ويقال للحرف الأخير منها «الفاصلة» و«حرف الروي». والقاعدة فيه أن تكون كلمات الاسجاع ساكنة الاعجاز موقوفاً عليها بالسكون في حالي الوقف والدرج؛ لأن الغرض منه المناسبة بين القرائن والمزاوجة بين الفقر وذلك لا يتم إلا بالوقف بدليل قولهم: ما أبعد آفات وما أقرب أهوات، فأبك لو ذهبت أصل فيه لم يكن بد من إعطاء أواخر القرائن ما يعطيه حكم الاعراب، فتختلف أواخر القرائن ويفوت الساجع غرضه. قال في الصنائع: ولا يحسن منشور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجاً ولا تكاد تجد بليغ كلاماً محلولاً من الازدواج، وناهيك أن القرآن الكريم الذي هو عنصر البلاغة ومناطق الاعجاز مشحون به لا تخلو منه سورة من سورته وإن قصرت، بل ربما وقع السجع في فواصل جميع السورة كما في سورة «النجم» واقتربت، والرحمن» وغيرها من السور؛ بل ربما وقع في أوساط الآيات كقوله تعالى «الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور» وقوله «لونشاء أصبانهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم» وما أشبه ذلك وكذلك وقع في الكثير من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله عليه الصلاة والسلام عند قدومه المدينة «أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام» بل ربما صرف الكلمة عن موضعها في اللغة مراعاة للمزاوجة كقوله صلى الله عليه وسلم «انصرفن مأزورات، غير مأجورات» أصلها «موزورات» أخذاً من الوزر، فعبر بمأزورات لموافقة مأجورات. وعلى ذلك كان يجري كلام العرب في مهم كلامهم من الدعاء وغيره كقول بعض الاعراب وقد ذهب السيل بابنه: اللهم

ان كنت قد ابتليت فطالما عافيت . أما ما روى أنه صلى الله عليه وسلم حين قضى على رجل في الجبين بفرقة عبد أو أمة فقال الرجل : أأدى من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل ومثل ذلك يطال ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أسجعا كسجع الكهان ؛ فأما كره صلى الله عليه وسلم السجع من ذلك الرجل لمشابهة سجع الكهان لما فيه من التكلف والتعسف كما قاله أبو هلال العسكري ، أو لجر يانه على عاداتهم في الجواب في الأحكام وغيرها بالكلام المسجوع كما قاله غيره ، أو أنه إنما كره حكم الكاهن الوارد باللفظ المسجوع بانكار ايجاب الدية لانفس السجع المأتى به كما اختاره صاحب المثل السائر

وليعلم أن السجع تارة تكون القرينتان فيه متفتتين في حرف الروى ، ويسميه الرمانى « السجع الخالى » وعليه عمل أكثر الكتاب من زمن القاضي الفاضل الى زماننا ، وأعله ان تكون الفاظ القرينتين مستوية الاوزان ويسمى « التصريع » وهو أحسن أنواع السجع وأعلاها كما في قوله تعالى « ان الينا اياهم ثم ان علينا حسابهم » وقوله « ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم » وقوله صلى الله عليه وسلم في دعائه : اللهم اقبل توبتي واغسل حوبتي ؛ وقوله للانصار : انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع ؛ ودون ذلك في الرتبة ان يختص التوازن بالكلمتين الاخيرتين من الفقرتين فقط دون سائر الالفاظ كقوله تعالى « فيها سرر مرفوعة واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة ووزرابى مبثوثة » ؛ ودونه أن يقع الاتفاق في حرف الروى مع قطع النظر عن التوازن في شئ من أجزاء الفقرة في الآخر ولا غيره ، ويسمى المطرف كقوله تعالى « الكم لا ترجون الله وقارا وقد خلقكم أطوارا » . وتارة تختلف حروف الروى في آخر الفقرتين وهو الذى يعبرون عنه بالازدواج ، والروانى يسميه « السجع العاقل » وعليه كان عمل السلف من الصحابة والتابعين ومن قارب زمانهم ؛ وأعله ان يراعى الوزن في جميع كلمات الفقرتين او في أكثرها مع مقابلة الكلمة بما يعادلها وزناً ، ويسمى التوازن ، كقوله « وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم » ؛ ودون ذلك في المرتبة ان يراعى التوازن في الكلمتين الاخيرتين فقط . ويسمى « التوازن » أيضاً كقوله تعالى « ونمارق مصفوفة ووزرابى مبثوثة » . وقولهم : اصبر على حرا القتال وشدة الصاع وداومة البراز ، ودونه أن لاتقع

موازنة في آخر القرينتين ولا في شيء من احدهما كقوله تعالى « والسما ذات البروج
واليوم الموعود »

ثم اعلم أن من السجع ما يوصف بالقصر ومنه ما يوصف بالطول . فالسجعة القصيرة من عشرة
الفاظ فتأدونها ، قال في حسن التوسل : وهي تدل على قوة التمسك واحكام الصنعة لاسيما القصير
منها للغاية ؛ وأقل ما يكون من لفظتين ، كقوله تعالى (يا أيها المدثر قم فأندر وربك فكبر وثيابك
فطهر) . قال : ومثله في القرآن الكريم كثيرا إلا ان الزائد على ذلك أكثر كقوله تعالى « والنجم
اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى » وما أشبه ذلك وأما
السجعة الطويلة فقال في حسن التوسل : هي ألد في السمع لتشوف السامع الى ما يرد . متزايدا
على سمعه ؛ وأقل ما تكون من احدى عشرة كلمة فما فوقها كقوله تعالى « واذا أذقنا الانسان
منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤوس كفور . ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولان
ذهب السيئات غوى انه لفرح فقور » فالاولى من احدى عشرة لفظة ، والثانية من ثلاث
عشرة لفظة ، وغالب ما يكون من خمس عشرة لفظة فما فوقها كقوله تعالى « لقد جاءكم
رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فان تولوا قتل
حسبي الله لا إله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » فالاولى من اربع عشرة
لفظة ، والثانية من خمس عشرة . وقوله تعالى « اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكم
كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر واكن الله سلم انه عليم بذات الصدور واذ يريكوهم اذ التقيتم
في أعينكم قليلا ويقللهم في أعينهم ليقضى الله امر اكان . فمفعولا والى الله ترجع الامور » فالاولى
عشرون لفظة ، والثانية تسع عشرة ، وهذا غاية ما انتهى اليه الطول في القرآن الكريم . قال في
المثل السائر وحسن التوسل : انه لا ضابط لأكثره . قلت : ومما اعتنى به كتاب الزمان أنهم
يجعلون السجعة الاولى من خطبة الولاية ونحوها قصيرة بحيث يقع انتهاءها وابتداء الثانية
في السطر الاول ، فان طال ذلك فيكون في السطر الثاني يقع نظرا الناظر على السجعة الاولى
لأول وهلة

ومما ينبغي معرفته ان أقل ما يكون السجع سجعتان ، والازدواج قرينتان ، ولا نهاية
لغاياته وقد كان كتاب المصريون قاربهم في الزمان يحرضون على ان تكون الخطبة في
الولاية ونحوها على روى واحد الى حسن انتهاءها . وعلى ذلك كان يكتب القاضي محبي

الدين بن عبد الظاهر والشيخ شهاب الدين محمود الحلبي وغيرهما من أفاضل الكتائب؛ ثم أهل الامر في ذلك آخر أفساروا يقتصرون على التحميدة أن تكون على روى واحد على القاعدة الاولى. ثم ان لم يزد السجع على سجتين فتارة تكون القرينتان متساويتين لاتزيد احدهما على الاخرى كقوله تعالى «فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تقهر»، وقوله «فالموديات قدحا فالمخيرات صباحا فأثرن به تقعا فوسطن به جمعا» وما أشبه ذلك؛ وتارة تكون القرينة الثانية أطول من الاولى بقدر يسير كقوله تعالى «بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا إذا رأهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا» فالاولى ثمان كلمات، والثانية تسع؛ أما اذا طالت الثانية عن الأولى طولا يخرج عن الاعتدال فإنه يستقبح، قال في حسن التوسل: لأن بعد دخول القافية على السامع يقل الالتذاذ بسماها والمرجع في ذلك الى الذوق. وتارة تكون القرينة الثانية اقصر من الاولى، قال في المثل السائر: وهو عندي عيب فاحش لان السمع يكون قد استوفى أمده من الفصل الاول بحكم طوله، ثم يجيء الفصل الثاني قصيرا فيكون كالشيء المبتور فيبقى الانسان عند سماعه كمن يريد الاتهاء الى غاية فيعثر دونها. وفيما قاله نظر؛ فقد تقدم في قوله تعالى «اذ يريكهم الله في منامك قليلا...» الآيتان، أن الاولى عشرون كلمة، والثانية تسع عشرة، بل قد اختار تحسين ذلك أبو هلال العسكري في الصناعتين محتجا بكثرة وروده في كلام النبوة كقول النبي صلى الله عليه وسلم الانصار: انكم لتكثرن عند الفزع وتقلون عند الطمع؛ وقوله: المؤمنون تتكافؤ دماؤهم وهم يد على من سواهم، وقواه: رحم الله من قال خيرا فغنم أو سكت فسلم

وان زاد السجع على سجتين فقد يقع على حد واحد وهو مستحسن وقد وقع في القرآن الكريم بعض ذلك كقوله تعالى «وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطالح منضود وظل ممدود» فهذه السجعات الثلاث مركبة من لفظتين لفظتين، وقد تكون الاولى اقصر، والثانية والثالثة متساويتين كقوله تعالى «بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا إذا رأهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا» فالاولى من ثمان كلمات، والثانية والثالثة من تسع تسع، وقد تكون الاولى والثانية متساويتين، والثالثة زائدة عليهما، وقد أشار الى ذلك في حسن التوسل

حيث قال : فان زادت القرائن على اثنتين فلا يضر تساوى القرينتين الأوليين وزيادة الثالثة، ولم يمثل لها ؛ وقد تكون الثانية زائدة على الاولى ، والثالثة زائدة على الثانية ، قال في المثل السائر : وينبغي ان تكون في هذه الحالة زيادة الثالثة متميزة في الطول عن الأولى والثانية أكثر من تميز الثانية على الاولى ، فاذا كانت الاولى والثانية اربع لفظات تكون الثالثة عشر لفظات أو احدى عشرة لفظة ؛ ومثل له في حسن التوسل بمد ان ضبط الزيادة بأن لا تتجاوز المثل بقوله تعالى « وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا » تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ، ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل ما في السموات والارض الا آتي الرحمن عبداً » فالاولى من ثمان كلمات ، والثانية من تسع ، والثالثة من عشرين ، ولا يخفى حكم الرابعة في الزيادة على الثالثة . قال في حسن التوسل : ولا بد من الزيادة في آخر القرائن اذا تقرر ذلك فمن السجع ما يستحسن ومنه ما يستقبح .

﴿ فحسنه ﴾ يكون بأمور : منها أن يكون بريثا من التكلف خاليا من التعسف محمولا على ما يأتي به الطبع وتبديده الغريزة ؛ ويكون اللفظ فيه نابعا للمعنى بأن يقتصر من اللفظ على ما يحتاج اليه في المعنى دون الاتيان بزيادة أو نقص تدعو اليه ضرورة السجع حتى لو حصلت زيادة أو نقص بسبب السجع دون المعنى خرج السجع عن حيز الحسن الى حيز القبح . ومنها أن تكون الالفاظ حلوة حادة لا غثة ولا باردة موقنة المعنى حسنة التركيب غير قاصرة على صورة السجع الذي هو تواطؤ الفقر فيكون كمن نقش أتوابا من الكرسف او نظم عقداً من الحرز الملون . قال في المثل السائر : وهذا مقام تزل عنده الاقدام ولا يستطيعه الا الواحد بعد الواحد من ارباب هذا الفن : قال : ومن اجل ذلك كانت اربابه قليلا ، ولولا ذلك لكان كل أديب سجاعا اذ ما من احد منهم الا وقد يتيسر عليه تأييف الفاظ . سجوعة في الجملة

ومنها أن تكون كل واحدة من السجعين دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه أختها فلا يكون مثل قول الصابي في وصف مدبر : يسافر رأيه وهو دان لم يبرح ، ويشخن الجراح في عدوه وسيفه في الغمد لم يبرح . لأن اشتمال السجعتين على معنى واحد يمكن ان يكون في إحداها بمفرده وهو عين التطويل المذموم في الكلام

ومنها ان يقع التجنيس في نفس الفواصل كقوله : اذ اقلت الانصار ، كلت الأ بصار ؛ ونحو ذلك . ومنها أن يقع في خلال السجمة الطويلة قرأتين قصار فتكون سجعاً في سجع كقوله تعالى « ولونشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم » وقوله « ولستم بأخذيه الا أن تمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد » فإن قوله : بذنوبهم ، وقوله : على قلوبهم سجعتان داخلتان في السجمة التي آخرها : حتى يروا العذاب الأليم ؛ وقوله : بأخذيه ، وقوله : تمضوا فيه ، سجعتان داخلتان في السجمة التي آخرها : غني حميد .

﴿ وقبحه ﴾ يعتبر بأمور : منها التجميع ، وهو أن تكون فاصلة الجزء الأول بعيدة المشاكلة لفاصلة الجزء الثاني كما حكى قدامة ان كاتباً كتب في جواب كتاب : وصل كتابك فوصل به ما يستعبد الحر وان كان قديم العبودية ، ويستغرق الشكر وان كان سابق فضلك لم يبق شيئاً منه . فإن « العبودية » بعيدة عن مشاكلة « منه » — ومنها التطويل فيما ذكر قدامة وغيره ، وهو ان يجيء الجزء الأول طويلاً فيحتاج الى إطالة الجزء الثاني بالضرورة كما حكى أن كاتباً كتب في نغزية : اذا كان للمحزون في انشاء مثله كبير الراحة في العاجل ، وكان طويلاً الحزن راتباً اذا رجع الى الحقائق وغير زائل . . . قال في الصناعتين : وذلك انه لما أطال الجزء الأول وعلم أن الجزء الثاني ينبغي أن يكون مثله أو أطول احتاج الى تطويل الثاني فأتى باستكراه وتكاف : قال في مواد البيان : والأطالة بقوله « وغير زائل »

— الطرف الثاني —

(في كيفية انشاء الكلام وتأليفه وتهذيبه ، وبيان ما يستحسن منه وما يعاب)

﴿ أما انشاءه وتأليفه ﴾ فقد قال ابن أبي الأصبغ في تحرير التعبير : يجب على كل من كان له ميل الى علم الشعر وانشاء النثر أن يتعهد أولاً نفسه ويمتنعها بالنظر في المعاني وتدقيق الفكر في استنباط المخترعات : فأذا وجد لها فطرة سليمة وجبلة موزونة وذكاء وقادا وخاطرا سمحا وفكراً ثاقبا وفيما سر يعا وبصيرة مبصرة وألمعية مهذبة وقوة حافظة وقدرة حاكية وهمة عالية ولمهجة فصيححة وفطنة صحبحة أخذ حينئذ في العمل

وان كان بعض ذلك غير لازم لرب الانشاء ولا يضطر اليه أكثر الشعراء ولكن اذا
 كملت هذه الصفات في الكاتب والشاعر كان موصوفاني هذه الصناعة بكمال الاوصاف
 النفيسة . قال في الصناعتين : اذا أردت أن تصنع كلاما فأخطر معانيه ببالك ؛ وتنوق
 له كرائم اللفظ فاجعلها على ذكر منك ليقرب عليك تناولها ولا يتعبك طلبها ؛ واعمله
 مادمت في شباب نشاطك ؛ فأذا غشيك الفتور وتخونك الملل فأمسك ، فان الكثرة مع
 الملل قليل ، والنفيس مع الضجر خسيس ، والخواطر كالينابيع يسقى منها شيء بعد شيء .
 فتجد حاجتك من الري وتنال أربك من المنفعة ، فأذا أكثرت عليها نضب ماؤها فقل
 عنك غاؤها . وينبغي ان تخرج مع الكلام معارضة فإذا مررت بلفظ حسن أخذت
 برقبته أو معنى بديع تعامت بذي له ، وتحرز أن يسبقك ، فإنه ان سبقك نعبت في طلبه
 ولعلك لا تلحقه على طول الطلب ومواصلة الأدب وهذا الشاعر يقول
 اذا ضيقت أول كل شيء أبت أعجازه الى التواء

وقد قالوا: ينبغي لصانع الكلام ان لا يتقدم الكلام تقدما ولا يتبع ذنابه تتبعاً ولا يحمله على
 لسانه حملاً؛ فإنه ان تقدم الكلام لم يتبعه خفيفه وهزيله وأعجفه والشارد منه، وان تتبعه فاته
 سوابقه ولو احقه وتباعدت عنه جياده وغرره، وان حمه على لسانه ثقأت عليه أوساقه
 وأعباؤه ودخلت مساويه في محاسنه، ولكنه يجرى معه فلا تند عنه نادرة تعجبه سمنا الا
 كبحها، ولا تتخلف عنه مثقلة هزيلة الا أرهقها، وطررا يفرقه ليختار أحسنه، ويطورا يجمعه
 ليقرب عليه خطو الفكر ويتأوله من تحت لسانه، ولا يساط الملل على قلبه ولا الاكنار
 على فكره فيأخذ عفوه ويستغزر درره، ولا يكرها آيا ولا يدفع آتيا، واياك والتعقيد والتوعر،
 فان التوعر هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك ومن أراد معنى كرميا فلياتمس
 له افظا كرميا فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقها أن يصوتها مما
 يندسهما ويفسدهما ويهجنهما فتصير بهما الى حد تكون فيه أسوأ حالا.ك فبيل ان
 تلمس البلاغة وترهن نفسك في ملبستها، واينك نسيها عند بافخما سهلا، ومهناه
 ظاهرا مكشوفاً وقريبا معروفا، فان وجدت اللفظة لم تنفع موقعها ولم تصل الى مركرها
 ولم تتصل بسككها وكانت قائمة في موضعها نافرة عن مكانها فلا تكرها على اغتصاب
 أما كنها والنزول في غير أوطانها. وان بايت بتكاف النور والاطى الصناعة ولم تسمح لك

الطبيعة في أول وهلة وعصت عليك بعد اجالة الفكر فلا تعجل ودع سحابة يومك ولا
تضجر وامهله سواد ليلتك وعاوده عند نشاطك فانك لا تعدم الاجابة والمواتاة ان
كانت هناك طبيعة أوجريت من الصناعة على عرف؛ وينبغي أن تعرف اقدار المعاني
فتوازن بينها وبين أوزان المستمعين وأقدار الحالات فتجعل لكل طبقة كلاما ولكل
حال مقاما حتى تقسم أقدار المستمعين على أقدار الحالات فأن المنفعة مع موافقة الحال
وما يجب لكل مقام من المقال قال في مواد البيان : ويكون استعمال كل جزل من الالفاظ
وسهلها وفصيحتها وسلسها وبهجتها في موضعه وأن يسلك في تأليف الكلام الطريق الذي
يخرجه عن حكم الكلام المنشور العاطل الذي تستعمله العامة في المخاطبات والمكاتبات
الى حكم المؤلف الحالى بحلى البلاغة والبديع كالاستعارات والتشبيهات والاسجاع
والمقابلات وغيرها من أنواع البديع . قال في الصناعتين : وان عملت رسالة أو خطبة فتخط
ألفاظ المتكلمين كالجسم والجوهى والعرض واللون والتأليف واللاهوت والناسوت، فأن
ذلك هجنة . قال في مواد البيان : وذلك بأن يقصد الكاتب الى ألفاظ الصناعة فيخرج
منها الى ألفاظ غريبة عن الصناعة غير مجانسة لها، قال : وانما يؤتى الكاتب في هذا الباب
بأن يكون له شركة في صناعة غير الكتابة كالفقه والكلام وغيرهما مثل صناعة أصحاب
الإعراب ونحوها، فكل طبقة من هذه الطبقات ألفاظ خاصة بها يستعملونها فيما بينهم
عند المحاورة والخوض في الصناعة، ومن عادة الانسان اذا تعاطى بابا من هذه الابواب
أن يسبق خاطره الى الالفاظ المتعلقة به فيوقعها في الكتب التي ينشئها اغلبه عادة استعماله
اياها فيهجتها بادخاله فيها، اليس من أنواعها . قال في الصناعتين : وتخير الالفاظ وابدال
بعضها من بعض يوجب التثام الكلام وهو من أحسن نعوته وأزين صفاته : فأن أمكن
مع ذلك انتظامه من حروف سهلة الخارج كان أحسن له وأدعى للقلوب اليه، وان اتفق
له أن يكون موقعه في الاطناب أو الايجاز أليق بموقعه وأحق بالمقام والحال كان جامعا
للحسن بارعا في الفضل فان بلغ مع ذلك أن تكون موارده تنبيك عن مصادره وأوله
يكشف قناع آخره كان قد جمع نهاية الحسن وبلغ أعلى مراتب التمام . قال على بن خلف :
واذا سلكت طريقا فرّ فيها ولا تنازل عنها ان كانت رفيعة ولا ترتفع عنها ان كانت
وضيعة . وخالف ابن أبي الاصبع في ذلك فقال : ولا تجعل كل الكلام شريفا عاليا

ولا وضيعا نازلا، بل فصله تفصيل العقود فأن العقد اذا كان كله نفيسا لا يظهر حسن فرائده ولا يبين جمال واسطته، فأن الكلام اذا كان متنوعا في البلاغة افتتنت الاسماع فيه ولا يلحق النفوس ملل من ألفاظه ومعانيه ولا يخرج عن غرض الى غيره حتى يكمل كل ما ينتظم فيه كما اذا كان ينشئ كتابا في العذل والتوبيخ فيشوب ألفاظه بألفاظ أخرى تخرج عن الحشونة الى اللين، فان اختلاف رقعة الكلام من أشد عيوبه. قال في الصناعتين: ولا تجمل لفظك حوشيا بدويا ولا مبتدلا سوقيا ورتب الالفاظ ترتيبا صحيحا تقدم منها ما يحسن تقديمه وتؤخر منها ما يحسن تأخيرها، ولا تقدم منها ما يكون التأخير به أحسن، ولا تؤخر ما كان التقديم به أليق، ولا تكرر الكلمة الواحدة في كلام قصير كما كتب سعيد بن حميد « ومثل خادمك بين يديه ما يملك فلم يجد شيئا يني بحقك ورأى أن تقر يظك بما يباغته اللسان وان كان مقصرا عن حقك أبلغ في اداء ما يجب لك » فكرر ذكر « الحق » مرتين في مقدار يسير. على أن أبا جعفر النحاس قد ذكر في صناعة الكتاب أن ذلك ليس بعيب عند كثير من أهل العربية، وهو الحق، فقد وقع مثل ذلك من التكرير في القرآن الذي هو أفصح كلام وأتق نظام في قوله تعالى (والسماء رفعها ووضع الميزان أن لا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) فكرر ذكر الميزان ثلاث مرات في مقدار يسير من الكلام: وامثاله في القرآن الكريم كثير. قال ابو هلال العسكري فان احناج الى اعادة المعاني أعادها بغير اللفظ الذي بدأ به كما قال معاوية : من لم يكن من بني عبد المطاب جوادا فهو دخيل ومن لم يكن من بني الزبير شجاعا فهو ازيق ، ومن لم يكن من بني المغيرة تياها فهو سنيد . فقال دخيل ثم ازيق ثم سنيد والمعنى واحد والكلام على ما ترى حسن ولو قال ازيق ثم اعاد لسمح على أن الوزير ضياء الدين بن الاثير في المثل السائر قد ذكر ما ينافي ذلك وتعقب ابا اسحاق الصابى في قواه في تحميدة كتاب « الحمد لله الذي لا تدركه الأعين بالخطاها ولا تحده الاسن في الفاظها ولا تحلقه العصور بمرورها ولا تهزمه الدهور بكرورها » فقال لا فرق بين مرور العصور وكرور الدهور. قال في الصناعتين : واعلم أن الذي يلزمك في تأليف الرسائل والخطب هو أن تجمعها مزدوجة فقط ولا يلزمك فيها السجع؛ فان جمعاتها مسجوعة كان أحسن ما لم يكن في سجعك استكراء وتنافر وتعقيد

وكثيراً ما يقع ذلك في السجع وقلماء يسلم اذا طال من استكراه وتنافر . قال ابن أبي الاصبغ : ولا يجعل كلامك كله مبنياً على السجع فتظهر عليه الكلفة ويتبين فيه أثر المشقة وتكلف لأجل السجع ارتكاب المعنى الساقط واللفظ النازل وربما استدعيت كلمة للقطع رغبة في السجع فجاءت نافرة من اخواتها قلقة في مكاتها ؛ بل اصرف كل النظر الى تجويد الالفاظ وصحة المعاني واجتهاد في تقويم المباني ، فان جاء الكلام مسجوعاً عفواً من غير قصد وتشابهت مقاطعه من غير كسب كان ؛ وان عز ذلك فاتركه ، وان اختلفت أسجاعه وتباينت في التقفية مقاطعه ؛ فقد كان المتقدمون لا يختلفون بالسجع جملة ولا يقصدونه الا ما أنت به الفصاحة في اثناء الكلام واتفق من غير قصد ولا اكتساب وانما كانت كلماتهم متوازية والفاظهم متساوية ومعانيهم ناصعة وعباراتهم رائعة وفصولهم متقابلة وجمل كلامهم متماثلة . وتلك طريقة الامام علي رضي الله عنه ومن اقتفى أثره من فرسان الكلام كابن المقفع ، ويزيد بن هارون ، وابراهيم بن العباس ، والحسن بن سهل ، وعمرو بن مسعدة ، وأبي عثمان الجاحظ وغيرهم من الفصحاء والبلغاء . وينبغي ان يعمل السجعات متفرقة بحسب ما يوجد به الخاطرم يرتبها في الآخر ويحترز عند جمعها من سوء الترتيب ويتوخى حسن النسق عند التهذيب ليكون بعض كلامه آخذاً بأعناق بعض فانه أكمل لحسنه وأمثل لوصفه . قال في مواد البيان : واقل ما يكون من الازدواج قرينتان . قال العسكري : وينبغي أن يجتنب اعادة حروف الصلوات والرباطات في موضع واحد اذا كتبت في مثل قول القائل : له منه عليه ، أو عليه منه ، أو به له منه ، وحقه له عليه ، قال وسبيله أن يداويه حتى يزيله بأن يفصل ما بين الحرفين مثل أن يقول : أقت به شهداء عليه

قال ابن أبي الاصبغ وايراع الایجاز في موضعه والاطناب في موضعه بحسب ما يقتضيه المقام ويتجنب الاسهاب والتطويل غير المفيد . قال العسكري : وينبغي أن يأتي في تأليفه الكلام بآيات من الكتاب العزيز في الامور الجليلة للترصيع والتحلية والاستشهاد للمعاني على ما يقع في موقعه ويليق بالمكان الذي يقع فيه ؛ ولكن لا يستكثر منه حتى يكون هو الغالب على كلامه تنزيهاً لكلام الله تعالى عن الابتذال فانه انما يستعمله على جهة التبرك والزينة لا يجعل حشواً في الكلام واذا استعير منه شيء أتى به على صورته ولا ينقله عن صيغته ليسلم من تحريفه ومخافة اختيار الله فيه قال وكلا لا يجوز الاكثر منه

لا يجوز أن يخلى كلامه من شيء منه تحلية له فان خلو الكلام من القرآن يطمس محاسنه وينقص بهجته ولذلك كانوا يسمون الخطبة الحالية من القرآن « بترأ » وينبغي أن لا يستعمل في كتابته ما جاء به القرآن العظيم من الحذف، ومخاطبة الخاص بالعام، والعام بالخاص، والجماعة بلفظ الواحد، والواحد بلفظ الجماعة وما يجرى هذا المجرى؛ لأن القرآن قد نزل بآلة العرب وخوطب به فصحاؤهم بخلاف الرسائل وكذلك لا يجوز أن يستعمل فيها ما يختص بالشعر من صرف مالا ينصرف، وحذف مالا يحذف، وقصر المدود، ومد المقصور والاختفاء في موضع الاظهار، وتصغير الاسم في موضع تكبيره الا أن يريد تصغير التعظيم كقول القائل: أنا جدي لها المحكك وعذيقها المرجب ومما يناسب الكاتب من وصية أبي تمام لا بعبادة البحري قوله: وأن تناسب بين الالفاظ والمعاني في تأليف الكلام وتكون كخياط يقدر الثياب على قدر الاجسام، وأن تجمل شهوتك لتأليف الكلام هي الذريعة الى حسن نظمه فان الشهوة نعم المعين، وتعتبر كلامك بما سلف من كلام الماضين فما استحسنته العلماء فاقصده وما استقبحوه فاجتنبه. وينبغي للكاتب أن يحصل المبدأ والمخلص والمقطع ويميز بفكره محط الرسالة قبل العمل فانه أسهل للقصد ويجهد في تجويد هذه المواضع ومحسينها  وأما بيان ما يستحسن من الكلام المصنوع وما يعاب منه  فتد قال في الصناعتين: ان الكلام يحسن بسلاسته وسهواته ونصاعته وتخيير لفظه واصابة معناه وجودة مطالعه واين معاطفه واستواء تقاسيمه وتعادل أطرافه وتشبه أعجازه بهواديه وموافقة أواخره لمباده مع قلة ضروراته بل عدمها أصلا حتى لا يكون لها في الألفاظ أثر فتجد المنظوم مثل المثنوي في سهولة مطالعه وجودة مقطعه وحسن رصفه وتأليفه وكمال صوغه وتركيبه. فاذا كان الكلام قد جمع العذوبة والجزالة والسهولة والرصانة مع السلاسة والنصاعة واشتمل على الرونق والطلاوة وسلم من ضعف التأليف وبعده من سماجة التركيب صار بالقبول حقيقا وبالتحفظ خليقا فاذا ورد على السمع المصيب استوعبه ولم تمجه النفس فان النفس تقبل اللطيف وتنبوع عن الكثيف وتوافق عن الجاسي البشع، وجميع جوارح البدن وحواسه تسكن الى ما يوافقها وتنفر عما يضادها ويخالفه، والفهم يأنس من الكلام بالمعروف ويسكن الى المألوف ويصغي الى الصواب ويهرب من المحال وينقبض عن الوخم ويتأخر عن الجافي الغليظ ولا يقبل الكلام المضطرب إلا

الفهم المضطرب والروية الفاسدة . قال : وأحسن الكلام ما تلاءم نسجه ولم يسخف ، وحسن نظمه ولم يهجن ، ولم يستعمل فيه الغليظ من الكلام فيكون خلقا بغضا ، ولا السوقى من الالفاظ فيكون مهلا دوناً ؛ ولا خير في المعاني اذا استكرهت قهراً ، والالفاظ اذا أجبرت قسراً ؛ ولا خير فيما أجيد لفظه الامع ووضوح المعنى وظهور المقصد . ثم قال : وقد غلب على قوم الجهل فصاروا يستجيدون الكلام اذا لم يقفوا على معناه الا بكس ، ويستفصحونه اذا وجدوا ألفاظه كرة غليظة وجاسية غريبة : ويستحقرون الكلام اذا رأوه سلسا عذبا وسهلا حلوا ولم يلمعوا أن السهل أمتع جانبا وأعز مطلباً وهو أحسن موقعا وأعذب مستمعا ؛ ولهذا قيل أجود الكلام السهل الممتع . وقد وصف الفضل ابن سهل عمرو بن مسعدة فقال : وهو أبغ الناس ؛ ومن بلاغته ان كل أحد يظن أنه يكتب مثل كتابته فاذا رامها تعذرت عليه

❦ الفصل الثاني ❦

﴿ الأيام والساعات ﴾

مما يحتاج اليه الكاتب معرفة الأزمنة والأوقات من الأيام والشهور والسنين وتفاصيل أجزائها والطرائق الموصلة اليها على اختلاف الاسم في ذلك ﴿ فأما الايام ﴾ فيحتاج اليها الكاتب في توار يخ المكاتبات والولايات وغيرها مما يحتاج الى التار يخ بمثل ان يكتب « وكتب في اليوم الفلاني » أحد أيام الاسبوع ، ويحتاج الى ساعاتها في تار يخ البطائق التي تحملها الحمايم اذ العادة فيها أن يورخ ابالساعات لوصول الطير الى المقصد غالباً في يومه ، وكذلك في عقد الهدن من حيث انها تصدر بمدد محجرة من تلك الساعة والى أمد معلوم على ما سيأتى في موضعه ان شاء الله تعالى . ثم الأيام جمع يوم ؛ وقد اختلف في مدلول اليوم على مذهبين : ﴿ المذهب الأول ﴾ - وهو مذهب أهل الهيئة ، أن اليوم عبارة عن زه ان جامع لليل والنهار ، مدته ما بين مفارقة الشمس نصف دائرة عظيمة ثابتة الموضع بالحركة الاولى الى عودها الى ذلك الموضع الذي ابتعدت منه . وأظهر هذه الدوائر الأفق ، وهو حيث نطلع الشمس . ثم منهم من يقدم الليل فيفتح اليوم بغروب الشمس ويضم بزورها

من اليوم القابل ، وعليه عمل المسلمين وأهل الكتاب ، وعليه كانت العرب تعمل لأن شهرهم مبنية على سير القمر كما سيأتي؛ وأوائلها مقدرة بروية الهلال . ومنهم من يقدم النهار على الليل فيفتح اليوم بطول الشمس ويحتم بطولها من اليوم القابل ، وعليه عمل الفرس والروم

﴿ المذهب الثاني ﴾ - وهو مذهب الفقهاء أن اليوم عبارة عن النهار دون الليل حتى لو قل لزوجته : أنت طالق يوم يقدم فلان فقدم ليلا لم يقع الطلاق علي الصحيح ثم القائلون بذلك نظروا الى الليل والنهار باعتبارين : طبيعي ، وشرعي . أما الطبيعي فالليل من لذن غروب الشمس واستنارها بحدبة الارض الى طلوعها وظهورها من الافق ؛ والنهار من طلوع نصف قرص الشمس من المشرق الى غيوبة نصفها في الافق في المغرب ؛ وجميع الامم تستعمله كذلك . وأما الشرعي فالليل من غروب الشمس الى طلوع الفجر الثاني ، والنهار من الفجر الثاني الى غروب الشمس ؛ وبذلك تتعلق الاحكام الشرعية من الصوم والصلاة وغيرها

ثم قد يوجد وقت الصبح في موضع طلوع الشمس ، ويوجد وقت الظهر في موضع وقت الغروب في موضع آخر (١) . وعلى هذا قد قسم علماء الهيئة مقدار الليل والنهار الى ثلاثمائة وستين جزءا ، سمو كل جزء منها درجة ؛ ثم جعلوا كل خمس عشرة درجة جزءا وسموها ساعة ، فتكون جملة ساعات الليل والنهار أربعاً وعشرين ساعة ، كل اثنتا عشرة ساعة . واطول ما يكون النهار بالديار المصرية أربع عشرة ساعة ، وهي مائتان وعشر درجات . وأقصر ما يكون عشر ساعات وهي مائة وخمسون درجة . ولكل ساعة من ساعات الليل والنهار اسم يخصها : فالأولى من ساعات الليل تسمى الشاهد ، والثانية الغسق ، والثالثة العتمة ، والرابعة الفحمة ، والخامسة الموهن ، والسادسة القطع ، والسابعة الجرس (٢) ، والثامنة العلك (٣) ، والتاسعة التباشير ، والعاشر (٤) ، والحادية عشرة الفجر الأول ، والثانية عشرة الفجر المعترض . واما ساعات النهار فالأولى منها تسمى الذرور ، والثانية البزوغ ، والثالثة الضحى ، والرابعة الغزاة ، والخامسة الهاجرة ،

(١) اي من الكرة الأرضية (٢) في الضوء الحرس ، وفي الصبح الحو بنان وكلاهما خطأ
(٣) بياض بالخصر والمطول واماها البحر (٤) في الصبح الهككة وفي الضوء العتلة وكلاهما بحر برف

والسادسة الزوال ، والسابعة الدُّلوك ، والثامنة العصر ، والتاسعة الأصيل ، والعاشره الصبوب ، والحادية عشرة الحدور (١) ، والثانية عشرة الغروب . ويروي عنهم على وجه آخر فيقال فيها : البكور ، ثم الشروق ، ثم الأشراق ، ثم الراد ، ثم الضحى ، ثم المتوع ، ثم المهاجرة ، ثم الاصيل ، ثم العصر ، ثم الطفل ، ثم الغروب . قال في مناهج الفكر : ان أول من قسم النهار الى اثنتى عشرة ساعة آدم عليه السلام وضمن ذلك وصية لابنه شيث وعرفه ماوظف عليه فى كل ساعة من العبادة . ومن فائدة معرفة ساعات النهار كتابة تاريخ البطائق فانها انما تؤرخ بالساعات على ما سيأتى بيانه ان شاء الله تعالى اذا علمت ذلك فلا نزاع فى أن الأيام سبعة فى صحيح مسلم من رواية أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال «خلق الله العربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الاربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل» . فصرح فى الحديث بذكر الأيام السبعة . وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : ان الله عز وجل خلق يوماً واحداً فسماه الأحد ، ثم خلق ثانياً فسماه الاثنين ، ثم خلق ثالثاً فسماه الثلاثاء ، ثم خلق رابعاً فسماه الاربعاء ، ثم خلق خامساً فسماه الخميس . ولا ذكر فى هذا الاثر ليوم الجمعة لكن قد ورد به الحديث المتقدم ، بل نص فى القرآن عليه بقوله تعالى « إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة » وقد اختلف فى أول أيام الاسبوع وما كان فيه ابتداء الخلق منها على ثلاثة أقوال :

أحدها - ان اليهود أتت النبى صلى الله عليه وسلم فسأته عن خالق السموات والارض فقال : خلق الله الارض يوم الاحد ... واذ كان هو ابتداء الخلق ازم أن يكون اول أيام الاسبوع * الثانى - ان ابتداء الخلق وأول أيام الاسبوع السبت احنجاجاً بحديث مسلم المتقدم ذكره انه قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله

(١) فى الضوء الحدرى وفى الصبح الحدود والصواب الحدور لأنه سمي العاشره الصبوب ، والصبوب والحدور اسم مقدار الماء فى انحدار صبيه . سميت بذلك لمضى أكبر الليل بها ويقولون صبة من النهار أى طائفة ونصبعب النهار ذهب أكبر .

التربة يوم السبت ... واذا كان هو الذي ابتدئ فيه الخلق تعين ان يكون هو اول الاسبوع *
 الثالث - ابتداء الخلق يوم السبت، لحديث مسلم المتقدم ذكره، وأول الاسبوع الاحد
 تقول ابن عباس في أثره السابق : خلق الله يوماً واحداً فسماه الاحد ...
 واعلم ان السهيلي قد حكي ان اسماء الايام المتداولة بين الناس وهي الاحد، والاثنان،
 والثلاثاء، والاربعاء، والخميس، والجمعة مأخوذة عن أهل الكتاب، أخذها عنهم العرب
 لما جاؤروهم؛ ولا حقيقة لذلك، بل عن العرب في أسمائها ثلاث روايات :

الرواية الاولى - ما نطقت به العرب المستعربة من بنى اسماعيل وبه وردت السنة
 النبوية وهو الاسماء المتقدمة : الاحد، والاثنان، والثلاثاء، والاربعاء، والخميس،
 والجمعة : فالاحد بمعنى واحد، ويقال بمعنى أول، ورجحه أبو جعفر النحاس في صناعة
 الكتاب وهو المطابق لتسمية الثاني الاثنين. والثالث بالثلاثاء، والرابع بالاربعاء. وقيل أصله
 « وحد » بفتح الواو والهاء كما ان « أناة » أصلها « وناة » وجمع في القلة على آحاد
 وأحدات؛ وفي الكثرة على أوجد وأوحد؛ ويحكي في جمعه أيضاً أحد. قال النحاس كأنه
 جمع الجمع * والاثنان بمعنى الثاني؛ قال النحاس وسبيله انه لا يثنى ولا يجمع وأن يقال
 فيه مضت ابام الاثنين الا أن يقول « ذوات » : قال: وقد حكي البصريون الاثنى والجمع
 التني. وقال ابن قتيبة في أدب الكتاب ان شئت ان تجمعه فكأنه مبنى للواحد قلت
 أناين. وحكي النحاس مثله عن كتاب الفراء في الايام: وقال انما يجوز على حيلة بعيدة
 وهي ان يقال اليوم الاثنان فتضم النون فيصير مثل عمران فتثنيه وتجمعه على هذا. وحكى
 عن الفراء أيضاً في جمع الكثرة اثنان فتقول مضت اثنان مثل اسماء وأسام. قال: وقرأت
 على أبي اسحاق في كتاب سيديوية فيما حكاها: اليوم التني، فتقول على هذا في الجمع الاثنان *
 والجمع الاثنان بمعنى اثنان ويجمع على ثلاثاوات وحكى الفراء ثلاثاوات وأثالث : قال في صناعة
 الكتاب ويجوز اثبات وكذا ثلاثت. مثل جمع ثلاثة لان أنى التثنية كالهاء: وتقول فيه مضت
 الاثلاث على تثنية اللفظ ومضى على تذكير اليوم: وكذا في الجمع تقول مضت ثلاث ثلاثاوات
 وثلاثاوات، والاربعاء بمعنى الرابع وتجمع على اربعاوات واربعة، والياء فيه عوض عما
 حذف، فان عوض قلت ارباع وأجار الفراء اربعات مثل ثلاثاوات ومنعه البصريون للفرق
 بين الاربعة والاربعة والخميس بمعنى الخامس، ويجمع في القلة على خمسة وفي الكثرة

على خمس وخمسان كرفغ وورغفان ويقال أخمساء كأنصباء . وحكي عن الفراء في الكثرة
 اخامس * والجمعة بضم الميم واسكانها ومعناها الجمع واختلف في سبب تسميتها بذلك :
 فقال النحاس لاجتماع الخلق فيه اى استكمالها اذ كان آخر يوم وقع فيه الخلق وهذا
 ظاهر في أن هذا الاسم كان لها قديما . وقال العسكري في كتابه «الاولائل» اول من
 سماها جمعة كعب بن لؤى جمع قريشا فيها وخطبهم فسميت جمعة وكانوا لا يعرفون
 الا العروبة وعليه يدل كلام السهيلي وقيل بل اجتمع فيها الانصار الى سعد بن زرارة
 الانصارى فذكرهم وصلى بهم فسمى جمعة لاجتماعهم فيه وانزل الله تعالى سورة الجمعة :
 ومقتضاه ان هذا الاسم انما حدث لها في دار الاسلام وقد خصها الله تعالى بالذكر في كتابه
 العزيز بقوله « اذ انودى للصلاة من يوم الجمعة » وتجمع على جمع وجمعات بفتح الميم وتسكينها
 والسبت معناه القطع لانه قطع فيه الخلق على رأى من يرى ان السبت آخر أيام الجمعة
 وأنه لا خلق فيه وقول النحاس انه مشتق من الراحة لاعتباره به لمضاهاة قول اليهود
 لعنهم الله تعالى أن الله استراح فيه بعد ، وقد رد تعالى عليهم بقوله « وما مسنا من لغوب » أى تعب
 ويجمع في القلة على أسبت وفي الكثرة على سبوت مثل قرح وقروح

الرواية الثانية (١) - ما يروى عن العرب العاربة من بنى قحطان وجرم الأولى وهو أنهم
 كانوا يسمون الأحد أول لأنه أول أعداد الايام ويسمون الاثنين أهون أخذا من
 الهون والهونينا وأوهد أيضا أخذا من الوهدة وهي المكان المنخفض من الأرض لانخفاضه
 عن اليوم الأول في العدد ويسمون الثلاثاء جبارا بضم الجيم لأنه جبر به العدد ويسمون
 الاربعاء دبارا بضم الدال المهملة لأنه دبر ما جبر به العدد بمعنى أنه جاء دبره ويسمون
 الخميس مؤنسا لأنه يؤنس به لبركته ويسمون الجمعة العروبة بفتح العين مع الألف
 واللام وفي لغة شاذة عروبة بغير الف ولام مع عدم الصرف ومعناه اليوم البين أخذا
 من قولهم أعرب إذا بان والمراد أنه بين العظمة والشرف اذ لم يزل معظما عند أهل
 كل ملة ويسمونه أيضا حربة بمعنى أنه مرتفع عال كالحرية التى هي كالحرب ويسمون
 السبت شيارا بفتح الشين المعجمة وكسرهما مع الياء المثناة تحت ، أخذا من شرت
 الشىء اذا استخرجته وأظهرته من مكانه اى بمعنى انه استخرج من الأيام التى وقع

(١) هذه هي الرواية الثانية وتخطاها المؤلف في الضوء فلم يذكرها فلخصناها من الصبح

فيها الخلق على مذهب من يرى أنه آخر أيام الاسبوع وأن ابتداء الخلق الأحد وانتهاءه الجمعة وأما بمعنى أنه ظهر أول أيام الجمعة على مذهب من يرى أنه أول الجمعة وكان ابتداء الخلق فيه وإلى هذه الأسماء يشير النابغة بقوله

أؤمل ان أعيش وان يومي لأول اولاهون أو جبار
أو التالي دبار فأن أفته فمؤنس أو عروبة أو شيار

الرواية الثالثة - ما يروى عن العرب العاربة أيضاً أنهم كانوا يسمون الايام أبجد، هوز، حطلى، كلن، سعفس، قرشت، فيحتمل أن أبجد للأحد على رأى من يرى أنه ابتدئ في الخلق ويكون لا ذكر فيها للسبت ويحتمل ان أبجد اسم للسبت على رأى من يرى أنه ابتدئ في الخلق وتكون الجمعة لا ذكر لها

الشهور

وأما الشهور فيحتاج إليها الكتاب في التراخي أيضاً كما يحتاج إلى الايام مثل أن يكتب « وكتب يوم كذا من شهر كذا » وتختص الشهور الشمسية بمعرفة ما يكون في كل زمان مما جرت العادة به فيه على ما سترى بعضه عند ذكر الشهور القبطية ان شاء الله تعالى . والشهر في لغة العرب مأخوذ من الشهرة ، سعى بذلك لاشتهاره بروية الهلال في أوله ويجمع في الكثرة على شهور وفي الفلة على أشهر : ثم الشهور على ضربين ﴿ الضرب الاول الطبيعي ﴾ والمراد به الشهور القمرية وهي صنفان :

﴿ الضرب الاول ﴾ شهور العرب . ومدارها على روية الهلال . والمنجمون يجعلون عدد ايامه تسعة وعشرين يوماً ونصف يوم على التقريب . ولما كان هذا الكسر في المدد عسراً عدوا جملة الشهرين تسعة وخمسين يوماً : احدهما ثلاثون يوماً وهو التمام ، والآخر تسعة وعشرون ، وهو الماقص . فيعدون أبداً شهراً ثلاثين شهراً تسعة وعشرين ، ويجرون على ذلك في أعمالهم . وطريقة العرب فيه اعتماد روية الهلال فيعتبرون الشهر من روية الهلال إلى رويته ثانياً ؛ وعليها ورد الشرع وبها نطف التنزيل بقوله تعالى « يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج » فتارة يكون الشهر ثلاثين ، وتارة تسعة وعشرين بحسب روية الهلال . وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث ام سلمة رضي الله عنها أن

النبي صلى الله عليه وسلم حاف لا يدخل علي بعض نسائه شهرا، فلما مضى تسع وعشرون غدا عليهن أوراخ، فقيل يا رسول الله حلفت لا تدخل عليهن شهرا . فقال الشهر يكون تسمياً وعشرين، وقد يتوالى شهران فأكثر ناقصة . فباستهلال الهلال يعرف ابتداء الشهر وانسلاخ ما قبله ، وبزيادته وتقصانه وتنقله في المنازل يعرف كم مضى من الشهر اذا علم ذلك فقد قسمت العرب ليالى الشهر بعد استهلاله كل ثلاثة أيام قسماً وستماً باسم : فالثلاث الاول منها هلال ، والثلاث الثانية قر ، والثلاث الثالثة بهر ، والثلاث الرابعة زهر ، والثلاث الخامسة بيض لان الليالى تبيض بطلوع القمر فيها من أولها الى آخرها ، والثلاث السادسة درع لان أوائلها تكون سوداء وسائرها بيض ، والثلاث السابعة ظلم ، والثلاث الثامنة حنادس ، والثلاث التاسعة دأدى الواحدة منها دأداة على وزن فملة ، والثلاث العاشرة : ليلتان منها محاق ، وإيله سرار لأحماق الشمس القمر فيها وقيل غير ذلك

اذا علم ذلك فشهور العرب اثنا عشر شهراً الا زيادة فيها ولا نقص وبها نطق القرآن الكريم في قوله تعالى « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والارض » وقد سمت العرب كل شهر منها باسم . ثم عنهم في ذلك روايتان :

الرواية الاولى — ما نطقت به العرب المستعربة وبه وردت السنة في تسمية كثير منها وعليه الاستعمال من ابتداء الاسلام وهلم جرا الى الآن : الاول المحرم، سمي بذلك لانهم كانوا يحرمون فيه القتال لكونه من الأشهر الحرم . ويجمع على محرمات، ومحارم، ومحاريم * الثاني صفر، سمي بذلك لانهم كانوا يغيرون فيه على العدو لانحباسهم عن القتال في المحرم قبله فتبقى بيوتهم صفراً منهم أي خالية ؛ وقيل لانهم كانوا يغيرون فيه على بلاد يقال لها الصفرية . ويجمع على صفرات ، واصفار ، وصفور ، وصفار * الثالث ربيع الاول ، سمي ربيعاً لانهم كانوا يحصلون فيه ما أصابوه في صفر فتخصب بيوتهم . والربيع في اللغة : الحصب ؛ وقيل : لارتباعتهم فيه ، قال في صناعة الكتاب : والاول اولى بالصواب . ووصف بالاول ليفرق بينه وبين ربيع الآخر . ويقال في ثنيتيه ربيعان الاولان ، وفي الجمع ربيعات الأولات ؛ فان اضيف اليه شهر قميل شهر ربيع الاول قيل في الثنية شهراً ربيع الاولان ؛ وفي الجمع شهرات ربيع الأولات والاولات ؛

قال النحاس: وان شئت قلت في القليل اشهر وفي الكثير شهر. وحكى عن قطرب: الاربعة الاوائل، وعن غيره: ربع الاوائل * الرابع ربيع الآخر، والكلام في تسميته وتثنيته وجمعه كالكلام في ربيع الاول * الخامس جمادى الاولى، سمي بذلك لجمود الماء فيه لان الوقت الذي سمي فيه بذلك كان الماء فيه جامداً لشدة البرد. ويقال في تثنيته جماديان الاوليان. وفي الجمع جماديات الاوليات * السادس جمادى الآخرة، والكلام فيه تسمية وتثنية وجمعاً كالكلام في جمادى الاولى * السابع رجب، سمي بذلك لتعظيمهم له أخذاً من الترجيب وهو التعظيم. ويجمع على رجات، وأرجاب، وفي الكثرة على رجاب، ورجوب * الثامن شعبان، سمي بذلك لتشعبهم فيه لكثرة الغارات لأمسآهم عن القتال في رجب لكونه من الاشهر الحرم؛ وقيل اتشعب العود في الوقت الذي سمي فيه؛ وقيل لانه شعب بين رجب ورمضان. ويجمع على شعبانات وشعابة على حذف الزوائد. وحكى الكوفيون شعابين. قال النحاس: وذلك خطأ على قول سيبويه كما لا يجوز في جمع عثمان عثمانين * التاسع رمضان، سمي بذلك أخذاً من الرضاء لأنه وافق وقت تسميته زمن الحر. ويجمع على رمضانات. وحكى الكوفيون رماضين. قال النحاس: والقول فيه كالتقول في شعابين. فان أضيف اليه لفظ شهر قيل في التثنية شهرا رمضان؛ وفي الجمع شهرات رمضان، وأشهر رمضان، وشهور رمضان * العاشر شوال، سمي بذلك أخذاً من قولهم شالت الابل بأذنانها إذا حمت لحماها عليها فيه اكونه أول شهور الحج، وقيل من شال يشول اذا ارتفع ولذلك كانت اجاهلية تكره التزويج فيه نظراً لما فيه من معنى الاسالة والرفع وجاء الاسلام فهدم ذلك حتى قالت عائشة رضی الله عنها ردا عليهم: تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال. وبنی بنی في شوال، فأى نساءه كان أحظي عنده منى. ويجمع على شوالات وشواويل وشوول * الحادي عشر ذو القعدة بفتح القاف وكسرها، سمي بذلك لانهم كانوا يتعدون فيه عن القتال لكونه من الاشهر الحرم. ويجمع على ذوات القعدة: وحكى الكوفيون أولات القعدة. وربما قالوا ذات القعدة أيضاً * الثاني عشر ذواحجة، سمي بذلك لوقوع الحج فيه. والكلام في جمعه كالكلام في ذى القعدة من غير فرق

واعلم ان من الشهور المذكورة اربعة أشهر حرم كما نطق بها الكتاب العزيز بقوله تعالى «منها اربعة حرم» وهي المحرم، ورجب، وذو القعدة، وذو الحجة؛ وسميت حرماً لتحریم القتال فيها. وقد كانت العرب في الجاهلية يقعدون عن القتال فيها ويحرمونه حتى لياقي الرجل منهم قاتل أبيه فلا يقتله. وقد اختلف في الابتداء بحدّها: فذهب أهل المدينة الى أنه يتبدأ بذى القعدة احتجاجاً بأن النبي صلى الله عليه وسلم عدها في حجة الوداع كذلك فقال: السنة اثنا عشر شهراً منها اربعة حرم ثلاثة متواليات وواحد فرد: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب. واختاره النحاس. وذهب أهل الكوفة الى أنه يتبدأ بالمحرم فيقال المحرم، ورجب، وذو القعدة، وذو الحجة لياتوا بها من سنة واحدة. واليه ميل الكتاب؛ قال في صناعة الكتاب: ولا حجة لهم فيه لأنه اذا علم أن المقصود ذكرها في كل سنة فكيف يتوهم أنها من سنتين

واعلم أنه يجوز ان يضاف لفظ شهر الى جميع الأشهر فيقال شهر المحرم، وشهر صفر، وشهر ربيع الاول، وكذا في البواقي؛ على أن منها ثلاثة أشهر لم تكده العرب تنطق بها الا مع الاضافة وهي شهر ربيع وشهر رمضان كما صرح به الجوهري. ويؤيد ذلك اضافة شهر الى رمضان في قوله تعالى «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن» وقدروي عن مجاهد أنه قال فيه: لا تقل رمضان، ولكن كما قال الله تعالى: شهر رمضان؛ فأنتك لا تدري ما رمضان. وعن عطاء نحوه؛ وأنه قال: لعل رمضان اسم من أسماء الله تعالى. لكن قد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اذا جاء رمضان اغلقت أبواب النيران وصدت الشياطين. وهو صريح في جواز تعريفه عن الاضافة. وللعلماء في ذلك ثلاثة مذاهب: أحدها جواز تعريفه عن «شهر» مطلقاً سواء قامت قرينة على أن المراد به الشهر أم لا. فيقال: جاء رمضان وصمت رمضان، وهو ما رجحه النووي في شرح مسلم * والثاني المنع مطلقاً * والثالث ان قامت قرينة كفاية قوله صمنا رمضان، جاز وإلا فلا. وزاد بعضهم فيما يضاف اليه شهر رجباً أيضاً، وقال: كل شهر اوله حرف «راء» لا يقال الا بأضافة «شهر» اليه. ويقال في المحرم شهر الله المحرم. ففي صحيح مسلم وغيره من رواية أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم *

ويقال في الريمين : ربيع الأول و ربيع الآخر ، ويقال في الجمادين : جمادى الأولى وجمادى الآخرة على التأنيث . قال في تثقيف اللسان ولا يقال جمادى الأولى ، والآخرة بالتذكير ؛ وجوزه ابن الاحدثي في كلامه على تثقيف اللسان . قال في صناعة الكتاب : وإنما قالوا ربيع الآخر ، وجمادى الآخرة ولم يقولوا ربيع الثاني وجمادى الثانية لأنه إنما يقال الثاني والثانية لما له ثالث وثالثة ؛ ولما لم يكن لهذين ثالث ولاثالثة قيل فيهما الآخر والآخرة كما قيل : الدنيا والآخرة . ويؤيد ما قاله ماجرى عليه التنزيل في قوله تعالى في واقعتي بنى اسرائيل « فاذا جاء وعد أولاهما » ثم قال « فاذا جاء وعد الآخرة » ولم يقل الثانية . على ان أكثر استعمال بلاد المغرب على « الأولى والثانية » * ويقال في رجب : الفرد ، لانفراده عن بقية الأشهر الحرم . ويقال فيه أيضا « رجب مضر » فقد قال صلى الله عليه وسلم في عدة الأشهر الحرم « . . . ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » ويقال أيضا فيه « الاصم » لأنه لم يسمع فيه صوت سلاح لكونه من الأشهر الحرم * ويقال في شعبان « الكريم » لتكريمته وعلو قدره * ويقال في رمضان « المعظم » والمعظم قدره « لعظمته وشرفه » * ويقال في شوال « المبارك » للفرق بينه وبين شعبان خشية التحريف * ويقال في كل من ذى القعدة وذى الحجة « الحرام » قال النحاس : وقد روى في ذى الحجة أيضا « شهر الله الاصم » وروى بسنده عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا على ناقه حمراء مخضمة فقال : اتدرون أي يوم يومكم هذا ؟ قلنا : يوم النحر . قال : صدقتم ، يوم الحج الأكبر . اتدرون اي شهر شهركم هذا ؟ قلنا : ذو الحجة . قال : صدقتم ، شهر الله الاصم

الرواية الثانية - ما روى عن العرب العاربة وهو أنهم كانوا يقولون في المحرم المؤتمرا ، أخذاً من « أمر القوم » إذا كثروا بمعنى أنهم يحرمون فيه القتال فيكثرون لعدم القتل ؛ وقيل : أخذاً من الاثمار بمعنى انه يؤتمر فيه بترك الحرب . ويجمع على مؤتمرات ، وما أمر وما مير * ويقولون في صفر « ناجر » أخذاً من النجر ، والنجار ، وهو السوق الشديد لشدة سوقهم الخيل الى الحرب فيه لوقوعه بعد المحرم ويجمع على نواجر * ويقولون في ربيع الأول « خوان » بالخاء المعجمة لأن الحرب تشتد فيه فتخونهم فتتقصمهم .

ويجمع على خوانات ، وخواوين ، وخواون * ويقولون في ربيع الآخر « وبسان »
أخذا من الويص وهو البريق ، لبريق الحديد فيه بوقوع القتال . ويجمع على وبسانات *
ويقولون في جمادى الأولى « حنين » لأنهم يحنون فيه الى اوطانهم لكونه كان يقع
في زمن الربيع . ويجمع على أحنة وحنن كزغيف ودرغف * ويقولون لجمادى الآخرة « ربّبا »
و « ربة » يعنى جماعة ، لأنه يجتمع به جماعة من الشهور التي ليست بحرم وهي ما بعد
صفر . قال أبو عبيدة : وربان كل شىء جماعته . ويجمع على ربات ، وربايا مثل
حبالي ؛ ومن قال ربة جمعه على ما ريب * ويقولون في رجب « الاصم » لما تقدم من أنه
لا يسمع فيه صوت السلاح ولا الاستغاثات . ويجمع على أصام . قال النحاس : ولا
تقل : صم ، لأنه ليس بنعت كما انك لو سميت رجلا « أحر » جمعه على أحاسر
ولم تجمعه على حمر * ويقولون في شعبان « عادل » بمعنى أنهم يعدلون فيه عن الأقامة
بيوتهم لتشعبهم في القبائل . ويجمع على عوادل * ويقولون في رمضان « ناتق » لكثرة
المحل عندهم فيه لأغارتهم على الأموال في الذي قبله . ويجمع على نواتق * ويقولون
في شوال « وعل » أخذاً من قولهم : وعل الى كذا : إذا لجأ اليه ؛ لأنهم يهربون فيه من
الفارات لان بعده الأشهر الحرم فيلجؤون فيه الى امكنة يتحصنون فيها . ويجمع على
اوعال ككتف وأكتاف ، وفي الكثرة وعول * ويقولون في ذى القعدة « ورنه »
والواو فيه منقلبة عن همزة أخذاً من أرن إذا تحرك لأنه الوقت الذي يتحركون فيه
الى الحج . ويجمع على ورنات ، ووران كجفان * ويقولون في ذى الحجة « برك » أخذاً
من البركة لوقوع الحج فيه ، أو من برك البعير ؛ لأنه الوقت الذي تبرك فيه الابل للوسم .
ويجمع على بركان مثل نعر ونقران * وقيل فيها غير ذلك

الصنف الثانى - من الشهور القمرية شهور اليهود وهي عندهم من الاجتماع الى الاجتماع ،
وهو اقتران الشمس والقمر في آخر الشهر ؛ ولذلك توافق شهورهم في التقدير شهور العرب
ولا تخالف أوائها الا بيوم واحد في بعض الاحيان لأسباب في ملتهم ؛ ولكنها لا تطابق
شهر الشرفان شهور العرب غير مكبوسة وشهور اليهود مكبوسة . وطريقتهم في ذلك لا تعرف الا
بتقويم الكواكب ومعرفة سير الشمس والقمر ولذلك لا يعرف شهور اليهود منهم الا
الآحاد لخفاؤها . وشهورهم اثنا عشر شهراً بعضها ثلاثون وبعضها تسعة وعشرون على

ما يقتضيه سير الشمس والقمر؛ وفي السنة الكبيسة تكون شهورهم ثلاثة عشر شهرا كما سيأتي وهي توافق شهور السريان في بعض أسمائها : الأول منها تشرى ، الثاني خشوان ، الثالث كسلا ، الرابع طابات ، الخامس شباط ، السادس أدار ، السابع نيسان ، الثامن إيار ، التاسع سيوان ، العاشر تموز ، الحادي عشر آب ، الثاني عشر أيلول

﴿ الضرب الثاني - الشهور الاصطلاحية ﴾ وهي التي اصطلاح عليها الأمم والمشهور منها ثلاثة أنواع :

النوع الاول -- شهور القبط . وينسب ترتيبها الى دقلطيانوس الملك . وهي : توت ودخوله في العشرين من آب من شهور السريان ، وأول يوم منه نيروز القبط وهو رأس سنتهم ؛ وآخره السادس والعشرون من أيلول منها ؛ فيه يذهب الحر ، وتحى الكراكي الى مصر ، وفي سابع عشره عيد الصليب ، فيه يفتح أكثر الترع بمصر ، وفي ثامن عشره أول فصل الخريف ، وفي الرابع والعشرين منه أول « ذى ماه » من شهور الفرس * والثاني بابه . ودخوله في السابع والعشرين من أيلول من شهور السريان ، وآخره السادس والعشرون من تشرين الاول منها ، وثالثه رأس سنة السريان ، وفي رابعه اول تشرين الاول من شهورهم ، وفي الرابع والعشرين منه أول « بهرماه » من شهور الفرس * والثالث هاتور . ودخوله في السابع والعشرين من تشرين الاول من شهور السريان وآخره الخامس والعشرون من تشرين الثاني منها ، وفي خامسه أول تشرين الثاني ، وفي الرابع والعشرين أول « استيدارماه » من شهور الفرس * والرابع كيهك . ودخوله في السادس والعشرين من تشرين الثاني من شهور السريان وآخره الخامس والعشرون من كانون الاول منها . في أوله ابتداء أربعينات مصر ، وفي خامسه أول كانون الاول من شهور السريان ، وفي سابع عشره أول فصل الشتاء وهو أول أربعينات الشام ، وفي ثامن عشره ييندى تنفس النهار ، وفي الرابع والعشرين منه أول « مردوماه » من شهور الفرس * والخامس طوبه . ودخوله في السادس والعشرين من كانون الاول من شهور السريان وآخره الرابع والعشرون من كانون الثاني منها وفي عاشره آخر أربعينات مصر ، وفي الرابع والعشرين أول « برد هتماه » من شهور الفرس * السادس أمشير ودخوله في الخامس والعشرين من كانون الثاني من شهور السريان وآخره الثالث

والعشرون من شباط منها . في سادسه أول شباط ، وفي الرابع والعشرين منه أول « حردماه » من شهور الفرس * السابع برمها . ودخوله في الرابع والعشرين من شباط من شهور السريان ، وآخره الخامس والعشرون من أدار منها . في خامسه أول أدار من شهور السريان ، وفي الرابع والعشرين أول « بيرماه » من شهور الفرس * الثامن برموده . ودخوله في السادس والعشرين من أدار من شهور السريان ، وآخره الرابع والعشرون من نيسان منها في سادسه اول نيسان المذكور وفي الرابع والعشرين اول « مردماه » من شهور الفرس * التاسع بشنس ودخوله في الخامس والعشرين من نيسان من شهور السريان وآخره التاسع والعشرون من ايار منها . في سادسه أول ايار من شهور السريان وفي الرابع والعشرين منه أول « برماه » من شهور الفرس * العاشر بونه . ودخوله في الخامس والعشرين من ايار من شهور السريان وآخره الثالث والعشرون من حزيران منها . وفي سابعه اول حزيران * الحادى عشر ايب . ودخوله في الرابع والعشرين من حزيران من شهور السريان وآخره الثالث والعشرون من تموز منها ؛ وفي سابعه اول تموز من شهور السريان ، وفي الرابع والعشرين اول (ايارماه) من شهور الفرس ، وفي السادس والعشرين منه طلوع الشعري اليانيه * الثاني عشر مسرى . ودخوله في الرابع والعشرين من تموز من شهور السريان وآخره السابع والعشرون من آب منها ؛ وفي ثامنه أول آب المذكور ، وفي السابع والعشرين أول (أدرمه) من شهور الفرس * أيام النسي . ودخولها في الثامن والعشرين من آب من شهور السريان ويختلف آخرها باختلاف السنة الكبيسة وغيرها

النوع الثاني — شهور السريان . وهي اثنا عشر شهرا بعضها ثلاثون يوما وبعضها زائد على الثلاثين وبعضها ناقص عنها ولا نسي ، فيها وينسب ترتيبها الى الاسكندر الاول . الاول تشرين وهو أحد وثلاثون يوما ودخوله في الرابع من يابه من شهور القبط وآخره الرابع من هاتور منها ويوافقه اكتوبر من شهور الروم وهو الشهر العاشر منها . الثاني تشرين الثاني وهو ثلاثون يوما ودخواه في الخامس من هاتور من شهور القبط وآخره الرابع من كيهك منها . ويوافقه (نوفمبر) من شهور الروم وهو الشهر الحادى عشر منها . الشهر الثالث كانون الاول وهو أحد وثلاثون يوما ودخواه في الخامس من كيهك من شهور القبط وآخره

الخامس من طوبه منها ويوافقته (دجنبر) من شهور الروم وهو الشهر الثاني عشر منها .
 الرابع كانون الثاني وهو أحد وثلاثون يوماً ودخوله في السادس من طوبه من شهور
 القبط وآخره السادس من أمشير . ويوافقته (ينير) من شهور الروم وهو الشهر الأول منها *
 الخامس اشباط ويقال شباط وهو ثمانية وعشرون يوماً ودخوله في السابع من أمشير من
 شهور القبط وآخره الرابع من برمات منها . ويوافقته (فبرير) من شهور الروم وهو الثاني
 من شهورهم * السادس اذار وهو أحد وثلاثون يوماً ودخوله في الخامس من برمات من
 شهور القبط وآخره الخامس من برموده منها * ويوافقته (مارس) من شهور الروم وهو
 الثالث من شهورهم * السابع نيسان وهو ثلاثون يوماً ودخوله في السادس من برموده
 من شهور القبط وآخره الخامس من بشنس منها . ويوافقته «ابريل» من شهور الروم
 وهو الرابع من شهورهم * الثامن ايار وهو أحد وثلاثون يوماً ودخوله في السادس من بشنس
 من شهور القبط وآخره السادس من بؤنه منها . ويوافقته «مايه» من شهور الروم وهو الخامس
 من شهورهم * التاسع حزيران وهو ثلاثون يوماً ودخوله في السابع من بؤنه من شهور
 القبط وآخره السادس من أييب منها . ويوافقته «يونيه» من شهور الروم وهو السادس
 من شهورهم * العاشر تموز وهو أحد وثلاثون يوماً ودخوله في السابع من أييب من شهور
 القبط وآخره السابع من مسرى منها . ويوافقته «يوليه» من شهور الروم وهو السابع من
 شهورهم * الحادي عشر آب وهو أحد وثلاثون يوماً ودخوله في الثامن من مسرى من شهور
 القبط وآخره الثالث من توت منها ويوافقته «اغشت» من شهور الروم وهو الثامن من شهورهم .
 الثاني عشر ايلول وهو ثلاثون يوماً ودخوله في الرابع من توت من شهور القبط وآخره
 الثالث من بابه منها ويوافقته «شذبر» من شهور الروم وهو التاسع من شهورهم وقد نظمها
 بعضهم في آيات ابتداء فيها بأيلول وهو الثاني عشر منها . عندما لا آخرا السنة على أولها فقال:

وابدأ بأيلول من السرپانی * تشرين الاول يعتقه الثاني

كانون كانون شباط يطلع * اذار نيسان ايار يتبع

ثم حزيران وتموز وأب * تبارك الرحمن بهدى من أحب

قلت: وقد أكثر الناس من النظم في تداخل الشهور القبطية مع السريانية وأوردت
 جملة من ذلك في الاصل . وأخصر ما رأيته في ذلك ما نظمه بعض المتأخرين في بيت

واحد فيه اثنتا عشرة كلمة ، كل كلمة ثلاثة أحرف ، الحرف الاول اشارة للشهر السرياني ،
والثاني لعدد الايام والثالث اشارة للشهر القبطي وهو

ادت تدب تمه كهك كوط أزا أهب نوب أوب حزب تزا أحم
فالالف من أدت اشارة لايلول من شهور السريان وهو آخر شهورهم، والتاء اشارة لتوت
من شهور القبط وهو أول شهورهم، والذال من أدت بأربعة، ففي الرابع من توت يدخل
أيلول؛ والتاء من « تدب » اشارة لتشرين الاول والباء اشارة لبابه والذال بينهما بأربعة
ففي الرابع من بابه يدخل تشرين الاول، والتاء من « تمه » اشارة لتشرين الثاني والهاء
الاخيرة اشارة لهاتور والهاء المتوسطة بينهما بخمسة ففي الخامس من هاتور يدخل تشرين
الثاني؛ والكاف الاولى من « كهك » اشارة لكانون الاول والكاف الاخيرة اشارة
لكيهك والهاء بينهما بخمسة ففي الخامس من كيهك يدخل كانون الاول؛ والكاف من
كوط اشارة لكانون الثاني والطاء اشارة لطوبه والواو بينهما بستة ففي السادس من
طوبه يدخل كانون الثاني؛ والالف الاولى من أزا اشارة لاشباط والالف الاخيرة اشارة
لامشير والزاي بينهما بسبعة ففي السابع من أمشير يدخل اشباط؛ والالف من أهب
اشارة لادار والباء اشارة لبرمهات والهاء بينهما بخمسة ففي الخامس من برمهات يدخل
ادار؛ والنون من نوب اشارة لنيسان والباء اشارة لبرموده والواو بينهما بستة ففي السادس
من برموده يدخل نيسان؛ والالف من أوب اشارة لأيار والباء اشارة لبشنس والواو بينهما
بستة ففي السادس من بشنس يدخل ايار ، والحاء من حزب اشارة لحزيران والباء اشارة لبوتنه
والزاي بينهما بسبعة ففي السابع من بوتنه يدخل حزيران ، والتاء من تزا اشارة لتموز، والالف
اشارة لايبب والزاي بينهما بسبعة ففي السابع من أيبب يدخل تموز؛ والالف من أحم
اشارة لآب والميم اشارة لمسرى والحاء بينهما ثمانية ففي الثامن من مسرى يدخل آب
﴿ النوع الثالث ﴾ - شهور الروم . وتنسب لاغسطس ملك الروم وهو قيصر الاول
وهي اثنا عشر شهراً بعضها ثلاثون يوماً وبعضها زائد على الثلاثين و بعضها ناقص عنها
كما في شهور السريان وهي مطابقة لشهور السريان في العدد مخالفة لها في الاسم والترتيب .
الاول (ينير) ، ويوافق كانون الثاني من شهور السريان وهو الرابع من شهورهم، وفي
أول يوم منه يكون القلنداس يوقد أهل الشام في ايلته يرانا عظيمة لاسيما مدينة انطاكية

وكذلك سائر بلاد الشام وأرض الروم وسائر بلاد النصارى * الثاني (فبرير) ويوافقه شباط من شهور السريان وهو الخامس من شهورهم * الثالث (مارس) ويوافقه اذار من شهور السريان وهو السادس من شهورهم * الرابع (ابريل) ويوافقه نيسان من شهور السريان وهو السابع من شهورهم * الخامس (مايو) ويوافقه ايار من شهور السريان وهو الثامن من شهورهم * السادس (يونيه) ويوافقه حزيران من شهور السريان وهو التاسع من شهورهم * السابع (يوايه) ويوافقه تموز من شهور السريان وهو العاشر من شهورهم * الثامن (أغسطس) ويوافقه آب من شهور السريان وهو الحادي عشر من شهورهم * التاسع (ستمبر) ويوافقه ايلول من شهور السريان وهو الثامن من شهورهم * العاشر (أكتوبر) ويوافقه تشرين الاول من شهور السريان وهو الاول من شهورهم * الحادي عشر (نوفمبر) ويوافقه تشرين الثاني من شهور السريان وهو الثاني عشر من شهورهم * الثاني عشر (ديسمبر) ويوافقه كانون الاول من شهور السريان وهو الثالث من شهورهم وقد نظمها صاحبنا الشيخ ابراهيم الدهشوى المشهور بالسهر وردى رحمه الله في أبيات على الترتيب فقال

ينير فبرير مارس للروم ابريل مايو خامس المعلوم
 ينيه ويليه ثم أغسطس ستمبر اكتوبر نوفمبر ديسمبر

(النوع الرابع) - شهور الفرس . وهي اثنا عشر شهرا كل شهر منها ثلاثون يوما وأيام النسي خمسة أيام في آخر الشهر السابع منها وهو (أبان ماه) (وماه) عندهم اسم للشهر ، والذي قبله صفة له ومضاف اليه : الاول منها - (افرودين ماه) ودخوله في الرابع والعشرين من كيهك من شهور القبط وآخره الثالث والعشرون من شهر طوبه منها * الثاني (ارديهشماه) ودخوله في الرابع والعشرين من طوبه من شهور القبط وآخره الثالث والعشرون من أمشير * الثالث (حردادماه) وأواه في الرابع والعشرين من آب من شهور القبط وآخره في الثالث والعشرين من برمهاث من شهور القبط وآخره في الرابع والعشرين من برمهاث من شهور القبط وآخره الثالث والعشرون من برموده منها * الخامس (تردماه) ودخوله في الرابع والعشرون من برموده من شهور القبط وآخره الثالث والعشرون من بشنس * السادس « يرماه » ودخوله في الرابع والعشرين من بشنس

وآخره في الثاني والعشرين من بؤته منها * السابع (مهرماه) ودخوله في الرابع والعشرين من بؤته من شهور القبط وآخره الثالث والعشرون من أيب منها * الثامن (أبان ماه) ودخوله في الرابع والعشرين من أيب من شهور القبط وآخره الثالث والعشرون من مسرى منها * أيام النسي - وتعرف عندهم بالمشركة وهي خمسة أيام أولها الرابع والعشرون من مسرى من شهور القبط وآخرها الثامن والعشرون منه * التاسع (ادرماه) ودخوله في الثالث والعشرين من مسرى من شهور القبط وفي ثالثة أيام النسي للقبط وآخره الثالث والعشرون من توت منها * العاشر (ذى ماه) ودخوله في الرابع والعشرين من توت من شهور القبط وآخره الثالث والعشرون من بابيه منها * الحادى عشر (بهمن ماه) ودخوله في الرابع والعشرين من بابيه وآخره الثالث والعشرون من كيهك منها * الثاني عشر (١)

— ❦ السنون ❦ —

السنون جمع سنة، ويقال لها العام والحول . وقد نطق القرآن العظيم بالأسماء الثلاثة قال تعالى « قلبت فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً » فأتى بذكر السنة والعام في آية واحدة، وقال جل وعز (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين) فأتى بذكر الحول . وقد تختص (السنة) بالجدب و (العام) بالخصب وقد ورد القرآن بذلك في بعض الآيات ، قال تعالى حكاية عن يوسف عليه والسلام (ثم يأتى بعد ذلك عام فيه يفاث الناس وفيه يعصرون) فعبر بالعام عن الخصب ، وقال جل ذكره (واتمنا أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات) فعبر بالسنين عن الجدب . على أنه وقع التعبير بالسنين عن الخصب أيضاً في قوله تعالى (قال تزرعون سبع سنين دأباً فما

(١) بياض في المختصر والمطول . ومما تنبه إليه ان المؤلف اضطرب في هذا الفصل وخاطب فيه هنا وفي الاصل . فقد ذكر أن أيام النسي تتبع الشهر السابع ثم سردها بعد الثامن ، وأورد أسماء الشهور فلم يوفها في الموضعين فضلاً عن انها لا تطابق ما ذكره . منها في تداخلها مع الشهور القبطية (صحيفة ١٥٠) وقد ورد في دائرة المعارف ان شهور الفرس هي : مرداة ، شهر يروار ، مهر ، أبان ، أدار ، دى ، بهمان اسفندر ماد ، فرواردين ، ارديبا هشت ، حرداد ، تير

حصدم فذروه في سنبله) اما الحول فانه يقع على الحصب والجذب جميعا . ثم السنة على قسمين : طبيعية واصطلاحية كما في الشهور

﴿ القسم الاول ﴾

﴿ السنة الطبيعية ﴾ وهي القمرية . وأولها استهلال القمر في غرة المحرم وآخرها سلخ ذى الحجة من تلك السنة . وهي اثنا عشر شهرا هلاليا قال تعالى (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض) وعدد أيامها فيما قاله المنجمون ثلاثمائة يوم وأربعة وخمسون يوما وخمس وسدس يوم تقريبا ويجتمع من هذا الخمس والسدس يوم في كل ثلاث سنين فتصير السنة ثلاثمائة وخمسة وخمسين يوما ويبقى من ذلك بعد اليوم الذي اجتمع شيء فيجتمع منه ومن خمس اليوم وسدسه في السنة السادسة يوم واحد وكذلك الى أن يبقى الكسر أحد عشر يوما عند تمام ثلاثين سنة وتسمى تلك السنين كبائس العرب . قال السهيلي : كانوا يؤخرون في كل عام أحد عشر يوما حتى يدور الدور الى ثلاث وثلاثين سنة فيعود الى وقته ؛ فلما كانت سنة حجة الوداع وهي سنة تسع من الهجرة عاد الحج الى وقته اتفقا في ذى الحجة كما وضع أولا فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه الحج ثم قال في خطبته التي خطبها يومئذ : ان الزمان قد استدار كهيثة يوم خلق الله السموات والارض . يعنى ان الحج قد عاد في ذى الحجة . وقيل لم تنزل العرب في جاهليتها على رسم ابراهيم واسماعيل عليهما السلام لاتنسأ سنيتها الى أن جاورتهم اليهود في يثرب فارادت العرب ان يكون حجهم في أخصب وقت من السنة وأسهل زمان للتردد بالتجارة فتعلموا الكبس من اليهود . ولما جاء الاسلام بنى الشارع الشهور على الأهلة ومنع النسي الذي كانت العرب تفعله فقال تعالى (انما النسي زيادة في الكفر . . .) الآية

﴿ القسم الثاني ﴾

﴿ السنة الاصطلاحية ﴾ وهي الشمسية . وشهورها اثنا عشر شهرا كما في السنة الطبيعية إلا أن كل طائفة راعت عدم دوران سنيتها فجعلت في اشهرها زيادة في الأيام إما جملة واحدة كما في الشهور القبطية واما متفرقة كما في الشهور السريانية وسمتها نسيثا

بحسب ما اصطالحوا عليه كما ستقف عليه في مصطلح كل قوم ان شاء الله تعالى. وعدد أيام السنة الشمسية عند جميع الطوائف من المنجمين والقبط والسريان والروم والفرس ثلاثمائة يوم وخمسة وستون يوما وربع يوم . فتكون زيادتها على العربية عشرة أيام وثمانية أعشار يوم وخمسة أسداس يوم . وقد قال بعض حذاق المفسرين في قوله تعالى (وليثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) انه ان حمل على السنين القمرية فهو على ظاهره من العدد ؛ وان حمل على السنين الشمسية فالتسع الزائدة هي تفاوت زيادة الشمسية على القمرية لأن في كل ثلاثمائة سنة تسع سنين لا تخل بالحساب اصلا . قال في مناهج الفكر : ولذلك كانوا في صدر الاسلام يسقطون عند رأس كل ثلاثين سنة عربية سنة ويسمونها سنة الازدلاف ، لأن كل ثلاث وثلاثين سنة عربية اثنتان وثلاثون سنة شمسية تقريبا . قال : وانما حملهم على ذلك الفرار من اسم النسيء الذي أخبر الله تعالى أنه زيادة في الكفر . واعلم ان المعتبرين للسنة الشمسية اختلفت مصطلحاتهم فيها بحسب اصطلاح مقاصدهم على مصطلحات :

منها مصطلح المنجمين . والسنة عندهم من حلول الشمس في أول رأس الحمل الى حلولها في آخر نقطة من الحوت . ومنهم من يجعلها من حلول الشمس في أول نقطة من رأس الميزان الى حلولها في آخر نقطة من السنبلة . والاول هو المعروف . وتساهل بعضهم فقال : هي من كون الشمس في نقطة ما من تلك البروج الى عودها الى تلك النقطة . ويقال ان سنة الجند والمرزقة بالديار المصرية كانت اولاً على هذا المصطلح وبه يعملون في الاقطاعات ونحوها

ومنها مصطلح القبط . وقد اصطالحوا على ان جعلوا شهرهم ثلاثين يوماً كما تقدم فاذا انقضت الاثنا عشر شهرا اضافوا اليها خمسة أيام يسمونها أيام النسيء . يفعلون ذلك ثلاث سنين متوالية فاذا كانت السنة الرابعة اضافوا الى خمسة أيام النسيء المذكورة ما اجتمع من الربع يوم الزائد على الخمسة أيام في السنة الشمسية فتصير ستة أيام فيجعلونها كبيعة في تلك السنة . قال اصحاب الزيجات : وأول ابتدأهم ذلك في زمن اغسطس ملك الروم فكانوا من قبل يتركون الربع الى ان تجتمع منه أيام سنة كاملة وذلك في الف سنة وأربعمائة واحد وستين سنة ويسقطونها من سنينهم . وعلى هذا المصطلح

استقر عوامهم بانديار المصرية في الاقطاعات والزرع وجباية الخراج وما شاكل ذلك ومنها مصطلح السريان والروم . وشهورهم على ما تقدم من كون بعضها ثلاثين يوما وبعضها زائدة عليها وبعضها ناقصة عنها . وانما فعلوا ذلك حتى لا يلحقهم النسي في شهورهم اذ الأيام الخمسة الزائدة على شهور القبط موزعة على روس الزوائد من شهورهم وذلك أن من شهورهم سبعة أشهر يزيد كل منها يوما على الثلاثين وهي: تشرين الاول ، وكانون الثاني ، وأدارا، وايارا، وتموز ، وآب فتكون الزيادة سبعة أيام يكمل منها شباط وهو ثمانية وعشرون يوما بيومين يبقى خمسة ايام وهي نظير النسي في سنة القبط والفرس . ويبقى بعد ذلك الربع يوم الزائد على الخمسة أيام في السنة الشمسية فإذا انقضت ثلاث سنين متواليات جمعوا الأرباع الثلاثة الملقاة الى الربع الرابع فيجتمع منها يوم فيجملونه نظير اليوم الذي كبسه القبط ويضيفونه الى شباط فيصير تسعة وعشرين يوما

ومنها مصطلح الفرس - وشهورهم كشهور القبط في عدد الأيام على ما تقدم كل شهر منها ثلاثون يوما . وإذا كان آخر شهر « أبان ماه » وهو السابع من شهورهم أضافوا اليه الخمسة الأيام الباقية وجعلوه خمسة وثلاثين يوما . وتسمى الفرس هذه الأيام الخمسة « الاندركاه » . ولما لم يجز في معتقدهم كبس السنة باليوم الواحد المجتمع من الربع الباقي بعد ثلاث سنين كما تفعل القبط كانوا يؤخرونه الى أن يتم منه شهر كامل في مائة وعشرين سنة فيأتونه وتسمى السنة التي ياتي فيها « بهرك » . قال المسعودي في مروج الذهب وانما أخروا ذلك الى مائة وعشرين سنة لأن الأيام عندهم منها سعود ونحوس ، فكارهوا أن يكبسوا في كل أربع سنين يوما وتنتقل بذلك أيام النحوس ، ولا يكون النيروز أول يوم من الشهر . قالت : وعلى هذا الاصطلاح كان يجبي الخراج للخفاء وتتمى الأحوال الديوانية في بداية الأمر وعليه العمل في العراق وبلاد فارس الى الآن واعلم أن شهور اليهود وان تقدم عدتها في القمريّة فقد اضطروا الى أن تكون سنتهم شمسية يأتون فيها بالكبيس ؛ وذلك لأنهم أمروا في التوراة أن يكون عيد الفطر في زمن الفريك فلم يأت لهم الا بذلك

فصول السنة

وأما فصول السنة فقد جعلوها أربعة فصول :

الاول منها -- فصل الربيع . وابتدأوه عند حلول الشمس برأس الحمل ، ومدته أحد وتسعون يوما وربع يوم ونصف ثمن يوم وآخره عند قطعها برج الجوزاء . وهو حار رطب وفيه تتحرك الطبائع وتظهر المواد المتولدة في الشتاء فيطلع النبات وتزهو الأشجار وتورق وتتهيج الحيوان للسفاد وتدوب الثلوج وتنبع العيون وتسيل الاودية وأخذت الارض زخرفها وازينت واختالت في وشيها وتبرجت للظارة في معرض الحسن والنضارة حتى قال الوزير المغربي : لو كان الربيع شخصا لكان مقبلا ولو أن الأيام حيوان لكان لها حليا . وكان عبدوس الخزاعي يقول : من لم يتهيج بالربيع ولم يستمتع بأنواره ولا استروح بنسيم أزهاره فهو فاسد المزاج . وكانت ملوك الفرس اذا عدته استعملت ما يضاحي زرعه من البسط المنقشة والبارق المرقشة حتى اتخذوا شروان بساطا سماه بساط الربيع ورصعه بأزرق الياقوت والجواهر واصفره وأبيضه وأخضره فجعل أخضره مكان اغصان الاشجار وألوانه بموضع الزهر . وأخذ هذا البساط في وقعة الفادسية وحمل الى عمر فقال : ان أمة أدت هذا الى أميرها لأمانة . والكلام في فصله وفضله يطول

الثاني -- فصل الصيف . وهو في المقدار مقدار زمن الربيع . وأوله إذا حلت الشمس برأس السرطان ؛ وآخره اذا أتت على آخر درجة من السنبل . وطبعه حار يابس فيه يشتد الحر ويقوى الوهج . وللعرب فيه وغرات ، وهي الحرور : منها وغرة الشعرى . يقال ان الرجل يمش بين الحوض والبحر فاذا طلع سهيل ذهبت الوغرات

الثالث -- فصل الخريف . وأوله عند حلول الشمس رأس الميزان في الثامن عشر من توت ؛ وآخره اذا أتت على آخر درجة من القوس . وطبعه بارد يابس . فيه يبرد الهواء ويتغير الزمان وتنصرم الثمار ويتغير وجه الارض وتهزل البهائم وتصير الارض كأنها كهلة مدبرة ؛ الا انه ميقات الأوقات وموسم الثمار وأوان شباب الاشجار . قال ابن شبل : كل ما يظهر في الربيع نواره ففي الخريف تجني ثماره . ومن ثم يقال فصل الخريف

ربيع النفس كما ان فصل الربيع ربيع العين . وبالغ بعضهم فضله على فصل الربيع الذي هو أحسن الفصول فقال

محاسن للخريف لمن فخر على زمن الربيع وأى فخر
به صار الزمان امام برد يراقب نزحه وعقيب حر

وناقضه آخر فقال

خذ في التدبر في الخريف فإنه مستوبل ونسيمه خطاف
يجرى مع الايام جرى نفاقها كصديقتها ومن الصديق يخاف

الرابع فصل الشتاء - ومدته كمدة الذي قبله . وأوله عند حلول الشمس رأس الجدى وذلك في الثاني عشر من كيهك ، وهو اذا بقي من كانون الاول من شهر السريان ثمانية أيام ، وآخره اذا أتت الشمس على آخر درجة من الحوت . وهو بارد رطب ؛ فيه يهب الريح الدبور ، ويشتد البرد ويخشى الهواء ، ويتساقط ورق الشجر ، وتكثر الأنواء ، ويظلم الجو ، ونصير الأرض كأنها عجوز هرمة قد دنا منها الموت . ومن أحسن ما قيل فيه قول بعضهم

شتاء تقلص الأشداق منه وبرد يجعل الشبان شيئا
وأرض تزلق الأقدام فيها فما تمشي بها الا ديبسا

وذكر ابن قتيبة في أدب الكاتب طريقاً آخر فقال : الربيع يذهب الناس الى أنه الفصل الذي يتبع الشتاء ويأتي فيه الورد والكمأة والنور ولا يعرفون الربيع غيره . قال : والعرب تختلف في ذلك فمنهم من يجعل الربيع الفصل الذي تدرك فيه الثمار وهو الخريف ، وبعده فصل الشتاء ، ثم فصل الصيف وهو الوقت الذي تسميه العامة الربيع ، ثم فصل القيظ وهو الذي تسميه العامة الصيف . ومنهم من يسمي الفصل الذي تدرك فيه الثمار وهو الخريف الربيع الأول ، ويسمى الفصل الذي يلي الشتاء وتأتي فيه الكمأة والنور الربيع الثاني ؛ ثم قال : وكلهم مجمعون على أن الخريف هو الربيع . وفي ذلك كلام آخر لغير ابن قتيبة يطول ذكره ، ذكرته في الاصل

❦ اعياد الامم ومواسمها ❦

وأما اعياد الامم ومواسمها فتختلف باختلافهم في تعظيم الأزمنة وتفضيل بعضها

(١٦١)

على بعض . والعيد ، قيل ، مأخوذ من العود لعوده في كل سنة ، وفيه نظر ؛ لأن العيد من ذوات اليا ، والعود من ذوات الواو . ويحتاج الكاتب اليها في الإيمان وتحليف أرباب الملل والنحل على ماستقف عليه في موضعه ان شاء الله تعالى . وقد اشتهر منها اعياد للأمم

﴿ أعياد المسلمين ﴾

واعلم ان الذي وردت به الشريعة وجاءت به السنة عيدان : الأول عيد الفطر وهو في اليوم الأول من شوال وسمي بذلك لوقوعه عند الفطر من صوم رمضان * الثاني عيد الاضحى - وهو في اليوم العاشر من ذى الحجة . والاضحى جمع اضحاة وهي الاضحية ؛ سمي بذلك لوقوعه في اليوم الذي يضحي فيه . والأصل فيها ما رواه أبو داود عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ولأهالها يومان ياعبون فيها ؛ فقال ما هذان اليومان ؟ فقالوا : كما نلعب فيها في الجاهلية . فقال صلى الله عليه وسلم : ان الله قد بداكم خيرا منها ، يوم الاضحى ويوم الفطر . وأول ما بدى به منها عيد الفطر في سنة اثنتين من الهجرة . وقد زادت الشيعة ثالثا هو عندهم من أعظم الأعياد ، وهو عيد « الغدير » محتجين بأن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من حجة الوداع نزل بغدير « خم » وأخي بين الصيابة ولما يواخى بين علي وبين أحد منهم ، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم منه انكسارا فقال : أما ترى ان تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي . والتفت الى اصحابه وقال : من كنت مولاه فعلي من مولاه . وكان ذلك في الحادى عشر من ذى الحجة سنة عشر من الهجرة . فاتخذ الشيعة ذلك اليوم عيدا . وشعارهم فيه ابس الجديد ، وعتق العبيد ، وذبح الأغنام ، والحق الاجانب بالأهل في الأكرام . والشعراء والمترسلون يهنتون أكابريهم بالرسائل والشعر في هذا اليوم

(أعياد القبط ١)

(اعلم ان أعياد القبط كثيرة ونحن تقتصر في هذا الفصل على المشهور منها دون غيره
ونبين أوقاتها ونشرح أسبابها وهي على قسمين : كبار وصغار : فأعيادهم الكبار سبعة
أعياد : (الاول عيد البشارة) ويعنون به بشارة جبريل عليه السلام لمریم بعیسی صلوات
الله عليه . ويعملونه في التاسع والعشرين من برمهات من شهور القبط * الثاني عيد
الزيتونه وهو عيد الثمانين ، وتفسيره بالعربية التسبيح ؛ يعملونه في سابع أحد من
صومهم . وهم يزعمون ان المسيح عليه السلام في مثل ذلك اليوم ركب اليعفور ، وهو
الحمار ، في القدس ودخل صهيون وهو راكب والناس يسبحون بين يديه وهو يأمر
بالمعروف وينهي عن المنكر * الثالث عيد الفصح ، بكسر الفاء ، وهو عيدهم الأكبر
يعملونه يوم الفطر من صومهم ويزعمون ان المسيح عليه السلام قام فيه بعد الصلبوت
بثلاثة أيام وخلص آدم من الجحيم وأقام في الارض أربعين يوماً آخرها يوم الخميس ، ثم
صعد الى السماء قاتلهم الله أنى يؤفكون * الرابع خميس الاربعين ، ويسميه الشاميون
السلاق ، وهو في يوم الثاني والاربعين من فطرم ؛ يقولون ان المسيح عليه السلام تسلق
فيه من بين تلاميذه الى السماء بعد قيامه من الصلب ووعدهم بأرسال الفارقليط وهو
عندهم روح القدس * الخامس عيد الخميس ، ويسمونه العنصرة ، يعملونه بعد
خمسین يوماً من القيام . وهو في السادس والعشرين من بشنس ؛ ثم يقولون ان روح
القدس حل في التلاميذ فيه وتفرقت عليهم أسنة الناس فتكلم كل منهم بلسان ، وذهب
كل واحد منهم الى بلاد اسانه الذي تكلم به يدعوهم الى دين المسيح * السادس الميلاد ،
وهو اليوم الذي يقولون ان المسيح عليه السلام ولد فيه بييت لحم ، وهي قرية من قرى
فلسطين . وهم يعملونه في التاسع والعشرين من كيهك من شهور القبط ؛ ويقولون انه
ولد فيه يوم الاثنين فيجعلون عشية الاحد ليلة الميلاد ، فيوقدون فيها المصابيح بالكناثس
ويزينونها * السابع عيد الغطاس ، وهو في الحادى عشر من طوبه من شهور القبط :

(١) عنوان هذا الفصل وما وضع بين أقواس من مفتحه ترك على ياض في «الضوء»
فأخذناه من «الصبح» مختصراً على طريقة المؤلف

يزعمون أن يحيى بن ذكربا عليه السلام ، وهم يسمونه يوحنا المعمدان ، غسل عيسى عليه السلام ببحيرة الأردن ؛ وأنه حين خرج من الماء اتصل به روح القدس على هيئة حمامة . والنصارى يتغمسون فيه في الماء ، ويغمسون فيه أولادهم على أنه يقع في شدة البرد ﴿ وأعيادهم الصغار ﴾ سبعة أيضا : أحدها الختان ، وهو في سادس يونه * والثاني الاربعون ، يعملونه في الثامن من امشير * والثالث خميس العهد وهو قبل الفصح بثلاثة أيام ، وهو الذى تسميه العامة خميس العدس * والرابع سبت النور ، وهو قبل الفصح بيوم * والخامس حد الحدود ، وهو بعد الفصح بثمانية أيام * والسادس التجلي ، وهو في الثالث عشر من مسرى * والسابع الصليب ، وهو في السابع عشر من توت قلت : واكمل واحد منها سبب . ولهم أعياد أخرى . وقد ذكرت الجميع في الاصل

﴿ أعياد اليهود ﴾

(وهى عندهم على ضربين)

﴿ الضرب الاول ﴾ — ما نطقت به التوراة بزعمهم ؛ وهى خمسة أعياد : الاول رأس السنة ، يعملونه عند رأس سنتهم ويسمونه عيد « رأس هيشا » أي رأس الشهر . وهو أول يوم من تشرى من شهورهم ؛ وهو منزل عندهم منزلة عيد الاضحى عندنا ؛ ويزعمون انه اليوم الذى امر الله تعالى ابراهيم عليه السلام بذبح ولده اسحاق فيه وفداه بذبح عظيم * الثانى عيد « صوماريا » ويسمونه الكيبور ، وهو عندهم الصوم العظيم الذى يقولون ان الله فرض عليهم صومه ، ومن لم يصمه منهم استحق القتل . ومدته خمس وعشرون ساعة ، اولها قبل غروب الشمس فى اليوم التاسع من شهر تشرى المذكور ، وينتخم بمضى ساعة بعد غروبها فى اليوم العاشر منه ؛ وربما سموه العاشور . ولا يجوز عندهم ان يكون فى يوم الاحد ، ولا يوم الثلاثاء ، ولا يوم الجمعة . ويزعمون ان الله يغفر لهم فيه جميع ذنوبهم الا الزنا بالمحصنة ، وظلم الرجل أخاه ، وجحد ربوبية الله تعالى * الثالث عيد « المظلة » ، وهو سبعة أيام اولها خامس عشر نشرى المقدم ذكوه وآخرها يسمى « عرابا » ومعناه شجر الخلاف يجلسون فيه تحت ظلال من جريد النخل وأغصان الزيتون والخلاف ونحوها ، ويزعمون أن ذلك تذكارة منهم بنظاليهم بالغمام فى التيه * الرابع عيد « الفطير »

ويسمونه الفصح، وهو في الخامس عشر من نيسان من شهرهم . ومدته سبعة أيام من حينئذ . ينظفون فيه بيوتهم من خبز الخمر ويزعمون أن هذه الايام هي التي نحي الله فيها موسى من فرعون وأغرقه ، وأنهم خرجوا بعد ذلك الى التيه فجعلوا يأكلون الخبز الفطير باللحم وهم فرحون بذلك * الخامس عيد « الاسايح » ويسمى عيد العنصره ، وعيد الخطاب . وهو بعد عيد الفطير بسبعة أسابيع وهو في السادس من « سيوان » من شهرهم ؛ ويوافق الثالث والعشرون من بشنس من شهر القبط . وهم يزعمون انه اليوم الذي خاطب الله تعالى فيه نبي اسرائيل من طور سيناء . وهم يأكلون فيه القطائف وبتفتنون في عملها ، ويجعلونها بدلا من المن الذي انزل عليهم في هذا اليوم

﴿الضرب الثاني﴾ ما لم تنطق به التوراة - وهو عيدان : احدهما عيد « الفوز » وهو يوم النصف من « أدار » : وهم يزعمون ان موسى عليه السلام ولد فيه . وهذا العيد عندهم عيد سرور وهو وخلاعة يتهادون فيه ويزعمون ان محتصر لما أجلى اليهود من بيت المقدس الى عراق المعجم واسكنهم أصفهان بقوا هناك الى ايام ازديشير بن بابك وكان له وزير اسمه هيمون فهم بقتلهم في ذلك اليوم وكان الملك قد تزوج منهم فاحتالت لخلص قومها بأن حسنت للملك قتل هيمون فقتله ونجاهم من القتل فاتخذوا ذلك اليوم عيداً * الثاني عيد « الحنكة » وهو ثمانية أيام يوقدون في الليلة الاولى من لياليها سراجا ، وفي الثانية سراجين ، ويزيدون في كل ايلة سراجا الى آخر الثمانية . وهم يقولون ان سبب اتخاذه أن بعض الجبابرة تغلب على بيت المقدس وفتك باليهود فوثب عليه ثمانية منهم فقتله اصغرهم وطلب اليهود زيتا لوقود الهيكل فلم يجدوا الا يسيرا فوزعوه على عدد ما يوقدونه من السرج على أبوابهم في كل ليلة الى ثمان ايام . فاتخذوا هذه الايام عيداً وسموه الحنكة ، ومعناها التنظيف : لانهم نظفوا فيه الهيكل من أقدار ذلك الجبار

(أعياد الفرس)

وكان دينهم المجوسية ؛ وأعيادهم كثيرة للغاية حتى ان علي بن حمزة الاصفهاني صنف فيها كتاباً . والمشهور منها سبعة اعياد : الأول النيروز ، وهو تعريب نوروز ؛

ومعناه اليوم الجديد . وهو اول يوم من « افريدون ماه » من شهورهم وهو رأس سنتهم ؛ ويمتد عندهم الى سبعة أيام . وهم يزعمون ان سبب اتخاذه ان دينهم كان قد فسد ؛ فلما ملك « جم شاد » أحد ملوك الطبقة الثانية من ملوك الفرس جدده وأظهره ؛ فسمى اليوم الذي ملك فيه « نوروز » . وقيل ان « جم شاد » كان يختفي عنهم فأبرز لهم وجهه في هذا اليوم، وكان فائقا في الجمال ، فاتخذوا يوم رؤيته عيداً . وبعض الفرس يزعم أنه اليوم الذي خلق الله فيه النور، وأنه كان معظما عندهم قبل « جم شاد » . وبعضهم يزعم أنه اليوم الذي ابتداء فيه دوران الفلك . وكانت عادتهم رفع النار في ليلته تنويها بذكره وإشهارا لأمره ويرشون فيه الماء فتظهر الأبدان من دخان النار الموقدة في ليلته . وقيل ان يروز بن يزدرج أحد ملوكهم بقي سبع سنين لم يمطر في ملكه ، فأمرت في هذا اليوم، ففرح الناس بالمطر وصبوا من مائه على أبدانهم، فصار صب الماء فيه سنة عندهم في كل عام . وما أحسن قول القائل يخاطب محبوبه

كيف ابتهاجك باليروز ياسكنى وكل ما فيه يحكى وأحكيه
فتارة كاهيب النار في كبدى وتارة كتوالى عبرتى فيه

وقد كان من عادتهم فيه ان يهادى بعضهم بعضا، ثم حسم الاسلام مادة ذلك الى زمن الحجاج بن يوسف فأحدث المهادة فيه ثم أبطل ذلك عمر بن عبدالعزیز ؛ واستمر المنع الى أن فتح باب المهادة فيه احمد بن يوسف الكاتب فأهدى فيه للأأمون سفت ذهب فيه قطعة عود هندی في طوله وعرضه وكتب معه « هذا يوم جرت فيه العادة ، بأتحاف السادة » واستمر الحال فيما بعد ذلك

الثاني المهرجان - قال المسعودى : وسبب تسميته هذا الاسم انهم كانوا يسمون شهورهم بأسماء ملوكهم، وكان لهم ملك يسمى « مهر » - يهر فيهم بالعنف فمات في النصف من هذا الشهر فسمى هذا اليوم مهرجان ، ومعناه : روح مهر ذهبت . وبعضهم يقول ان مهر بالفارسية معناه : حفاظ، وجان : الروح ؛ فعناه حفاظ الروح . وقيل معناه : درك الثار ؛ وذلك ان افريدون أحد ملوكهم أخذ ثار جده « جم شاد » من الضحاك في ذلك اليوم فسمى بذلك . ووقوعه في السادس من « مهر ماه » من شهور الفرس، وهو في السادس والعشرين من تشرى الأول من شهر اسربان، وفي التاسع والعشرين

من أييب من شهور القبط ويبقى ستة أيام ؛ والأمر في المهادة فيه على ما تقدم في النيروز الثالث : السدق - ويسمى « آبان روز » وهو في ليلة الحادى عشر من شهر « بهمن ماه » من شهور الفرس . وهم فيه يوقدون النيران بجميع الأدهان ويلقون جميع الحبوب فيها . ويزعمون ان سبب اتخاذه ان « كيومرت » وهو الأب الأول بزعمهم لما كمل له مائة ولد زوج الذكور منهم بالأنثى، وصنع لهم عرساً أكثر فيه من وقود النيران، فوافق ذلك هذه الليلة فاتخذه الفرس سنة بعده

الرابع التركان - ومعناه رمى سهمه . وهو في الثالث والعشرين من « تيرماه » من شهور الفرس : يزعمون انه لما وقع الصلح بين « منوجهر » أحد ملوك الفرس وبين « فراسياب » ملك الترك على رمية سهم من المملكة رمى سهمها فامتد السهم من جبال طبرستان الى أعالي طخارستان

الخامس - أيام الفرو دجان - وهي خمسة أيام أولها السادس والعشرون من « آبان ماه » من شهور الفرس . ومعناه تربية الروح لأنهم كانوا يعملون فيه أطعمة وأشربة لأرواح موتاهم ويزعمون انها تتغذى بها

السادس - ركوب الكوسج - وهو في أول يوم من « أدرمه » من شهور الفرس ويمتد سبعة أيام؛ وهو عندهم عيد لهو وخلاعة . قال الرمنخشرى في ربيع الأبرار: وسبب ذلك أن كوسجا كان يشرب في هذه الأيام الدواء ويطلق بدنه فيها فغلب عليها اسمه . وسنتهم فيه أن يركب في كل بلد من بلادهم كوسج يأكل الاطعمة الحارة كالجوز والثوم واللحم السمين ونحوها، ويشرب مع ذلك الشراب العصف اياماً قبل حلول ذلك الشهر؛ فإذا دخل الشهر لبس غلالة سابورية وركب بقرة وأخذ على يده غراباً وأوباش الداس حوله يصبون عليه الماء ويضربونه بالثلج ويروحون عليه بالمراوح وهو يصيح بالفارسية « كوم ! كوم ! » اى الحر ! الحر ! وهم ينتهبون ما يجدون في الحوانيت من الأمتعة . وللأساطان عليهم أتاوة مقررة ويبقون كذلك سبعة أيام فمن وجد منهم بعد عصر اليوم السابع ضرب وحبس . قال في مروج الذهب : ولا يعرف ذلك الا بالعراق وأرض العمم : اما السام والجزيرة ومصر واليمن فلا يعرفون ذلك

السابع عيد بهمنجة - وهو في يوم بهمن من شهر « بهمن ماه » وعادتهم فيه

أنهم يأكلون البهمن الأبيض باللبن الحامض على أنه ينفع الحفظ . ورؤساء خراسان يعملون فيه الدعوات على طعام يطبخون فيه كل حب ما كؤل ولحم حيوان يؤكل ويحضر معه ما يوجد في ذلك الوقت من بقل أو نبات

❦ الباب الثاني من المقالة الأولى ❦

(فيما يحتاج إليه الكاتب من صناعة الخط ، والمقصود من وضعه ، وذكر آلاته ، وأول من وضعه وتواجه من النقط والشكل والهجاء ، والمرق بين الضاد والظاء ، وذكر الورق ، ومقادير قطع الورق المستعمل بديوان الانشاء ، وما يناسب كل قطع منها من الاقلام ، ومقادير البياض في أول الدرج وحاشيته ، وقدر ما بين السطور . وفيه سبعة فصول)

❦ الفصل الأول ❦

❦ في المقصود من وضع الخط ❦

اعلم ان المقصود من وضعه أداء اللفظ المقصود الواقع على المعنى المطلوب وتفهيمة الناظر فيه . فاذا أردت تأدية الالفاظ الى أحد الناس بغير شفاء نقشت النقوش الموضوعه لتلك الالفاظ فينظر تلك النقوش ويفهم منها معاني تلك الالفاظ . قال في مواد البيان : وبين اللفظ والخط مناسبة ظاهرة : فكما ان اللفظ فيه الجزل الفصيح الذي يستعمله مصارع العلماء ، ومفاتيح الشعراء ، والمبتذل السخيف الذي يستعمله العوام في المكاتبه والمحاطبة فكذلك الخط فيه المحرر الذي تكتب به الكتب السلطانية والامور المهمة ، وفيه المطلق المرسل الذي يتكاتب به الناس ويستعملونه فيما بينهم ؛ وكما ان اللفظ يقع فيه لحن الاعراب الذي يزبل بهجته ، كذلك الخط يقع فيه لحن الهجاء ؛ وكما ان اللفظ اذا كان مقبولا حلوا رفع المعنى الخسيس وقربه من النفوس ، وان كان غثا مستكرها وضع المعنى الرفيع وبعده من القلوب كذلك الخط إذا كان جيدا حسنا بعث الأناسان على قراءة ما اودع فيه ولو كان قليل الفائدة ، وان كان ركيكا قبيحا صرفه عن تأمل ما تضمنه ولو كان جليل الفائدة . ولما اشترك اللفظ والخط في الفوائد العامة التي جعلت فيهما وقع الاشتراك أيضا بين آتئيهما : اذا آلة اللفظ للسان ، وآلة الخط القلم ، وكل منهما يفعل فعل الآخر في الابانة عن المعاني . الا أن اللفظ لما كان دايلا طبيعيا جمعت آتئته آلة طبيعية ،

والخط لما كان دليلاً صناعياً جعلت آله آلة صناعية . ولما تقاسمت الآلتان الدلالة نابت
أحدهما مناب الأخرى ، فأوقعوا اسم اللسان على القلم فقالوا : الأ قلام السنة الافهام .
وشركوا بينهما في الاسم فقالوا : القلم أحد اللسانين

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في ذكر آلات الخط)

وسمطها الجامع لها الدواة . وقد روى عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال : خلق الله النون ، وهي الدواة . ووقفه ابن جرير على ابن عباس .
وهذا هو المناسب لذكر القلم في قوله تعالى : « ن ، والقلم » وان فسر بالحوت . قال
محمد بن شعيب : مثل الكاتب بغير دواة مثل من يسير الى الهيجاء بغير سلاح . وقال
عبد الله بن المبارك : من خرج من بيته بغير دواة فقد عزم على الصدقة . قال أبو القاسم
ابن عبد العزيز : وتجمع في القلة على « دويات » وفي الكثرة على « دوى » بضم
الدال وكسرهما ، و « دوايا » مثل حوايا : ورجل دواء ، يفتح الدال وتشديد الواو ،
إذا كان يبيعها كقولك عطار وبزار ؛ ويقال لمن يحملها « دأو » على وزن وادٍ . قال
الفضل بن سهل : وينبغي ان تتخذ من أجود العيدان وأرفعها ثمناً كالأ بنوس ، والساسم ،
والصندل . قلت : وهذا اعتماد منه على ما كان يعتاده أهل زمانه ويتعانه أهل عصره ؛
أما الآن فقد غاب على كتاب الانشا . اتخذ دوى النحاس الاصفر والفضة والفلاذ مدورة
الرأسين ، وتغالوا في تحسينها . والنحاس أكثر استعمالاً من الفولاذ اعززة الفولاذ واختصاصه
بأكابر الأعيان وصارت دوى الخشب مخصوصة بالقضاة وكتاب الحكم ومن في معناهم
وأكثر ما يتعانونه دوى الآ بنوس والصندل الاحمر

قال الحسن بن وهب : وسبيل الدواة أن يكون عليها من الحلية أخف ما يكون
ويمكن ان يحل به الدوى في وثانة واطف ليأمن من أن تنكسر أو تنقصم في مجلسه .
قال : وحق الحلية أن تكون ساذجة بغير حفر ولا ثنيات ليأمن من مسارعة القذى
والدنس اليها . ولا يكون عليه نقش ولا صورة . قلت : وحق هذه الحلية مع ما ذكره
ابن وهب أن تكون من النحاس ونحوه بخلاف الذهب والفضة فإنه يصير حكماً بها حكم

الضبية في الاناء فتحرم مع الكبر والزينة ، وتكروه مع الصغر والزينة والكبر والحاجة ، وتباح مع الصغر والحاجة من كسر ونحوه وكذلك التمويه اذا كان يحصل منه بالعرض على النار شئ على ما قرره اصحابنا الشافعية وقد اوضحت ذلك في شرحي على جامع المختصرات ومختصر الجوامع في الفقه .

قال ابن وهب : وسبيلها ان تكون متوسطة في قدها لا بالقصيرة فتقصر أقلامها وتقبج ، ولا بالكثيفة فيثقل حملها اذ لا بد لصاحبها أن يحملها بنفسه حتى يضعها بين يدي ملكه أو أميره في أوقات مخصوصة ولا يحسن أن يتولى ذلك غيره . قال الفضل بن سهل : ويكون طولها بمقدار عظم الذراع أو فويق ذلك قليلا ليكون مناسباً لمقدار القلم . وينبغي للكاتب ان يجتهد في تحسين الدواة وتجويدها وصونها والله در المدائني حيث يقول
جود دواتك واجتهد في صونها ان الدوى خزان الكتاب

﴿ الآلات التي تشتمل عليها الدواة ﴾

ثم الدواة تشتمل على خمس عشرة آلة ، ما يحتاج اليه كاتب الانشاء :

﴿ الأولى المحبرة ﴾

بكسر الميم وفتح الباء - وهي الجونة التي تستمد منها للكتابة . قال بعض فضلاء الكتاب : وينبغي ان تكون شكلا مدور الرأس مجتمع على زوايتين قائمتين ، ولا يكون مربعا بحال ؛ لانه اذا كان مربعا تكاثف المداد في زواياه وفسد ، واذا كان مستديرا كان أبقى للمداد وأسعد في الاستمداد . قلت : وأهل العصر يجعلونها مستديرة من جانب الاستمداد ، مربعة من الجانب الذي يقابله فيجتمع ما يلقيه الاستمداد من كدر الحبر وما لعله يصل اليها من الغبار في ركني الترييع ويسلم جانب الاستمداد من ذلك . ثم المحبرة تشتمل على « الليقة » وهي مأخوذة من قولهم : فلان ما يليق كفه درهما ، أي لا يجسه ولا يمسه . سميت بذلك لامسا كما الحبر ومنعها اياه من السيلائن . ويقال منه أقت الدواة ، ولقها : اذا جمعت فيها الليقة . قال الجاحظ : ولا تستحق اسم الليقة حتى تلاق في الدواة بالنفس ، وهو المداد . قال بعض الكتاب . وتكون من الحرير الحشن لتنتفش في المحبرة فلا تنابد فتكون أعون على الكتابة . وعلى الكاتب ان يتفقد

الليقة ويطيبها فأنها تتغير رائحتها على طول الزمن . وقد كان بعض الكتاب يطيب
دواته بأجود طيب نفسه و يقول : أنا أكتب بها اسم الله تعالى ، واسم رسوله صلى الله
عليه وسلم ، واسم امير المؤمنين ، وربما سبق القلم بغير المراد فنلحسه بألسنتنا . قال السمرى :
ويتعين على الكاتب تجديدها في كل شهر ، وأنه حين فراغه من الكتابة يطبق المحبرة
تحرزا عن الرباب ونحوه مما يفسد الحبر . وقد نظم ذلك في أرجوزته فقال
وجدد الليقة كل شهر فشيخنا كان بهذا يغرى
لاجل ما يقع فيها من قذى فينتشى من ذلك في الخطأذى
وحكى محمد بن عمر المدائني في كتاب « القلم والدواة » ان بعض العلماء رأى صديا
ييصق في دواته فزجره وقال لمعلمه امنع الصبيان من مثل هذا فانهم يكتبون به كلام
الله . قال : وما روى ان ابن عباس كان ييصق في دواته فكذب ؛ أنكره البراز وقال : وضعه
عاصم بن سليمان الكودن وكان كذابا . وذكر عن أبي داود نحوه

﴿ الآلة الثانية المداد ﴾

وسمى بذلك لانه الذي يمد القلم ، أى يعينه . وقد قال تعالى « قل لو كان البحر
مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا » قال
ابن قتيبة : هو من المداد ، لامن الأمداد . ويقال : أمد القلم في الخير مثل « وأمددناهم
بفاكهة ولحم » ، ومده في الشر مثل « ومد له من العذاب مدا » . وقد اصطلح الكتاب
على تسمية المداد حبرا . بكسر الحاء ، لخلوص سواده عما يخالطه : يقال فلان ناصع الحبر ،
أى اللون الخالص من كل شئ . سمي المداد بذلك لخلوص لونه في السواد ونقاؤه عما
يخالطه . قال الثوري سألت الفراء عن المداد . لم سمي حبرا ؟ فقال : يقال للعالم حبر ، وحبر
بفتح الحاء وكسرهما ؛ فأرادوا : مداد حبر ، أى مداد عالم ؛ فخذفوا مداد وجعلوا مكانه
حبرا . فذكرت ذلك للاصمعي فقال : ليس هذا بشئ ، إنما هو لتأثيره : يقال علي أسنانه
حبر ، اذا كثرت صفرتها حتى صارت تضرب الى السواد ؛ سمي حبرا لتأثيره في القرطاس .
قال المبرد : وأنا أحسب أنه سمي بذلك لان الكتب تحبر به ، أى تحسن ، أخذنا من
قولهم : حبرت الشئ تحبيرا ، أى حسنته . قال بعض العلماء : وإنما اختير للكتابة السواد

دون غيره لمضادته للون الصحيفة ، قال ، وليس شئ من الالوان يضاد صاحبه كضادة
السواد للبياض. ولا خفاء أن الخبر أحد أركان الكتابة والله در القائل
ربع الكتابة في سواد مدادها والرابع حسن صناعة الكتاب
والربع من قلم تسوي بربه وعلى الكواغد رابع الاسباب
واعلم ان المداد في أصل اللغة يطلق على كل ما امددت به اليقة ليكتب به على
أى لون كان من سواد أو غيره . والمعتبر استعماله من ذلك السواد كما تقدمت الإشارة
اليه : وهو صنفان :

الصنف الاول - ماغلب عليه اسم المداد، وبه كانت كتابة الاولين. قال ابن مقلة: وأجود
المداد ما اتخذ من سخام الفظ بأن يؤخذ منه ثلاثة أرطال، فيجاء بنخله وتصفيته، ثم يلقى
في طنجير ويصب عليه من الماء ثلاثة أمثاله ، ومن المسل رطل واحد، ومن الملح خمسة
عشر درهما، ومن الصمغ المسحوق خمسة عشر درهما، ومن العفص عشرة دراهم، ولا يزال
يساط على نار لينة حتى يثخن جرمه ويصير في هيئة الطين، ثم يترك في اناء ويرفع الى
وقت الحاجة وذكر في الحلية أنه يحتاج مع ذلك الى الكافور لطيب رائحته، والصبر
ليمنع وقوع الذباب فيه ويقال ان الكافور يقوم مقام الملح في غير الطيب . واستحسن
احمد بن يوسف الكاتب فيه دهن بزر الفجل لرطوبته . وهذا الصنف يصلح للكتابة
في السفر لأمكان حمله في أي شئ كان لجموده

الصنف الثاني - ماغلب عليه اسم الخبر وهو ما خبر دخان. أو خبر راس . فخير الدخان
هو المناسب للكاغد أي الورق . والدخان الذي أضيف اليه هذا الخبر هو دخان بزر
الكتان ونحوه . وطريق استخراجة ان يوضع منه في مسارج قدر صالح ، وتوقد تلك
المسارج، ويجعل عليها طاس يعلق عن الدار قليلا ؛ فإذا نفذ الدهن رفع الطاس وجمع
ما فيه . وصفة صنعته أن يؤخذ من العفص الشامي رطل فيدق جريشا، وينقع في ستا
أرطال من الماء مع قليل من الآس وهو المرسين أسبوعا، ثم يغلى على النار حتى يصير
على النصف أو الثلثين، ثم يصفى من مئرز ويترك ثلاثة أيام، ثم يصفى ثانيا ويضاف لكل
رطل من هذا الماء أوقية من الصمغ العربي، ومن الزاج القبرسي كذلك ثم يضاف اليه
من الدخان السابق ذكره لكل رطل من الخبر ثلاث أوقية به مد أن تسحق الدخان

بكلوة الكف بالسكر النبات، والزعفران الشعر، والزنجار حتى يجيد سحبه، ولا تسجقه في صلاية ولا هاون يفسد عليك . . . قال ابن العفیف : وان جعل مكان العفص اهلياج أصفر جاء الخبر مطوسا مائلا الى الخضرة . قال ابن الوحيد : ولا بد له مع ذلك من الملح ليمنعه من التعفن ، والكافور ليحسن رائحته ويمنعه من نفوذه في الكاغد على طول الزمن . قال بعض الكتاب : ويحتاج مع ذلك الى العسل ليحفظه على طول الزمان، والصبر ليمنع من وقوع الذباب عليه

واما الخبر الراس فهو المناسب للرق ولا دخان فيه، ولذلك يحمي بصا صا وفيه أضرار للبصر من جهة بريته؛ واذا كتب به في الكاغد نفذ فيه على طول . وصفته أن يؤخذ من العفص السامي رطل فيجروش، ويلقى عليه من الماء ثلاثة أرطال، ويجعل في طنجير ويوضع على النار، ويوقد تحته بنار لينة حتى ينضج، وعلامة نضجه ان تكتب به فتكون الكتابة حمراء، ثم يلقى عليه من الصمغ العربي ثلاث اواق، ومن الزاج أوقية، ثم يصفى ويردع في إناء جديد . ويستعمل عند الحاجة

ثم لتعلم أنه قد يستعمل في ديوان الانشاء للكتابة أشياء أخرى غير ما تقدم : أحدها ماء الذهب - ويحتاج اليه في مكاتبات الملوك العظام لقانات الشرق ونحوهم كما سيأتي . وصفة حله أن يؤخذ ورق الذهب ويضرب كل عشرين أوقية منه في أوقية من شراب الليمون أو عسل النحل حتى يختلط به اختلاطا جيدا، ثم يجعل في سكرجة صيني أو نحوها، ويصب عليه قدر رطل من الماء الصافي، ويقتل فيه حتى تخالط أجزاءه أجزاء الماء ويترك حتى يرسب الذهب في أسفل السكرجة فيراق الماء عنه، ويؤخذ ما رسب فيجعل في مقلاة زجاج واسعة الأعلى ضيقة الأسفل ليجتمع فيها، ويجعل فيه قليل ليقة مع يسير من ماء الصمغ العربي ويكتب به، فإذا جف صقل بجزعة حتى تطهر صقالته، ثم يزهك بالسواد

الناني المنيرة العراقية - ويحتاج اليها في مكاتبات بعض القانات أحيانا كما سيأتي . وهي معروفة؛ وطريقها ان تسحق بالماء على رخامة حتى تنعم، ويضاف اليها قليل من ماء الصمغ، وتجعل في مقلاة زجاج كما في الذهب ويكتب بها

﴿ الآلة الثالثة المزبر ﴾

بكسر الميم واسكان الزاي المعجمة وفتح الباء الموحدة ، وهو القلم كما قاله الجوهري وغيره . وفي حديث أبي بكر رضى الله عنه أنه دعا في مرضه بدواة ومزبر ، سعى بذلك أخذاً من قولهم : زبرت الكتاب ، إذا أتقنت كتابته . ومنه سميت الكتب زبراً قال تعالى : « وإِنَّ لِي رُؤْبِرِ الْاَوَيْنِ » . قال الراغب في مجمع البلاغة : ويقال فيه أيضاً المرقم ، والمرقس . واختلف في تسميته « قلماً » : فقيل سمي بذلك لاستقامته كما سميت القداح أقلاماً في قوله تعالى « اذ يلقون أقلامهم » ، والقـداح يضرب بها المثل في الاستقامة . وقيل أخذاً من « القلام » وهو شجر رخو ؛ فلما ضارعه القلم في الضعف سمي بذلك . والتحقيق أنه إنما سمي قلماً لقلم رأسه من حيث أنه لا يسي قلماً حتى يبرى ، والا فهو قصبة . وقد نص اصحابنا الشافعية أنه اذا حلف لا يكتب بهذا القلم فانكسر ، ثم براه وكذب به لم يحنث . ويحكى انه قيل لأعرابي : ما القلم ؟ ففكر ساعة ثم قال : لا أدري . فقيل له : تيهه . فقال : هو عود قلم من جوانبه كتقليم الظفر ، فسمى قلماً . وقد روى الامام احمد وابو داود والترمذى وابن أبى حاتم من حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه ان أول ما خلق الله القلم . وأخرج الطبرى من حديث ابن عباس ان أول ما خلق الله القلم والحوت ؛ ووقفه ابن جرير على ابن عباس . وناهيك بشرفه أن الله تعالى أقدم به فقال « ن ، والقلم وما يسطرون » والله درابى الفتح البستى حيث يقول

اذا أقسم الابطال يوماً بسيفهم وعدوه مما يكسب المجد والكرم

كفى قلم الكتاب عزاً ورفعة مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

وقد قال عبد الحميد الكاتب : القلم شجرة تمرها الألفاظ . ومن كلام ابن المعتز : لم تحظ دولة بالقلم الا فخرت على الدول واستغنت عن الخيل والحول . وما أحسن قول القائل

فلكم يفل الجيش وهو عرمم والبيض ماسلت من الانعام

وهبت له الآجام حين نشأ بها كرم السبول وصولة الآساد

وقد أكثر الأدباء من مدحه نظماً ونثراً ، وأوردت بعض ذلك فى الاصل . وفيما

ذكر مقنع . ثم للقلم أوصاف لا يستغنى عن وجودها فيه نبه عليها أهل الصناعة
منها ما يرجع الى ذاته - وقد اعتبروا فيه عدة أوصاف . قال ابراهيم بن محمد الشيباني :
ينبغي للكاتب ان يتخير من أنابيب القصب أقلها عقداً ، وأكثفها لحماً ، وأصلبها قشراً ،
وأعدلها استواءً . وقال ابراهيم بن العباس لغلام يكتب بين يديه يعلمه الخط : ليكن
قلبك صلباً ، بين الدقة والغلظ ، ولا تكتب بقلم ملتوى ، ولا ذى شق غير مستوى .
وقال الوزير ابو علي بن مقله : خير الأقلام ما استحکم نضجه في جرمه ، ونشف ماؤه
في قشره ، وقطع بعد إلقاء بزره ، وبعد أن اصفر لحاؤه وورق شجره ، وصاب شحمه ،
ونقل حجمه ، وكان طوله من ستة عشرة اصبعاً الى اثني عشرة ، وامتلاؤه ما بين غلظ
السبابة الى الخنصر . وقال في موضع آخر : أحسن قدود القلم أن لا يتجاوز به الشبر بأكثر
من جلفته . وقال الشيخ عماد الدين الشيرازي : أحمد الأقلام ما توسطت حالاته في
الطول والقصر والغلظ والدقة ؛ وقال في «الخلية» : اذا كانت الصحيفة لينة ينبغي ان يكون
القلم لين الأنوب ، وفي لحمه فضل ، وفي قشره صلابة ؛ وان كانت صلبة كان يابس الأنوب
صلبه ، ناقص الشحم ؛ لأن حاجته الى كثرة المداد في الصحيفة الرخوة أكثر من حاجته
اليه في الصحيفة الصلبة ؛ فرطوبته ولحمه يحفظان عليه غزارة الاستمداد ، ويكفي في الصحيفة
الصلبة ما وصل اليها في القلم الصاب الخالي من المداد
ومنها ما يرجع الى برائته - يقال برئت القلم ، أبريه برياً وبراية ، والقلم بهري ،
وأنا بار للقلم ، بغير همز في الجميع . قال الشاعر

يا باري القوس برياً ليس يحكمه لا تفسد القوس أعط القوس باريها
وربما قيل : بروت ، بالواو ؛ والياء أفصح . ويقال لما سقط منه حالة البري ، براية ،
بضم الموحدة على وزن نزالة ، وحثالة ؛ ويقال في الامر : ابر قلمك . وقال ابو اسحاق
ابن حماد : لاحذق انغير مميز اصنوف البراية . ويحكى ان الضحاك كان اذا أراد ان
يهرى قلماً تواري بحيث لا يراه أحد ويقول : الخط كله القلم
إذا علمت ذلك فقد قال ابراهيم بن محمد الشيباني : يجب ان يكون البري من
جهة نبات القصب ، يعني أعلاها اذا كانت قائمة على أصلها ، فأن محل القلم من الكاتب
محل الرمح من الفارس . وقال ابو القاسم ابن شعبة : اذا أخذ القلم لبريه فأن كان

مستويا فالبراية من رأسه وهو حيث استدق ، وان كان معوجا فالبراية من أسفله لأن أسفله أقل التواء من اعلاه . قال ابن البربري : اذا بدأت بالبراية فأمسك السكين باليد اليمنى ، والانبوبة باليسرى ، وضع ابهامك اليمنى على قفا السكين ، ثم اعتمد على الانبوبة اعتمادا رقيقا . والمرجع في البراية الى أربعة أمور :

أحدها : الفتح ومقداره في الطول والتعير - قال ابن مقلة : ويجب ان يكون في القلم الصلب أكثر تعييرا ، وفي الرخو أقل ، وفي المعتدل بينهما . وصفته أن تبتدىء بالسكين على الاستواء ، ثم تميل القطع الى ما يلي رأس القلم ؛ ويكون طول الفتحة مقدار عقدة الابهام أو كذاقير الحمام . والى ذلك أشار الشيخ علاء الدين السمرى في أرجوزته بقوله

وطولها كعقدة الابهام لا أعلى ولا أدنى يكون اردلا

قال ابن البواب : وكل قلم تقصر جلفته فإن الخط يجىء به اوقص . والوقص قصر العنق . ورأى عبد الحميد زغبان يكتب بقلم قصير البراية فقال : أتريدان تجود خطك ؟ قال : نعم . قال : أطل جلفه قلمك وأيمنها . قال : ففعلت ، فجاد خطي . وقال ابن العفيف : اذا طالت البرية فإنه يجىء الخط بها أخف وأضعف وأجلى ، واذا قصرت جاء الخط بها أصفى وأثقل وأقوى

الثانى : النحت - قال ابن مقلة ، وهو نوعان : نحت حواشيه ، ونحت بطنه . فأما نحت حواشيه فيجب ان يكون متساويا من جهتي السن معاً ، ولا يحمل على احدى الجهتين فيضعف سنه ؛ ويجب ان يكون جانبا مسيفين بأن يكون أعلاه ذاهبا نحو رأس القلم أكثر من أسفله فيحسن جرى المداد منه وأما نحت بطنه فيختلف بحسب اختلاف الاقلام في صلاحية الشحم ورخاوته : فصلب الشحمة ينبغي أن ينحت ووجهه فقط ، ثم يجعل مسطحا ، وعرضه كقدر عرض الخط الذي يؤثر الكاتب ان يكتبه . والرخو يجب أن تستأصل شحمته حتى ينتهي الى الموضع الصلب من جرم القلم ، إذ متى كتبت بشحمته تشظى القلم ولم يصف جريانه . ثم الجافة تكون على الحاء : منها ان يرهف جانب البرية ويسمن وسطها شيئا يسيرا ؛ وهذا يصلح للمبسوط والمعاق والخفف . ومنها ما تستأصل شحمته كلها ؛ وهو يصلح المرسل والمزوج والمفتح . ومنها

ما يرهف من جانبه الأيسر وتبقى فيه بقية في الأيمن ؛ ويصلح للطوامير وماشابهها .
ومنها ما يرهف من جانبي وسطه ويكون مكان القطة منه أعرض مما تحتهما ؛ ويصلح في
قلم الثلث وفروعه

الثالث : الشق - وفائدته توالى جرى القلم . قال ابن مقلة : لو كان القلم غيره مشقوق
ما استمرت به الأنامل ، ولا اتصل الخط للكاتب ، ولكثر الاستمداد وعدم المشق ، ولما لم
المداد الى أحد جنبي القلم على قدر قتل الكاتب له قال : ويختلف بحسب اختلاف
القلم في صلابته ورخاوته . فأما المعتدل فيجب أن يكون شقه الى مقدار ثلث الفتحة ،
والرخو يجب أن يكون شقه الى نصف الفتحة لأنه لو زاد على ذلك انفتحت سنا القلم
حال الكتابة وفسد الخط ، والصلب ينبغي أن يكون شقه الى آخر الفتحة وربما زاد على
ذلك بمقدار افراطه في الصلابة . وقال ابن مقلة : ويجب أن يكون الشق متوسطاً
لجلفه القلم غلط أو دق . وعليه جرى أبو الحسن البواب : فقال وليكن غلظ السنين جميعاً .
سواء ، قال ، ويجوز أن يكون الأيمن أغلظ من الأيسر دون العكس بكل حال .
وهذا إنما يتأتى في الخطوط التي تبدأ الكتابة فيها من اليمين الى اليسار ، أما اذا
كانت آخذة من اليسار الى اليمين كالخط القبطي والرومي فإنه ينبغي أن يكون الأمر
فيه على العكس

الرابع : القط - وهو في اللغة القطع . يقال قططت القلم ، أقطه ، فأنا قاط ، وهو
مقطوط وقطيظ اذا قطعت سنه . والفظ هو المقصود الا عظم من البراية وعليه مدار الكتابة .
قال الضحاك بن عجلان : من وعي كثرة اجناس الفظ كان مقتدرا على الخط ثم
هو على نوعين في الجملة : محرف ومستوي .

فالمحرف هو أن يكون السن الايمن اطول من السن الايسر في الكتابة العربية
وتحورها . قال ابن العفيف : وطريق بريه ان تحرف السكين في حال القط . قال : وهو
اما قائم او مصوب : فالقائم ما جعل منه ارتفاع الشحمة مثل ارتفاع القشرة ؛ والمصوب
ما كان الفتر فيه أعلى من الشحمة . ثم قال : وكان بعض من لا يعتد به يقط القلم على
ضد ذلك فيجعل الشحمة هو المشرف على ظاهره فكان خطه لا يجيء الا رديئاً
والمستوي ما تساوى سناه . قال ابن مقلة : وأجودهما المحرف . قال ابن العفيف :

واجود المحرف المعتدل التحريف ، وأشد القطعات المستوية ، لان المستوى أقل تصرفاً من المحرف . قال ابن مقلة : واذا عرمت على القطع فاضجع السكين قليلا ولا تنصبها نصبا . يريد بذلك ان تكون القطعة مائلة الى التحريف . قال ابن العفيف والرقاع والتواقيع أميل الى التدوير من قطعة مربعة ، والنسخ والمحقق والمشرع أميل الى التحريف والمحقق أكثر تحريفاً منهما . قال ابن الوحيد : وقطة الريحان أشد القطعات تحريفاً ، وقطة الرقاع أقلها تحريفاً واعلم أن ابن العفيف قد ذكر للقلم وجهاً وصدرًا وعرضًا وحرفاً : فوجهه حيث تضع السكين وأنت تريد قطه وهو ما يلي شحمة القلم ، وصدره ما يلي قشرته . وعرضه نزولك به على تحريفه ، وحرفه هو السن اليمنى المرتفعة

ثم اعلم ان روس الأقلام تختلف باختلاف الأقلام التي جرى الاصطلاح عليها بين الكتاب وأعظمها مساحة في العرض قلم الطومار . وهو قلم كان الحلفاء يعلمون به في المكاتب وغيرها ، قال في منهاج الاصابة : وصفته ان يتخذ من اب الجريد الاخضر ، ويؤخذ منه من اعلى الفتحة ما يسع روس الأصابع ايتمكن الكتاب من امساكه . قال : ويتخذ ايضا من الفصب الفارسي ، ولا بد فيه من ثلاثة شقوق لتسهيل الكتابة به ويجرى المداد فيه . قلت : والذي استقر عليه الحال الآن انه ينتقى من البوص الابيض من جزائر الصعيد ما فيه غلظ ، ويحمل الى ديوان الانشاء ، فيتخذ منه اقلام السلطان التي يكتب بها . وقد قدروا مساحة عرضه من حيث البراية بأربع وعشرين شعرة من شعر البرذون معترضات . وهو أصل لما دونه من الأقلام : فقلم الثلثين بمقدر بست عشرة شعرة ، وقلم النصف بمقدر اثني عشرة شعرة ، وقلم الثالث بمقدر ثمان شعرات ، وخفيف الثلث دون ذلك قليلا . ودون ذلك قلم يسمى مختصر الطومار به تكتب عهد السلاطين بالديار المصرية والكتب التي تكتب عن السلطان الى قانات الشرق كصاحب الرأي ونحوه ، وبه يعلم النواب والوزراء ومن ضاهاهم على المراسيم ونحوها ، ومساحته ما بين الكامل والثلثين . قال ابن مقلة : وينبغي للكتاب ان يكون في دواته من الأقلام بعدد ما يؤثر الكتابة به يعني من الثلث والتوقيعات والرقاع وغيرها

﴿ الآلة الرابعة المدية ﴾

قال الجاحظ : تقال بضم الميم وفتحها وكسرهما ؛ وتجمع على مدى . وسميت مدية لأنها تقطع مدى الأجل بالذبح . وتسمى السكين أيضاً ، بكسر السين ، وسميت بذلك لأنها تسكن حركة الحيوان بالذبح ؛ وهي تذكر وتؤنث ، تقول هذا سكين ، وهذه سكين . قال الكسائي : ومن أنث أراد المدية . وربما قيل ، سكينه ، وهو قليل ؛ وتجمع على سكاكين . قال بعض الكتاب : هي مسن الاقلام تستحدها اذا كتبت ، وتطلقها اذا وقفت ، ونلمها اذا تشعثت . فتعجب المبالغة في سقيها وإحداها لتتمكن من البرى فيصفو جوهر الفلم ولا تنشظى قطه . ولا ينبغي ان تستعملها في غير البراية لثلاث تنكل وتفسد . قال ابن مقلة : واستحده السكين حدا ، ولتكن ماضية جدا ، فأنها اذا كانت كآلة جاء الخط رديثا مضطربا . وما أحسن قول الفائل على لسانها

انا في السلم خادم لداواة ويحدي تقوم الاقلام

قال صاحب كتاب القلم والداواة : وينبغي ان تكون لطيفة القد معتدلة الحد . ولا عيب في حملها في الكم والخنف بل قد عد بعضهم حملها في الحف من المروءة . قال ابن العفيف : ورأيت والدي وجماعة من الكتاب يستحسنون العقابية ، وهي التي صدرها أعرض من أسفلها

﴿ الآلة الخامسة المقط ﴾

قال الجوهري هو بكسر الميم ، الا انه قال مقطة بالتأنيث . ويتعين فيه ان يكون املس صلبا غير مثلم ولا خشن لثلاث يتشظى الفلم . قال ابن العفيف : وينبغي ان يتخذ من الآبنوس والماج ونحوهما ، ويكون مسطح الوجه الذي يقط عليه ، ولا يكون مستديرا لثلاث يتشظى القلم ، وربما تهلت القطعة فتأتي الأدارات والتشعيرات في الخط غير جيدة . قالت : وينبغي ان لا يكون مع ذلك مانعا كالحديد والنحاس ونحوهما ، فان ذلك مما يفسد السكين ، فلا تجيء معه الفطة سالحة

﴿ الآلة السادسة المسن ﴾

هو بكسر الميم وفتح السين . وهو آلة تتخذ لأحدا السكين من حجارة صلبة أحسنها الرومي ، وهو أكبر اللون ، وياه الأخضر ، وهو حجازي وقوصي ؛ والحجازي أفضلها

﴿ الآلة السابعة الملزم ﴾

بكسر الميم وسكون اللام وفتح الزاي ؛ ويقال الملزمة بالتأنيث . وهي آلة ذات دفتين يلتصقان على رأس الدرج حالة الكتابة، ويحبسان بمحس ليمنعا الدرج من الرجوع على الكاتب بالريح . وتتخذ من النحاس ونحوه . وأصل ذلك منقول عن الملزم الذي يكون مع الصياقة والأبارين . قال الجوهري وهو خشبتان تشدأوساطهما بحديدة

﴿ الآلة الثامنة المسحة ﴾

بكسر الميم الاولى وسكون الثانية، وهي آلة تتخذ من خرق متراكبة ذات وجهين يكونان من صوف أو حرير أو غيرهما من نفيس الفماش، يمسح القلم بباطنها في تلك الخرق عند الفراغ من الكتابة لئلا يجف عليه الحبر فيفسد ؛ وتسمى الدقير ايضاً . والغالب في هذه الآلة ان تكون مدورة الشكل، مخزومة من وسطها، وربما كانت مستطيلة؛ وتكون سعتها على قدر سعة الدواة . وما أحسن قول المولى زين الدين شافع الكاتب فيها

ومسحة تناهى الحسن فيها فأضحت في الملاحظة لا تبارى

ولا نكر على القلم الموائى اذا في وصلها خلع العذارا

﴿ الآلة التاسعة المسقاة ﴾

بكسر الميم ؛ وهي آلة لطيفة تتخذ اسقى المحبرة الماء ، وربما سميت « الماوردية » ايضاً، لان الغالب ان يجعل في المحبرة الماورد عوضاً عن الماء لتطيب ريحها . وتكون هذه الآلة من الخازون الصغير المستخرج من البحر الملح ، وربما كانت من نحاس ونحوه

﴿ الآلة العاشرة الملقاة ﴾

بكسر الميم وهي آلة مستدبرة عريضة الرأس تلاقى بها الدواة ، أى تحرك بها الليفة . قال بعض الكتاب ؛ والأحسن ان يكون من الآبنوس لئلا يغيره لون المداد . وربما كانت من نحاس ونحوه

﴿ الآلة الحادية عشرة المقامة ﴾

بكسر الميم . وهي الجونة التي تكون فيها الاقلام ونحوها من آلات الدواة وربما كانت من جلد منقوش يجعل فيها الاقلام خارج الدواة قال بعض الكتاب ؛ وينبغي

ان لا تقصر جدا لثلا تقصر الاقلام بقصرها

﴿ الآلة الثانية عشرة المفرش ﴾

بكسر الميم: ويقال المفرشة بالتأنيث وهي الفرش الذي يفرش في باطن الدواة تحت الاقلام وما معها. وتكون من حرير أو صوف أو غيرها على حسب تكوين الدواة

﴿ الآلة الثالثة عشرة المرملة ﴾

بكسر الميم الاولى، وفتح الثانية. وهي الظرف الذي يجعل فيه الرمل، ويكون من جنس الدواة ان كانت الدواة نحاسا، او من النحاس وغيره ان كانت خشبا، على حسب ما يختاره ربها. ومحلها من الدواة ما يلي الكاتب مما بين المحبرة وباطن الدواة، مما يقابل المنشأة الآتية ذكرها ويكون في فيها شبك يمنع من وصول الرمل الخشن الى باطنها؛ وربما اتخذت مرملة أخرى اكبر منها تكون في باطن الدواة، لاحتمال ان تضيق تلك عن الكفاية بصفرها. وأر باب الرياسة من الوزراء والامراء ونحوهم يتخذون مرملة كبيرة تقارب جوزة الهند، لها عنق في أعلاها، يكون في الغالب من جنس الدواة من نحاس أو غيره. ومما أغز فيها القاضى شهاب الدين بن بذت الأعر

ظريقة الشكل والتمثال قد صنعت تحكي العروس ولكن ايس تغتم
كأنها من ذوى الالباب خاشعة نبكي الدماء على ماسطر القلم
ونسى المتربة أيضا، أخذاً من التراب، اذ الاصل في الكتب التريب. وفيها يقول
الوجيه المناوى

يامادحا أمرا ولم يأتها ولم ينل منه ولا جربه
لا تغبط الكاتب في حاله فإنه المسكين ذو المتربة

وقد اختار الكتاب لذلك الرمل الاحمر دون غيره، لانه يكسو الخط الاسود من البهجة
الا يكسوه غيره من انواع الرمل؛ وربما رمل بالاصفر ونحوه

﴿ الآلة اربعة عشرة المنشأة ﴾

وهي الظرف الذي يجعل فيه الدشا الذي يوصل به العرق. ويختم به الجواب، وحالها
كحال المرملة في الهيئة والمحل من الدواة؛ الا انه لاشباك في فيها، بل تكون مفتوحة الفم

لا خراج اللصاق منها؛ وربما فتحت من أسفلها واستغنى بذلك عن فتح أعلاها؛ وربما
أخذ بعض الكتاب منشأة أخرى في باطن الدواة من نحاس مرصعة الباطن على هيئة
حق لطيف ليسهل تناول النشا منها . واللصاق الذي يجعل فيها يكون من النشا المطبوخ
الكثيف وربما جعل من « الكثيرا » المبولة بالماء . قال في مواد البيان : و يكون من
الصمغ أيضاً

(الآلة الخامسة عشرة المقص)

بكسر الميم، وهو معروف . ويسمى الجلم، بفتح الجيم واللام، ويحتاج إليه الكاتب في قص
الورق للتسوية ونحوها . ويتعين ان يكون لطيفاً بحيث يدخل في باطن الدواة مع بقية آلاتها
﴿ آلات أخرى ﴾

قلت : وقد زيد على هذه الخمس عشرة آلة خمس آلات أخرى من آلات الدواة اول
كل منها ميم مما لا يحتاج اليه كاتب الانشاء
احدها المنفذ، بكسر الميم وفتح الفاء و بالذال المعجمة . وهي آلة تشبه المخرز وتتخذ
لخرز الورق . وأكثر ما يحتاج لهذه الآلة كتاب الاموال « الثانية الخيط . وهو ما يخاط
به الورق عند الحاجة الى ذلك « الثالثة الملف . وهو ما يلف عليه الخيط انذى يحزم به
الدقتر « الرابعة المسطرة . وهي التي يسطر بها الورق للاكتابة او للتذهيب « الخامسة
المصقلة . وهي التي يصقل بها الورق لا إزالة ما فيه من الختونة . أو يصقل بها الذهب بعد
الكتابة لتظهر بهجته واذا ضمت هذه الخمس الى الخمس عشرة السابقة صارت عشرين
آلة، اول كل منها ميم

﴿ الفصل الثالث ﴾

(في اول من وضع الخط ومن هو واضع الخط العربي ومن نقله عن الكوفي الى ما هو

عليه الآن)

اما أول من وضع الخطوط في الجملة فيروى أن آدم عليه السلام كتبها في طين وطبخه
قبل موته بثلاثمائة سنة، فلما أظلم الارض الغرق أصاب كل قوم كتابتهم وقيل : أول
من وضعها أخنوخ، وهو ادريس عليه السلام . وذكر أو عمرو الداني في كتابه التنبية

على نقط المصاحف أنها أنزلت على هود عليه السلام. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن أول من وضع الحروف العربية ثلاثة رجال من برلان، وبولان قبيلة من طى، كانوا نزولاً بمدينة الأنبار؛ وهم مرار بن مرة، وأسلم بن سدره، وعامر بن جدرة : اجتمعوا فوضعوا حروفاً مفصولة وموصولة، ثم قاسوها على هجاء السريانية. فراروا وضع الصور، وأسلم فصل ووصل، وعامر وضع الإعجام. ثم نقل ذلك إلى مكة وتعلمه من تعلمه، وأكثر في الناس وتداولوه. وحكي الجوهرى أن أول من وضعه رجال من طى منهم مرار بن مرة، وأنشد عليه

تعلمت باجاد وآل مرار وسودت اثوابي ولست بكاتب
ثم قال : وإنما قالوا آل مرار، لأنه كان قد سمي كل واحد من اولاده بكلمة من « أبى جاد »، وهم ثمانية . وقيل أول من وضعه ستة أشخاص من طسم من العرب البائدة، كانوا نزولاً عند عدنان بن أد، وكانت أسماءهم : أبجد، وهوز، وحطى، وكلمن وسعفس، وقرشت . فوضعوا الخط على أسماءهم، فلما وجدوا في الألفاظ حروفاً ليست في أسماءهم ألحقوها بها، وسموها « الروادف » وهي : ثخذ، ضنغ . وقيل أول من وضعه نفيس، وانصر، وتيم، ودومة، بنو اسماعيل عليه السلام : وضعوها سطرًا واحدًا، موصول الحروف ثم فرقها بعد ذلك نبت، وهيمس، وقيدار، وجعلوا الأشباه والظائر . وقيل أول من وضعه حمير بن سبا : تعلمه في المنام : وأهم كانوا قبل ذلك يكتبون بالمسند، سمي بذلك لأنهم كانوا يسندونه إلى هود عليه السلام . قال السهيلي في « التعريف والاعلام » : والأصح ما روينا من طريق ابن عبد البر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أول من كتب بالعربية اسماعيل . ثم قيل أول ما ظهرت الكتابة العربية بمكة من قبل أبي سفيان ابن أمية عم أبي سفيان بن حرب، وهو تعلمها من قبل رجل من الحيرة، وأهل الحيرة تعلموها من أهل الأنبار . ويروى أنه قيل لابن عباس : من أين تعلمتم الهجاء والكتابة ؟ قال من حرب بن أمية . قيل : ومن أين علمه حرب بن أمية ؟ قال من طارىء طراً علينا من اليمن . قيل : ومن أين علمه ذلك الطارىء ؟ قال : من كاتب الوحي لهود عليه السلام . ولما تعلمه حرب بن أمية تعلمه : ابنه أبو سفيان بن حرب، ثم تعلمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجماعة من فريش، وتعلمه معاوية بن أبي سفيان من عمه سفيان . أما أهل

المدينة فكانت الكتابة العربية قليلا فيهم . وكان يهودى من يهود ماسكة تعلمها فكان يعلمها الصبيان فجاء الاسلام وفيهم بضعة عشر يكتبون منهم سعيد بن زرارة، والمنذر بن عمرو، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ورافع بن مالك، وأسيد بن حضير، ومعن بن عدي، وأبو عبس بن كثير، وسعد بن الربيع، وأوس بن خولى، وبشير بن سعد . قال صاحب «الابحاث الجميلة» والخط العربي هو المعروف الآن بالكوفي ومنه استنبطت الاقلام التي هي الآن . وذكروا ابن الحسين في كتاب «قلم الثلث» أن الخط الكوفي فيه عدة أقلام مرجعها الى أصلين هما التقوير والبسط فالمنقور هو المبر عن الآن باللين، وهو الذى تكون عراقاته منخفضة الى أسفل؛ والبسط هو المبر عنه الآن باليابس . وعلى هذين الأصلين رتبت الاقلام الموجودة الآن

وأما أول من نقله من الكوفي الى مبادئ ما هو عليه الآن، فقد ذكر صاحب «اعانة المنشي» أن أول ما نقل الخط العربي من الكوفي الى ابتداء هذه الاقلام المستعملة الآن في أواخر دولة بني أمية وأوائل الدولة العباسية . قال في صناعة الكتاب : ويقال ان جودة الخط انتهت الى رجاين من اهل الشام هما الضحاك، واسحاق بن حماد، وكانا يخطان «الجميل» قال في اعانة المنشي : وكان الضحاك في خلافة السفاح، واسحاق بن حماد في خلافة المنصور والمهدى . قال النحاس ثم أخذ ابراهيم الشحرى عن اسحاق بن حماد «الجميل» واخترع منه قلما أخف منه سماه «قلم الثلثين» وكان أخط اهل دهره به، ثم اخترع من قلم الثلثين قلما سماه «قلم الثلث» . قال صاحب الابحاث الجميلة وأخذ يوسف اخو ابراهيم الشحرى القلم الجميل عن اسحاق أيضا . واخترع منه قلما ارق منه وكتبه كتابة حسنة فأعجب به ذو الرباستين الفضل بن سهل وزير المأمون وأمر أن يحرر الكتب السلطانية به ولا يكتب بغيره، وسماه «قلم الرياسى» قال بعض المتأخرين : وأظنه قلم التوقيعات . قال النحاس : ثم أخذ عن ابراهيم الشحرى الأحوال «الثلثين» وقلم «الثلث» واخترع منهما قلما سماه «قلم النصف»، وقلما أخف من الثلث سماه «خفيف الثلث» ، وقلما متصل الحروف ايس في حروفه شيء منفصل عن غيره سماه «المسلسل» ، وقلما سماه «غبار الحلية» وقلما سماه «قلم المؤامرات» وقلما سماه «قلم القصص» وقلما مقصوعا سماه «القلم الجوائمي» . قال : وكان خطه يوصف

بالبهجة والحسن من غير احكام ولا اتقان . وكان عجيب البرى للقلم . وكان وجهه النعجة
مقدما في الجليل ، وكان محمد بن معدان ، يعني العروف بأبي ذرجان ، مقدما في خط النصف وكان
قله مستوى الستين ، وكان يشق الطاء والظاء والصاد والضاد بعرض النصف ويعطف
مثل يا ويصل كل ياء من يساره الى يمينه بعرض النصف لا يرى فيه اضطراب وكان
احمد بن محمد بن حفص المعروف بزاقف أجمل الكتاب خطا في الثلث وكان ابن
الزيات يعجبه خطه ولا يكتب بين يديه غيره . وانتهت رياسة الخط بمصر في زمن ابن
طولون الى طب طب المحرر جودة واحكاما . قال في صناعة الكتاب وكان أهل مدينة
السلام يحسدون أهل مصر عليه ، وعلى « ابن عبد كان » كاتب الانشاء ويقولون بمصر كاتب
ومحرر ليس لأمر المؤمنين بمدينة السلام مثلها . قلت : ثم انتهت جودة الخط ومحريره على
رأس الثلاثمائة الى الوزير أبي علي بن مقله وأخيه أبي عبد الله . قال صاحب اعانة المنشى :
وولدا طريقة اخترعاها ؛ وكتب في زهاتها جماعة فلم يقار بهما وتفرد ابو عبد الله بالنسخ
والوزير ابو علي بالدرج وكان الكمال في ذلك للوزير وهو الذي هندس الحروف وأجاد
تحريرها وعنه انتشر الخط في مشارق الارض ومغارها . ثم أخذ عن ابن مقله محمد بن
السهماني ومحمد بن أسد وعنه أخذ الاستاذ ابو الحسن علي بن هلال المعروف بابن
البواب وهو الذي أكمل قواعد الخط وتممها واختر عدة أقلام واستقرت الاقلام
الاصول على خمسة أقلام وهي الثالث ، والوقاع والتوقيعات والنسخ والمخفف وعنه تفرعت
سائر الاقلام من الفبار والمشعر والمنتور والحواشي وغيرها . ومن أخذ عن ابن البواب
محمد بن عبد الملك ، وعن محمد بن عبد الملك أخذت الشيخة المحدثه الكاتبة زينب الملقبة
بشهادة بنت الابري ، وعنه أخذ أمين الدين ياقوت ، وعنه أخذ الولي العجمي ، وعليه كتب
العفيف ، وعنه أخذ ولده الشيخ عماد الدين ، وعنه أخذ الشيخ شمس الدين بن أبي
رقبية محتسب الفسطاط وهو ممن عاصرناه ، وعنه أخذ الشيخ شمس الدين الرفقاوى
المكتب بالفسطاط عنه تليقنا

✦ الكلام في هذا الفن ✦

اعلم ان الحروف التي تتركب منها الكلام العربي يسميها سيبويه والخليل حروف

العربية ، بمعنى حروف اللغة العربية؛ وتسمى حروف الهجاء حروف التهجى ، لان تهجى الكلام يقع عليها، وتسمى أيضا حروف المعجم اما لانها مقطعة لا تفهم الا بأضافة بعضها الى بعض اولاً أعجم بعضها بالنقط أخذاً من قولهم اعجمت الشيء اذا بينته فكأنها مبنية للكلام ثم لاخفاء أنها تسعة وعشرون حرفاً يسقط منها « اللام ألف » من حيث أنها مركبة من حرفين : الألف واللام، تصير ثمانية وعشرين حرفاً . قال علماء الحرف وجعلت ثمانية وعشرين على عدد منازل القمر الثمانية والعشرين . ولما كانت المنازل القمرية يظهر منها فوق الارض اربع عشرة منزلة ويغيب تحت الارض أربع عشرة منزلة، كانت هذه الحروف منها ما يظهر مع لام التعريف أربعة عشر حرفاً بعدد المنازل الظاهرة، وهي الألف، والباء، الموحدة، والحاء، المهملة، والهاء، المعجمة، والعين، المهملة، والغين، المعجمة، والفاء، والقاف، والكاف، واللام، والميم، والهاء، والواو، والياء، آخر الحروف تقول الألف، والباء، والحاء، فتظهر اللام في لفظك، وكذلك في البواقي . وما يندغم منها اربعة عشر حرفاً أيضاً بعدد المنازل الغائبة وهي التاء المثناة فوق، والتاء المثناة، والذال المهملة، والذال المعجمة، والراء المهملة، والزاي المعجمة، والطاء المهملة، والظاء المعجمة، والسين المهملة، والشين المعجمة، والصاد المهملة، والضاد المعجمة، والنون : تقول التاء، والتاء، والذال فتخفي الالف في لفظك وكذلك البواقي

ثم ترتيب الحروف على ضربين : مفرد، ومزدوج . وفي كل من الضربين اختلاف بين اهل المشرق وأهل المغرب . فالمفرد يبدأ فيه اهل المشرق بالألف ، ثم الباء ، ثم التاء ، ثم التاء ، ثم الجيم ، ثم الحاء، ثم الحاء ، ثم الدال ، ثم الدال ، ثم الراء ، ثم الزاي ، ثم السين ، ثم الشين ، ثم الصاد ، ثم الضاد ، ثم الطاء ، ثم الظاء ، ثم العين ، ثم الغين ، ثم الفاء ، ثم القاف ، ثم الكاف ، ثم اللام ، ثم الميم ، ثم النون ، ثم الهاء ، ثم الواو ، ثم اللام ألف ، ثم الياء على ما هو معلوم . وأهل المغرب يرتبونه على هذا الترتيب الى الزاي فيجملون بعدها الطاء ، ثم الظاء ، ثم الكاف ، ثم اللام ، ثم الميم ، ثم النون ، ثم الصاد ، ثم الضاد ، ثم العين ، ثم الغين ، ثم الفاء ، ثم القاف ، ثم السين ، ثم الشين ، ثم الهاء ، ثم الواو ، ثم اللام ألف ، ثم الياء . والمزدوج اهل المشرق يرتبونه على هذا الترتيب : أبجد ، هوز ، حطى ، كلن ، سعفص ، قرشت ، ثمخذ ، ضظغغ . وأهل المغرب يرتبونه

على هذا الترتيب الى، كلن، فيقولون: سعنص قرشت ثمخذ ظفش (هكذا)
ثم اعلم ان تحسين الخط مطلوب للكاتب لايجوز له اغفاله اذ هو من أحسن
صفات الكاتب التي ترفع قدره عند الناس، وتكون وسيلة الى نجاح مقاصده وبلوغ
مآربه. وقد قال امير المؤمنين على رضى الله عنه: الخط الحسن يزيد الحق وضوحا. وقال
بعض العلماء: الخط كالروح في الجسد، فاذا كان الانسان وسيما جسيما حسن الهيئة كان
في العيون اعظم وفي النفوس أفخم، واذا كان على ضد ذلك سئمه النفوس ومجته القلوب
فكذلك الخط: اذا كان حسن الوصف، مايح الرصف، مفتوح العيون، امس المتون، كثير
الائتلاف، قليل الاختلاف، هشت اليه النفوس واشتهته الارواح، حتى ان الانسان ليقراه
وان كان فيه كلام دني؛ واذا كان قبيحا مجته الافهام، ورفضته العيون والأفكار وان
كان فيه من الحكمة عجائبها ومن الألفاظ غرائبها. قال في مواد البيان: ولما كان
لخط قسيما للفظ، في امتنان الله تعالى بتعليمه على الانسان، وجب على الكاتب ان يعتنى
بأمر الخط، ويراعى من تجويده وتصحيحه ما يراعيه من ترتيب اللفظ وتنقيحه، ايدل
على سرعته وسهولته كمايدل اللفظ البليغ البين؛ لان الخط وان كان على الاطلاق في المنزلة التي
لا تساوى من الشرف فأما تحصل فضائله للجيد منه كما ان النطق وان كان من الشرف
في هذا الحد فأما تتحصل فضائله التامة لنطق البليغ اللسن، دون منطلق النبي الالكن،
وكذلك سائر الصنائع الفاضلة على الاطلاق انما يحصل فضائلها للماهر فيها دون المبتدى
اذا علمت ذلك فاعلم ان لاكتابة قوانين يجب اعتبارها:

﴿ كيفية امسك القلم ﴾ -- قال ابن مقلة: يجب ان تكون أطراف الاصابع الثلاثة:
السبابة، والوسطى والابهام على القلم. قال ابن العفيف، وتكون الأصابع مبسوطة غير
مقبوضة، ايتمكن من ادارة القلم؛ ولا يتكى على القلم الاتكاء الشديد المضعف له، ولا
يمسكه الامسك الضعيف فيضعف اقتداره في الخط، لكن يكون اعتماده في ذلك اعتمادا
معتدلا. وقال حنون: اذا اراد ان يكتب أخذ القلم واتكأ على الخنصر، واعتمد سائر
اصابعه على القلم، ويعمل الابهام في دورانه وتحريكه. قال ابن مقلة: ويكون امساكه فويق
الفتحة بمقدار عرض شعيرتين او ثلاث، وتكون اطراف الأصابع متساوية حول القلم لا تفضل
احدها عن الاخرى. قال ابن العفيف: وعلى حسب تمكن الكاتب من ادارة قلمه

وسرعة يده في الدوران يكون صفاء جوهر حروفه
 ﴿ كيفية الاستمداد ﴾ وهو أصل عظيم من أصول الكتابة . قال ابن العفيف
 وإذا مد الكاتب فليكن القلم بين أصابعه على صورة امسأكه له حين الكتابة ، ولا يديره
 للاستمداد ، لان أحسن المذاهب فيه أن يكون وضعه في يد الكاتب على صورة وضعه في
 الكتابة ؛ ويحرك رأس القلم من باطن يده الى خارجها فإنه يمكن معه مقام القلم على نصبته من
 الاصابع ، وحتى عدل عن هذا لحقته المشقة في ثقل نصبة الاصابع في كل مرة . قال : وهذا
 من أكبر ما يحتاج اليه الكاتب ، وعليه مدار جودته ؛ وقلم يدرك علم هذا الفصل الا
 العالم الحاذق بهندسة الخط مع ما يكون معه من الأناة وحسن التأدية . قال المقر العلاء
 ابن فضل الله : وينبغي ان لا يكثر الاستمداد ، بل يمد مدا معتدلا ، ولا يحرك اللقمة من
 مكانها ، ولا يرد القلم الى اللقمة حتى يستوعب ما فيه من المداد ، ولا يدخل منه الدواة
 الا الى حد شقه ، ولا يجاوزه الى آخر الفتحة ليأمن تسويد أنامله وليس ذلك من خصال
 الكتاب . قال ابن مقلة : ويجب ان يكون اول ما يضع من القلم على الدرج موضع القطة
 منكبا . قال محمد ابن عمر المدائني : ويستحب للكاتب اذا فكر في حاجة ان يضع القلم
 على أذنه . ويساق بسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للمعاوية : اذا كنت كاتباً
 فضع القلم على أذنك ، فإنه أذكرك والمعلمي . وأنه قال ازيد بن ثابت رضي الله
 عنه : ضع القلم على أذنك فإنه أذكرك .

﴿ حسن التشكيل ﴾ - قال ابن مقلة : وتحتاج الحروف في تصحيح اشكلها
 الى خمسة أشياء :

الاول التوفية - وهو أن يوفي كل حرف من الحروف حظه من الخطوط التي تتركب
 منها من مقوس ، ومنحن ، ومنسطح ، الثاني الاتمام - وهو أن يعطى كل حرف قسمته من
 الاقدار التي يجب ان يكون عليهما من طول ، او قصر ، أو دقة ، أو غلظة ، الثالث الاكمال -
 وهو أن يوفي كل خط حظه من الهيئات التي ينبغي ان يكون عليهما من انتصاب ، وتسطيح
 وانكباب ، واستلقاء ، وتقويس ، الرابع الاشباع - وهو ان يوفي كل خط حظه من صدر
 القلم حتى يتساوي به فلا يكون بعض اجزائه أدق من بعض ، ولا أغاظ ، الا فيما يجب
 ان يكون كذلك من أجزاء بعض الحروف من الدقة على خلاف باقيه مثل الألف

والراء ونحوها * الخامس الارسال - وهو ان يرسل يده بالقلم في كل شكل يجري بسرعة من غير احتباس يضرسه ولا توقف يرعشه

﴿ حسن الوضع ﴾ قال ابن مقلة : ويحتاج الى تصحيح اربعة اشياء : الاول الترصيف - وهو فصل كل حرف متصل الى حرف * الثاني التأليف - وهو جمع كل حرف غير متصل الى غيره على افضل ما يذبغي ويحسن * الثالث التسطير - وهو اضافة الكلمة الى الكلمة حتى تصير سطرا منتظما الوضع كالمسطرة * والرابع التنصيل - وهو مواقع المدات المستحسنة من الحروف المتصلة

﴿ معرفة مواقع المدات ﴾ قال في مواد البيان : والمدات في الخط تستعمل لأمرين : أحدهما انها تحسن الخط وتفخمه في مكان كما يحسن مد الصوت اللفظ ويفخمه في مكان * الثاني أنه ربما أرقمت أيم السطر إذا فضل منه ما لا يتسع لحرف آخر، لان السطر ربما ضاق عن كلمتين وفضل عن كلمة فتند التي تقع في آخر السطر لتقع الأخرى في أول السطر الذي يليه . وقال ابن العفيف : مواضع المدات أواخر السطور، ويكره إذا كانت في وسطها ، قال ، ويجوز ان تكون في أول السطر اذا كانت سينا مدغمة . قال في مواد البيان : ويجب علي الكاتب أن يعرف أحكامها لئلا يوقه بها في غير المواضع اللائقة بها، فيشتبه الحرف بغيره ويفسد المعنى، مثل ان يوقع المد في متعلم بين الميم والتاء فيشتبه بمستعلم ، أو يوقع المد في متعلم بين الميم والتاء فيشتبه بمستعلم : ثم قال : فالكلمة الأصلية اسما كانت أو فعلا أو حرفا لا تخرج عن اربعة اصناف : ثنائية ، وثلاثية ، ورباعية ، وخماسية . فالثنائية نحو يد ، وصر ، وسر ، وشر ، وظل ، وطل ، وما أشبه ذلك من الاسماء . وقل ، وكل ، وقم ، وعد ، ونم ، وسر ، وما أشبهها من الافعال ، وهل ، وبل ، وقط ، وقد ، ومن ، وعن ، ولو ، ولم ، وما يجري مجراها من الحروف : فلا يحسن المد في شئ منها الا في سر وشر من الاسماء ، وسر من الأفعال ، لأن السين والشين وان كان كل منهما حرفا على حياله في صورة ثلاثة أحرف ، قال ، وقد يحسن في نحو ظل وطل في بعض المواضع أما الحروف فإنه لا يحسن المد في شئ منها . وحكي صاحب منهاج الاصابة ان بعض الكتاب كان يمد في أواخر السطور مثل : ما ، وهل ، وعن . ثم حكي عن ابن خالوف أن ذلك لا يجوز في أول سطر، ولا

في آخره * والثلاثية مثل: بيع، وقطع . قال في مواد البيان: والمد فيها على الاكثر قبيح، لأنها لا تنقسم بقسمين متساويين؛ على أن منها ما يسامح في مده للضرورة كما اذا وقع في آخر سطر يحتاج الى التميم فيمد كييع وقطع ونحوهما . وعلى ذلك جرى في منهاج الأصابة ثم قال : ويجوز أن تمد اذا كان ثابثا الفاء أو لامًا قال ابن العفيف : وكان والدي رحمه الله يمد في الكلمة الثلاثية اذا كان أولها ابيم وأختيها ، والطاء ، والظاء ، والعين ، والغين ، قال في مواد البيان : وينبغي اذا مد أن يقدم الحرفين الأولين ويوقع المدة بينهما وبين الثالث : أما متى ، وفقى ، وعسى ، ونحوها فأنها لا تحتمل مدا بحال * والرابعة مثل محمد وجعفر . قال ابن خلوف : والمد فيه جائز بل هو أحسن من القصر . قال في مواد البيان : ولا يجوز أن يقدم منها ثلاثة أحرف ويوقع المدة بينها وبين الرابع ، ولا بالعكس : بل يوقع المد بين الجرتين الأولىين والجرتين الأخيرين فقط : على أن منها ما لا يحسن المد فيه مثل ثعلب ، وعنبر ، وقبر ، ونحوها * والخامسة نحو : مشتمل ، ومستقل ، ومسيطر ، وههيمن . وقد اختلف فيها : فذهب صاحب مواد البيان الى منع المد فيها لأنها لا تنقسم بقسمين متساويين ، فيمتنع المد فيها كما في الثلاثية؛ وذهب ابن خلوف الى ازوم المد فيها . ثم اذا مد ، فالذي في مواد البيان انه لا يحسن ان يقدم حرفين ويوقع المد بينهما وبين الثلاثة الأخر . قال في مواد البيان : ويصح المد فيما جاء من الأسماء والأفعال والأحروف، ووصولاً بضمير كناية، مثل كلمته، وعلمته وفيه، وبنه، وعليه، واليه، اذا وقعت المدة بين تمام الكلمة والضمير . قال وهشقي السين يحسن الخط في بعض المواضع . ويقبح اذا وقعت طرفاً نحو مشق السين من الفياس، وأقبح من ذلك مشقها اذا كانت موصولة بحرف واحد يتقدمها نحو يأنس، وعانس؛ واذا توالى سينان، أو سين وشين، فالأحسن ان يفصل بينهما في الخط المحرر بمد طليقتا نحو مسست، وعششت، ورششت . قال ابن خلوف : ومن أحروف ما لا يحسن المد بعده اذا كان مبتدأ وهي الباء وأختاها، والياء، والفاء، والغاف . واللام ، والكاف المتكوية : فانه لا يجوز مد ما بعدها في ابتداء . ولا توسط . قال ابن العفيف : و « على » تمد اذا كانت الياء معرقة . فان كانت راجعة لم يجز المد أصلاً . قال في مواد البيان : ويقبح أن تمد حرفين توالى بينهما في سطر واحد، وان توقع حرفين ممدودين في سطرين . أعلى وأسفل ، على

تقابل وتحاذ. قال السمرى وان كان في آخر الكلمة ياء لم يجز المد قبل الياء . قال ؛
ولذلك لا يجوز المد بعد السين في اسم موسى ، ولا قبل السين في اسم عيسى
﴿ مراعاة فواصل الكلام ﴾ بأن يميز الفصول المشتغل كل فصل منها على نوع من الكلام
عما تقدمه لتعرف مبادئ الكلام ومقاطعته فان الكلام ينقسم فصولا طوالا وقصارا ؛
فالفصول الطوال كتقسيم منشور المرسل الى رسائله ، ومنظوم الشاعر الى قصائده ، قال ، ومثل
هذا لا يحتاج الى تفصيل لانه لا يشكل الحال فيه في الرسالة أو القصيدة بغيرها اتصالا وانفصالا
والفصول القصار كانتقسام الرسالة الى الفصول ، والقصيدة الى الأبيات . ومثل هذا قد
يشكل ، فينبغي ان يميز تمييزا يؤمن معه من الاختلاط ؛ فان ترتيب الخط يفيد ما يفيد
ترتيب اللفظ ؛ وذلك أن اللفظ اذا كان مرتبا يخلص بعض المعاني من بعض ، واذا كان
مختلطا أشكلت معانيه وتمذر على سامعه إدراك محموله ؛ وكذلك الخط اذا كان متميز
الفصول وصل كل فصل منه الى النفس على صورته ، واذا كان متصلا دعا اعمال الفكر
في تخليص اعراضه . وقد اصطلح كتاب الرسائل على ان يجعلوا للفواصل بيضا يكون
بين الكلامين من سجع ، أو فواصل كلام ، بقدر رأس خنصر . قال في مراد البيان ؛ وينبغي
ان لا تكون الجملة ، يعنى التى ينتهى بها الكلام الأول ، فى آخر السطر ، والفاصلة فى أول
السطر الذى يليه ؛ فانه يلبس لاتصال الكلام ، بل لا يجعل فى أول السطر بيضا أيضا
لأنه يقبح بذلك لخروجه عن نسبة السطور ، ولا أن يفسح بين السطر والذى يليه افساحا
زائدا عما بين كل سطرين ، لكن يراعى ذلك من أول شروعه فى كتابة السطر بقدر
الخط بالجمع والمتق حتى يخلص من هذا العيب

﴿ ومنها حسن التدرج فى قطع الكلام ووصله فى أواخر السطور وأوائلها ﴾ لأن
السطور فى المظر كالفصول ؛ فإذا قطع السطر على شئ يتعاقب بما بعده كان قبيحا
ولذلك حالتان :

الحالة الاولى - أن يكتب بعض حروف الكلمة فى آخر السطر وبعضها فى أول
السطر الذى يليه ، أو يقع فى آخر السطر الذى يليه مثل ان يقع معه لفظ « كتاب » فى آخر
السطر فيكتب الكاف والتاء والالف فى آخر السطر ، والباء فى أول السطر الذى يليه
أو يقع فى آخر السطر لفظ « مسرور » فيكتب الميم والسين والراء فيه ، والواو والراء الثانية

في أول السطر الذي يليه ونحو ذلك . قال في مواد البيان : وهو قبيح جدا لانه لا يجوز فصل الاسم عن بعضه ؛ قال ، واكثر ما يوجد في مصاحف العامة وخطوط الوراقين عند ضيق آخر السطر عن الكلمة بكاملها . ومن ثم احتاج الكاتب الى النظر في ذلك بالجمع والمشق من حين شروعه في كتابة أول سطر على ما تقدم . قال صاحب منهاج الاصابة وأما وقع مثل ذلك في المصاحف التي كتبت في زمن امير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، لأنها كتبت بقلم جليل مبسوط ؛ فربما وقع في بعض الأماكن اللفظة فيقطعها في آخر السطر ويجعل باقيا في السطر الثاني

الحالة الثانية - ان يفصل الكلمة التامة ويصلها مثل ان يكتب « وصل كتابك » مفصولا ، فيكتب وصل في آخر السطر ، وكتابك في أول الذي يليه ونحو ذلك . قال في مواد البيان والأحسن تجنبه اذا أمكن فأن لم يمكن فيتجنب القبيح منه وهو الفصل بين المضاف والمضاف اليه كعبد الله ، وغلام زيد ، وما أشبه ذلك ، لأن المضاف والمضاف اليه بمنزلة الاسم الواحد ؛ والفصل بين الاسم وما يتلوه في النسب كقولك : زيد بن محمد ، فلا يجوز أن يفصل بين المنسوب والمنسوب اليه كما لا يجوز ان يفصل بين المضاف والمضاف اليه . قال : فأن كان المراد بلفظ الابن تثبيت البنوة كقولك « ازيد ابن » جاز قطع الابن عما تقدمه لأن « لزيد » لا يستقل بنفسه فلا يدخله ابس . بخلاف غلام زيد ونحوه . قال : ومما يقبح فصله الفصل بين كل اسمين جملا اسما واحداً نحو حضر موت ، وتأبط شرًا ، وذى يزن ، وأحد عشر ، وما أشبه ذلك . قات : وقد ذكرت في الاصل هنا هندسة الحروف وصورة وضع حروف كل قلم وكيفية التصرف في ذلك مما لا يحتمله هذا المختصر

﴿ الفصل الرابع - في نقط الخط وشكله ﴾

﴿ اما النقط ﴾ فقد تقدم في الكلام على وضع الحروف العربية ان أول من وضعها ثلاثة من طي هم مرار بن مرة وأسلم بن سدره وعامر بن جدرة ؛ وأن مرارا وضع الصورة ، وأسلم فصل ووصل ، وعامرا وضع الأعجام . وبمقتضى ذلك يكون النقط موضوعا مع وضع الحروف . وهو أمر مطلوب عند خوف اللبس لأنه انما وضع لذلك . قال

محمد بن عمر المدائني: ينبغي للكاتب ان يعجم كتابه، ويبين اعرابه، فانه متى اعراه عن النقط كثير فيه التصحيف وغلب عليه التحريف . وأخرج بسنده الى ابن عباس انه قال : لكل شئ نور ونور الكتابة العجم . وعن الأوزاعي، نحوه . ومن كلام ابي مالك الحضرمي : قلم لم تعجم فصوله، استعجم محموله . ومن كلام بعضهم : الخطوط المعجمة كالبرود المعلمة . وذلك انما هو مطلوب مع خوف اللبس أما مع أمن اللبس فإن الاولى تركه انما يظلم الخط من غير فائدة . فقد حكى انه عرض على عبد الله بن طاهر خط بعض الكتاب فقال: ما أحسنه لولا أنه كثير شونيزه . وحكى محمد بن عمر في كتاب القلم والدواة عن بعض الأديابا- أنه قال : كثرة النقط في الكتاب سوء ظن بالمكتوب اليه . قلت : ولذلك لا تنقط عهد الخلفاء والملوك

واعلم انه قد تقدم ان حروف المعجم تسعة وعشرون حرفاً، وقد وضعت اشكلها على تسعة عشر شكلاً، فمنها ما يشترك في الصورة الواحدة منه الحرفان كالدال والذال، والراء والزاي، والسين والشين، ومنها ما يشترك في الصورة الواحدة منه الثلاثة كالباء والتاء والثاء، والجيم والحاء والحاء : ومنها ما ينفرد بصورة واحدة كالألف . ومنها ما لا يلبس حالة الافراد ، فأذا ركب ووصل بغيره التلبس كالتون والقاف : فان النون في حالة الافراد لها صورة تخصها فاذا ركبت مع غيرها في أول كلمة أو وسطها استتبت بالباء وما في معناها؛ والقاف اذا كانت منفردة لا تلبس ، فاذا وصلت بغيرها التبت بالفاء، فاحتيج الى مميزات بعض الحروف عن بعض من نطق أو اهمال يزول اللبس ويذهب الاشتراك . قال الشيخ أثير الدين : ولذلك ينبغي ان القاف والنون اذا كتبتا في حالة الافراد على صورتهم الخاصة بهما لا ينقطان، لانهما لا يشبه بينهما ، ولا يشبهان غيرهما فيكونان اذ ذاك كالكاف واللام . قال : ومنع بعض مشايخنا الاشتراك في صورة الحروف وقال ان الصورة والنقط مجموعهما دال على كل الحرف

ثم ما عدا الألف واللام من الحروف فهي ثمانية وعشرون حرفاً مرتبة على منازل القمر على ما تقدم . ومنازل القمر أبداً منها اربع عشرة ظاهرة فوق الارض، وأربع عشرة مختفية تحت الارض . ثم لا بد أن يبقى فوق الارض أيضاً منزلة مختفية تحت الشفق، فتصير المنازل المختفية خمس عشرة منزلة، والظاهرة ثلاث عشرة منزلة؛ فكانت الحروف المنقوطة

خسة عشر حرفاً بعدد المنازل المختلفة إشارة إلى أنها تحتاج إلى الإظهار لاختفائها وهي الباء، والتاء، والثاء، والجيم، والحاء، والذال، والزاي، والشين، والضاد، والظاء، والغين، والفاء، والقاف، والنون، والياء. وكانت الحروف العاطلة ثلاثة عشر حرفاً بعدد المنازل الظاهرة وهي الألف، والحاء، والذال، والراء، والسين، والضاد، والطاء، والعين، والكاف، واللام، والميم، والماء، والواو: فالألف لا تنقط لانفرادها بصورة واحدة من حيث أنه ليس في الحروف ما يشبهها في الأفراد والتركيب؛ والباء تنقط بواحدة من أسفل لتخالف التاء المثناة فوق، والتاء المثناة في حالي الأفراد والتركيب، والياء المثناة تحت والنون في حالة التركيب ابتداءً أو وسطاً؛ والتاء تنقط باثنتين من فوق لتخالف ما قبلها وما بعدها من الصورتين في حالة الأفراد وتخالفها مع الياء والنون في حالة التركيب؛ والتاء تنقط بثلاث من فوقها لتخالف ما قبلها من الصورتين في الأفراد وتخالفها مع النون والياء أيضاً في التركيب ابتداءً ووسطاً؛ والجيم تنقط بواحدة من تحتها لتخالف الصورتين بعدها، والحاء لا تنقط ويكون الأهمال لها علامة؛ وحذاق الكتاب يحملون لها علامة حاء صغيرة مكان النقطة من الجيم؛ والحاء تنقط بواحدة من فوقها لتخالف ما قبلها من الجيم والحاء، والذال لا تنقط ولا تعلم، ويكون ترك العلامة لها علامة والذال تنقط بواحدة من فوقها فرقاً بينها وبين أختها؛ والراء لا تنقط، ويكون الأهمال لها علامة، والزاي تنقط بواحدة من فوقها فرقاً بينها وبين الراء؛ والسين لا تنقط، وتكون علامتها الأهمال كغيرها، وبعض الكتاب ينقطها بثلاث من أسفلها، والشين تنقط بثلاث من فوقها فرقاً بينها وبين أختها، فإن كانت مدغمة فلا بد من جرة فوقها والضاد لا تنقط إلا أن حذاق الكتاب يحملون لها صاداً صغيرة تحتها كما في الحاء، والضاد تنقط بواحدة من فوقها فرقاً بينها وبين أختها، والطاء لا تنقط لكن لها علامة كالصاد والحاء، وهي طاء صغيرة تحتها، والظاء تنقط بواحدة من فوقها فرقاً بينها وبين أختها، والعين لا تنقط ولها علامة كما في الحاء والصاد والطاء، وهي عين صغيرة في بطنها؛ والغين تنقط بواحدة من فوقها فرقاً بينها وبين أختها؛ والفاء أهل الشرق ينقطونها بواحدة من أعلاها، وأهل المغرب ينقطونها بواحدة من أسفلها؛ والقاف لا خلاف بين أهل الحط أنها تنقط من أعلاها، إلا أن من نقط الفاء بواحدة من أعلاها نقط القاف باثنتين من أعلاها للفرق بينهما، ومن

نقط الفاء بوحدة من أسفلها تقط القاف بوحدة من أعلاها للفرق بينهما أيضا وقد تقدم من كلام ابي حيان أنها إذا كتبت على صورتها الخاصة بها في حالة الافراد ينبغي ان لا تنقط، والكاف لا تنقط الا أنها اذا كانت مشكولة علمت بتشكلة، وان كانت معرارة رسم عليها كاف صغيرة مبسوطة لأنها ربما التبست باللام؛ واللام لا تنقط ولا تعلم، وترك العلامة لها علامة، والميم لا تنقط ولا تعلم أيضا لانفرادها بصورة، والنون تنقط بوحدة من فوقها، وكان ينبغي اختصاص القط بحالة التركيب ابتداء ووسطا لالتباسها حينئذ بالباء والتاء والتاء اوائل الحروف والياء آخر الحروف، بخلاف حالة الافراد والتطرف في التركيب آخرها فانها تختص بصورة ولا تلبس كما أشار اليه ابو حيان؛ والهاء لا تنقط في جميع أشكالها وان كثرت لأنه ليس لها في أشكالها ما يلبس بغيره * والواو لا تنقط وان كانت في حالة التركيب تقارب الفاء، وفي حالة الافراد تقارب القاف، لأن الفاء لا تشابهها كل الشبه، ولأن القاف أكثر مساحة منها؛ واللام أف لا تنقط لانفرادها بصورة لا يشاركها فيها غيرها؛ والياء تنقط بنقطتين من أسفلها وان كانت في حالة الافراد والتطرف في التركيب لها صورة تخصها، لأنها حالة التركيب في الابتداء والتوسط. تشابه الباء والتاء والتاء والنون فيحتاج الى بيانها بانقط تغليبا لحالة التركيب على حالة الافراد كما في النون، وربما نقطها بعض الكتاب في حالة الافراد بنقطتين في بطنها

اذا تقرر ذلك فلانقط صورتان نبه عليهما ابن مقلة: احدهما شكل مربع على هذه الصورة (••) والثانية شكل مستدير على هذه الصورة (••) قال ابن مقلة: واذا كان على الحرف نقطتان فأن شئت جعلت واحدة فوق أخرى على هذه الصورة (:). وان شئت جعلتها في سطر معا على هذه الصورة () الا أن يكون بجوار الحرف حرف ينقط فإنه لا يجوز الا أن يكون النقط واحدة فوق أخرى، لأن النقط اذا كن في سطر واحد خرجن عن حروفهن فوق اللبس في الاشكال، فإذا جعل بعضها فوق بعض كان على كل حرف قسطه من المقط فزال الاشكال، واذا كان على الحرف ثلاث نقط فأن كان ثاء. مثلثة جعلت واحدة فوق اثنتين وان كان شينا فبعض الكتاب ينقطه كذلك، وبمنهم ينقطه ثلاث نقط سطرًا لسعة الشين بخلاف التاء المثلثة. اما السين الهامة اذا نقطت من أسفلها فالأولى جعل نقطها الثلاث سطرًا تحتها، واذا كانت

محققة (١) فاللائق التأسيس بنقطتين من تحت وجعل نقطة ثالثة اعلاهما
﴿ واما الشكل ﴾ فبفتح الشين . قال اهل اللغة : وهو مأخوذ من شكل الدابة
وهو تقييدها لاثن الحروف تضبط بقيد فلا يلتبس اعرابها كما تضبط الدابة بالشكال
فيمنعها من الهرب . قال ابو تمام

ترى الامر معجوما اذا كان معجا لديه ومشكولا اذا كان مشكولا

وقد اختلف في اول من وضع الشكل ، فذهب قوم إلى ان اول من وضع ذلك أبو
الأسود الدؤلى حين وضع الاعراب وبدأ يشكل المصحف فأحضر من يمسك
المصحف وأحضر صبغاً يخالف لون المداد وقال الذي يمسك المصحف عليه اذا فتحت
فاى فاجعل نقطة فوق الحرف ، واذا كسرت فاى فاجعل نقطة تحت الحرف ، واذا ضمنت
فاى فاجعل نقطة امام الحرف . فان أتبعث شيئا من هذه الحركات غنة ، يعنى تنويناً ،
فاجعل نقطتين . ففعل ذلك حتى أتى على آخر المصحف . وذهب آخرون الى ان اول
من وضعه زهير بن عاصم الليثى ، وأنه الذى خمس آيات القرآن وعشرها : وذهبت
المائة الى أن اول من وضعه يحيى بن يعمر . قال ابو عمرو الدانى : وهؤلاء الثلاثة من
جملة تابعى البصريين . أما الهمزة والتشديد فأن واضعهما الخليل بن احمد . وقد اختلفت
مقاصد الكتاب فى التقييد بالشكل . فذهب بعضهم الى الترغيب فيه قال هشام بن
عبد الملك : اتسكوا قرأين الآداب اتلا تند عن الصواب . وقال على بن منصور :
حلوا غرائب الكلام بالتقييد وحصنوها عن شبه التحريف . وذهب بعض الى كراهة
ذلك . قال سعيد بن حميد الكاتب : لأن تشكى الحروف على التمازى أحب الى من
أن يعاب الكاتب بالشكى ونظر محمد بن عباد الى كاتب وهو يقيد ما كتب
بالشكى فقال : لو عرفته ما شكاته

واعلم أن الشكل جار مع الاعراب كيفاً جرى : فيرجع الى السكون وهو الجزم ،
والى الفتح وهو المصب ، والى الرفع وهو الرفع ، والى الجز وهو الحذف . ثم اعلم أن
المتقدمين كانوا يعملون الشكل نقطاً يكون مخالفاً لوزن المبر من حمرة ونحوها كما
تقدمت الاشارة فى الكلام على ابتداء أبى الأسود ذلك . والمتأخرون اصطلاحوا

(١) هذه العبارة مذكورة فى السبع فى آخر الكلام على نطق السين ومخاطبها هنا فى الضوء

لذلك على صور مختلفة الأشكال أتوا بها بالجبر لمناسبة تخص كل شكل منها .
ويتعلق المقصود من ذلك بسبع علامات : الأولى علامة السكون ، والمتقدمون يجعلونها
جرة بالحمرة فوق الحرف سواء كان الساكن همزة كما في هذه الصورة « لم يشأ » أو
غيرها من الحروف كالذال من قولك « اذهب » ، والمتأخرون يرسمون لها دائرة
تشبه رأس الميم إشارة الى الجزم على هذه الصورة « ب » من حيث ان الميم آخر
حرف من لفظ الجزم ، ويحذفون عراقة الميم استخفاً ، ويسمون تلك الدائرة « جزمة »
أخذاً من الجزم الذي هو لقب السكون ، ويحتمل ان يكونوا أتوا بتلك الدائرة على صورة
الصفري في حساب الهند إشارة الى الحلو عن الحركة ، اذ الصفري هو الحالى عن الشئ ؛
وحذاق الكتاب يجعلون الجزمة جيماً لطيفة تغير عراقة إشارة للجزم على هذه الصورة
(د) * الثانية علامة الفتح . والمتقدمون يجعلونها نقطة بالحمرة فوق الحرف على هذه الصورة
« ب » فإن اتبعت حركة الفتح تنوبنا جعلت نقطتين احدهما للحركة والاخرى
للتنوين على هذه الصورة « زيد » والمتأخرون يجعلون علامتها ألفاً مضطجعة بقدر ثلث
الف ذلك الخط تقف فيها بالنقطة مائلاً الى اليسار بقدر نقطة من ذلك الخط على هذه
الصورة « ب » لما تقدم من أن الالف علامة الفتح في الاسماء المعتلة ، ورسموها بأعلى
الحرف موافقة للمتقدمين في ذلك ، وسموا تلك الالف المضطجعة « نصب » أخذاً من
النصب ، ويجعلون حالة التنوين خطين مضطجعتين من فوق الحرف كما جعل المتقدمون
لذلك نقطتين من فوق على هذه الصورة « ما » وعبروا عنهما بنصبتين * الثالثة علامة
الضم ، والمتقدمون يجعلونها نقطة بحمرة وسط الحرف على هذه الصورة « ن » أو
أماه على هذه الصورة « ن » ، بأن احقه تنوين رسموا لذلك نقطتين احدهما للحركة
والثانية للتنوين على هذه الصورة « ب » : والمتأخرون يجعلون علامة الضم واواً صغيرة
على هذه الصورة « ب » لما تقدم من الواو علامة الرفع في الاسماء المعتلة ، وسموها
« رفعة » لذلك ورفعوها بأعلى الحرف دون وسطه كي لا نشين الحرف بخلاف المتقدمين
لخافة الازن واطافة النقطة فان احق حركة الضم تنوين رسموا لذلك واواً صغيرة بنقطة
بعدها : الواو إشارة للضم ، والنقطة إشارة للتنوين على هذه الصورة « ن » وعبروا عن تينك

الواو والخطة برفعتين و بعضهم يجعل عوض الخطة واوًا أخرى مردودة الآخر على رأس
الاولى على هذه الصورة (- ') وربما جعلوا الواو ين سطرًا على هيتها على هذه الصورة
(- ") * الرابعة علامة الكسر والمتقدمون يجعلون علامته نقطة بالحرمة تحت الحرف
على هذه الصورة ب - ويسمونها كسرة فأن لحق حركة الكسر تنوين رسموا لذلك
نقطتين على هذه الصورة - : والمتأخرون جعلوها شظية من أسفل الحرف اشارة الى
الياء التي هي علامة الجر في الاسماء المعتلة على ما مر رسموا تلك الشظية «خفضة» أخذًا
من الخفض الذي هو لقب الكسر ولم يخالفوا بينها وبين علامة النصب لاختلاف محلهما
الا أنهم اختلفوا في صورهما فبعضهم يجعلها على صورة ما تقدم في الفتحة من الختم بالقطة
والامالة الى اليسار على هذه الصورة « - » ومنهم من يجعلها مسيلة الى أسفل مخرمة بسن القلم
على هذه الصورة « - » فأن لحق حركة الكسر تنوين رسموا له خطتين من أسفله احداهما
للحركة والاخرى للتنوين اما مبطوحتان على هذه الصورة (-) واما مسبلتان على هذه
الصورة (-) * والخامسة علامة التثنية والمتقدمون اختلفوا فيها فاهل المدينة رسموها
على هذه الصورة () ١ ولا يجعلون معها علامة الاعراب بل يجعلون علامة الشد مع
الفتح فوق الحرف، ومع الكسر تحت الحرف، ومع الضم امام الحرف، ومنهم من يجعل
مع ذلك نقطة علامة للاعراب . قال أبو عمرو الداني : وهو عندي حسن . وعامة اهل
الشرق اصطلحوا على أنهم يرسمون علامة التثنية صورة شين من غير عراقة على هذه
الصورة (-) كأنهم يريدون اول شديد ويجعلون تلك العلامة فوق الحرف أبدًا ،
ويعربونه بالحركات : فأن كان مفتوحا جعلوا مع الشدة نقطة فوق الحرف علامة الفتح
على هذه الصورة (-) ، وان كان مضمومًا جعلوا مع الشدة نقطة امام الحرف علامة الضم
على هذه الصورة (-) وان كان مكسورًا جعلوا مع الشدة نقطة تحت الحرف علامة
الكسر على هذه الصورة (-) وعلى هذا المذهب استقر رأى المتأخرين أيضًا غير
أنهم جعلوا بدل النقطة الدالة على الاعراب التي اصطلحوا عليها من النصب والرفعة
والخفضة فيجعلون النصب بأعلى الشدة على هذه الصورة (-) ويجعلون الخفضة أسفل
الحرف الذي عليه الشدة على هذه الصورة (-) وبعضهم يجعلها أسفل الشدة من فوق

الحرف على هذه الصورة (-) وربما جعل بعضهم في آخر علامة الشدة شظية بمقدار أحد أسنانها على هذه الصورة (-) وربما نقص مقدار الشظية عن ذلك في الثالث والتوقيعات فإن كان مع الشدة تنوين من نصب أو جر أو رفع جعل مع الشدة علامة ذلك التنوين * السادسة علامة الهمزة والمتقدمون يجعلونها نقطة صفراء ليخالقوا بها نقطة الاعراب الدالة على السكون والحركات الثلاث بالجمرة سواء كانت صورة الهمزة واواً أو ياء أو ألفاً اذ حق الهمزة ان تلزم مكاناً واحداً من السطر لأنها حرف من حروف المعجم والمتأخرون يجعلونها عيناً بلا عراقة لقرب مخرج الهمزة من العين على هذه الصورة (أ) ثم ان كانت الهمزة مصورة بصورة حرف من الحروف فإن كانت ساكنة جعلت الهمزة من أعلى الحرف مع جزمة بأعلاه على هذه الصورة (لم يشأ) وان كانت مضمومة جعلت بأعلى الحرف مع رفعة بأعلاها على هذه الصورة (أ) وان كانت مكسورة جعلت بأسفل الحرف مع خفضة بأسفلها على هذه الصورة (ا) . وقد اختلف المتقدمون من النحويين في أى الطرفين من « اللام ألف » هو الهمزة : فحكى عن الخليل ان الاول منها هو الهمزة . والثانى هو اللام . قال أبو عمرو الداني : واليه ذهب عامة أهل القط استدلالات بأن رسمها في الاصل لا ماء بسوطة هكذا (لا) الا انه استقل رسم ذلك كذلك في « اللام ألف » خاصة لا اعتدال طرفيها لمشابهة كتابة الاعاجم فحسن رسمها بالتضفير فضم احد الطرفين الى الآخر . فأيهما ضم الى صاحبه كان الهمزة وخالف الاخفش فزعم ان الطرف الاول هو اللام والثانى ، هو الهمزة ، استشهد اذاً بأن ما تلفظ به أولاً هو المرسوم أولاً وبالعكس . فنت : والحق ان ذلك يختلف باختلاف تصوير « اللام ألف » على ما رتبته متأخرو الكتاب : ففي المصورة بهذه الصور (لا) لأول هو الهمزة وفي هذه الصورة (لا) على العكس : وان كانت الهمزة غير مصورة بحرف كالهمزة في « جزء وخب » جعلت العلامة في محل الهمزة من الكلمة مع علامة الاعراب من سكون وفتح وضم وكسر . فإن عرض للهمزة مع حركة من الحركات الثلاث تنوين جعل مع الهمزة علامة التنوين من نصبتين أو رفعتين أو خفضتين دلي مامر في ذير الهمزة * السابعة علامة الصلة في ألفات الوصل . والمتقدمون رسموها لها جرة بالجمرة في سائر أحبالها وجعلوا تحالفاً للمحركة التي قبل ألف الوصل بأن وايها فتجده كما في قوله

تعالى « ينفقون الذي » جملة الصلة عند المتقدمين جرة حمراء على رأس الألف على هذه الصورة (آ) ؛ وان وليها كسرة كما في قوله تعالى « رب العالمين » جملة جرة حمراء تحت الألف على هذه الصورة (ا) وان وليها ضمة كما في قوله تعالى (نستعين اهدنا) جملة جرة حمراء في وسطها على هذه الصورة (+) فان لحق شيء من الحركات التنوين جعلت الصلة أبداً تحت الألف . والمتأخرون رسموا لذلك صاداً لطيفة إشارة الى الوصل وجعلوها بأعلى الحرف أبداً ولم يراعوا في ذلك الحركات اكتفاءً باللفظ على هذه الصورة (آ)

❦ الفصل الخامس في الهجاء ❦

ويقال فيه التهجى ، وهو مما يضطر اليه الكاتب غاية الاضطرار . والمقصود هنا المصطلح العام وهو ما تقع به الكتابة في عامة الامور دون مصطلح الرسم وهو ما جرى عليه عرف كتابة المصاحف والمصطلح العروضى وهو ما اصطاح عليه العروضيون في تقطيع الشعر . واعلم ان الاصل في هذا المصطلح الذى نحن بصدد ذكره مطابقة المنطوق المفهوم وقد يزيدون في وزن الكلمة ما ليس في وزنها ليفصلوا بالزيادة بينه وبين المشبه له وينقصون من الكلمة ما هو في وزنها استخفاً واستغناءً بما أبقى عما انتقص اذا كان فيه دليل على ما حذف . ثم المرجع فيه الى حالتين :

﴿ الحالة الأولى حالة افراد اللفظ ﴾

ويختلف الحال فيه باعتبار بقاء أصله ، وتغييره بالزيادة والنقص والبدل . فاما الباقي على أصله في ذوات الحروف وعددها فيعتمد فيه أمور : أحدها اعتبار المنطوق به من الحروف عند الادغام دون المدغم منها ، فيكتب « أمحى » من المحو بغير نون وان كان أمحى على وزن انفعل لوقوع الادغام من كلمة واحدة ، بخلاف ما اذا كان من كلمتين نحو « من مال » فيكتب بنون في « من » منفصلة من ميم « مال » وان كانت النون الساكنة تدغم في الميم
الثاني - - اثبات النون عند الاخفاء والانتقال فيكتب لفظ « خق » ولفظ « أنت »

وما شبهها بنون وان كانت النون مخفاة في القاف من « خنق » . وفي التاء من « أنت » وكذلك في حالة التركيب نحو « من كافر » ويكتب غير وما اشبهها بنون أيضا وان كانت النون الساكنة تنقلب عند الباء ميمًا : وكذلك في حالة التركيب نحو « من بعد »

الثالث ما يسقط في الدرج لالتقاء الساكنين، فيكتب « اضربوا القوم » و« يذرو الرجل » بواو، وكذلك كل ما فيه حرف قد حذف لساكن يليه، لأنه لولا التقاء الساكنين لبقيت هذه الواو لفظاً

الرابع اعتبار جالة الوقف آخر الكلمة، فتكتب « انا » بالألف بعد النون وان كانت في وصل الكلام لا تسباع في الفتحة، لأن الوقف عليه بألف؛ ومن أجل ذلك كتبت « لكنا هو الله ربى » بألف في « لكنا » من حيث ان أصله « لكن انا » * ويكتب المون المنصوب مثل « زيداً وعمراً » من قولك، ضربت زيداً وعمراً، بالألف لأنه يوقف عليه بالألف، بخلاف المون المرفوع والمجرور نحو جاء زيد ومررت بزيد إذ الوقف عليه بحذف نون التثنية واسكان الآخر على الصحيح * وتكتب اذن المنونة بالألف على رأى المازني، لأن الوقف عليها بالألف لضعفها، والمبرد والأكثرون على كتابتها بالون، وصححه ابن عصفور، لان كل نون وقف عليها بالألف تكون بالألف وفصل الفراء فقال: ان أنيت كتبت بالألف، وان اعلمت كتبت بالنون اتموها * ويكتب « لنسفعاً » بالألف لأن الوقف عليها بالألف * ويكتب، اضرباً زيداً ولا تضرباً عمرواً، بالألف عند الأكثر، بوذهب بعضهم الى كتابتها بالنون، وبه جزم ابو حيان * ويكتب كل اسم في آخره ياء، نحو قاضى وغازى وداعى وجارى وسارى وشترى وهتدى ومستدعى ومقترى، في حالتى الرفع والجر بغير ياء فيكتب: جاء قاض ومررت بقاض، وكذا في الباقيات، وفي حالة النصب بالياء مع زيادة الألف كما في قولك رأيت قاضياً وغازياً وداعياً، وما أشبه ذلك؛ وان كان جمعاً، فإن كان غير منصرف كتب في حالة الرفع والجر بغير ياء على ما تقدم، فتكتب في الرفع: هؤلاء جوار وغواش وسوار ودواع، وفي الجر: مررت بجوارٍ وسوارٍ وغواشٍ ودواعٍ، بغير ياء في الحاليتين ويكتب في النصب بالياء من غير ائف بعدها فيكتب: رأيت جوارى وسوارى ودواعى ونحوها، فإذا دخلت الألف واللام في جميع هذه الأسماء أثبت فيها

الياء سواء المنصرف وغير المنصرف: فتكتب هذا الداعي والغازي والقاضي والمشتري، وهو لاء الجوارى والسوارى والدواعي، بالياء في الجميع . قال ابن قتيبة: قد يجوز حذفها، وليس يستعمل الا في كتابة المصحف؛ وكذلك اذا أضفت، كتبه بالياء، نحو مررت بقاضي زيد وداعي أخيك وغازي القوم، وما أشبه ذلك؛ كل ذلك اعتماداً على حالة الوقف. قال ابن قتيبة: فإن كانت الياء مثقلة لم يحذفها نحو بخاتي واماني وما أشبههما * وتكتب « ره » أمراً بالرؤية، و« لم يره » نفيًا للرؤية، و« قه » أمراً بالوقاية، و« لم يقه » نفيًا لذلك، وما أشبهه، بالهاء وان كانت الهاء تسقط منه حالة الدرج؛ لأن الوقف عليها بالهاء؛ وكذلك قولهم « مه انت؟ وحتى مه؟ » لأن الوقف على « ما » الاستفهامية بعد حذف الفها بالهاء، فتكتب بالهاء؛ بخلاف ما اذا وقعت « ما » المحذوف الفها بعد الجار نحو حتام، والى م، وعلام، فإنه لا تلحقها الهاء لشدة الاتصال * وتكتب تاء التأنيث في نحو رحمة ونعمة ونقمة وقسمة وخدمة وطلحة وقمحة، بالهاء، لأن الوقف عليها بالهاء على الصحيح؛ وبعضهم يقف عليها بالتاء، وهي لغة قليلة فتكتب بالتاء وقد وقع في رسم المصحف مواضع من ذلك نحو « افينعت الله يكفرون ». قال ابن قتيبة: « وهيمات » يوقف عليها بالهاء والتاء، والاجماع على كتابتها بالتاء ثم اللفظ المفرد ان كان اسماً كحرف من حروف الهجاء فان كان اسماً قاصراً على الحرف لم يسم به غيره وقصد اسم ذلك الحرف لاسمائه كتب المفوض به نحو « جيم » اذا سئل كتابته فيكتب جيم وياء وميم؛ وان قصد مسماه لاسمه وجب الاقتصار في الكتابة على اول حرف من حروف الكلمة فيكتب بصورة ذلك الحرف؛ فان سمي به غيره كما اذا سمي رجل (بقاف) أو (بياسين) فللكاتب فيه مذهبان: أحدهما ان يكتبه على صورة الحرف هكذا « ق، و يس » والثاني ان يكتب المفوض به هكذا (قاف، و ياسين) وهو اختيار ابن الحاجب . وان كان اللفظ المفرد اسماً غير حرف من حروف المعجم فإن كان له معنى كزيد كتب على هذه الصورة (زيد) وان كان له أكثر من معنى واحد كتب بحسب القرينة كما اذا قيل له اكتب (شعراً) فان دلت القرينة على ان المراد هذا اللفظ كتب هكذا (شعراً) والا فيكتب ما ينطبق عليه اسم الشعر اذ هو معنى الشعر

وأما ما تغير عن أصله فأما ان يتغير بالزيادة أو بالنقص او بالبدل :
 ﴿ فالزيادة ﴾ تكون بثلاثة أحرف :

الأول ، الالف . وتزاد بعد الميم في مئة فتكتب على هذه الصورة (مائة) ،
 واختلف في زيادتها فيها في حالة التثنية فقليل لاتزاد ، والراجح الزيادة ؛ أما في حالة الجمع
 فقد اتفقوا على منع الزيادة فكتبوا « مئين ومئات » بغير ألف بعد الميم . قال ابوحيان :
 وقد رأيت بخط بعض النحاة « مائة » على هذه الصورة بألف عليها نبرة الهمزة دون ياء
 قال وكثيرا ما أكتب انا « مئة » كما تكتب « فئة » * وتزاد أيضا بعد واو الجمع
 المتطرفة في آخر الكلمة اذا اتصلت بفعل ماض أو فعل أمر مثل ضربوا ، واضربوا
 وما أشبهها ، فتكتب بألف بعد الواو بخلاف ما اذا لم تقع الالف طرفا في آخر الكلمة
 نحو ضربوهم ، وكالوهم ، ووزوهم ، فإنه لا تلحق بها الالف ، فلواتصلت واو الجمع بفعل
 مضارع نحو لن يضربوا ، ولن يذهبوا ، فذهب الاخفش ، لحق الالف وذهب بعض
 البصريين الى عدم لحوقها . ولو اتصلت باسم نحو ضاربوهم ، وضاربوزيد ، فذهب
 البصريين عدم اللحق ، ورجحه ابوحيان ؛ ومذهب الكوفيين اللحق فيكتبون « ضاربوا
 زيد » و« هموا » بالالف بعد الواو * وتزاد عند الفراء في « يدعوا و يغزوا » في المفرد
 حالة الرفع خاصة تشبها بواو الجمع . وفصل الكسائي في حالة النصب فقال : ان لم يتصل
 بضمير نحو « لن يدعوك » كتب بغير ألف فرقا بين الحالين ، وأطلق ابن قتيبة النقل
 عن بعض كتاب زمانه أنها لا تلحق في مثل ذلك * وتزاد شذوذا بعد الواو المبدلة
 من الالف في الربا فتكتب بألف بعد الواو على هذه الصورة (الربوا) تذيها على ان
 الأصل أن تكتب بألف . وقد زيدت في مواضع من المصحف كما في قوله تعالى « ان
 امروء هلك » وقوله « ولأوضعوا خلاكم » فلا يقاس عليه

الثاني - الواو . فتزاد في « عمرو » بعد الراء اذا كان علما في حاتى الرفع والجر
 نحو جاءني عمرو ، ومررت بعمرو . أما في حالة النصب فلا تزاد ويكتب « عمرا » بالالف ،
 وكذلك لاتزاد في المحكي باللام كالعمر ، والمضاف كعمره ، والواقع قافية شعر كقول الشاعر
 انما أنت في سايه كواو الخقت في الهجاء طلما بعمر

وفي معنى ذلك « عمر » ، واحد عمور الاسنان ، وهو اللحم الذي يليها ، وما هو بمعنى

المصدر مثل قولهم لعمر الله، فلا تلحق الواو في شيء منها * وتزاد في أولئك بين الالف واللام. قال أبو حيان: ويحمل التأنيث في «أولات» على التذكير في «أولى» * وتزاد في (أُوخِيَّ) تصغير (أخى) بين الالف والخاء على رأى بعض أهل الخط فرقا بينه وبين (أخى) المكبر. قال أبو حيان: وأكثر أهل الخط لا يزيدونها

الثالث الياء: المثناة تحت - وقد زيدت في مواضع من المصحف فكتبوا قوله تعالى (بنيناها بأيد) ياءين بين الالف والذال، وقوله «من نبأ المرسلين» ياء بعد الالف، وقوله «من ملأته» ومن ملأهم» قبل الهاء فيهما. قال أبو حيان: وهذا مما يجب الاتقياد اليه في المصحف اقتداء بالصحابة رضوان الله عليهم. أما في غير المصحف فتكتب «بأيد» ياء واحدة، وتكتب «من نبأ، وملأه، وملأهم» بغير ياء. وكذلك إذا اضيفت الى الضمير نحو: كلاًه وخطاه. وذهب بعضهم الى انها تكتب على ما يناسب حركتها ياء سواء اضيفت نحو «من كلاًه» أو لم تضاف نحو «من الكلاى» قال بعضهم: والأقيس ان تكتب باء مع الضمير المتصل نحو «من خطه» لأنها صارت معه كالتوسطة وتكتب الفأ إذا تطرفت نحو «من خطاً»

﴿ واما النقص ﴾ فهو اما غير مختص بحرف من الحروف، أو مختص بحرف. فإن كان غير مختص وهو المدغم فيكتب كل مشدد من كلمة واحدة حرفاً واحداً نحو شد، ومد، واد، كز، واقشعر، ومفرّ وما أشبه ذلك سواء كان المدغم إدغام مثل نحو «رد» أو متقارب نحو «اضطجع» وأجروا نحو «قنت» مجرى ما هو من كلمة واحدة وان كان من كلمتين لشدة اتصال الفعل بالفاعل مع كون الحرفين مثليين. قال ابن الحاجب: وكذلك نحو ممّ وعمّ * وان كان الادغام مختصاً بحرف من الحروف فذلك في خمسة أحرف:

الاول الألف - إذا دخلت عليها لام الجر فتكتب للقوم، وللغلام، وللناس وما أشبه ذلك بلامين متواليين من غير ألف بخلاف ما إذا دخلت عليها باء الجر فأنها لا تحذف، فتكتب: بالقوم وبالغلام، وبالناس، بألف بين الباء واللام، فإن كان في أول الكلمة ألف ولام من نفس الكلمة ولم تتصل الكلمة بلام الجر وبائه لم تحذف شيئاً فتكتب (الاتفات، والاتباس) بلامين ولامين، وكذلك إذا وصلت بلام الجر أو بائه

فتكتب (بالتفات) و (لالتباس الامر)

وتحذف بعد اللام الثانية من اسم (الله) تعالى ، وبعد الميم من (الرحمن) اذا دخلت عليهما الألف واللام فتكتب (الله) بلامين بعدها هاء . وان كانت المدة على اللام الثانية توجب ألفا بعدها ، وتكتب (الرحمن) بتون بعد الميم وان كانت المدة على الميم توجب ألفا بعدها لأنه لا التباس في هذين الاسمين مع كثرة الاستعمال ؛ ولو تجردا عن الألف واللام كتبا بالألف كما قالوا (لاه أبوك) يريدون (لله أبوك) ، فحذفوا حرف الجر والألف واللام وكتبوه بالألف ، وكتبوا (رحمان الدنيا والآخرة) فتكتب بالألف

وتحذف بعد اللام من السلام في (عبدالسلام) وفي (السلام عليكم) . وتحذف بعد اللام من (ملائكة) وبعد الميم من (مساوات) ، أما الألف الثانية منه وهي التي بعد الواو فاتها لا تحذف . قال ابو حيان : وقد كتب في المصحف بحذف الألفين جميعا ، فيجب اتباع ذلك فيه خاصة

وتحذف بعد اللام في (أوائلك) ، وبعد الذال في (ذلك) . فلو تجرد (أولى) و (ذا) عن حرف الخطاب وهو (الكاف) كتبا بالألف وتحذف بعد (هاء التنبيه) اذا اتصلت بـ (ذا) اتى الإشارة وكانت خالية من (كاف) الخطاب في آخر الكلمة فتكتب « هذا ، وهذه ، وهذان ، وهؤلاء » بغير ألف ؛ فان اتصلت باسم الإشارة (الكاف) نحو (ذاك) امتنع الحذف فتكتب (هذاك) ولا يضر اختلاف حرف الخطاب بالنسبة للأفراد والجمع والتذكير والتأنيث . اما « تا » في الإشارة للمذكر ، و (تي) في الإشارة للمؤنث ؛ فالألف لا تحذف معها اذا اتصلت بهما هاء التنبيه فتكتب « هاتا ، وهاتى . وهاتان » ، وذكر ابو حيان عن احمد بن يحيى انها تحذف من « هاتم ، وهاتنا ، وهاتنت » أيضا فتكتب الجميع بألف واحدة ، ثم قال : وهو القياس ، وكان الأصل ان يكتب بألفين . قال ابن قتيبة : ويكتب (ايها الرجل ، وأيها الأمير) بالألف وإن كان قد كتب في القرآن بالألف وغيرها . والذي أشار إليه أنه كتب بغير ألف في ثلاثة مواضع : في النور ، آية (المؤمنون) ، وفي الزخرف آية (الساحر) ، وفي الرحمن آية (الثقلان)

وتحذف من « ثمانية وثمانى » مع ثبوت الياء فيها فتكتب « ثمانية رجال، وثمانية عشر رجلاً، وثمانى نساء » بخلاف ما اذا حذفت الياء منها فتكتب « ثمان عشرة، وعندى من النساء ثمان » فمثل قول الشاعر

ولقد شربت ثمنيا وثمانيا وثمان عشرة واثنتين وأربعا

تكتب الاولين بغير ألف والثالثة بالالف . واختاف في (ثمانين) فذهب ذاهبون الى اثبات الألف فيها بعد الميم ، وذهب آخرون الى حذفها . وفي « ثمانون » في حالة الرفع الخلاف أيضاً * وتحذف بعد اللام من « ثلاث » سواء كانت منفردة نحو عندى ثلث من البسط ، أو مضافة نحو ثلث نساء ، أو مركبة نحو ثلث عشرة امرأة ، أو معطوفة نحو ثلث وثلثون جارية . وفي حكمها « ثلاثة » بالتاء فتكتب بغير الف في جميع الصور . وكذلك تحذف من « الثلاثاء » اسم اليوم وتحذف أيضاً من « ثلاثين » بالياء و « ثلاثون » بالواو . اما « ثلاث » المعدول كما في قوله تعالى (مثنى وثلاث) قتال ابو حيان لم أقف على نقل ، واختار أن يكتب بالالف . على ان ابن قاسم نقل عن « المقنع » في الرسم الحذف * وتحذف من « يا » الى النداء اذا اتصلت بهمزة نحو « يا احمد ، يا ابراهيم ، يا أبا بكر ، يا أبانا » فتكتب « يا احمد ، يا ابراهيم . . . » وهكذا في الباقيات . وقد اختلفوا : هل المحذوف همزة الوصل ، أم ألف « يا » ؟ فالظاهر عند أبي حيان ان المحذوف هو ألف « يا » لا صورة همزة : وقال احمد بن يحيى المحذوف صورة همزة لا ألف (يا) فان كانت همزة المتصلة (يا) كهمزة آدم امتنع الحذف وكتبت بألفين على هذه الصورة : (يا آدم) ، اما اذا لم يكن بعد (يا) همزة البتة ، نحو « يا زيد ويا جعفر » فالذى يستعمله الكتاب فيه اثبات الالف في (يا) وجوز احمد بن يحيى كتابته بغير الف

وتحذف من « الحارث » اذا كان علماً ودخلت عليه الالف واللام فتكتب

« الحرث » بخلاف ما اذا عرى عن الالف واللام فإنه نثبت فيه الالف لتلايتبس « بحرب » بالموحدة

وتحذف مما كثر استعماله من الأعلام الزائدة على ثلاثة أحرف اذا لم يحذف

منها شئٌ سواء كان ذلك العلم من اللغة العربية كمالك ، وصالح ، وخالد ، أو من اللغة

المعجية كإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، وهارون . فتكتب ملك ، وصلح ، وإبراهيم وإسماعيل، وهكذا في الباقيات بخلاف ما إذا لم يكثرا استعماله كخاتم ، وجابر ، وحامد ، وسالم ، وطالوت، وجالوت، وهاروت ، وماروت ، وهامان ، وقارون فإنه يكتب في جميعها بالألف . قال أبو حيان : وذكر بعض مشايخنا ان اثباتهم في نحو صالح ، وخالد ، ومالك ، جيد . ونقل عن أحمد بن يحيى أنه يجوز فيه الوجهان ، وعليه ينطبق كلام ابن قتيبة . وأما إذا كان العلم الذي كثر استعماله على ثلاثة أحرف فما دونها نحو هالة ، واوس ، وألف ، ولام ، فإنه لا تحذف الفه ؛ وكذلك إذا حذف منه شيء غير الألف نحو اسرايل ، وداود ، فأنهم حذفوا من اسرايل صورة الهمزة . ومن داود الواو ، فامتنع حذف الألف لتلا يتوالى الحذف . ويلتحق بذلك في الاثبات ما لو خيف بالحذف التباسه كما مر وعباس ؛ فلا تحذف الألف ، لأنه لو كتب بغير ألف لالتبس عامر بعمر ، وعباس بعبس

وتحذف استحسانا مما كثر استعماله مما في آخره الالف والنون نحو شعبان، وعثمان، وما أشبههما. فيكتبان « شعبن، وعثنن » ، قال أبو حيان ، إلا أنهم لم يحذفوا ألف عمران . قال ، والاثبات في نحو شعبان حسن . قال ابن قتيبة ، فأما شيطان، ودهقان فأثبت الالف فيهما حسن ، قال ، وكان القياس إذا دخلت عليهما الالف واللام ان يكتبتا بغير ألف ، الا أن الكتاب مجتمعون على ترك القياس في ذلك وتحذف من كل جمع على وزن « مفاعل » او « مفاعيل » حيث لم يحصل بالحذف لبس بين الواحد والجمع مثل خاتم، ودونق (في خواتم، ودوانق) في وزن مفاعل، ومحريب، وتمثيل، وشيطان، ودهقين (في محاريب، وتمثيل، وشياطين، ودهاقين) في وزن مفاعيل . بخلاف ما إذا كان يلتبس فيه الجمع بالواحد مثل « مساكين » فإنه يكتب بالالف لئلا يلتبس بالواحد ؛ على أنه قد كتب في المصحف بغير ألف للقراءة فيه بالافراد . فلو كان الحذف يؤدي الى موافقته للواحد في الصورة لكنه في غير موضع المفرد نحو « ثلاثة دراهم ، ودراهم حياذ ، ودراهم معدودة » حذفته منه الالف ، لأنه لا يلتبس حينئذ ، بخلاف « عندى دراهم » ونحوه فإنه لو حذفته منه الالف لالتبس بدرهم المفرد

وتحذف الألف الأولى مما فيه ألفان مما جمع بالالف والتاء المزيدتين نحو: صالحات وعابدات ، وقانتات ، وذاكرات ؛ وكذلك تحذف من صفات جمع المذكر السالم نحو الصالحين ، والقانتين ، وإن لم تكن فيه ألف أخرى حملا على المؤنث . واختار بعضهم أنه إن كان مع ألف الجمع ألف أخرى كالسماوات ، والصالحات ، حذفت ألف الجمع وأبقيت الأخرى ؛ وإن كان ليس فيه ألف أخرى كالمسلمات ، اختير اثبات الألف . وثبت في المصحف الحذف فيهما جميعا فكتب « سموت ، ومسلمات » ونحو ذلك وتحذف أيضا في جمع المذكر السالم في الصفات المستعملة كثيرا كالشاكرين ، والصادقين ، والحامرين ، والكافرين ، والظالمين ، إلا أن يخاف اللبس فيما جمع بالالف والتاء ، مثل « طالحات » فيمتنع الحذف ؛ لأنه لو حذف لالتبس « بطالحات » جمع طلحة . وكذلك لو خيف اللبس فيما جمع بالواو والنون نحو حاذرين ، وفارحين ، وفارحين ، فإنه لو حذفت الألف لالتبس بمحذرين ، وفرحين ، وفرحين . وإن كان مضاعفا مثل شابات ، والعاذون ، فإنه لا يجوز فيه حذف الألف . وثبت فيما ألفه همزة كالحائنين . على أنها قد كتبت في بعض المصاحف بحذفها . قال ابن قتيبة : ولا يجوز الحذف فيما كان من ذوات الياء والواو ، نحو « هم القاصون ، والرامون ، والساعون » وتحذف إحدى الألفين مما اجتمع فيه ألفان مثل آدم ، وآزر ، وآمن ، وآمنين ، وآتين ، وآنفا ، وشنآن ، بألفين لئلا يلتبس بفعل الواحد المفرد . وذهب قوم إلى الإقتصار في الثنية أيضا على ألف واحدة .

وتحذف إحدى الألفات مما اجتمع فيه ثلاث الفات مثل « برآات » جمع براءة ، و« مسآات » جمع مساءة ، فتكتب برآآت ، ومسآآت ، بألفين فقط : لأنهم لو حذفوا اثنين أخلوا بالكلمة

وتحذف من أول الكلمة في الاستفهام في اسم ، أو فعل ، نحو : الله أذن لك السحر ؛ ، أذكركم حرم أم الأثيين ؛ ، أصطفي البنات على البنين ؛ الرجل في الدار أم زيد ؟ الآن (وقد حصص الحق) ؛ فتكتب بألف واحدة . وذهب بعضهم إلى أنها تكتب بألفين ، قال ابن الحاجب : وجاز في نحو « أرجل ؛ » الأمران . ورسمت في المصحف بألف واحدة ، نحو « أذاكرين ؟ »

وتحذف من «ما» الاستفهامية عند دخول حرف الجر عليها ، نحو « عم تسأل؟
وفيم تفكر؟ » فتكتب بغير ألف في آخرها فرقا بينها وبين « ما » الموصولة . وحكي
الكوفيون ثبوتها

وتحذف اذا تصورت بها الهمزة في مواضع : فتحذف بعد الباء من البسمة لكثرة
الاستعمال ، وثبتت في باسم الله مفردا ، وفي باسم ربك ؛ وجوز الفراء في قوله تعالى
« بسم الله مجراها ومرساها » الحذف والأثبات . فإن أضيفت الى « الرحمن ،
والقاهر » ونحوهما من أسماء الله تعالى ، حذفت عند الكسائي خلافا للفراء

وتحذف في « ابن » مما وقع فيه « ابن » مفردا صفة بين علمين غير مفصول
فتكتب : جاء فلان بن فلان ، بغير ألف سواء كان العلمان اسمين نحو : احمد بن عمر ،
أو كنيهين نحو : أبو بكر بن أبي عبد الله ، أو لقبين نحو : هذا بته بن بطة ، أو اسم
وكنية نحو : هذا زيد بن أبي قحافة . أو لقب واسم نحو : هذا أنف الناقة بن زيد ،
أو كنية ولقب نحو : هذا أبو الحارث بن بته ، أو لقب وكنية نحو : هذا بدر الدين بن
أبي بكر . ولا تحذف فيما عدا ذلك ، فلو قلت : هذا زيد ابنك ، أو ابن أخيك ،
أو ابن عمك ، ونحو ذلك مما ليس بين علمين أثبتت الألف في « ابن » . وكذلك
إذا كان خبرا نحر قولك : أظن زيدا ابن عمرو ، وكان بكر ابن خالد ، وان زيدا ابن
عمرو ، فثبتت الألف في الجميع . ولو ثنيت الابن ألحقت فيه الألف صفة كان أو
خبرا فتكتب : قال عبد الله وزيد ابنا محمد كذا وكذا ، وأظن عبد الله وزيدا ابني محمد
فعلا ذلك ، بالألف . وكذا اذا كتبت « ابنا » بغير اسم ، نحو : جاء ابن عبد الله
فثبتت فيه الألف . وحكم « الابنة » مؤنثا حكم « الابن » في جميع ما ذكر على المشهور
تقول : جاءت هند بنة قيس

﴿ الثاني — اللام ﴾ فتحذف من « الذي » و « الذين » في الجمع ، فيكتبان
بلام واحدة بخلاف « الذين » في التثنية ، فأنها تثبت فرقا بينه وبين الجمع وتحذف
من « آتى » ومن تثنيتهما وهي « اللتان » وجمعها وهي « اللاتي »

وتحذف من « الليل ، واللييلة » على أجود الوجهين * وتحذف من « اللطيف »
فيكتب بلام واحدة بخلاف « انهبو ، واللعب ، واللعبة ، واللاعبين ، واللغو ، واللؤلؤ ،

واللات ، واللم ، واللب ، واللواة « فانها لا تحذف منها . قال ابن قتيبة : وكل اسم
أوله لام أدخلت عليه لام التعريف كتبتة بلامين نحو : اللهم ، واللبن ، واللجم ، واللحم ،
وما أشبه ذلك

﴿ الثالث ، النون ﴾ - فتحذف من « عن » اذا وصلت بـ « مَن » أو « ما » فتكتب :
عن ، وعما ، وعم ، على ما سيأتي * وتحذف من « من » الجارة اذا وصلت بـ « مَن » أو
« ما » فتكتب ممن ، ومما * وتحذف من « إن » اذا وصلت بـ « لم » فتكتب « إلم » *
وتحذف من « أن » المفتوحة إذا وصلت بـ « لا » فتكتب : ألا

﴿ الرابع ، الواو ﴾ - فتحذف لأ من اللبس مثل ما كتبوا من قوله : يدع الداعي ،
ويح الله الباطل ، بغير واو في يدعو ويمحو ، لأنه يمتنع في الحالتين ان يكون الفاعل
جماعة ؛ بخلاف : لاتضربوا الرجل ، فإنه لو حذف لالتبس الجمع بالواحد * وتحذف
مما توالى فيه « واوان » في كلمة واحدة مثل داود ، وطاوس ، ونحوهما ؛ فتكتب الجميع
بواو واحدة . وكتب بعضهم طاووس ، ونحوه بواوين على الاصل ، قال ابو حيان :
والقياس الاقتصار على واو واحدة كراهة اجتماع المئين ؛ واستثنى ابن عصفور من ذلك
مالا يؤدي الى اللبس نحو قول ، وصـ وول على وزن فعول ، فقال : يكتب بواوين
لأنه يلتبس بـ « قول وصول . واختاره أحمد بن يحيى * وتحذف مما توالى فيه ثلاث
واوات في كلمتين ككلمة مثل ليسوا ، وبنوون ، بواوين فقط ، وتكتب : لؤوا ،
واحتوا ، بواوين لأنه لو حذفتم احدهما لالتبس الجمع بالمفرد

﴿ الخامس ، الياء ﴾ - وتحذف للجزم كما في قوله « لم يعض » وتحذف في مراعاة
الفواصل نحو قوله تعالى « والليل اذا يسر » حذف الياء من « يسر » لمراعاة ما قبله
من قوله « والفجر » * وتحذف لأ من اللبس فتكتب « قارين » جمع قارىء بياء واحدة
فرقا بينه وبين « قارين » ثنية قارىء ، فانها تكتب بياءين

﴿ ما يغير بالبدل ﴾

وأما ما يغير بالبدل فالحروف التي يدخلها البدل ثلاثة احرف هي الألف ، والواو ، والياء
(فالالف) أكثرها تعاقبا ويختلف الحال في ذلك : فإن كانت الكلمة اسما وكانت

الالف فيه رابعة فصاعدا نحو المعزى ، والمستدعى ، وحلبى ، وملهى ، وما أشبه ذلك كتبت الالف فيها ياء . ولا تبدل ياء فيما قبلها فيه « ياء » نحو : الدنيا ، والعليا ، ورؤيا ، وسقيا ونحو ذلك ، فتكتب بالالف في آخرها كراهة اجتماع ياءين ، الا انه يفتفر ذلك في نحو يحيى ، ورثى ، علمين ، للفرق بين يحيى علما وبينه فعلا ، وبين ربي علما وبينه وصفا ؛ فان كان مهموزا نحو مستقرنا ومستنبثا ، أو قبل آخره ياء نحو خطايا ، وزوايا ، والحوايا ، والحيا وما أشبهه كتبت بألف . وتنوب الياء عن الالف أيضا من الاسم اذا كانت الالف فيه ثالثة وكانت مبدلة عن ياء نحو قى ، ورحى وما أشبه ذلك فتكتب بالياء ؛ فان كان منقلبا عن واو نحو عصا ورجا ، لجانب البئر ، كتب بالالف . وطريق التفريق بين ما هو منقلب عن ياء وما هو منقلب عن واو والثنية ، فتقول في الاول : فتیان ورحیان ؛ ومن ثم كتبت « متى » بالياء لأنها لو سمي بها وثنيت لقليل « متيان » ؛ وتقول في الثانى : عصوان ورجوان ، تبين انه من ذوات الواو ؛ فان اشكل شي من ذلك فلم يعلم هل هو من ذوات الياء أو من ذوات الواو نحو « خسا » بالخاء المعجمة كتب بالالف لأنها الأصل . ومنهم من يكتب الباب كله بالالف على الأصل . قال ابن قتيبة : وتعتبر المصادر بأن يرجع فيها الى المؤنث ، فما كان فى المؤنث بالياء نحو العمى والظمى ، كتب بالياء لأنك تقول عمياء وظمياء ؛ وما كان المؤنث فيه بالواو كالعشا فى العين ، والقناني الالف كتب بالف ، لأنك تقول : عشواء ، وقنواء . قال ، وكل جمع ليس بين جمعه ومفرده فى الهجاء الا الهاء نحو الحصى والقطا والنوى فما كان جمعه بالواو كتب بالالف وما كان جمعه بالياء كتب بالياء * وتكتب « لدى » بالياء لانقلابها ياء فى « لديك » . اما « كلا » فالصحيح من مذهب البصريين أنها تكتب بالالف ، لان ألفها منقلبة عن واو ، ومن قال انها بالياء كتبها بالياء ، وقياس كلتا عند البصريين ان تكتب بالياء ، وشذ كتابتها بالالف . قال ابن قتيبة : والذي استحسنته ان تكتب كلا وكلتاني حال الرفع بالالف ، وفى حالتى الجر والنصب بالياء . وتكتب « تبرى » مع التنوين وعدمه بالياء خلافا لبعضهم . ولو اتصل الاسم الذى يكتب بالياء بضمير متصل نحو رحاك ، وقفاك ، فقليل يكتب بالياء كحال انفصاله فيكتب « رحاك ، وقفاك » ؛ وقيل بالالف . فان كانت الالف فى الاسم ثانية نحو « ما »

و «ذا» اذا كانا اسمين ، كتبت بالالف ؛ وان كانت الكلمة فعلا فان كانت الالف رابعة فصاعدا نحو أعطى ، واستعلى ، وشبههما كتبت بالياء الا ان يكون مهموزا نحو أخطأ ، وانبا فانه يكتب بالالف ؛ وان كانت الالف ثالثة رددته الى نفسك فان ظهرت فيه الواو نحو غدا ، ودعا ، وغزا كتبت بالالف لانك تقول فيه غدوت ، ودعوت ، وغزوت ؛ وشذ «زكي» فكتب بالياء وان كان من ذوات الواو لما فيه من معنى الامالة . وان ظهرت فيه الياء كتب بالياء نحو قضى ، ومشى ، وسمى : لانك تقول فيه : قضيت ، ومشيت ، وسميت . علي انه يجوز كتابته بالالف أيضا . فلو اتصل بالفعل ضمير متصل نحو رماه ، وجزاه ، ورعاه ، فقييل يكتب بالياء على هذه الصورة « رمية ، وجزية ، ورعية » والصحيح كتابته بالالف . قال ابن قتيبة : وكل ما لحقه الزيادة من الفعل لم ينظر الى أصله ، فيكتب : أغزى فلان فلانا ، وادنى فلان فلانا بالياء وان كان من : غزوت ، ودنوت ؛ لانك تقول : أغزيت ، وأدנית . وان كانت الكلمة حرفا في آخره ألف كتب ألفا على صورة لفظه نحو « ما ، ولا ، وألا » وما أشبهها ؛ واستنوا من ذلك « بلى ، والى ، وعلى ، وحتى » فكتبوها بالياء . فلو وليت « ما » الاستفهامية « حتى ، أو الى ، أو على » كتبت بالالف ، فكتبت : حتام ، والام ، وعلام لشدة اتصالها . قال ابن الحاجب : فان وصلت في حتام وأختيها الماء المائرة فلك ان تكتبها بالالف ، فكتبت : حتامه . والامه ، وعلامه ؛ ولك ان تكتبها بالياء : حتى مه ، والى مه ، وعلى مه .

واعلم انه قد يكتب بالياء ما هو من ذوات الالف للمجاورة كما في قوله تعالى « والضحي والليل اذا سجدى ما ودعك ربك وما قلى » فقل من ذوات الياء لانها من قلت فكتبت بالياء ، وسجدى من ذوات الواو لانها من سجوت فكتبت بالياء للمجاورة « قلى » ، والضحي من ذوات الواو أيضا لانها من ضحوت فكتبت بالياء للمجاورة المجاور ثم اعلم ان الواو قد نابت عن الألف في مواضع من رسم المصحف ، وهي : الصلوة ، والزكوة ، والحياة ، والنجوة ، ومشكوة ، ومنوة ، فكتبت بالواو بدل الالف ، ومنهم من كتبها كذلك في غير المصحف أيضا ؛ ومنهم من كتبها بالالف وهو القياس عند ابي حيان . أما نظائر ذلك مما ليس في القرآن كالتناة ، والقطاة ، والقلاة ونحوها

فإنما تكتب بالالف . فإن اتصل شيء مما أبدلت ألفه بضمير ، نحو : صلاتهم ، وزكاتهم ،
وحياتك ، ونجاته ، ومشكاته ، ورباه ، كتبت بالالف دون الياء

حالة الثانية - حالة التركيب

(وما يترتب على ذلك من الفصل والوصل)

واعلم ان الاصل فصل الكلمة من الكلمة ؛ لان كل كلمة تدل على معنى غير معنى
الكلمة الأخرى . ويستثنى من ذلك مواضع : فتوصل فيما اذا كانت الكلمتان لشيء
واحد وذلك في صور : احداها - ان تكون الكلمتان قد تركبتا بركيب مزج مثل
بعلبك ، فتوصل الثانية بالاولى لتدل على اتحاد مدلول اللفظين ، بخلاف ما اذا تركبتا
تركيب اسناد نحو زيد قائم ، أو تركيب اضافة نحو غلام زيد ، أو تركيب بناء لم يتحد
فيه مدلول اللفظين نحو خمسة عشر ، وصباح مساء ، وبين بين ، فإنه يكتب مفصولا
لا توصل فيه كلمة بأخرى * الثانية : ان تكون احدى الكلمتين لا يبتدأ بها في اللفظ
نحو الضمائر البارزة المتصلة ، ونون التوكيد ، وعلامة التأنيث ، والثنية والجمع في لغة
« أكلوني البراغيث » فيكون متصلا وان كان من كلمتين * الثالثة : أن تكون إحدى
الكلمتين لا يوقف عليها نحو باء الجر ، وفاء العطف ، ولام التوكيد فتكتب متصلة
وان كانت في الحقيقة كلمتين

وتوصل « من » الجارة وهي المكسورة ، في مواضع : أحدها -- توصل بعد حذف
النون بـ « من » المفتوحة الميم مطلقا سواء كانت موصولة نحو : أخذت الدراهم ممن
أخذت منه ، أو موصوفة كما في المثال المذكور فإنها فيه تحتمل المعنيين جميعا ، أو
استفهامية نحو : ممن أنت ؟ ، أو شرطية نحو : ممن تأخذ درهما آخذ منه . وقال ابن
عصفور : ان كانت « من » استفهامية ، كتبت مفصولة * الثاني توصل بعد حذف النون
بـ « ما » اذا كانت موصولة ، نحو : عجبت مما عجبت منه ، أو استفهامية نحو : مم
هذا الثوب ؟ ، أو زائدة كما في قوله تعالى « مما خطيأتهم أغرقوا » أما اذا كانت
شرطية نحو : من آخذ آخذ ، أو موصوفة نحو : أكلت من ما أكلت منه ، فإن القياس

فصلها، وصححه أبو حيان، وقال ابن عصفور: إذا أتت « ما » استفهامية كتبت « من » معها . قال أبو حيان: وقضيته أنها لا تكتب متصلة الاني حالة الاستفهام، بخلاف ما عداها وتوصل « عن » بما بعدها بعد حذف النون في موضعين: أحدهما - توصل بـ « من » الموصولة غالبا نحو: رويت عن رويت عنه؛ وجوزوا فصلها مع ثبوت النون في عن . أما « من » غير الموصولة فالقياس فصلها فتكتب في الاستفهام: عن من تسأل؟، وفي الشرط: عن من ترض أرض عنه . وزعم ابن قتيبة ان « عن من » تكتب موصولة بكل حال سواء الموصولة وغيرها * الثاني - توصل بـ « ما » الاستفهامية كقوله تعالى (عم يتساءلون؟) وتحذف الالف بحسب ما تقدم في الكلام على الحذف وتوصل (مع) بـ (ما) إذا كانت زائدة، وتقطع إذا كانت موصولة كما قال ابن قتيبة

وتوصل (في) في موضعين: أحدهما توصل بـ (من) الاستفهامية دائما نحو قولك: فيمن تفكر؟ ولكن لا تحذف الياء منها كما حذفت النون من (عن) و (من) إذا لا ادغام هنا * الثاني - توصل بـ (ما) إذا كانت موصولة في الغالب نحو: فكرت فيما فكرت فيه؛ ولا تسقط الياء على مامر . وجوزوا فصلها في هذه الحالة فتكتب كل من « في ، وما » على انفرادها . وكذلك توصل إذا كانت استفهامية نحو قوله تعالى « فيم أنت من ذكراها » ولا تحذف الياء كما تقدم . أما « مع » إذا اتصلت بـ « ما » أو بـ « من » فإنها تكتب منفصلة ، قاله ابن قتيبة . قال بعضهم: وكأن الفرق قلة الاستعمال .

وتوصل الحروف النواصب للأسم الروافع للجزاء إذا دخلت على « ما » الزائدة نحو: إنما، وكانما، وإيما؛ فتكتب ان، وكان، وإيت . متصلات بـ « ما » نحو: إنما قلت كذا، فكأنما وجهه قمر، وإيما هذا الشيء لي، ونحو ذلك . فإن كانت « ما » موصولة كتبت مفصولة نحو: ان ما قلت الحق، وكان ما حدثت صحيح، وإيت مالك لي على أنه قد جاء في القرآن كثير من ذلك متصلا .

وتوصل قل بـ (ما) إذا دخلت عليها نحو: قلما أتيتك مائة مرة وتوصل « ان » الشرطية بـ (ما) إذا جاءت بعدها بعد حذف النون نحو: وإما

تخافن من قوم خيانة . وتوصل (ان) الشرطية ؛ (لا) إذا دخلت عليها بعد حذف النون أيضا نحو : إلا تنصروه فقد نصره الله ، إلا تفعلوه تكن فتنة في الارض وتوصل (أين) بـ (ما) نحو : أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا . فان كانت (ما) موصولة فصلت نحو : اين ما اشتريت ، يريد أين الذي اشتريت ؟
أما متى فلم يصلوها بـ (ما) بل كتبوها منفصلة عنها اذ لو وصلت للزم قلب الياء ألفا كما في حتام ، فتكتب تمام فيتعذر ادراكها
وتوصل (حيث) أيضا بـ (ما) نحو : وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره . قال ابن قتيبة : وكتبها بعضهم مفصولة ، وهو خطأ
وتوصل (كل) بما المصدرية اذا دخلت عليها نحو : كلما جئتني أحسنت اليك . فان كانت نكرة منعوتة كتبت مفصولة نحو : كل ما تفعل حسن . وقال ابن قتيبة : كل من ، مقطوعة على كل حال
وتوصل (هل) بـ « لا » بعد حذف احدى اللامين فتكتب على هذه الصورة : هلا فقلت . وتقطعها من (بل) فتكتب : بل لا تفعل
وتوصل « بين » بما الزائدة نحو : بينما أنا جالس ، وبينما أنا أمسى
وتوصل (أي) بما ، اذا كانت ما زائدة كما في قوله تعالى : أيما الابلين قضيت وكما تقول : ايما الرجلين لقيت فأكرم . وان كانت ما موصولة فأما نقطع عنها فتكتب : أي ما تراه أوفق لك ، أي ما عندك أفضل ، مفصولة
ويوصل يوم ، وحين بـ (إذ) فتكتب : يومئذ ، وحينئذ . قيل وتكتب : حالئذ كذلك موصولة
وتوصل (لآين) و « لآلا » فتكتب : لئن ، ولتلا ، وقد تقدم أنها تكتب حينئذ بالياء لا بالالف
وتوصل (أن) المفتوحة بلا ، اذا دخلت عليها على اقوال بعد حذف النون : فتكتب (ألا) : وتفصل منها وتثبت النون على الثاني فتكتب أن لا ؛ ويفرق بين ان تكون مخففة من الثقيلة فتكتب مفصولة نحو : علمت ان لا يقوم زيد ، وعلمت ان لا ضرر عندك ، والتقدير انه لا يقوم زيد وان لا ضرر عندك ، وبين ان تكون ناصبة الفعل فتكتب

موصولة مع حذف النون نحو يعجبي ألا تقوم ، على رأي الأخفش وابن قتيبة وابن السيد ؛ ويفرق بين ان تدغم بغنة فتكتب منفصلة أو بغير غنة فينوي الاتصال وتحذف النون خطأ وهو رأي الخليل . وقد وقع في القرآن مواضع متصلة ومواضع منفصلة فيجب اتباعها اقتداء بالسلف

وتوصل نعم ، بما ، للادغام . وحكى ابن قتيبة فيها الفصل والوصل . وقد وصلت بئس بما في بعض المواضع من المصحف نحو : بئسما اشتروا به انفسهم .
ووصلت ان بلم مع حذف الين في قوله تعالى : فإلم يستجيبوا لكم ؛ ووصلت أن بلن في قوله تعالى : ألن يجعل لكم موعدا ؛ ووصلت أن : (حَن) في قوله : أتمن هو قانت . ووصلت كي بلا في مواضع من المصحف منها : لكيلا تحزنوا على ما فاتكم

﴿ الفصل السادس ﴾

(في بيان ما يكتب بالظاء مع بيان ما يقع الاشتباه فيه مما يكتب بالضاد وقد بنيته على حروف المعجم ايقرب تناوله)
مما يكتب بالظاء : أظله الشئ إذا غشيه ؛ وبهظه الامر اذا أتعبه ؛ والتقريظ ، وهو المدح ؛ والتلمظ ، وهو تحريك الشفتين بعد الأكل ؛ والجؤاظ وهو الجاني المتكبر ، وقيل الاكول ؛ والجحوظ وهو تتو العين وندورها ، وبالاشتقاق منه سعى ابو عثمان الجاحظ ؛ والحفيظة وهي الموجدة ؛ والحظ وهو الفنى والنصيب ، ومنه قوله تعالى انه لذو حظ عظيم ، وقوله : للذكر مثل حظ الاثنتين . والحظوة وهي الرفعة . والحظرو هو المنع ، ومنه قوله تعالى : وما كان عطاء ربك محظورا ، وقوله كمشيم المحتظر . وفيه معناه الحظير ، وهو المحوط من قصب ونحوه ؛ والحنظل ، وهو النبات المعروف ؛ والشظية ، وهي القطعة من الشئ ؛ والشظاظ ، وهي عيدان لطاق يجمع بها العدلان ؛ والشظف ، وهو خشونة العيش ؛ والشواظ ، وهو لهب النار ، ومنه قوله تعالى : يرسل عليكم شواظ من نار ؛ والشيطم ، وهو الفرس الطويل الظهر ؛ والظن بمعنى التخمين ؛ والظفة ، وهي التهمة ، ومنه قوله تعالى : وما هو على الغيب بظنين ، على قراءة من قرأها بالظاء ؛ وظل يفعل كذا اذا فعله نهارا ، ومنه قوله تعالى : فظلوا فيه يعرجون ، وقوله : فظلمتم تفكهنون ، وقوله :

وانظر الى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا ؛ والظال خلاف الحرحيما وقع ، وما اشتق منه . والظلم خلاف العدل، وما يتفرع منه. والظلم وهو ماء الاسنان ، والظلم وهو ذكر النعام . والظبي واحدا للظباء ، والظبية الاثني منه. والظبة، حد السيف ؛ والظرف الوعاء؛ والظراب وهي الهضاب ؛ والظلع وهو الغمز في الشيء ومنه: ناقة ظالع، والظعن. ومنه قوله تعالى: يوم ظعنكم، والظعينة. والظلف وهو للبقر والغنم كالحافر للخيل. والظائف وهو نزاهة النفس . والظفر واحد الاظفار . والظفر وهو النصر. والنظما وهو العطش . والظهر وهو العضو المعروف . والظهير وهو المعين ومنه قوله تعالى : ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً . والظهيرية وهي وسط النهار؛ والظئر وهي المرضة ؛ والعظم وهو معروف ؛ والعظمة وهي الكبرياء ، وما تصرف منها. والمظل وهو الشدة. ومنه تعاضل الجراد والكلاب في الفساد والغيظ بمعنى الحق ، وما تفرع منه . والغلظوما تصرف منه . والفظاظة وهي القسوة . ومنه قوله تعالى : ولو كنت فظا غليظ القلب . والفظيع وهو الشنيع . وفاظ الرجل اذا مات ، ومنه فاظت نفسه اذا قصد أنها ماتت ؛ والقيظ وهو صميم الحروكل ما تصرف منه . والقرظ وهو ثمرة شجر السنط الذي يدبغ به ؛ والكظم وهو كتمان الحزن، ومنه قوله تعالى والكافين الغيظ ؛ والكظ شدة الحرب ؛ وكاظمة اسم مكان بالبحرين ؛ ولظى اسم جهنم ، ومنه قوله تعالى : كلالها لظى ؛ والظ وهو اللزوم، ومنه : أظوا بيا إذا الجلال والاكرام ، أي التزموا هذا الاسم في الدعاء ، واللعظ وهو النظر بمؤخر العين ؛ والامظ وهو بياض الجحفة السفلى من الفرس ، يقال : فرس أظ ؛ والنظم وما تصرف منه . والنظر بالعين وما تصرف منه؛ والظير وهو المثل ؛ والظافة وهي خلاف القدارة . والوظيف وهو ما فوق الرسغ من الدابة . والوظيفة وأصلها الطعام الراتب ثم استعملت فيما هو أعم ، واليقظة وهي خلاف النوم وما تصرف منها قلت: ووراء ذلك ألفاظ غريبة من هذا الباب تركت لقلة استعمالها

اما ما يشبهه بالظاء مما يكتب بالضاد فنه : الضلال، خلاف الهدى، وما تصرف منه وان كان أظله بمعنى غشيه بالظاء . والحض بمعنى الحث ، ومنه قوله تعالى : ولا يحض على طعام المسكين ، وما في معناه . والحضور الذي هو خلاف الغيبة . والضن بمعنى البخل ، ومنه قوله تعالى : وما هو على الغيب بضنين ، على قراءة من قرأها بالضاد . والضراب

بمعنى ضراب الفحل ؛ والمضاربة في المال وهو ذلك ، والضرب بمعنى الأحمى ، والضلع أحد الاضلاع ؛ وضمير الشعر وما تصرف منه ، والضهر وهو صخرة في الجبل تختلف لونه ، والعضل بمعنى المنع ، ومنه قوله تعالى : فلا تمضواهن أن ينكحن أزواجهن ، وأعضل الامر اذا صعب ، ومنه الداء المضال وهو الذي عسر بمرؤه ، وغاض الماء اذا غر في الارض ، ومنه قوله تعالى : وغيض الماء ، وقوله : وما تفيض الارحام ، والفيض وهي منبت الشجر في الماء ، وانفضاض الجمع ومنه قوله تعالى : لانفضوا من حولك ، وقوله : حتى ينفضوا ، وفض الكتاب وهو فك ختمه ، ومنه انفضاض البكر وهو ازالة بكارها ، والفيض بمعنى السيلان ، ومنه فاض الماء والدمع ، ومنه قولهم فاضت نفسه اذا قصد بها سالت ، والقيض وهو القشرة العليا من البيض ، وقيض الله له كذا أى أتاحه ، ومنه قوله تعالى : نقيض له شيطانا فهو له قرين ، والقرض بمعنى القطع ، ومنه قرض المال والقراض فيه ، كأنه يقطع له من ماله قطعة ، والنضارة بمعنى البهجة والنعيم ، ومنه قوله تعالى : وجوه يومئذ ناضرة ، ومنه اشتقاق بنى النضير ، والنضار وهو الذهب ، والنضر بمعناه

المقالة الثانية

(فيما يحتاج اليه من معرفة احوال الارض وجهاتها ورياحها وبهارها . ويحتاج الكتاب الى ذلك في معرفة الممالك والطرق الموصلة اليها . وفيها ثلاثة أبواب)

الباب الاول

(في شكل الارض والبحر المحيط بها وجهاتها والرياح التي تهب منها والبحار المنبثة في ارجائها . وفيه ثلاثة فصول)

الفصل الاول

(في ذكر شكل الارض وما ينخرط في سلك ذلك)

اما شكل الارض فقد تقرر في علم الهيئة ان الارض كرية الشكل ، وقيل مسطحة ، وقيل كالترس ، وقيل كالطبلى والراجح الأول . وبكل حال فالماء محيط بها من جميع جهاتها الا ما اقتضت الحكمة الالهية كشفه من اعلاها لوقوع العماره فيه . وقد شهروها

بييضة ملقاة في وسط طشت مملوء ماء قد ظهر أعلاها والماء محيط بإقيها وهو البحر المحيط الذي هو أحد العناصر الأربعة

وأما جهاتها فلها أربع جهات : الأولى المشرق ، وهي التي تشرق الشمس منها ، ويقال لها الشرق أيضا . وتسمى الريح التي تهب منها الشرقية نسبة إلى الشرق ، وتسمى أيضا القبول لمقابلة مستقبل المشرق لها ، وتسمى الصبا أيضا * الثانية المغرب وهي التي تغرب فيها الشمس ، ويقال لها الغرب أيضا . وتسمى الريح التي تهب منها الغربية نسبة إلى الغرب ، وتسمى أيضا الدبور لاستبدال مستقبل المشرق لها * الثالثة الشمال ، بفتح الشين ، وهي التي على شمال مستقبل الشرق . وتسمى الريح التي تهب منها شمالا باسم الجهة ، وشمالا بالهمز ؛ وأهل مصر يسمونها البحرية . قال أبو جعفر المحاس : وسميت بذلك لأنها يسار بها في البحر كيف كان * الرابعة الجنوب ، بفتح الجيم ، وهي التي عن يمين مستقبل الشرق كأنها سميت بذلك لكونها على الجانب الذي لم تسم له جهة إذ لم يبق من جهات الأرض إلا الجانب الأيمن . وتسمى الريح التي تهب منها الجنوب باسم الجهة ، وأهل مصر يسمون هذه الريح الرئيسية لهبوبها من جهة بلاد المريس وهي بلاد النوبة

ثم كرة الأرض يقسمها خط متوهم في وسطها بنصفين : نصف جنوبي ، ونصف شمالي . وهذا الخط يسمى خط الاستواء لاستواء الليل والنهار عنده في جميع فصول السنة ؛ ويقاطعه خط آخر متوهم يقسمها بنصفين : نصف شرقي ، ونصف غربي . ويسمى هذا الخط «خط نصف النهار» لمسامته الشمس له في نصف النهار ، وتصير الأرض حينئذ مقسومة إلى أربعة أرباع . وكل خط من هذين الخطين مقسوم بمائة وثمانين درجة ، والدرجة ستون دقيقة . والذي حققه القدماء كبطليموس تقدير الدرجة بست وستين ميلا وثلاثي ميل : وقدره ابن الشاطر في تاريخه بمسير يومين ، وبخمس برود ، وبعشرين فرسخا ، وبستين ميلا ، وبماتى ألف ذراع - كل ذلك على سبيل التقريب . قلت : وهي كما بين الفسطاط ودمياط من الديار المصرية فأن بينهما في العرض درجة

واعلم ان النصف الجنوبي من الأرض لا عمارة فيه إلا فيما قارب خط الاستواء في بعض بلاد الزنج والحبشة وما إلى ذلك ، بل أكثره مغمور بالماء . وأكثر المعمور

انما هو في النصف الشمالي . وأقصى الشمال أيضا لاعماره فيها لاستيلاء البرد عليها
ثم غالب الهارة واقع في أوساط النصف الثاني

❦ الفصل الثاني ❦

(في البحر المحيط والبحار المنبثة في ارجاء الارض)

❦ البحر المحيط ❦

اما البحر المحيط فإنه يسمى من الجانب الغربي بحر اوقيانوس، وفيه الجزائر الخالدات
الواقعات فيه . وبقاى الامتداد من بحر اوقيانوس المذكور من سواحل بلاد المغرب
الاقصى الى جهة الجنوب حتى يجاوز صحراء لتونة وهي برارى البربر بين طرف بلاد
المغرب من الجنوب وبين طرف بلاد السودان من الشمال؛ ثم يمتد جنوبا على أراضي
خراب غير مسكونة ولا مسلوكة حتى يتجاوز خط الاستواء في الجنوب عنه، ثم يعطف
على جهة الشرق وراء جبال القمر التي منها ينابيع نيل مصر فيصير البحر المذكور جنوبا عن
الارض، ثم يمتد شرقا على أراضي خراب وراء بلاد الزنج، ثم يمتد شرقا وشمالا حتى يتصل
ببحر الصين والهند ثم يأخذ مشرقا حتى يسامت نهاية الارض الشرقية المكشوفة
وهناك بلاد الصين، ثم يعطف في شرقي الصين الى جهة الشمال، ثم يمتد شمالا على شرقي
بلاد الصين حتى يجاوز بلاد الصين ويسامت سد يأجوج وهأجوج، ثم يعطف ويستدير
على أراضي غير معلومة الاحوال ويمتد مغربا ويصير في جهة الشمال عن الارض ويسامت
بلاد الروس ويتجاوزها، ثم يعطف غربا وجنوبا ويستدير على الارض ويصير في جهة
المغرب منها ويمتد على سواحل امم مختلفة من الكفار حتى يسامت بلاد رومية من غربيها،
ثم يمتد جنوبا ويتجاوز بلاد رومية الى مسامتة البلاد التي بين رومية وبين الأندلس
حتى يتجاوز الأندلس ويسامت سبته من بر المدوة من حيث وقع الابتداء . قال
الشريف الإدريسي : والبحر المحيط من جهة الجنوب غليظ لا يعيس فيه حيوان ولا
تسير فيه سفينة

❦ البحار المنبثة في الارض ❦

وأما البحار المنبثة في أرجائها فأشهرها بحران :

« البحر الاول » الخارج من البحر المحيط الغربي ويعرف ببحر الروم ، ويقلل له البحر الرومي لسكني ام الروم عليه ، وربما قيل فيه البحر الشامي لوقوع بلاد الشام عليه من شرقيه ومخرجه من البحر المحيط الغربي المعروف ببحر أوقيانوس بين جزيرة الاندلس وبر العدو من بلاد الغرب الاقصى . ويسمى هناك بحر الزقاق ، وربما قيل « زقاق سبتة » لمجاورته لها ، وهو هناك في غاية الضيق . قال الادريسي : والثابت في الكتب القديمة ان سعته عشرة اميال ، ولكنه اتسع بعد ذلك . قال ابن سعيد : وهو في زماننا ثمانية عشر ميلا . قال في الروض المعطار : ويقال انه كان عليه قنطرة مبنية بالحجر غطّاها الماء . ويعتمد من بحر الزقاق هنا على سواحل الغرب فيمر على طنجة ، ثم يعطف جنوبا وشرقا الى مدينة سلا ، ثم يمتد شرقا وشمالا الى سبتة ، ويمتد كذلك حتى يسامت مدينة فاس قاعدة الغرب الاقصى على بعد ، ثم يمتد الى حدود مدينة تلمسان قاعدة الغرب الاوسط ، ثم يأخذ شرقا بشمال الى الجزائر فريضة بجاية ويمر حتى يسامت بجاية من الغرب الاوسط ، ثم يمتد حتى يجاوز مرسى الخرز الذي به مغاص المرجان شرقي قسنطينة آخر مملكة بجاية الى اول حدود افريقية ، ويمر في سمت الشرق حتى يقابل تونس قاعدة افريقية من شمالها ، ويدخل منه جون الى تونس ، ثم يمتد نحو تسعين ميلا شرقا نصبا ، ثم يعطف جنوبا ويصير له دخلة كبيرة في الجنوب وفي فم هذه الدخلة جزيرة قوصرة مقابل جزيرة صقلية . ثم يمتد في الجنوب الى قرب سوسة ، ثم يشرق الى سوسة المذكورة ، ثم يأخذ شرقا بجنوب الى المهديّة ، ثم يمر شرقا بجنوب حتى يجاوز صفاقس ، ويمتد حتى يجاوز جزيرة جربة ، ثم يعطف شمالا حتى يبلغ مدينة طرابلس وهي آخر مدن افريقية ، ثم يمتد شرقا حتى يجاوز حدود افريقية ، ثم يمتد شمالا على سواحل برقة الى طلميثا ، ثم يعطف شمالا ويكون للبرقي البحر دخلة الى رأس أوتان وهو جبل داخل في البحر ، ثم يشرق الى رأس تبنى وهو جبل في البحر قبالة رأس أوتان من الشرق ، ثم يعطف الى الجنوب ويمتد حتى يسامت عقبة برقة حد الديار المصرية من افريقية ، ثم يمتد على سواحل مصر ويمر شرقا وجنوبا الى مدينة الاسكندرية ، ثم يأخذ شرقا الى قرية اسمها رشيد عند مصب فرقة النيل الغربية ، ويمتد كذلك الى مدينة دمياط عند مصب فرقة النيل الشرقية ، ويأخذ شرقا الى الطينة ، ثم الى الفرما ، ثم الى العريش

ثم الى رفح عند حد الديار المصرية من الشام على نحو مرحلة من غزة . ومن هنا ينقطع
تشريقه ، ثم ينقطع ويأخذ شمالا على سواحل الشام فيمتد الى غزة ، ثم الى عسقلان ، ثم
الى يافا ميناء الرملة ، ثم الى قيسارية الشام من حد فلسطين ، ثم الى عثيث من عمل
صفد ، ثم الى عكا ، ثم الى صور من عملها ، ثم الى بيروت من عمل دمشق ، ثم الى جبيل
وهي مدينة قديمة خراب ، ثم الى مدينة طرابلس ، ثم الى انطربوس من عملها ، ثم الى
السويدية ميناء انطاكية من عمل حلب ، ثم يأخذ البحر غربا بتمال الى سواحل بلاد
الارمن فيمر الى رصص ، ثم الى باب سكندرية حيث در بند بلاد الروم ، ثم الى
باناس ، ثم الى المصيصة ، ثم الى أدنه ، ثم الى طرسوس ، ثم يمتد شمالا بغرب حتى يجاوز
حدود بلاد الارمن ويمتد على سواحل بلاد الروم التي هي الآن بيد التركان فيمر
الى الكرك ، بضم الكاف الاولى وسكون الراء المهملة ، وهي بلدة بساحل بلاد المسلمين
بيد صاحب قبرس الآن : ثم يمتد شمالا الى العلايا ، ويقابلها من البر الآخر مدينة دمياط
تقريبا : ثم الى انطاكية ، ثم الى بلاط ، ثم الى طنفلو ، ثم الى اياس لوق ، ثم الى مغنيسيا
ثم الى أبزو وهي بلدة على فم الخليج القسطنطيني من الشرق وربما نسب فم الخليج
اليها فيقال فم أبزو ، ويقابلها من البر الآخر غربي مدينة الاسكندرية فيما بينها وبين برقة
ثم يجاوز الخليج المذكور ويمتد غربا بجنوب على سواحل الروم والفرنجة فيمر على
بلاد « المرا » وهي مملكة أولها من الشرق الخليج القسطنطيني كانت في الايام الناصرية
ان قلاوون مشتركة بين القسطنطينية والكيكلان ، ثم يأخذ بين الغرب والجنوب حتى
يجاوز بلاد الملقوط وهم جنس من الروم لهم لسان ينفردون به ويقابلها من البر الثاني
شرقي برقة ، ثم يمتد في الغرب الى بلاد الباسليسة وهي امرأة ملكت هذه البلاد بعد
السبعائة فعرفت بها ويقابلها من البر الآخر اوساط برقة وبآخر هذه المملكة من
جهة الغرب جون البنادقة وهو خليج يخرج من بحر الروم المذكور نحو سبعائة ميل ويمتد
غربا بشمال حتى يصير طرفه غربي رومية وعلى طرفه مدينة البندقية ، يحاوزه في الحور
المذكور الى مملكة بوليه ويقابلها من البر الآخر طليمتا فرضة برقة ، ثم يمتد في الغرب
الى بلاد قلفريه من مملكة بوليه ويقابلها من البر الآخر بلاد طرابلس من افريقية ،
ثم يمتد الى ساحل رومية ويقابلها من البر الآخر شرقي تونس قاعدة افريقية . ثم يقطع

تقريبه وبأخذ جنوبا الى بلاد التسقان وهم جنس من الفرنج ينبت الزعفران ببلادهم ويقابلها من البر الآخر مدينة تونس، ثم يمتد في الجنوب الى بلاد بيزة وهي بلدة على الركن الشمالى من جزيرة الاندلس اليها ينسب الفرنج البيازنة والحديد البيزانى ويقابلها من البر الآخر مرسى الخرز من عمل بجاية ثم يمتد الى بلاد جنوه ثم يأخذ غربا الى جبل ألبون الفاصل بين جزيرة الاندلس وبين الأرض الكبيرة ذات الأسم المختلفة، ثم ينقطع تقريبه ويعطف شرقا ويدخل الركن الشرقى من الاندلس فيه ويمتد في الشرق ويستدير على الركن المذكور، ثم يعطف غربا ويمتد على سواحل الاندلس فيمر الى برشلونه ثم الى طرطوشه ويقابلها من البر الآخر مدينة بجاية، ثم يمتد بين الغرب والجنوب الى بلنسية، ثم يعطف غربا الى دانية، ثم يمتد غربا بجنوب الى مالقة، ثم الى الجزيرة الخضراء ويقابلها من البر الآخر ساحل سبتة وطنجة من بلاد المغرب الاقصى حيث وقع الابتداء

يقال ان طول هذا البحر من البحر المحيط الى سواحل الشام الف فرسخ ومائة وسبعون فرسخا وغاية عرضه في بعض الأماكن ستمائة ميل قلت : وفيه جزائر كبيرة يأتي الكلام عاينها عند مكاتبه ملوكها في المقالة الرابعة ان شاء الله تعالى

ويتصل بالبحر الرومى المقدم ذكره بحر نيطش، بنون مكسورة وباء مشاة تحت ساكنة وطاء مهمله مكسورة وشين معجمة فى الآخر، وهو المعروف فى زماننا ببحر القرم لوقوع بلاد القرم على ساحله الشمالى، وربما عرف بالبحر الارمنى لوقوع بعض بلاد ارمنية على ساحله الجنوبى. وربما قيل فيه البحر الاسود ويتركب عليه من آخره بحر مانيتش بزبادة افظ « ما » فى أوله وهو المعروف فى زماننا ببحر الأزق لوقوع بلاد الأزق على ساحله الشرقى. وايس وراءه بحر يتصل به وهو يصب فى بحر نيطش المقدم ذكره، وبحر نيطش يصب فى بحر الروم ولذلك نسرع المراكب فى سيرها من القرم الى بحر الروم وتبطل فى سيرها من بحر الروم الى القرم لاستقبالها جريان الماء. وأول بحر نيطش المذكور مما يلى بحر الروم من شمالى بحر الروم الحايج القسطنطينى وهو خايج ضيق لعامة بحبث برى الانسان صاحبه من البر الآخر ويمتد شمالا على سواحل

بلاد الروم من البر الشرقي منه الى قلعة الجرون وهي قلعة خراب تقابل القسطنطينية ويمتد شمالا بميلة يسيرة الى الشرق الى مدينة كزلي، ثم يمتد شرقا بشمال الى مدينة كزرو وهي آخر مدن القسطنطينية على هذا الساحل، ثم يمتد الى مدينة كينولى، ثم يأخذ بين الشمال والغرب ويكون للبر دخلة في البحر الى جهة الغرب على طرفها فرضة سنوب من سواحل الروم؛ ثم يأخذ في الاتساع الى مدينة سامسون من سواحل الروم أيضا؛ ثم يمتد مشرقا الى مدينة طرابزون وهي فرضة الروم بهذا الساحل؛ ثم يمتد شمالا بغرب الى مدينة سحوم، وبينها وبين بلاد الكرج يوم واحد ويقال انها من بلادهم؛ ثم يمتد شرقا بشمال الى مدينة انخاس، ثم يتضايق بالبحر مغربا ويضيق من البر الآخر حتى يتقارب البران ويصير الماء بينهما مثل الخليج وهو مصب بحر مانيطش في بحر نيطنش؛ وعلى ساحل هذا الخليج مدينة الطامان من سواحل الروم، وهي حد بلاد الروم من بلاد مملكة بركة التي قاعدتها مدينة السراى؛ ثم يأخذ البحر في الاتساع شرقا وشمالا وغربا ويصير كالبركة ويمتد على سواحل بلاد الأزق، ومنها ينتهى تشريقه؛ ثم يعطف الى الشمال ويأخذ الى مدينة الازق؛ ثم يستدير من الازق حتى يصير الى الغرب وينتهى الى الخليج الذى بين بحر نيطنش وبحر مانيطش المقدم ذكره، وهناك مدينة الكرش من بلاد الأزق مقابل مدينة الطامان المقدمة الذكر من البر الآخر؛ ثم يمر جنوبا ويمتد على سواحل القرم الى مدينة الكفا، فرضة القرم ويقابلها من البر الآخر مدينة طرابزون المقدمة الذكر؛ ثم يمتد كذلك الى مدينة صوداف وهي فرضة بلاد القرم، ويقابلها من البر الآخر مدينة سامسون المقدمة الذكر؛ ثم يأخذ في الانضمام جنوبا ويعطف شرقا حيث يكون للبر دخلة في البحر ويمتد على سواحل بلاد البلغار الى مدينة « صارى كومان » من بلاد البلغار ويقابلها من البر الآخر مدينة سنوب المقدمة الذكر؛ ثم يأخذ في الاتساع غربا بجنوب ويمتد الى مدينة « أق قجا كومان » من بلاد البلغار، ثم يأخذ جنوبا ويمتد على سواحل بلاد القسطنطينية الى بلدة تسمى « صقحى » عند مصب نهر طننا، وهو نهر بقدر مجموع دجلة والفرات؛ ثم يتضايق ويأخذ جنوبا ويتقارب البران ويمتد كذلك الى مقابل مدينة كزلي المقدمة الذكر؛ ثم يمتد كذلك الى مدينة القسطنطينية قاعدة ملك الروم ويقابلها من البر الآخر قلعة الجرون الخراب

المقدمة الذكر؛ ثم يمتد حتى يقع في بحر الروم حيث وقع الابتداء

﴿ البحر الثاني ﴾

(الخارج من البحر المحيط الشرقي الى جهة الغرب)

وهو بحر يخرج عند أقصى بلاد الصين الشرقية الجنوبية مما يلي خط الاستواء ويمتد غربا بشمال على سواحل بلاد الصين الجنوبية ثم على المفاوز التي بين الصين والهند حتى ينتهي الى جبال قامرون الفاصلة بين الصين والهند، ويمتد على سواحل بلاد الهند من الجنوب ويمر على سفالة الهند وهي سوفاره ويمتد حتى ينتهي الى آخر الهند؛ ثم يمتد على مفازة السند الفاصلة بينه وبين البحر حتى ينتهي الى فم بحر فارس الخارج من هذا البحر الى جهة الشمال، ويجاوزه الى بلاد اليمن ويمتد من شمالها على سواحل اليمن من جنوبيه الى عدن فرضة اليمن؛ ثم يمر شمالا بغرب حتى ينتهي الى باب المندب، وهو فرضة بين جبلين هي أول بحر القلزم؛ ويخرج منه ويمتد غربا بشمال الى اثني عشر ميلا؛ ثم يعطف شمالا ويمتد على سواحل اليمن الغربية الى علاقة فرضة مدينة زيد؛ ثم يمتد كذلك الى مدينة « حلى » المعروفة بحلى ابن يعقوب من أطراف اليمن من جهة الحجاز؛ ثم يمتد شمالا على ساحل الحجاز الى جدة، فرضة مكة المشرفة؛ ثم يمتد الى الجحفة، ميقات الاحرام لاهل مصر؛ ثم يمتد شمالا بغرب الى ساحل ينبع؛ ثم يأخذ بين الغرب والشمال حتى يجاوز مدين، ويمتد شمالا بجنوب حتى يقارب أيلة تحت العقبة؛ ثم يعطف جنوبا حتى يجاوزها الى مكان يعرف برأس أبي محمد ويكون للبر دخلة في البحر في جهة الجنوب، ثم يعطف شمالا الى فرضة الطور وهي مكان حط واقلاع لمراكب الديار المصرية وما يصل اليها من اليمن وغيره ويمر في الشمال الى فرضة السويس وهي مكان حط واقلاع للديار المصرية أيضا وعندها ينتهي برالعرب ببحر القلزم ويبتدى بر المعجم. وهناك يقرب هذا البحر من بحر الروم المقدم ذكره ثم يعطف الى الجنوب على سواحل الديار المصرية ويمتد موزايا اصعيدها حتى ينتهي الى مدينة القلزم وهي مدينة خراب وتقابلها أيلة من بر الحجاز، ثم يأخذ عن القلزم جنوبا بشرق حتى يسامت فرضة الطور المقدم ذكرها وتصير فرضة الطور بين أيلة والقلزم غربى دخلة البر المقدم ذكرها، ثم يمتد كذلك حتى ينتهي الى القصير فرضة قوص ثم يتسع البحر في جهتي الجنوب والشرق

حتى يكون اتساعه تسعين ميلا، وتسمى تلك القطعة التسعة بركة القرنندل، وهي التي اغرق الله تعالى فيها فرعون: ثم يأخذ جنوبا بميلة يسيرة الى الغرب الى عيذاب فرضة قوص ايضا، ويقابلها من بر المجازجدة فرضة مكة المكرمة؛ ثم يمتد في سمت الجنوب على سواحل السودان حتى يصير عند سواكن من بلاد البجاية ثم يمتد كذلك حتى يحيط بجزيرة دهلك وأهاها حبشة مسلمون، ويقابلها من بر اليمن حلى المقدم ذكرها، ثم يمتد الى رأس جبل المنذب المقدم ذكره وهناك يضيق البحر حتى يرى الرجل صاحبه من البر الآخر، ويقال انه مقدار رميتي سهم، ومن هناك ترى جبال عدن في وقت الصحو؛ ثم يتجاوز باب المنذب ويأخذ شرقا بجنوب ويتسع قليلا حتى يمر بمدينة زيلع من بلاد الحبشة المسلمين، ويقابلها عدن من بر اليمن، وهي عن عدن في الغرب بميلة الى الجنوب؛ ثم يمر الى مدينة مقدشو؛ ثم يمتد كذلك حتى ينتهي الى خليج بربرا الخارج من بحر الهند في جانبه الجنوبي، ويتجاوزه ويمتد على سواحل بلاد الزنج الى آخرها ثم يمتد الى سواحل بلاد الواق واق ثم على أماكن مجهولة حتى ينتهي الى مبدئه من البحر المحيط الشرقي واعلم ان هذا البحر يسمى في كل مكان باسم ما يسامته من البلاد أو باسم بعض البلاد التي هي عليه فيسمى فيما يقابل بلاد الصين بحر الصين، وفيما يقابل بلاد الهند وما جاورها الى بلاد اليمن بحر الهند، وفيما دون باب المنذب الى غايته في الشمال والغرب بحر القلزم، نسبة الى مدينة القلزم المقدمة الذكر. قال في تقويم البلدان: وطول هذا البحر من طرف بلاد الصين الشرقي الى القلزم الفان وسبعائة وثمانية وأربعون فرسخا بالتقريب

ويخرج من بحر الهند من شماليه بحر فارس، اضافة الى بلاد فارس لتركبها على جانبه الشمال، ويمتد شمالا بغرب غربي مفازة السند الفاصلة بينه وبين الهند على ما تقدم ذكره، ثم على أرض مكران من نواحي الهند. ويخرج منه من آخر مكران جون يمتد شرقا بجنوب على ساحل مكران والسند حتى يصير السند غريبه؛ ثم ينطف آخره على سواحل بلاد كرمان من شماليها حتى يعود الى بحر فارس، فيمتد شمالا الى مدينة هرمز وينتهي الى آخر كرمان، فيخرج منه جون يمتد على ساحل كرمان من شماليها، ثم يرجع من آخره على ساحل بلاد فارس من جنوبيها حتى يتصل ببحر فارس

ويمتد شمالاً ثم يعطف غرباً الى حصن ابن عمارة من بلاد فارس وقيل من كرمان؛ ثم يمتد مغرباً في جبال متقطعة ومفاوز الى مدينة سيراف؛ ويمتد كذلك الى سيف البحر، من سواحل فارس؛ ثم يمتد الى جنبه من بلاد فارس؛ ثم الى شينيز منها وقيل من الأهواز؛ ثم يمتد الى مدينة بهروان من سواحل خوزستان، وقيل من فارس؛ وهي فرضة أرتجان وما والاها؛ ثم يمتد غرباً بميلة يسيرة نحو الشمال الى مدينة عبادان، من أواخر بلاد العراق من الشرق على القرب من البصرة عند مصب دجلة في هذا البحر؛ ثم يعطف ويمتد جنوباً الى كاظمة وهي جون على سواحل البحرين على مسيرة يومين من البصرة؛ ثم يمتد الى القطيف من البحرين؛ ثم يمتد كذلك الى مدينة عمان فرضة البحرين، وإليها تنتهي من أكب السند والهند والزنج؛ ثم يمر حتى يتصل ببلاد الشحر من اليمن، وإليها ينسب العنبر الشحري؛ ثم يمتد على سواحل مهرة من شرقي بلاد اليمن حتى ينتهي الى مبدئه من بحر الهند . قال ابن الأثير في عجائب المخلوقات : وطول هذا البحر اربعمائة فرسخ وأربعون فرسخاً وعمقه ثمانون باعاً . وبهذا البحر عدة جزائر . وفيه مفاصات اللؤلؤ الجيد ، ومنها يصير الى البحرين فيجلب الى الحجاز وغيره

ويخرج من بحر الهند أيضاً من جنوبيه الخليج البربري، وهو بحر ينبعث منه في جنوبي جبل المنذب المقدم ذكره، ويمتد في جنوبي بلاد الحبشة، ويأخذ غرباً حتى ينتهي الى مدينة بربرا وهي قاعدة الزغاوة من السودان، وإليها ينسب هذا البحر . قال في تقويم البلدان : وطونه من المشرق الى المغرب نحو خمسمائة ميل . قال الأدريسي : وموجه كالجبال الشواحق ولكنه لا يتكسر . قال : وإنما يركب فيه الى مدينة قنبلو ويقال قنبلة . قال الأدريسي وأهلها مسلمون

❦ الفصل الثالث ❦

(في الاقاليم السبعة الحقيقية)

قد قسم الحكماء المعمور الى سبعة أقاليم ممتدة من المشرق الى المغرب . وقد اختلفوا في ترتيبها بحسب الغرض ، فقوم جعلوا ابتداء الأول منها خط الاستواء وآخر السابع منتهي العمارة في الشمال ، وهو ست وستون درجة من خط الاستواء . قال في تقويم

البلدان والذي عليه المحققون ان ابتداء الاقليم الأول حيث العرض اثنتا عشرة درجة وثلاثا درجة، وما وراء ذلك الى خط الاستواء خارج عن الاقليم الاول في جهة الجنوب . وآخر الاقليم السابع حيث العرض خمسون درجة وثلاث درجة ، وما وراء ذلك الى نهاية العمران في الشمال خارج عن الاقليم السابع الى الشمال ، فيكون من العمران ما لم يدخل في الاقاليم السبعة . وعليه وقع الترتيب في هذا الكتاب

الاقليم الاول منها سبعة درجات وثلاثا درجة وثمان درجة . الثاني سبعة سبع درجات وثلاث دقائق . الثالث سبعة ست درجات وثمان درجة . الرابع سبعة خمس درج وسبع عشرة دقيقة . الخامس سبعة أربع درجات وربع وثمان وعشر درجة . السادس سبعة ثلاث درجات ونصف وثمان وخمس درجة . السابع سبعة ثلاث درجات وثمان دقائق

﴿ الباب الثاني — من المقالة الثانية ﴾

في مملكة الديار المصرية ومضافاتها وما ينخرط في سلكها من بلاد الثغور والعواصم المعروفة الآن ببلاد الأرمين وأطراف الجزيرة الفراتية مما يضاف للأعمال الحليية وحدودها المنطبقة عليها من سائر جهاتها وفيه فصول

﴿ الفصل الاول ﴾

(في مملكة الديار المصرية)

وهي مصر ، نطق به القرآن الكريم في غير موضع ، ويقال له الديار المصرية . وقد اختلف في سبب تسميتها بمصر فقل سميت باسم مصر بن تقراوس بن براجيل بن رزائيل بن عزاباب بن آدم عليه السلام ، وهو أول من عمرها قبل الطونان . وقال الجاحظ أنها سميت مصر لمصير الناس اليها . قلت ويجوز ان تكون سميت مصر اكونها حدا فاصلا بين بلاد المشرق والمغرب ، اذ المصرب في اللغة اسم للحد . وكيفما كان فهو اسم غير مصروف سواء كان عربيا أو اعجميا لاجتماع العلمية والتأنيث

وموقع الديار المصرية بجملتها في الأقليم الثاني والأقليم الثالث من الأقاليم السبعة . ويذكر في مسالك الابصار ان آخر اثنتي دهروط من البهنسائية جنوبيها الى

آخر حدها من الجنوب من الأقليم الثاني، وما هو عن شمالها الى آخر حدها من الشمال
من الاقليم الثالث

وقد اختلف للصنفون في المسالك والممالك في تحديدها . فالجمهور على أن حدها
الشمالى وهو المبرعنه عند أهل الديار المصرية بالبحرى يتدى ما بين الزعقة ورفح
عند حدها من الشام حيث الشجرتين . قال في التعريف: وإنما هو موضع الشجرة التي تعلق فيها
العوام الخرق وتقول هذه مفاتيح الرمل، حيث الكشب المجنبة عن البحر الشامى قريب الزعقة،
قال، فأما الاشجار المعروفة الآن بالخروبة وهي المعروفة قديما بالمش فأنها وان عظمت
محدثة من زمان من حدود الاقليم، وليست في موضع ما ذكره؛ ثم يمتد هذا الحد على
البحر الرومى . غربا الى رفح، ثم الى العريش أخذاً على الجفار الى الفرما . الى الطينة، الى
دمياط، الى ساحل رشيد، الى الاسكندرية، وهي آخر العماره بهذا الحد، ثم الى الليثونة،
الى العميدين، الى برقة، الى العقبة الفاصلة بين الديار المصرية وافريقية . وحدها
الغربى يتدى من ساحل البحر الرومى حيث العقبة المذكورة ويمتد جنوباً وأرض
افريقية غربيه على ظاهر الفيوم والواحات من الديار المصرية من غربها حتى يقع على
حدود النوبة على ثمان مراحل من اسوان، ووقع في التعريف في حدود النوبة صحراء
الحبشة . وحدها الجنوبي وهو الذى يبرعنه أهل الديار المصرية بالقبلى يتدى من
آخر هذا الحد من حدود النوبة ويمتد شرقاً حتى ينتهى لبحر القلزم . وحدها الشرقى
يتدى من آخر هذا الحد ويمتد شمالاً وبحر القلزم شرقه الى عيذاب، الى القصير،
الى مدينة القلزم، الى السويس، ثم يأخذ شرقاً عن بركة الغرندل التي أغرق فيها
فرعون من بحر القلزم الى تيه نبي اسرائيل، ثم يعطف شمالاً ويمر على أطراف الشام
حتى ينحط على ما بين الزعقة ورفح بساحل البحر الرومى حيث وقع الابتداء . وعلى
هذا النحو جرى السلطان عماد الدين صاحب حماة في تقويم البلدان وخالفه القضاء
في خطه في بعض ذلك، فجعل ابتداء الحد الشمالى من العريش، وليس فيه بعد عن
رفح؛ وجعل الحد الجنوبي يقطع بحر القلزم وينتهى الى ساحل الحجاز بالحوراء أحد
منازل طريق حجاج . مصر . والحد الشرقى يمتد على ساحل البحر الشرقى الى مدين،
الى آيلة، الى تيه نبي اسرائيل، الى العريش . فأدخل بحر القلزم من هذا الحور الى

تهايته الشمالية وما على ساحله من بر الحجاز مما يسامت العريش كأبلة ونحوها في حدود الديار المصرية

﴿ النيل ﴾

وبها النيل وهو النهر العظيم الذي لا نظيره في الوجود . وقد ذكر بطليموس انه ينحدر من جبل القمر، اما بفتح القاف والميم على ماهو المشهور، وإما بضم القاف وسكون الميم على ما ضبطه ابن سعيد، ويسير الى جهة الشمال حتى يصب في بحيرة مدورة عند خط الاستواء تسمى بحيرة « كورى » ويخرج منها شمالا ويمر على زغاوة من بلاد السودان، ويمتد حتى يأتي على النوبة ويجاوز مدبتها دقلة؛ ثم يمر حتى ينحدر من الجنادل ويمتد شمالا حتى يجاوز أسوان، ويمضى حتى يمر على الفسطاط من غربه و يتجاوزها الى قرية على شاطئة تسمى شطنوف، فيفترق منها شطرين، ويمر الغربي منهما الى بليدة تسمى رشيدا ويصب في البحر الرومى؛ ويمر الشرقي منهما حتى يفترق بفرقتين عند قرية تسمى المنصورة ويمر الغربي منهما الى مدينة دمياط عن غربها ويصب في بحر الروم أيضا، ويمر الشرقي منهما الى اشموم طناح ويصب في بحيرة هناك شرقي دمياط تسمى بحيرة تنيس، وبحيرة دمياط المتصلة بالبحر؛ وتصير دمياط بين هاتين القريتين

﴿ جبال مصر ﴾

ويكتنف الديار المصرية جبالان من شرقيها وغربيها :

﴿ فأما الشرقي منهما ﴾ فيمتد بين النيل وبحر القلزم حتى يجاوز الفسطاط وينعطف وبأخذ مشرقا حتى يأتي على آخر بحر القلزم من الشمال يرتفع في موضع وينخفض في آخر . وفي أوائل هذا الجبل من جهة الجنوب على القرب من مدينة قوص معدن الزمرد الذي ليس في الدنيا الا فيه . وعلى القرب منه مقطع الرخام الملون من السماقي، والزرزورى، والذبابى، والابيض وغيرها من الالوان التي لا تساوى قيمة ولا تسامى حسنا . وتسمى القلعة المطلة منه على الفسطاط « الجبل المقطم » وتسمى القلعة المطلة منه على القاهرة « الجبل الاحمر »، ويقال لها « اليحايم » . وفي شرقيه على بحر القلزم طور سيناء الذى كلف الله موسى عليه وهو جبل مرتفع للغاية داخل في البحر

﴿ وأما الغربي منها ﴾ فيتدى من الجنادل أيضا ويمر في الشمال فيما بين بلاد الصعيد والصحراء ، ثم فيما بين بلاد الصعيد والواحات ، ثم فيما بين بلاد الصعيد والفيوم حتى ينتهي الى مقابل الفسطاط مقابل الهرمين العظيمين ، ثم ينعطف وبأخذ غربا بشمال فيما بين بلاد ريف الوجه البحري والبرية حتى يجاوز بركة النظرون ويمضي الى قريب من الاسكندرية ويتصل به من جنوب الواحات جبل اللازورد ، قيل أن به معدن اللازورد

﴿ قواعد مصر ﴾

واعلم أن للديار المصرية قواعد قديمة وحديثة وهي على ثلاثة اضرب:

﴿ الضرب الاول ما قبل الطوفان ﴾ — وهي مدينة أمسوس قال ابراهيم بن وصيف شاه: وهي مدينة بناها تقراوس بن براجيل بن رزائيل بن عزباب بن آدم عليه السلام حين عمر مصر لابتداء أمرها قبل الطوفان . بناها شمالي الاسكندرية وقد غطى البحر الرومي مكانها

﴿ الضرب الثاني — قواعدا بعد الطوفان ﴾ وهي أربع قواعد :

(الاولى — مدينة منف) — قال في تقويم البلدان بكسر الميم وسكون النون وفاء في الآخر . وهي أول مدينة بنيت بمصر بعد الطوفان غربى النيل ، بناها مصر ابن يعر بن حام بن نوح المقدم ذكره . قال فى الروض المعطار : وأصلها بالسريانية « مافه » ومعناها ثلاثون . وذلك أنه حين بناها كان فى ثلاثين رجلا من قومه فسماها بعددهم . قال ابن الانبارى : وهي على اثني عشر ميلا من الفسطاط ، يعنى من جنوبيه . وقال فى تقويم البلدان : ولما فتح عمرو بن العاص مصر خربها وبنى الفسطاط من البر الشرقى بأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه . وبها آثار قديمة من الصخور المنحوتة المصورة ، وبها اصنام كبار طول كل صنم منها نحو عشرين ذراعا . وقد ذكر القضاعى فى خططه ان قبر مصر ، بانها ، فيما يقابلها بالجبل الغربى على القرب من الهرم المدرج . قلت : ووهم المقر الشهابى فضل الله فى كتابه « التعريف » فجعل منف هذه هي مدينة منوف التى بالوجه البحرى الآتى ذكرها ، وانه كان بها فرعون موسى

(الثانية ، مدينة الاسكندرية) - وهي مدينة عظيمة على ساحل بحر الروم ، بناها الاسكندر بن فيلبس اليونانى حين ملك مصر ، وكان بها منارة عظيمة ، قال فى تقويم البلدان : طولها مائة وثمانون ذراعا ؛ وذكر المسعودى أن طولها اربعمائة ذراع . وكان بالمنارة مرآة من الحديد الصينى يرى فيها المراكب على بعد ، فاحتال النصارى فى أول الاسلام حتى كسروها ، وقد هدم الآن جميعها . وبها عمود السوارى قائم الى الآن ، طوله نحو ثلاثة وأربعين ذراعا

(الثالثة ، مدينة عين شمس) - وهي خراب شمالى المطرية بها آثار عظيمة . قال المؤيد صاحب حماة : ويقال انها كانت مدينة لفرعون . وذكر ابن وصيف شاه ان الريان ، فرعون يوسف عليه السلام ، نزلها ؛ وان الملوك قبله كانت تنزل بمنف . وفيها وجد أحمد بن طولون الكنز الذى بنى به جامعه المعروف به بين مصر والقاهرة

(الرابعة قصر الشمع) الذى هو داخل الفسطاط ، بناه جوس الفارسى أحد نواب الفرس بالدبار المصرية بعد غلبة بخت نصر عليها ، قال القضاغى ، ولم يكمله وانما أكمله الروم بعد ذلك . وكان يسمى قصر الشمع لأبقاد الشمع فيه تعظيما لشأن البار على معتقد الفرس من دين المجوسية . قلت : ويقال ان الفتح الاسلامى وقع والمقوقس مقيم بالاسكندرية اربعة اشهر من السنة ، وبقصر الشمع اربعة أشهر ، وبمنف اربعة أشهر

﴿ الضرب الثالث قواعدا فى الاسلام ﴾ - وهي اربعة قواعد :

(القاعدة الاولى الفسطاط) بضم الفاء وسكون الدين وفتح الطاء المهملة وألف وطاء ثانية . وهي مدينة على ضفة النيل حول قصر الشمع المقدم ذكره . بناها عمرو ابن العاص عند الفتح واختلف فى سبب تسميتها بذلك ، فقال ابن قتيبه : ان كل مدينة تسمى فسطاطا ، ولذلك سميت مصر الفسطاط . وقال الزمخشري : الفسطاط اسم لضرب من الابنية فى القدر دون السرادق . والذى عليه الجمهور انها سميت بذلك لمكان فسطاط عمرو بن العاص من حيث انها اختطت حول فسطاطه ، وهي خيمته الى كانت مضروبة له ، واسمها القديم « أليون » قال ابن الأثير ، بفتح الهمزة وسكون اللام وضم الياء المثناة تحت وسكون الواو ونون فى الآخر . قال القضاغى وهو اسمها بلغة الروم والسودان . وموقعها فى الأقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قلت : ومن نظر الى

خطط الكندي والقضاعي والشريف وابن المتوج علم ما كان عليه الفسطاط من العمارة .
ولقد ذكر ابن المتوج عن بعضهم أنه عد الاسطال النحاس المؤبدة في البكر والرابع
لاستقاء الماء في الطاقات المطلة على النيل في وقت فكانت ستة عشر ألف سطل ،
والكلام في أمره يطول

واعلم ان عمرو بن العاص لا بتداء الامر نزل بداره على القرب من الجامع العتيق ؛
ولم ينزل كل أمير ينزل بداره التي يسكنها الى ان ولى عبد العزيز بن مروان مصر في
خلافة أخيه عبد الملك بن مروان ، فبنى دارا عظيمة للأمانة وزخرفها ونمقها ونزل بها
بنوه من بعده الى ان صار الامر الى مروان بن محمد آخر خلفائهم وهرب من بني
العباس الى مصر فنزل بها ؛ فلما أرهقه القوم أحرقها . فلما صارت الخلافة الى بني
العباس وولى اماره مصر على بن صالح بن علي الهاشمي في خلافة السفاح أول خلفائهم
ابتنى بها داراً للأمانة ونزلها، وصارت منزلاً للامراء بعده الى أن ولى أحمد بن طولون
فتحول عن الفسطاط على ماسياتى ذكره

(القاعدة الثانية منازل ابن طولون) على القرب من جامع ، وذلك ان احمد بن
طولون لما ولى مصر بنى قصرا بين المشهد النفيسي ومكان قلعة الجبل الآن ونزله في
سنة ٢٥٦ وكانت له عدة أبواب بعضها عند المشهد النفيسي وبعضها عند جامع ، بعد
ان نزل بدار على بن صالح بالفسطاط . واقتطع كل أحد قطعة ابتنى بها داراً فكان يقال
قطيعة هارون (بن خمارويه) ، وقطيعة السودان ، وقطيعة الفراشين ، وغير ذلك فعرف المكان
بالقطائع وتزايدت العمارة حتى اتصلت بالفسطاط الى ان خرب ذلك محمد بن سليمان الكاتب
حين قدومه بالعساكر من قبل المستكني بالله في سنة ٢٩٢ . ونزل محمد بن سليمان
المذكور دار بدر الحفني (غلام احمد بن طولون) بالفسطاط واستقرت هذه الدار
منزلة لأمراء مصر بعده الى ان غلب الخلفاء الفاطميون على مصر وابتنوا القاهرة

(القاعدة الثالثة القاهرة) - فاعلة من القهر ، ويقال فيها القاهرة المعزية نسبة
الى المعز الذي بنيت له ، وربما قيل المعزية القاهرة ، سميت بذلك تفاؤلا وهي
المدينة العظمى التي ايس لها نظير في الآفاق ولم يسمع بمثلا في مصر من الامصار .
وبناها جوهر المعزى لمولاه المعز لدين الله أبي تميم معده ، بن المنصور ابي الظاهر اسماعيل

ابن القاسم أبي القاسم ، محمد بن المهدي بالله عيد الله الفاطمي في سنة ٣٥٨ وقيل ٣٥٩ حين وجه الى الديار المصرية من المغرب ففتحها واقتلها من ايدي الاخشيدية . وقد حكى ابن عبد الظاهر ان المعز لما خرج لتشييع قائده جوهر قال للمشايخ الذين معه : والله لو خرج جوهر وحده الى مصر لأخذها وليدخلها بلاروية من غير قتال ، وليبين مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا . وكانت دار الملك بها بقصر اختطه جوهر بوسطها لسبع عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة ٣٥٨ حال نزوله . ومكانه الآن بالمدرسة الصالحية بين القصرين الى رحبة الأيدمرى طولاً ، ومن السبع خُوخ الى رحبة باب العيد عرضاً ؛ وكان له تسعة أبواب بعضها أصلى وبعضها مستحدث قد ذكرناها في الاصل . ولما اختط جوهر القصر اختطت كل طائفة خطة وبنوا بها فعرفت بهم كحارة زويلة وحارة الروم وغيرها ، وقد ذكرت خطتها في الاصل . وكان بها باب زويلة هو القوس الموجود الآن على القرب من المسجد المعروف بسام بن نوح . وكان باب الفتوح هو القوس الموجود الآن على رأس حارة بهاء الدين . وباب النصر يقابله من الجانب الآخر . وكان سور القاهرة من لبن ، وبعضه الى الآن موجود بقرب من سوق الغنم . فلما ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الديار المصرية ابنى السور الحجر الدائر عليها وعلى القلعة . قال في التعريف : وهي اليوم أم الممالك وحاضرة البلاد ، ثم قال ؛ وهي في وقتنا دار الحلافة . ولم يزل منزل خلفاء الفاطميين بقصرهم بالقاهرة الى حين انقراض دولتهم . وكان الوزير ينزل بدار الوزارة التي ابناها بدر الجمالي مكان الحانقاه الركنية يبرس الآن

(القاعدة الرابعة القلعة) المعروفة بقلعة الجبل تحرزا من القلعة التي كانت بالصناعة المعروفة بالروضة . وقاعة الجبل هذه هي الآن مقر السلطان ودار ملكه ، بناها بهاء الدين قراقوش للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . وموقعها بين ظاهر القاهرة والجبل المقطم والفسطاط وما يليه من القرافة متصلة بعارة القاهرة والقرافة . وهي على نشز مرتفع من تقاطيع الجبل المقطم يرتفع في موضع وينخفض في آخر وكان موضعها قبل ذلك مساجد من بناء الفاطميين منها مسجد ردهي الذي هو بين آدر (١)

(١) آدر ، جمع دار على القاب ، ومثله أدور على البدل ، والأصل أدور

حريم السلطان . على أن السلطان صلاح الدين لم يسكنها ، بل لما استقوى على قصر الفاطميين بعد موت العاضد آخر خلفائهم سكن بالقصر ، انتقل اليه من دار الوزارة . ويقال ان ابنه العزيز سكنها في حياة أبيه ثم انتقل الى دار الوزارة . وذكر في مسالك الأبطال انه لما ملك أخوه العادل أبو بكر بعده سكنها . وذكر القاضي محيي الدين عبد الظاهر ان أول من سكنها الكامل محمد بن العادل أبي بكر حين استنابه أبوه على نديار المصرية . ولما سكنها احتفل بأمرها واهتم بالعمارة وعمر بها أبراجا منها البرج الأحمر وغيره وصارت مسكناً للسلطين بعده الى الآن . ولما ملك المنصور قلاوون عمر بها برجا عظيما على باب السر الكبير وبنى عليه مشرفات حسنة في أواخر سنة ٦٨٢ وسكنها في صفر سنة ٦٨٣ فلما ملك الملك الناصر محمد بن قلاوون عمر بها جامع الخطبة والايوان الذي يجلس فيه السلطان ايام المواقب والقصر الذي يجلس فيه في عامة الأيام وبنى الأشرف شعبان بن حسين في جانبه مقعداً بارزاً على الاصطبلات السلطانية جاء في نهاية الحسن والبهجة وكرمت بعمارة هذه الاماكن معانيها واستحقها بكماله على بانيتها . وقد ذكرنا في الأصل من محاسنها أنها وإن كانت على قمة جبل فالماء العذب يحمل اليها من النيل بالسواقي والقنات حتى ينتهي الى الآدر السلطانية . . . إذا علم ذلك فلنديار المصرية وجهان :

الوجه الاول القبلي

وهو المبرعنه بالصعيد لصعوده من أسافل الارض الى أعاليها . قال في التعريف : وهو أجل الوجهين قدرا وأطولها مدى وأكبرهما حدا ، ثم قال ، وهو صعيدان : صعيد أعلى ، وصعيد أدنى . فالأدنى كل ما سفلى من الأشمونين الى القاهرة ، والأعلى كل ما علا الأشمونين الى أسوان ؛ وغالب زرعه ورفعه وجلب قوته وحطب ضرعه غربى النيل ، وما يوجد شرقي النيل فهو تابع لا متبوع الا في بلاد قوص فإن جل العمارة ووضع الحرث والزرع عن شرقي النيل . ويشتمل على عشرة أعمال

(العمل الأول - الجيزية) وهو أقربها الى الفسطاط والقاهرة ومقر ولايته مدينة الجيزة وهي مدينة لطيفة على ضفة النيل الغربية مقابل الفسطاط . قال في الروض المعطار : اختطها عمرو بن العاص ؛ وكلام الفضاعي يوافقه . ويقال ان بها قبر كعب

الأحبار . وبعض هذا العمل آخذ في الجنوب عن الجزيرة معدود في الوجه القبلي ،
وبعضه آخذ في الشمال عنها معدود في الوجه البحري الا أنه غلب عليها غيره
﴿ العمل الثاني - الأطنيجية ﴾ - وهو شرقي النيل في جنوب القسطنطينية مصاقب
لبركة الحبش وبساتين الوزير . ومقر ولايته مدينة اطفيح ، وربما قلبت الطاء فيه تاء
فقليل اطفيح ؛ وهي مدينة لطيفة في البر الشرقي وعملها ما بين المقطم والنيل آخذا عن
اطفيح جنوبا وشمالا

﴿ العمل الثالث - البهنساوية ﴾ - وهو مما يلي عمل الجزيرة من الجهة الجنوبية ؛
ومقر ولايته مدينة البهنسا ، وهي مدينة قديمة بالصعيد الأدنى بالبر الغربي من النيل
تحت الجبل الغربي بطوق المزدرع مركبة على ضفة بحر الفيوم

﴿ العمل الرابع - عمل الاشمونين ﴾ - وهو مصاقب لعمل البهنساوية من جنوبيه
وهو عمل واسع كثير الزرع واسع الفضاء . ومقر ولايته مدينة الاشمونين ، وهي مدينة
لطيفة بالبر الغربي من النيل بنيت عوض المدينة القديمة المسماة بالاشموين المقدم
ذ كرها في قواعد الديار المصرية القديمة . ويدخل في هذا العمل عمل « طحا » منضمًا اليه
﴿ العمل الخامس - المنفلوطية ﴾ - وهو مصاقب لعمل الاشمونين من جنوبيه ،
وهو من أخص خاص السلطان الجارى في ديوان وزارته . ومقر ولايته مدينة منفلوط ،
وهي مدينة لطيفة في البر الغربي عن النيل بالقرب من شطه

﴿ العمل السادس - الاسيوطية ﴾ - وهو مصاقب لعمل منفلوط من جنوبيه ،
وهو عمل جليل . ومقر ولايته مدينة أسيوط ، قال السمعاني ، بضم الالف وسكون
السين ؛ وهذا هو الجارى على الألسنة . والذي في دواوين الديار المصرية : سيوط ،
بضم السين من غير ألف في أولها ؛ وعليه جرى ابن الساعاتي في شعره فقال

لله يوم في سيوط وليلة عمر الزمان يمثلها لا يغلط

وهي مدينة حسنة رائقة المنظر ذات أسواق وحمامات بالبر الغربي من النيل
﴿ العمل السابع - الاخميمية ﴾ - وهو مصاقب لعمل اسيوط من جنوبيه ،
وهو عمل ليس بالكبير ؛ وبلاده أكثرها بالبر الغربي عن النيل . وقاعدته مدينة اخميم ،
وهي مدينة لطيفة بالبر الشرقي عن النيل على مرحلتين من اسيوط وبها كانت البرابي

العظام المضروب بها المثل في اقطار الارض . وليس لها ولاية الآن بل واليها مضاف الى قوص

﴿ العمل الثامن - القوصية ﴾ - وهو مصاقب لعمل اخميم من جنوبيه؛ وهو عمل متسع في البر الشرقي والغربي . وهو بلاد التمر، ومنها يجلب الى سائر بلاد الديار المصرية . وقاعدته مدينة قوص ، وهي مدينة جليلة في البر الشرقي عن النيل ذات ديار فائقة ورباع انيقة ومدارس وأربطة وحمامات ، يسكنها العلماء والتجار وذوو الاموال، وبها البساتين والحدائق ، الا انها شديدة الحر كثيرة العقارب و« سوام أبرص » . ومن أحسن بلادها بالبر الغربي : غرب قولا ، واسنا ، وأرمنت ، وأدفو . قال في التعريف: ووالى قوص أعظم ولاية مصر وأجلهم^١ (ووالى اسوان من قبله) . قلت: وقد آل أمرها الى ان صار لها وال مستقل بنفسه دون والى قوص وربما جعل بها كاشف . ويقابل اسوان من عمل قوص في الشرق عنها عيذاب ، بفتح العين المهملة والذال المعجمة . قال في التعريف : وهي قرية حاضرة البحر ؛ وكان لها وال من قبل والى قوص أيضا لا يزال مقيما فيها من لدن زمن الفاطميين وإلى حين انقطاع ورود التجار من البحر اليها . قال في تقويم البلدان : والأشبه انها داخلة في حدود مصر لوقوع الولاية عليها منها و بعضهم يجعلها من بلاد التجار وبعضهم من بلاد الحبشة

﴿ العمل التاسع - الفيوم ﴾ - وهو مصاقب لجنوبي الجيزة وشمالى البهنساوية من الغرب، وبينه وبينها منقطع رمل نحو مرحلة . ومقر ولايته الفيوم . قال في الزيزى : وبين الفسطاط وبينها ٢٨ ميلا . والفيوم من أعظم أعمال الديار المصرية وأحسنها ، كثير العارة والبساتين ، غزير الفواكه، وله نهر ينبع من عيون فيه يجرى صيفا وشتاء يسقى مزارعه وبساتينه مقسما عليها بقصبات معلومة . ويدخل اليه ماء النيل من مدة من فوهته على القرب من ذروة سرنام بالأشموذين ويصب في بركة عظيمة شمالى الفيوم ويقال انه (الفيوم) كان متصل مياه الديار المصرية فاستخرجه يوسف عليه السلام وجعل فيه ٢٦٠ قرية لتسير كل قرية منها بلد مصر عند المحل يوما من السنة

﴿ العمل العاشر - ألواح ﴾ - قال في اللباب: بفتح الهمزة وسكون اللام ؛ وقال في المشترك . واح ، بغير أنف ولام ؛ ويجمع على واحات . وهو مصاقب لجنوبي البهنساوية

والمنفلوطية والسيوطية ، وبينه وبينها الجبل الغربي عن النيل ومسيرته ثلاثة مراحل فما دونها يزيد في موضع وينقص في آخر . قال في مسالك الابصار : وهي بين مصر والاسكندرية والصعيد والنوبة والحبشة . قال في تقويم البلدان : والبرارى محيطة بها من جميع جهاتها وهي بينها كالجزيرة بين رمال ومفاوز . قال البكرى : وهي اقليم مستقل غير مفتقر الى ماسواه . قال في الروض المعطار : وهي آخر بلاد الاسلام ، وبينها وبين بلاد النوبة ست مراحل ، قال ، وفي هذه الارض أرجية وعيون حامضة الطعوم ، ولكل نوع منها منفعة وخاصة . وبها العيون الجارية والبساتين والثمار . قال في المشترك ، وهي ثلاث كور : واح الاولى ، وواح الوسطى ، وواح القصوى . والاولى ما يقابل البهنساوية ، ويعبر عنها بالواح الخاص ؛ والوسطى تقابل شمالي السيوطية ، وتعرف بالواح الداخلة ، وبهامدن مشهورة منها المسلمون ، والهنداد ، والقلمون ، والقصير ؛ والقصوى تلو الواح الوسطى ، وتعرف بالخارجة . قال في التعريف : وهي جارية في اقطاع امراء مصر وهم يولون عليها من قبلهم . ومغلبها كأنه مصالحة لعدم التمكن من استغلاله اسوة بقية ديار مصر لوقوعه منقطعا في البلاد النائية والقفار النازحة . قال في مسالك الابصار : ولا تعد في الولايات ولا الاعمال ولا يحكم عليها من قبل السلطان

الوجه الثانى البحرى

سمى « الوجه البحرى » اخذا من تسميتهم الريح التي تهب من الشمال : البحرية . وهو كل ، اسفل عن القاهرة الى البحر الرومى . وهو أرطب الوجهين وأقلها حرا وأكثرها فاكهة . ويشتمل على تسعة أعمال :

﴿ العمل الاول - الضواحي ﴾ - جمع ضاحية ، وهي في أصل اللغة البارزة للشمس ، كأنها سميت بذلك لبروز قراها للشمس ؛ وهي ما يجاور القاهرة من جهة الشمال من القرى . وولايتها مضافة الى ولاية القاهرة داخلية في حكمها ، فليس لها مقر ولاية تخصها

﴿ العمل الثانى - القليوبية ﴾ - وهو عمل جليل حسن القرى كثير البساتين غزير الفواكه . ومقر الولاية به مدينة قليوب ، وهي من القاهرة على دون نصف مرحلة .

لمت : ومن بلاده بلدتنا قلقشندة ، قال ابن خلكان ، بفتح القاف ، وسكون اللام ، وفتح

القاف الثانية والشين المعجمة ، وسكون النون ، وفتح الهمزة ، وهاء في الآخر ؛ وهكذا هي موجودة في دواوين الديار المصرية . ووقع في كلام القضاعي وياقوت بالراء ، بدل اللام ؛ وهو الجارى على الألسنة . قال ابن خلكان : وهي على ثلاثة فراسخ من القاهرة ، واليهما ينسب الليث بن سعد الامام الكبير . قال ابن يونس في تاريخه : انه ولد بها ؛ ثم قال ، وأهل بيته يذكرون ان أصله من فارس ، وليس لما يقولونه ثبات عندنا . وقد ذكر القضاعي في خطبه انه كان له بها دار ، وكان يلي اماره مصر يومئذ ابن عمه عبد الملك ابن رفاعه ، فهدم تلك الدار عناداً له ، فعمرها : فهدمها ؛ فلما كان في الثالثة بينما الليث نائم واذا بها تف يهتف به : « قم يا ليث » وتريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » فأصبح ابن رفاعه وقد أصابه فالج ، فأوصى الى الليث وبقي ثلاثاً ومات

﴿ العمل الثالث - الشرقية ﴾ - وهو مصابق للضواحي من شمالها مما يلي المقطم ، والقليوبية من جهة الشمال وجبة الشرق ؛ وهو من أعظم الاعمال وأوسعها . وآخر العمران فيه من جهة الشمال الصالحية ، وما وراء ذلك منقطع رمال . ومقر ولايته مدينة بليديس ، قال في تقويم البلدان ، بكسر الباء الموحدة . وهي مدينة متوسطة ذات مساجد ومدارس وأسواق ، وعليها مرور أهل الدرب الشامي . وفي آخر هذا العمل من الشرق قطيا ، بألف في الآخر كما قال في التعريف : ومسالك الابصار ، وفي تقويم البلدان ابدال الالف في آخره هاء ؛ وهي قرية بالرمل المعروف بالجفار على طريق الشام على القرب من ساحل البحر الرومي . قال في التعريف : وقد جعلت لأخذ الموجبات وحفظ الطرقات وأمرها مهم ومنها يطالع بكل وارد وصادر

﴿ العمل الرابع - الدقهلية ، والمرتاحية ﴾ - وهو مصابق لعمل الشرقية من شماله وأواخره تنتهي الى السباخ والى بحيرة تينيس المتصلة بالطينة بطريق الشام . ومقر ولايته مدينة أشموم ، بضم الهمزة وميم في الآخر كما ضبطه في تقويم البلدان ونقله عن خط ياقوت : والذي في اللباب ابدال الميم في آخرها نونا ، وهو الجارى على الألسنة ؛ ويقال لها اشموم الرمان . قلت : وفي آخر هذا العمل من الشمال مدينة دمياط ، بكسر الدال الهمزة ، ووقع في الروض المعطار اعجابها . وهي مدينة جليلة عند صب الفرقة الشرقية

من النيل في بحر الروم ذات جوامع وأسواق وحمامات . وكان عليها أسوار من عمارة المتوكل ، أحد خلفاء بني العباس ، فلما سلطت عليها الفرنج وملكها مرة بعد مرة خرب المسلمون أسوارها في سنة ٦٤٨ خوفا من استيلائهم عليها . وهي على ذلك الى الآن . قال في التعريف: وهي أحد الثغور والضالاة المنشودة بعد طول الدهور

﴿ العمل الخامس - المنوفية ﴾ - وأوله من الجنوب الغربية المعروفة بشطنوف على أول الفرقة الغربية من النيل مقابل شرقى الجزيرة . ومقر ولايته مدينة منوف ، وهي مدينة إسلامية بنيت بدلا من مدينة قديمة كانت تسمى بهذا الاسم ، وآثارها باقية الى الآن . وقد تقدم في الكلام على منف من قواعد مصر القديمة ان المقر الشهابي بن فضل الله وهم فيها ، فجعل منوف هذه منف تلك ، وأن فرعون موسى كان بها . ومن مضافاتها عمل جزيرة بنى نصر ، وحاضرتها مدينة أيار ، قال في الروض المعطار ، بفتح الهمزة

﴿ العمل السادس - الغربية ﴾ - وهو مصاقب للمنوفية من جهة الشمال ، ويمتد الى البحر الملح بين مصبى النيل الا ما هو من عمل المزارحيتين على فرقة النيل الغربية من الشرق . ومقر ولايته مدينة المحلة . قال في المشترك : وتعرف بمحلة الدقلا ، بفتح الدال والقاف ؛ وتسمى الآن بالمحلة الكبرى . قلت : وهم المقر الشهابي ابن فضل الله في التعريف فسماها محلة المرحوم ، وانما محلة المرحوم قرية من قراها . وهو عمل عظيم القدر جليل الخطر به البلاد الحسنة والقرى الزاهية والبساتين الرائقة . وفي آخره مما يلي بحر الروم ثغر البرلس

﴿ العمل السابع - البحيرة ﴾ - وهو مصاقب لعمل الجزيرة المتقدم ذكره من شماليه . ومقر ولايته مدينة دمنهور ، وتعرف بدمنهور الوحش ، وهي مدينة متوسطة ذات مساجد ومدارس وأسواق وحمامات ، وهي على نحو رحلة من الاسكندرية بين الشرق والجنوب . ويدخل في هذا العمل خوف رمسيس والكفور الشاسعة . قال في التعريف : وهذه البلاد تشتمل على برمقفر وطوائف من العرب وبها بركة النظرون . قلت : وبآخر هذا العمل من الغرب والشمال مدينة الاسكندرية المقدم ذكرها في القواعد القديمة ومن مضافات هذا العمل عمل المزارحيتين ، وهو ماجاور خليج الاسكندرية من جهة الشمال الى البحر الرومي

وبعضه بالبر الشرقي من الفرقة الغربية من النيل . وقاعدته مدينة فوة ، قال في تقويم البلدان ، بضم الفاء وتشديد الواو . وهي مدينة متوسطة بالبر الشرقي من فرقة النيل الغربية ذات بساتين وأشجار ومنظر رائع

﴿ العمل الثامن - برقة ﴾ - قال في تقويم البلدان ، والفصل بينها وبين افريقية العقبة . وهي أرض متسعة الأرجاء مديدة الفضاء ، وهي من أزكى الاراضي دواباً وأمرها مرعى . قال في مسالك الأبصار : أخبرني بعض من رآها أنها شبيهة بأطراف الشام وجبال، نابلس في منابت أشجارها وكيفية أرضها وماهى عليه ، وأنها لو عمرت وتأهلت بالزراع كانت إقليمًا كبيرًا يقارب نصف الشام ، قال ، وبها الماشية والسائمة الكثيرة من الأبل والغنم والخيل ، ثم قال ، ولها المدن المبنية والقصور العلية والآثار الدالة على ما كانت عليه من الجلالة . قال في الروض المعطار : وبها النخل والزيتون والتوت الكثير وبعض شجر التين ، قال ، وكان بها فواكه وأعشاب فذهبت باستيلاء العرب عليها . قال ابن سعيد : وكان سربرها في القديم مدينة طبرق ؛ وذكر في الروض المعطار أن قاعدتها كانت مدينة انطابلس . قال في مسالك الأبصار : ومن مدنها سوت ، وطليمثا ، ولبدة . قلت : وقد كان في الزمن القديم تولى بها وال وقاض من صاحب الديار المصرية ، كتب له تقليد بذلك . أما الآن فقد استولت عليها العرب وصارت لا يؤخذ منها إلا زكاة الواصل من أغنامهم الى الاسكندرية وما في معناها ﴿ العمل التاسع - ساحل بحر القلزم ﴾ - على ما كان عليه الحال في الزمن القديم .
وبه كورتان :

الاولى ماهو من بر الديار المصرية وهو كورة القلزم والطور . فأما القلزم فهي مدينة قديمة على ساحل بحر القلزم ، وبها عرف البحر المذكور ، وعلى القرب منها اغرق فرعون ببركة الغرندل . وأما الطور فهو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام . قال الأزهري : سعى بطور اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، وعنده فرضة مصر ببحر القلزم المذكور

الثانية ماهو من بر الحجاز وهو كورة أيلة ، وهي مدينة صغيرة من جزيرة العرب بالبر الغربي من بحر القلزم على طريق حجاج مصر ، وهي مدينة اليهود الذين جعل الله

منهم القردة والخنزير ، قال ، وهي في زماننا برج ، وبها وال من مصر وكان بها قلعة في البحر وأبطلت ، ونقل الوالى البرج بالساحل ؛ وكان بها في القديم زرع يسر والآن لا مزروع فيها . قلت : وقد أبطل الوالى منها أيضاً . وقد ذكر القضاعي أن بلاد مصر تمتد بهذا الساحل الى الحوراء

❦ قاعدة (١) ❦

(ترتيب الديار المصرية وحال سلطانها وأمرائها ووظائفها)
اعلم ان أصل ترتيب مملكة الديار المصرية مأخوذ عن ترتيب الخلافة ببغداد وترتيب الخلفاء الفاطميين بمصر ثم ترتيب الدولة الأيوبية . وقد ذكرنا ترتيبها في الاصل . وقد انتقى ملوك الدولة التركية من مجموع ترتيب أولئك أحسنه وأبهجه حتى صارت أحسن الممالك ترتيباً وأبهجها منظراً وأجملها هيئة . ويتعلق الغرض من ذلك (باثنى عشر مقصداً)

❦ المقصد الاول - في رسوم الملك وآلاته ❦

وهي أنواع كثيرة بعضها عام في الملوك أو أكثرهم ، وبعضها خاص بهذه المملكة : أحدها سرير الملك - وهو من رسوم الملك القديم . وأول من اتخذ في الاسلام

(١) هذه القاعدة مترجمة بالقاعدة الرابعة من المقالة الثالثة في ترتيب مملكة الديار المصرية وقد وردت في النسخة الموجودة بدار الكتب الخديوية بعد فراغ القول في المملكة المصرية ومضافاتهما من الشام والحجاز مقسمة الى ثلاثة فصول الاول في ترتيب الديار المصرية ، الثاني في ترتيب الديار الشامية والثالث في ترتيب الديار الحجازية ويظهر ان المؤلف أراد ان يتبع كل ديار بترتيبها الخاص عقب الكلام عليها فأتى بما يختص بمصر من تلك القاعدة في هذا المحل وذكر في ترجمته انه مقسم الى فصول ولم يترجم غير فصل واحد قال انه يشتمل على خمسة مقاصد ولكنه بعد ان استوفى خمسة المقاصد اردفها بسادس وسابع ثم اضطرب فأورد مقاصد أخرى ترجم أولها بالثالث ، ثم السابع ثم الثامن ثم التاسع الى الخ وذلك في النسختين جميعاً ولم يكن هذا الاضطراب ناشئاً عن سقوط شيء من الموضوع ولكن عن « هو في تأصيل الفصول وتفصيل مقاصدها لهذا رأينا ان نجعلها كلها مقاصد ونوالى بين اعدادها بالترتيب فكانت ١٢ مقصداً

معاوية بن ابي سفيان في خلافته حين بدن ، ثم تنافس الخلفاء والملوك فيه ، وكانت أسرة خلفاء بني العباس يبلغ علوها نحو سبعة أذرع ، والذي يجلس عليه السلطان في يوم مهم كقدوم رسول ونحوه من رخام وعلوه ثلاثة أذرع . وهو في سائر الأيام يجلس بهدار المعدل على كرسى من خشب مغشى بالحرير إذا جلس عليه تكاد رجلاه تمسان الأرض ، وفي داخل قصوره يجلس على كرسى صغير من حديد يحمل معه الى حيث يجلس

الثاني المقصورة لصلاة الجمعة - وأول من اتخذها في الاسلام معاوية ، وقيل عثمان . والمقصورة التي يصلى فيها سلطان الديار المصرية مقصورة من حديد مشبك محكم الصنعة يصلى فيها هو ومن معه من أخصاء خاصيته

الثالث - الدعاء للسلطان بعد الخليفة على المنابر في آخر الخطبة الثانية . وأول من دعى له مع الخليفة علي المنبر عضد الدولة ابن بويه في خلافة الطائع

الرابع - نقش اسم السلطان على ما ينسج ويرقم من الكسوة والطرز المتخذة من الحرير أو الذهب . وهو منقول عن خلفاء الدولتين ، بنى أمية وبني العباس حين كانت الخلافة قائمة ، وكذلك خلفاء الفاطميين بمصر

الخامس الغاشية - وهي غاشية سرج من أديم مخروزة بالذهب يخالها الناظر جميعها مصوغة من الذهب تحمل بين يدي السلطان في المواكب انفلة كالميادين والاعياد ونحوها ، يحملها بعض المهارة بين يديه وياقتها يمينا وشمالا

السادس المظلة - ويعبر عنها بالجيز ، بجيم مكسورة بين الجيم والشين المعجمة . وهي قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب . على أعلاها طائر من فضة مطلاة بالذهب ، تحمل على رأسه في العيدين ، وتكون مع راكب فرس ، وحاملها من أكبر الأمراء

السابع الرقبة - وهي رقبة من أطلس أصفر مزركش بالذهب بحيث لا يرى الحرير أصلا ، تجعل على رقبة الفرس في الميادين من تحت أذني الفرس الى نهاية عرفه الثامن الجففة - وهما اثنتان من أوجاقية اسطبل السلطان قربان في السن عليهما

قباوان أصفر ز من حرير مطرزان من زركش ، على رأسيهما قبعان من زركش وتحتها فرسان أسهبان برقتين وعدة نظير مركوب السلطان كأنهما معدان لأن يركبهما يركبان أمامه في أوقات مخصوصة كاركوب في الميادين ونحوه

التمسح الاعلام - وهي راية عظيمة من حرير أصفر مطرزة بالذهب تسمى المعصاة ، وراية ثانية في رأسها خصلة من شعر تسمى الجاليش ، ورايات صفر صفار تسمى السناجق

العاشر الطبلخاناه - وهي طبول متعددة معها أبواق وزمر مختلف الأصوات على ايقاع مخصوص تدق في كل ليلة بالقلمة بعد صلاة المغرب ، وتكون صحبة الطلب في الأسفار والحروب . وهي رسم قديم للملك الحادى عشر الحيام في الأسفار - ولهذا السلطان من ذلك المدد الكبير من القطن الشامى والجوخ المختلف الألوان مما يدهش حسنه العقول . قلت : وللملك آلات أخرى من آلات الملك سوى ما تقدم نذكرها في أماكنها

﴿ المقصد الثانى ﴾

(حواصل السلطان المعبر عنها بالبيوت)

وذلك أنهم يضيفون كل واحد منها الى لفظ « خاناه » ومعنى خاناه البيت . وهي ثمانية بيوت :

الاول ، الشراب خاناه - ومعناه « بيت الشراب » . ويشتمل على الاشربة المعدة لحاص السلطان والمشروب الخاص من السكر والأقسما وغير ذلك . وبها الأوانى النفيسة من الصينى اللازوردى وغيره ، وبها مهتار متسلم لحواصلها يسمى مهتار الشراب خاناه

الثانى ، الطشت خاناه - ومعناه « بيت الطشت » . والطشت هو الذى يغسل فيه الفراش أو اليد وغيرها ؛ وهو آلة من نحاس ، وأصحابها فى اللغة بالسین المهملة فاستعملوها بالسین المعجمة . وبها ملبوس السلطان من الكاوتات والأقبية وسائر الثياب والسيف والخف والسموزه وما يجلس عليه من المقاعد وما يلحق بذلك من الخاد وغيرها . ولها مهتار كبير يسمى مهتار الطشت خاناه

الثالث ، الفراش خاناه - ومعناه « بيت الفراش » ويشتمل على أنواع البسط والحيام . ولها مهتار متسلم لحاصلها يسمى مهتار الفراش خاناه

الرابع ، السلاح خاناه - ومعناها « بيت السلاح » وربما قيل « الزردخاناه » ومعناها « بيت الزدر » لما اشتملت عليه من أنواع الزرد . وتشتمل على أنواع السلاح من السيوف والقسي والنشاب والرماح والدروع والخوذ وغير ذلك . وبها غلمان وفراشون بسبب خدمة القماش واقتاده

الخامس ، الركاب خاناه - ومعناه « بيت الركاب » ويشتمل على عدد الخيل من السروج واللحم والكنائش وعبي المراكيب والعبي الاصطليات وغير ذلك من عدد الخيل . وفيها من نفائس العدد ما يحير العقل و يدهش النظر

السادس ، الحوائج خاناه - ومعناه « بيت الحوائج » وليست على هيئة البيوت المتقدمة مشتملة على حاصل معين ، بل هي جهة تحت يد الوزير منها يصرف اللحم الراتب للمطبخ السلطاني في الدور السلطانية ورواتب الامراء والمماليك السلطانية وأرباب الوظائف من المتعممين وغيرهم . ولها مباشرون منفردون بها

السابع ، المطبخ - وهو الذي تطبخ فيه الاطبخة السلطانية في الغداء والعشاء ؛ للطارئ في الليل والنهار، والاسمطة التي تمتد بالايوان في أيام المواكب . ويحمل اليه اللحم وسائر الاحتياجات، من الحوائج خاناه المقدمة الذ كر

الثامن ، الطبخاناه - ومعناه « بيت الطبل » وتشتمل على الطبول والابواق وتوابعها من الآلات . ولها متسلم من المهارة يسمى مهتار الطبخاناه

﴿ المقصد الثالث ﴾

في ذكر مراتب ارباب السيوف لهذه المملكة على سبيل الاجمال . وهي على ست طبقات :

الأولى ، امراء المتين - وهم مقدمو الالوف ، وعدة مضافات كل منهم مائة فارس . قال في مسالك الابصار : وربما زاد الواحد منهم العشرة والعشرين ، وله التقدمة على ألف فارس ممن دونه من الامراء . وهذه الطبقة هي أعلى مراتب الامراء على تفاوت درجاتهم والذي كان عليه الحال في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون فما حولها ان يكون بالديار المصرية اربعة وعشرون مقدما ، ثم تغير الحال بعد ذلك بالنقص .

الثانية ، أمراء الطبلخاناة - وإمارة كل منهم في الغالب أربعون فارسا ، قال في مسالك الابصار ، وقد يزيد بعضهم على ذلك الى سبعين فارسا ، بل قد ذكر في التعريف في أواخر المكاتبات أن يكون للواحد منهم ثمانون فارسا . قال في مسالك الابصار : ولا تكون الطبلخاناة لأقل من أربعين . وهذه الطبقة أيضا لاضابط اعدة أمراءها ، بل تزيد وتنقص

الثالثة ، أمراء العشرات - وإمارة كل منهم عشرة فرسان ، قال في مسالك الابصار ، وربما كان فيهم من نه عشرون فارسا ولا يعد الا في امراء العشرات . وهذه الطبقة أيضا لاضابط لعدة امراءها ، بل تزيد وتنقص

الرابعة ، امراء الخمسات - وهي أقل من القليل خصوصا بالديار المصرية . وأكثر ما يقع ذلك في أولاد المندرجين بالوفاء رعاية لسلفهم وهم في الحقيقة كأكابر الاجناد الخامسة ، الممالك السلطانية - وهم أعظم الاجناد شأنا وأرفعهم قدرا وأشدهم الى السلطان قربا وأوفرهم اقطاعا ؛ ومنهم توأم الامراء رتبة بعد رتبة

السادسة ، أجناد الحلقة - وهم عدد جم وخلق كثير وربما دخل فيهم من ليس بصفة الجند من المتعمدين وغيرهم . قال في مسالك الابصار : ولكل أربعين نفسا منهم مقدم منهم فليس له عليهم الا اذا خرجت المسكر كانت موافقهم معه وترتيبهم في موافقهم اليه . قلت : ومن الاجناد طائفة أخرى يقال لهم البحرية يبيتون بالقلعة وحول دهايز السلطان في السفر كالحرس . وأول من رتبهم وسامهم هذا الاسم السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب

﴿ المقصد الرابع ﴾

في أرباب الوظائف من الامراء وهم خمسة وعشرون أميرا

الأول ، النائب الكافل - وهو النائب بحضرة السلطان . قال في التعريف : وهو يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان ، ويعلم في التقاليد والتواقيع والمناشير وغير ذلك مما هو من هذا النوع على كل ما يعلم عليه السلطان ، وسائر التواب لا يعلم الواحد منهم الا على ما يتعلق بنيابته ، قال ، وهذه رتبة لا يخفى ما فيها من التمييز . قال في مسالك

لابصار: وجميع نواب الممالك تكاتبه فيما يكاتب فيه السلطان، ويعين بعض ارباب الوظائف الجليلة كالوزارة وكتابة السروق، ان لا يجاب فيمن يعينه، قال، وهو سلطان مختصر، بل هو السلطان . قلت : وهذه النيابة كانت تبطل تارة وتستمر أخرى ولها الآن عدة طويلة من اندولة الظاهرية برقوق والى الآن معطلة . قال فى التعريف : أما نائب الغيبة وهو الذى يترك اذا غاب السلطان والنائب الكافل فليس الا لآخاد الثوائر وخلص الحقوق، وحكه فى رسم الكتابة اليه رسم مثله من الامراء الثانى ، الاتابك - وأصله باللغة التركية أطابك ، ومعناه « أمير أب » ، والمراد « أبو الامراء » وهو أكبر الامراء المقدمين بعد النائب الكافل بل لا يكون غالبا الا مع عدم الكافل . قال المؤيد صاحب حماة فى تاريخه : وأول من لقب بذلك وزير ملك شاه بن ألب أرسلان السلجوقى حين فوض اليه تدير المملكة سنة ٤٦٥ هـ فلقب بألقاب منها هذا

الثالث ، رأس نوبة - وهو الحاكم على الممالك السلطانية . وقد جرت العادة ان يكونوا اربعة امراء : واحد مقدم الف ، وثلاثة طبلخاناه الرابع - أمير مجلس - وهو من جملة امراء الالوف ومن يتحدث على الأطباء والكحالين ومن فى مناهم ولا يكون الا واحدا فقط الخامس ، أمير سلاح - وهو الذى يحمل سلاح السلطان فى المجامع الجامعة ، ولا يكون الا واحدا من مقدمي الالوف ؛ وهو الحاكم على «السلاح دارية» من الممالك السلطانية ، والمتحدث فى السلاح خاناه

السادس ، امير اخور - وهو المتحدث على الاصطبلات السلطانية وما فيها من الخيل والبغال والجمال . وعادته ان يكون مقدم ألف ويكون ساكنا باصطبل السلطان ، ودونه ثلاثة من امراء الطبلخاناه ، ويتبعهم جماعة من امراء العشرات والأجناد السابع ، الدوادار - قال فى مسالك الابصار : وهو الذى يباغ الرسائل وعامة الأمور عن السلطان ، ويقدم القصص اليه ، ويشاوره على من يحضر الى الباب الشريف ، وعليه تقديم البريد هو أمين جاندار وكاتب السر ، يأخذ الخط على عامة المناشير والتواقيع والكتب ، ويحمل الرسالة عن السلطان مما يكتب . وقد كانت هذه الوظيفة فى الدولة

الناصرية محمد بن قلاوون بها جماعة ليس فيهم مقدم ألف بل طبلخاناه عشرات وأجناد
ونقى الأمر على ذلك الى الدولة الناصرية حسن، فاستقر فيها طغيتهم النجمي مقدم ألف،
ثم صار المغالب أن يكون أكثرهم مقدم ألف وربما كان طبلخاناه

الثامن، الحاجب - وهو من أركان الملك القديمة من الدولة الايوبية فما بعدها.
قال في مسالك الابصار: وهو ينصف بين الامراء والجنود تارة بنفسه وتارة بمراجعة
السلطان وتارة بمراجعة النائب، واليه تقديم من يعرض ومن برد، وعرض الجنود
وما ناسب ذلك، ثم الذي جرت عليه العادة خمس حجاب. وربما نقص الحال عن
ذلك وربما زاد. قال في مسالك الابصار: وعند فقد النائب يكون هو المشار اليه
من الباب الشريف والقائم مقام النائب في كثير من الامور

التاسع، امير جاندار - وهو الذي يستأذن على دخول الامراء للخدمة ويدخل
أمامهم الى الايوان، ويقدم البريد مع الدوادار وكاتب السر. وهو كالمستلم الباب، وله
به البرد دارية والطوائف الركابية والخازندارية، واذا أراد السلطان تعزيز أحد
أو قتله كان على يده، وهو المتسلم الزردخاناه التي هي أرفع قدر في الاعتقالات من السجن
المطلق، وهو الذي يطوف بالزفة حول السلطان في سفره صباحا ومساء. وقد جرت
العادة ان يكون فيها أميران: مقدم الف وطبلخاناه

العاشر، استادار (استاذ دار) - قال في مسالك الابصار: وهو المتحدث في بيوت
السلطان كما من المطبخ والشراب خاناه، والحاشية والغلمان، وهو الذي يمشى بطلب السلطان
ويحكم في غلمانه وباب داره. وله حديث مطلق وتصرف تام في استدعاء ما يحتاجه
كل من في بيت السلطان من النفقات والكساوى ونحوها للمالك وغيرهم. وقد جرت
العادة ان يكونوا أربعة: واحد مقدم ألف، وثلاثة طبلخاناه. وربما نقصوا عن ذلك

الحادى عشر، الجاشنكير - وهو المتحدث في أمر السماط مع الاستادار

والعادة ان يكون مقدم الف، ودونه من هو دون ذلك من امراء وأجناد
الثاني عشر، الخازندار - وهو المتحدث في خزائن الاموال السلطانية من نقد
وقماش وغير ذلك. وكانت عاداتها طبلخاناه، ثم استقرت لمقدم ألف

الثالث عشر، شاد الشرابخاناه - وهو المتحدث في أمور الشراب خاناه السلطانية

وما عمل اليها من السكر والفواكه والحلوى وغير ذلك مما يشتمل عليه . وهو تارة يكون مقدم الف ، وتارة طبلخاناه

الرابع عشر ، استادار الصحبة - وهو المتحدث في المطبخ السلطاني ، وله الاشراف على ما يطبخ فيه من الاطعمة مع المشي أمام الطعام الى حين يمد السماط والوقوف بذيل السماط مع مقدم المالك . والعادة ان يكون أمير عشرة

الخامس عشر مقدم المالك - وهو المتحدث على المالك السلطانية والحكم فيهم والعادة ان يكون طبلخاناه وله نائب أمير عشرة

السادس عشر ، زمام الدور السلطانية - ولا يكون إلا من أكبر الخدام وعادته ان يكون أمير طبلخاناه . وله نائب أمير عشرة

السابع عشر ، تقيب الجيوش - قال في مسالك الأ بصار : وهو الذي يحل الجند في عرضهم ومعه يمشى النقباء واذا طلب السلطان أو النائب أو الحاجب أميراً أو غيره أحضره ، وهو كأحد الحجاب الصغار ، وله التظليل في الخزانة في التوكيب والسفر

الثامن عشر ، المهمندار - وهي الذي يتلقى الرسل الواردين وأمرأء العربان وغيرهم ممن يرد على الابواب السلطانية من أهل المملكة وغيرها

التاسع عشر ، شاد الدواوين - وهو رفيق الوزير في استخلاص الاموال وما في معنى ذلك ، وعادته أمير عشرة

العشرون ، أمير طبر - وهو الذي يحمل الطبر في المواكب هو وجماعته حول السلطان . وعادته إمرة عشرة

الحادى والعشرون ، أمير علم - وهو المتحدث على الطبلخاناه السلطانية وأهلها متصرفاً في أمرها . وعادته إمرة عشرة

الثانى والعشرون ، أمير شكار - وهو المتحدث في الجوارح السلطانية من الطيور وغيرها والصيد السلطانية . وعادته إمرة عشرة

الثالث والعشرون ، حارس الطير - وهو المتحدث على حراسة الطير الذي هو بصدد أن يصيده السلطان من الكراكي وغيرها في الاماكن التي ينزل بها الطير من المزارع وغيرها وعادته إمرة عشرة

الرابع والعشرون ، شادّ العماثر - وهو المتحدث في العماثر السلطانية مما يختار السلطان احداثه أو تجديده من القصور والمنازل والاسوار وغيرها . وعادته امرة عشرة الخامس والعشرون ، الوالى - وهو المعبر عنه في الدول القديمة بصاحب الشرطة والمستقر بالحضرة واليان : احدها والى القاهرة وضواحيها ويتحدث في السرقات وغيرها وعادته امرة طبلخانة * الثاني والى مصر ، وهو يحكم فى مصر وقد أضيف إليها الآن القرافة . وعادته امرة عشرة . قلت : ووراء ذلك واليان آخرا انهما لا يتحدثان في دم ولا سرقة : احدهما والى القلعة وهو الذى يتحدث على باب القلعة الكبير الذى منه طلوع عامة العسكر ونزولهم فى الفتح والغلق ونحو ذلك ، وعادته امرة طبلخانة * والثاني والى باب القلعة وله يتحدث على الباب المذكور وأهله كما لوالى القلعة يتحدث على الباب الكبير وعادته امرة عشرة

* (المقصد الخامس) *

(فى الوظائف الدينية وهي عشرة وظائف)

الاولى قضاء القضاة - وموضوعها أن صاحبها يتحدث فى الاحكام الشرعية والفصل بين الخصوم ونصب النواب فيما يعسر عليه استيعابه بالنظر . وهي أرفع الوظائف الدينية واعلاها قدرا . واعلم ان الديار المصرية فيما تقدم من الزمان من حين الفتح الاسلامي والى أثناء الدولة الظاهرية يبرس كانت قاصرة على قاض واحد من أى مذهب كان من المذاهب الاربعة . ثم استقر الحال فى الدولة الظاهرية يبرس على ان يكونوا اربعة قضاة من كل مذهب قاض ويكون لكل من الاربعة يتحدث فيما يقتضيه مذهبه بالقاهرة والفسطاط ونصب النواب بالوجهين القبلى والبحرى . ثم استقر فى الدولة المنصورية قلاوون على ان قاضي القضاة الشافعي يستقل بتولية النواب بالوجهين القبلى والبحرى دون غيره من قضاة سائر المذاهب

الثانية قضاء العسكر - وموضوعها أن صاحبها يحضر دار العدل ويسافر مع السلطان

اذا سافر . وبها ثلاثة نفر : شافعي ، وحنفي ، وهالكى : وليس للحنايبة معهم حظ الثالثة افتاء دار العدل - وموضوعها على نحو ما تقدم فى قضاء العسكر . وبها اربعة ،

من كل مذهب واحد

الرابعة ، وكالة بيت المال — وموضوعها التحدث فيما يتعلق بمبيعات بيت المال ومشترواته من أراض ودور وغير ذلك والمعاقدة على ذلك وما يجرى هذا المجرى .
قال في مسالك الابصار : ولا يابها الا اهل العلم والديانة ، قال ومجلسه بدار العدل تارة يكون دونه المحتسب وتارة فوqe بحسب رفعة قدر كل منهما في نفسه

الخامسة ، الحسبة — وموضوعها التحدث على أرباب المعاش والصنائع والاخذ على يد الخارج عن الصلاح في معيشته وصناعته . وبالخضرة محتسبان : أحدهما بالقاهرة وهو أعظمهما قدرا وله التصرف بالحكم والتولية بالوجه البحري بكامله خلا الاسكندرية فأن لها محتسبا يخصها . والثاني بالفسطاط ورتبته منحطة عن الأول وله التحدث والتولية بالوجه القبلي بكامله . والذي يجلس منها بدار العدل هو محتسب القاهرة فقط السادسة ، نقابة الاشراف — وموضوعها التحدث على ولدعلى بن أبي طالب رضى الله عنه من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفحص عن أنسابهم والتحدث في أوقافهم والأخذ على يد المتعدى منهم ونحو ذلك . وكانت في الزمن المتقدم في الدولة العباسية هذه النقابة تقع على نقابة الطالبين

السابعة ، نظر البيارستان — والمراد به البيارستان المنصوري ، انشاء المنصور قلاوون بخط بين القصرين . وهو من أجل الوظائف لاسيا في الزمن المتقدم . وعادة النظر فيه يكون من أرباب السيوف لأكبر الامراء المقدمين ، ومن المتعممين للوزير ونحوه : ثم انحطت رتبته عن ذلك . . . قلت : أما الوظائف العالية كالخطابات والتداريس ومشيخة شيوخ الخانقاه الناصرية من الخوانق ونحوها فأنها لا تحصى كثرة ، ولكن لا تصدر الولاية عن السلطان فيها الا في القليل

الثامنة ، نظر الاحباس — وكان موضوعها في الاصل التحدث في الأوقاف ، ثم صار موضوعها الآن ، التحدث على رزق تفرد من الاراضى السلطانية للخطابات وإمامة المساجد والبر والصدقة وما في معنى ذلك . وهي تارة يتحدث عليها السلطان وتارة النائب الكافل وتارة الدوادار وتارة غير هؤلاء

التاسعة ، مشيخة الشيوخ — والمراد هنا مشيخة الخانقاه الناصرية بسرياقوس وشيخها

أكبر مشائخ الصوفية والخوانق من حين استحدثت . ثم كانت قبل ذلك تطلق على
 مشيخة الخانقاه الصلاحية المسماة سعيد السعداء
 العاشرة ، نظر الاوقاف - وموضوعها التحدث على أوقاف الحرمين وما في معناها .
 وغالب الاوقات المتحدث فيها قاضي القضاة الشافعية ، وربما فوض التحدث فيها في
 بعض الاحيان الى بعض الامراء

❦ المقصد السادس ❦

في الوظائف الديوانية . وهي كثيرة لا يسع استيفؤها ، وبها خمسة عشر وظيفة :
 الاولى ، الوزارة - قال في مسالك الابصار : وربها ثاني السلطان لو أنصف وعرف
 حقه . لكنها لما حدثت عليها النيابة تأخرت وقعد بها مكانها حتى صار المتحدث فيها كذاظر
 المال لا يتعدى الحديث فيه ولا يتسع له في التصرف بمجال ولا تمتد يده في الولاية والمزل
 لتطلع السلطان الى الاحاطة بجزئيات الاحوال ، قال ، وقد صار يليها أناس من أرباب
 السيوف والاقلام بأرزاق بحسب الاتفاق وقطيعتها أشهر من أن تذكر . ثم للوزارة اتباع كثيرة
 أجلها نظر الدواوين ، واستيفاء الصحبة ، واستيفاء الدولة ، : فأما نظر الدواوين وهو
 المعرءه بنظر الدولة فصاحبها يتحدث مع الوزير في كل ما يتحدث فيه ويشاركه في
 الكتابة في كل ما يكتب فيه ويوقع في كل ما يوقع فيه الوزير تبعاً له . وان كان الوزير
 صاحب سيف كان ناظر الدولة هو المتحدث في أمر الحسابات وما يتعلق بها ، والوزير
 مقتصر على النظر والتنفيذ . وأما استيفاء الصحبة فهي وظيفة جليلة . قال في مسالك
 الابصار : وصاحبها يتكلم في جميع المملكة بمصر والشام ويكتب مراسم يعلم عاينها
 السلطان تارة بما يعمل في البلاد وتارة بالاطلاقات وتارة باستخدامات كبار في صغار
 الاعمال ومن هذا وما يجري مجراه . قال : وهذا الديوان هو أرفع دواوين الاموال
 وفيه تثبت التواقيع والمراسيم السلطانية وكل من دواوين الاموال فرع تحته واليه يرجع
 حسابه . وأما استيفاء الدولة فصاحبها يتحدث في أموال الدية في الضبط والتحرير
 ومعرفة أصول الاموال ووجوه مصارفها ، ويكون فيها مستوفيان فأكثر
 الثانية ، كتابة السر - قال في مسالك الابصار : وموضوعها قراءة الكتب الواردة

على السلطان وكتابة أجوبتها وأخذ خط السلطان عليها وتسفيرها وتصريف المراسيم وروداً وصدوراً والجلوس لقراءة القصص بدار العدل والتوقيع عليها فيما كان يوقع عليه قلم الوزارة إلى أمور أخرى من التحدث في أمر البريد وتصريف البريدية والقصاد وأخذ علامة السلطان على مناشير الاقطاعات والمراسيم التي تكتب من ديوان استيفاء الخصاص وغيره . ولكاتب السر أتباع من كتاب الدست وكتاب الدرج وغيرهم ممن قد تقدم ذكره في الكلام على ديوان الإنشاء في مقدمة الكتاب

الثالثة ، نظر الخصاص - وهي وظيفة محدثة ، أحدثها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون حين أبطل الوزارة . وأصل موضوعها التحدث فيما هو خاص بمال السلطان . قال في مسالك الابصار : وقد صار كالوزير لقربه من السلطان وتصرفه ، بل كان قد صار إليه في زمن تعطيل الوزارة تدبير جملة الامور وتعيين المباشرين ، قال ، وصاحب هذه الوظيفة لا يقدر على الاستقلال بأمر الا بمراجعة السلطان

الرابعة ، نظر الجيش - وموضوعها التحدث في أمر الاقطاعات بمصر والشام والكتابة بالكشف عنها ومشاورة السلطان عليها وأخذ خطه وهي وظيفة جليلة رفيعة المقدار وديوانها أول ديوان وضع في الاسلام في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه في سنة عشرين من الهجرة ولناظر الجيش أتباع أجلبهم صاحب ديوان الجيش وعادته إذا كان نائب كافل أن يكون عنده ملازماً لبابه

الخامسة ، نظر الخزانة - قال في مسالك الابصار : وكانت الخزانة أولاً كبيرة الوضع لأنهم استودع أموال المملكة فلما استحدثت وظيفة الخصاص صغر أمر الخزانة وسميت بالخزانة الكبرى ، وهو اسم فوق مسماه ، لانه لم يكن بها الآن إلا خلع تخلع منها او ما يحضر عليها ويصرف أولاً فأولاً ، قال ، وفي الغالب يكون ناظرها من القضاة او من يلتحق بهم . قالت : وقد صارت العمدة الآن على خزانة ديوان الخصاص . ولناظر الخصاص أتباع من الكتاب كغيرها من الدواوين

السادسة ، نظر البيوت والحاشية - وهو نظر جليل . وكل ما يتحدث فيه الاستادار يشاركه في التحدث فيه

السابعة . نظر بيت المال - وهو موضوعها حمل حمول المملكة الى بيت المال والتصرف

فيه تارة قبضا وتارة صرفا وتارة بالتسوية محضرا وصرفا . قال في مسالك : الابصار ولا يليها الا ذو العدالة البارزة من أهل العلم والديانة

الثامنة ، نظر الاصطبلات السلطانية -- وموضوعها التحدث في أنواع الحيوان الحاصلة من الخيل والبغال وغيرها مما يتعلق بذلك وضبط عدتها وعليقها ومالها من الاستعمالات والاطلاقات وكل ما يحتاج لها أو يباع منها وأرزاق المستخدمين فيها ونحو ذلك التاسعة ، نظر دار الضيافة والاسراق - وموضوعها التحدث في امر ما يتحصل من أسواق الرقيق والخيول ونحوها وصرف ذلك في كلفة من يرد الى الأبواب السلطانية من رسل الملوك ونحوهم وصرف مرتبات مقررة لاناس في كل شهر . والتحدث فيها راجع الى الدوادار وللوزير المشاركة معه في المتحصل في شيء مخصوص

العاشرة ، نظر خزائن السلاح - وموضوعها التحدث على ما يستعمل من السلاح . وعادته ان يجمع ما يتحصل من كل سنة ويجهز في يوم معين ويحمل على رؤوس الحاملين الى خزائن السلاح بالقلعة فيخلع عليه وعلى رفقته من المباشرين

الحادية عشرة ، نظر الاملاك الخاصة بالسلطان من ضياع ورباع وغير ذلك الثانية عشرة ، نظر البهار والكارمي - هكذا هو موجود في الدواوين ، قالوا ، ولا معنى له في اللغة ؛ ويقال ان أصله الكامي ، بالنون نسبة الى الكام فرقة من السودان على ماسياتى بيانه في المكاتبات ان شاء الله تعالى . وذلك ان طائفة منهم كانوا مقيمين بمصر شأنهم المتجر في البهار من الفلفل والقرنفل ونحوها مما يجلب من الهند واليمن فعرف ذلك بهم ، وهو صفة لمحدوف ، والتقدير والمتجر الكارمي . وموضوعها التحدث على واصل التجار من هذه الاصناف وهي وظيفة جليلة تارة تضاف الى الوزارة وتارة تفرد عنها

الثالثة عشرة ، نظر الاهراء - وهي شونة الغلال السلطانية التي يتحدث عليها الوزير وموضوعها التحدث فيما يصل اليها من الواحى من الغلال وفيما يصرف منها على الاصطبلات السلطانية والمناخات وغيرها

الرابعة عشرة ، نظر الموارد الحشرية - وموضوعها التحدث على ديوان الموارد ممن يموت ولا وارث له أو له وارث لا يستغرق ميراثه ، مع التحدث في أطلاقات جميع

الموتى من المسلمين وغيرهم
 الخامسة عشرة ، نظر المرتجعات - وموضوعها التحدث على ما يرتجع ممن يموت من
 من الامراء ونحو ذلك . وقد رفضت هذه الوظيفة وتركت وتمطلت ولايتها في
 الغالب، وصار أمر المرتجعات موقوفاً على متوفى المرتجع، وهو الذى يفصل فى المحاكمات
 الديوانية ويقضى فى الاقطاعات ونحوها

السادسة عشرة ، نظر الجهات - وموضوعها التحدث فى امر جهات الوزارة من
 متحصل ومصروف أو حمل لبيت المال ونحو ذلك . . . قلت : ووراء هذه الوظائف
 وظائف صغار لاحاجة الى استيفائها

﴿ المقصد السابع ﴾

فى هيئة السلطان مما هو مأخوذ عن مسالك الابصار . وانه سبع هيئات

﴿ الهيئة الاولى ﴾ هيئته فى جلوسه بدار العدل لخلاص الحقوق وازالة المظالم - قال
 فى مسالك الابصار: عادة هذا السلطان اذا كان فى القلعة فى شهر ربه رمضان ان يجلس
 بكرة يوم الاثنين بأيوانه الكبير المسمى بدار العدل على الكرسي الذى هو موضوع
 تحت سرير الملك ويجلس على يمينه قضاة القضاة من المذاهب الاربعة ، ثم وكيل بيت
 المال ، ثم الناظر فى الحسبة : ويجلس على يساره كاتب السر ، وقدامه ناظر المييش
 وجماعة الموقين تكافه حائقة دائرة . وان كان الوزير من ارباب الاقلام كان بينه وبين
 كاتب السر ، وان كان من ارباب السيوف كان واقفاً على بعد مع بقية ارباب الوظائف ،
 ويقف من وراء السلطان مما اليك صغار عن يمينه ويساره من السلاح دارية والجدارية
 والخاصكية . ويجلس على بعد قدر خمسة عشر ذراعاً من يمينه ويسرته ذوو السن من
 اكابر اثنين وهم امراء المشورة ، وخلف هذه الحلقة المحيطة بالسلطان الحاجب والداودية
 لاحضار قصص ارباب الضرورات واحضار الشاكيين وتقرأ عليه القصص فما احتاج
 فيه الى مراجعة القضاة راجعهم فيه ، وما كان متعلقاً بالسكر تحدث فيه مع الحاجب وناظر
 المييش . ويأمر فى البقية بما يرى . قلت : وقد استقر الحال على ان يكون عن يمينه قاضيان من
 الفئسة الاربعة وهما الشاغى ثم المالكي وعن يساره قاضيان وهما الخنفي ثم الخنبلى

ويلى القاضي المالكي من الجانب الأيمن قضاة المسكر الثلاثة : الشافعي ثم الحنفي ثم المالكي ، ويليهم مفتو دار العدل على هذا الترتيب ، ويليهم وكيل بيت المال اذاعلا قدره على المحتسب بعلم أورياسة ، ثم المحتسب و يصيرون صفاً واحداً عن يمين السلطان مستدبرين جدار الأيوان مستقبلين بابه والفاضيان الحنفي والحنبلي كذلك من الجانب الايسر ، والوزيران كان من أرباب الاقلام الى جانب الكرسي من الجانب الايسر بانحراف ، وكاتب السر بليه وتستدير الحلمة حتى يصير الجالس بهامستدير ارباب الايوان على ما تقدمت الاشارة اليه في مسالك الابصار . فأذا اتقضى المجلس خرج أرباب الاقلام جملة ويمد السماط في الايوان وتجلس الامراء والماليك السلطانية على السماط على قدر مراتبهم علي التعاقب . قال في مسالك الابصار : وذلك في يوم الخميس في مثل هذه الهيئة إلا أن السلطان لا يتصدى فيه لسماع القصص ولا يحضر أحد من القضاة وناظر الجيش والموقعين الا ان عرضت حاجة لأحد منهم وان كان جلوسه لقدم رسل من احد الملوك كان جلوسه على السرير الذي هو تحت الملك وربما جلس عليه عند أخذ البيعة بالسلطنة ونحو ذلك من المهمات

﴿ الهيئة الثانية - هيئته في بقية الايام ﴾ عاداته فيما عدا الاثنين والخميس من الايام أن يخرج من قصوره الجوانية الى قصره الكبير المشرف على اصطبلاته ثم تارة يجلس على تحت الملك الذي بصدوره وتارة يجلس على الارض وتقف الامراء حوله كما في الجلوس في الأيوان خلا أمراء المشورة والقرناء فإنه ايس لهم عادة بحضور هذا المجلس الا من دعت الحاجة الى حضره . ثم يقوم في الثالثة من النهار فيدخل الى قصوره الجوانية بمصالح ملكه ويعبر عليه بها خاصته من ارباب الوظائف كالوزير وكاتب السر وناظر الخاص وناظر الجيش في الاشغال المتعلقة به علي ما تدعو الحاجة اليه

﴿ الهيئة الثالثة - هيئته في صلاة الجمعة والعيدين ﴾ أما صلاة الجمعة فإن عاداته أن يخرج الى الجامع ومعه خاصة أمرائه ويدخل من أقرب أبواب الجامع الى القصر فيصلي في مقصورة الجامع عن يمين المحراب ويصلى عنده أكبر خاصته ويحيى بقية الامراء خاصتهم وعامتهم فيصلون خارج المقصورة عن يمينها وشمالها على مراتبهم . فاذا فرغ من الصلاة دخل الى دور حريمه وذهب الامراء كل واحد الى مكانه

وأما صلاة العيدين فعادته ان يركب من باب قصره وينزل من منفذه الى الاصطبل الى الميدان الملاصق له وقد ضرب له فيه دهليز على اكل ما يكون من الهيئات ويحضر فيه خطيب جامع القلعة الى الميدان فيصلى فيه العيد ويخطب، فاذا فرغ من سماع الخطبة ركب فرساً بكنبوش ورقبة من زر كس وخرج من باب الميدان والامراء والماليك يمشون حوله والعصائب السلطانية على رأسه والغاشية محمولة أمامه والجنز محمول على رأسه مع أحد أكبر الامراء المقدمين وهو راكب فرساً الى جانبه والأوجاقيان الجفنة راكبان امامه وخلفه الجنائب وأرباب الوظائف من السلاح دارية كلهم خلفه والطيردارية امامه مشاة بأيديهم الاطبار ويطلع من باب الاصطبل الى الأيوان الكبير الذى يجلس فيه فى يومى الاثنين والخميس ويمد السماط ويخلع على حامل الجنز وأمير السلاح والاستادار والجاشنكير وجماعة من أرباب الوظائف ممن لهم خدمة فى مهم العيد كنواب استادار وصغار الجاشنكير وناظر البيوت ونحوهم

﴿ الهيئة الرابعة - هيئة الركوب للعب الكرة بالميدان الأكبر ﴾ عادته ان يركب لذلك بعد وفاة النيل ثلاثة مواكب متوالية فى كل سبت ينزل من قصره أول النهار من باب الاصطبل وهو راكب على الهيئة المذكورة فى العيد ما عدا الجنز فإنه لا يحمل على رأسه وتحمل الغاشية أمامه فى أول الطريق وآخره ويصير الى الميدان فينزل فى قصوره وينزل الامراء منازلهم على قدر طبقاتهم فى جوانب الميدان ثم يركب للعب الكرة الى أذان العصر ويرمي الجوكان قصداً من بادر فنزل لما ولته خلع عليه عند الطلوع فركب على الهيئة التى كان عليها فى أول النهار ويطلع الى قصره بالقلعة ويخلع على أكبر الامراء الخلع النفيسة من الأقبية المفرج وأكثر ما يكون ذلك فى الموكب الثالث وفى الثانى دونه . . . قلت : وقد ترك هذا الركوب من أثناء سلطنة الظاهر برقوق الثانية واستمر الحال على ذلك الى الآن وفات بذلك أبهة عظيمة من أبهات الملك

﴿ الهيئة الخامسة - هيئة الركوب لكسر الخليج عند وفاة النيل ﴾ تارة يكون الذى يتصدى لكسر الخليج هو السلطان نفسه وتارة بعض أكبر أمرائه كالنائب ونحوه فإن كان هو الذى يتصدى لذلك فلم تجر العادة ان يركب فيه بمظلة ولا رقبة فرس ولا غاشية ولا ما فى معنى ذلك بل يقتصر على السناجق والطيردارية والجاويشية ونحوها.

ويركب من القلعة عند طلوع أمين المقياس بالوفاء فيدخله من بابه ويجلس فيه فيمد هناك سباط يأكل منه من معه من الامراء وغيرهم ثم يذاب زعفران في اِناء ويتاوله صاحب المقياس ويخلق به المقياس على العادة وتكون قد زينت حراقة السلطان الكبرى المعروفة بالذهبية وحراقة الصغرى وحراريق الامراء باحسن الزينة، وينصب الستر على شباك المقياس المطل على النيل من جهة القسطنطينية بحراقة السلطان الصغرى الى الشباك الذى عليه الستر فينزل فيها السلطان منه وتسير حراقة الى جهة فم الخليج وحوله حراقة الذهبية وحراريق الامراء وما لا يحصى من راكب المتفرجين حتى يصل الى السد فيكسره ويركب من هناك وينصرف الى قصره

﴿الهيئة السادسة - هيئته في أسفاره﴾ جرت عادته اذا اراد سفرا أن يركب في عدة كبيرة من امرائه الأكابر والأصاغر وخواص مماليكه . ولا يركب في السير برقية ولا عصائب ولا يتبعه جنائب ويقصد في الغالب تأخير النزول الى الليل فإذا دخل الليل حلت أمامه فوانيس كثيرة ومشاعل فإذا قارب نحيمة تلقى الشموع المركبة في الشمعدانات المكففة ويصيح الجاويشية بين يديه ويترجل الناس كافة الاحملة السلاح والأوجاقية وراءه ويمشى الطبردارية حوله حتى يدخل الدهائز الاول من نحيمة فينزل ويدخل الى الشقة وهي خيمة مستديرة متسعة ثم منها الى شقة مختصرة ثم منها الى اللاجوق الذى يبني فيه وبدائر كل خيمة من جميع جوانبها من داخلها سور خركاه من خشب وفي صدر اللاجوق قصر صغير من خشب ينصب للمبيت فيه وينصب بأزاء الشقة حمام بقدر من رصاص وحوض على هيئة حمام المدن . فإذا نام طافت به الممالك دائرة وطاف بالجميع الحرس وتدور الزفة حول الدهائز في كل ليلة مرتين عند نومه وعند استيقاظه من النوم ومعها امير من أكابر الامراء وحوله القوانيس والمشاعل ويبني على باب الدهائز ارباب الوظائف من النقباء وغيرهم . فإذا دخل الى مدينة ركب على هيئة ركوبه في صلاة العيد بالمظلة والرقبة والفاشية ويكون في حال السير جمهور مماليكه معهم مقدم الممالك والاستادار وأمامهم الجنائب والمهجن ويكون صحبته في السفر كل من يحتاج اليهم من الاطباء والكحاليين وأنواع الادوية والاشربة وما يجري مجرى ذلك من يعرض له مرض في الطريق

﴿الهيئة السابعة .. هيئته في نومه﴾ جرت العادة ان يبني عنده خواص مماليكه

من الامراء وأرباب الوظائف من الجدارية وغيرهم يسهرون عليه بالنوبة مقسمة بينهم مقادير معلومة بما كيب الرمل كلما انتقضت مدة قوم ايقظوا أصحاب النوبة الذين يلونهم ويتعاني كل منهم ما يشاغله عن النوم فقوم يقرؤن في المصاحف وقوم ياعبون بالشطرنج (وآخرون يتلاهون) بالأكل وغير ذلك

﴿ المقصد الثامن ﴾

﴿ في عاداته في اجراء الارزاق وهي على سبعة انواع ﴾

﴿ النوع الاول - الاقطاعات ﴾ - اعلم ان الاقطاعات في هذه المملكة تجرى على الامراء والجنود وعامة اقطاعاتهم بلاد وأراض يستقلها مقطعها ويتصرف فيها كيف شاء وربما كان فيها نقد يتناوله من جهات وهو القليل . ويختلف الحال فيها باختلاف حال أربابها . فأما الامراء بالديار المصرية فقد ذكر في مسالك الابصار أن أكبر الامراء يبلغ اقطاع الواحد منهم ٢٠٠,٠٠٠ دينار جيشية وربما زاد على ذلك ويتناقص باعتبار انحطاط الرتبة الى ٨٠,٠٠٠ دينار ويبلغ اقطاع الواحد من امراء الطبلخانات ٣٠,٠٠٠ دينار فأكثر وينقص الى ٢٣,٠٠٠ دينار . ويبلغ اقطاع الواحد من امراء العشرات ٩٠٠٠ دينار الى مادون ذلك . ويبلغ اقطاع الواحد من مقدمى الحلقة ١,٥٠٠ دينار . ولجميع الامراء بحضرة السلطان الرواتب الجارية في كل يوم من اللحم والتوابل والخبز والعليق والزيت، ولأعيانهم الكسوة والشمع وكذلك المماليك السلطانية وذوو الوظائف من الجند مع تفاوت مقادير ذلك بحسب مراتبهم وخصوصياتهم بالملطان . قال في مسالك الابصار : واذا نشأ لاحد الامراء ولد أطلق له دنانير وخبز ولحم الى أن يتأهل للاقطاع في جملة الحلقة ثم منهم من ينقل الى امرة العشرة والطبلخاناه على حسب الحظوظ والارزاق

واما اطاعات الشام فقد قال في مسالك الابصار انها لا تتقارب بل تكون بقدر الثلثين في جميع ما تقدم خلا أكبر الامراء المقدمين بالديار المصرية فليس في الشام من يبلغ تساؤهم الا نائب الشام فإنه يقار بهم في ذلك - قلت : والدنانير الجيشية الموزعة على الاقطاعات بمصر والشام يتفاوت متحصها بحسب العارة والخراب وربما

كان متحصل القليل منها بقدر أضعاف الكثير

﴿ النوع الثاني - رزق أرباب الاقلام ﴾ وهو مبلغ يصرف لهم مشاهرة . قال في مسالك الابصار : وأكبرهم كالوزير له في الشهر ٢٥٠ ديناراً جيشية ومن الرواتب والفلة ما اذا بسط وثمن كانت مثل ذلك ثم دون ذلك ودون دونه ولأعيانهم الرواتب الجارية من اللحم والحبز والعليق والشع والسكر والكسوة ونحو ذلك الى غير ذلك مما هو جار على العلماء وأهل الصلاح من الرواتب والاراضي الموبدة وما يجري مجراها يتوارثه الخلف عن السلف مما لا يوجد مثله بمملكة من الممالك

﴿ النوع الثالث - الخلع والتشريف ﴾ وكان المعنى بالخلع ان السلطان يمنع من ملبوسه فيلبسه غيره ومعنى التشريف ظاهر. والمراد ان السلطان يشرف من يلبسه بما يلبسه . قال في مسالك الابصار : ولصاحب مصر في ذلك اليد الطولى حتى كاد ذلك ينهك المملكة ويودي بمتحصلاتها عن آخرها ، قال ، وغالب هذا مما قرره سلطاننا ، يعني الناصر محمد بن قلاوون، ولقب أتم من يحيى بعده من كثرة الاحسان. وهي على ثلاثة أصناف : تشريف أرباب السيوف ، وتشريف انوزراء والكتاب، وتشريف القضاة والعلماء . فأما تشريف أرباب السيوف فعلى طبقات :

الأولى ، وهي أعلاها - المختص بالامراء المقدمين من النواب وغيرهم . وهي فوقاني أطلس أحمر بطرز زر كمش مفري بسنجاب بدائر سحف من ظاهره مع غشاء قنيس ، وتحتة قباء اطلس أصفر . وكلوته زر كمش بكلايب ذهب وشاش رفيع موصول بطرفين من حرير أبيض من قومين بألقاب السلطان مع نقوش باهرة من الحرير الملون ومنطقة، ذهب مركبة على حاشية حرير تشد في وسطه . ويختلف حال المنطقة بحسب المراتب : فأعلاها ان يعمل من عمدتها بواكبر وسطا و مرصعة بالبخش والزمرد واللؤلؤ ثم ما كان بيكارية واحدة مرصعة، ثم ما كان بيكارية واحدة من غير ترصيع، فأن كان التشريف تقليد ولاية مفخمة زيد سيفاً محلي بذهب وفرسا مسرجا ماجا بكنبوش زر كمش و بما زيد أكبر النواب كنائب الشام تركيبة زر كمش على العباء فوقاني وشاش حرير سكيندرى مومج بالذهب ويعرف ذلك بالمتمر . وعلى ذلك كان شاش صاحب حماة . من بقايا الملوك الأيوبية ويكون عوض كنبوشه زنارى أطلس أحمر . ودون ذلك من التشريف

اقبية طرد وحش من عمل الاسكندرية ومصر والشام مجموع جاخات مكتوبة بالقباب
السلطان وجاخات صور وحوش او طيور صفار النقش وجاخات ملونة بموجة بقصب
مذهب يفصل بين جلاخاته نقوش يركب على القباء طراز زر كمش مسنجب مقدس كما تقدم
وتحت قباء طرح سكندري مفرج وكاونه زر كمش بكلايب وشاش كما تقدم وحياسة ذهب
تارة تكون بيكارية وتارة بغير بيكارية . وهذه التشاريف لاصغر امراء المثين ومن يلتحق
بهم . ودون ذلك كنجى نقش من لون آخر غير لونه وقد يكون من نوع لونه بتفاوت
بينهما سنجاب مقدس كما تقدم الا أن الحياصه والشاش لا يكونان بأطراف رقم بل
بأطراف مجوخة أخضر وأصفر مذهب بغير بيكارية . ودون ذلك محرم لونه واحد والبقية
على ما تقدم خلا الكلوتة والكلايب . ودون ذلك كنجى بلون واحد بسنجاب مقدس
والبقية على ما تقدم وتكون الكلوتة خفيفة الذهب وجانباها يكاران يكونان خالين
منه بالجملة ويكون بغير حياصه . ودون ذلك محرم بقندس وتحت قباء يكون بجاخات
من أحمر وأخضر وأزرق وغير ذلك من الألوان وسنجاب وقندس . وتحت قباء نقش
إما أزرق أو أخضر أو شاش ابيض بأطراف من نسبة ما تقدم ذكره ثم مادون هذا
من هذا النوع ولا بد من تنقيص قباء

ثم تشاريف أخرى في أوقات مخصوصة تكون اقبية من الحرير والكنجى أو نحوه
وأما تشاريف الوزارة والكتاب فأجل تشاريفهم كنجى ابيض مطرز برقم حرير
ساذج وسنجاب وقندس والقندس مبطن بسنجاب وتملاً الاكمام به وتحت كنجى
أخضر وبقيار كتان من عمل دمياط مرقوم وطرحة ودون ذلك عدم تبطين القندس
بالسنجاب واخلاء الاكمام منه، ودون ذلك ترك الطرحة، ودون ذلك ان يكون التحتانى
محزماً ودون ذلك، أن يكون الفوقانى من نوع الكنجى لكنه غير ابيض وتحت تحتانى
طرح أو ما يجرى مجرى ذلك ودون ذلك أنواع أخرى ولأجل أهم كالوزير وكاتب
السر وناظر الخاص تشاريف أخرى من جباب من الحرير الكنجى السكندري الخاص
بطراز من الزر كمش المزهر بالريش الازرق بغير طرحات

وأما تشاريف القضاة والعلماء فمن الصوف الابيض بغير طراز بطرحة . وأجلها أن
يكون الفوقانى ابيض وتحت أخضر وما دون ذلك على ما تقدم

واعلم أن للتشاريف أماكن يقع اللبس فيها . منها اذاولى أمير أو صاحب منصب وظيفه فيلبس تشريفاً يناسب تلك الولاية . ومنها عيد الفطر يخلع فيه على جميع أرباب الوظائف من الامراء وأرباب الاقلام كالوزير وكاتب السر وناظر الخاص وناظر الجيش ونحوهم كل منهم بما يناسبه . قال في مسالك الابصار : ومن عادة السلطان ان يعد لكل عيد خلعة على أنها للمبوسه من نسبة خلع اكابر المئين فلم يلبسها ولكن يختص بها بعض امراء المئين يخلعها عليه . ومنها الميادين : يخلع فيها على اكابر الامراء كل ميدان يختص بأمر أو أكثر يلبس فيه خلعة من المفرج المذهب . ومنها دورة المحمل في شوال : يخلع فيه على أرباب الوظائف كناظر الكسوة ومباشرها كالقاضي والناظر والمحتسب والشاهد والمقدمين ومن في معانهم

(النوع الرابع - الخيل) قال في مسالك الابصار : وقد جرت عادة صاحب مصر ان ينعم على امرائه بالخيول مرتين في كل سنة . أما المرة الاولى فعند خروجه الى سرايط خيوله على الفرط في أواخر ربيعها ينعم على الاخصاء من امرائه بما يختاره من الخيول على قدر مراتبهم وتكون خيول المقدمين منهم مسرجة ملجمة بكنايش من زركش ، وخيول امراء الطبلخاناه عربا من غير قماش . وأما المرة الثانية فعند لعب الكرة بالميدان الكبير وتكون خيول امراء المئين والطبلخاناه مسرجة ملجمة بفضة يسيرة بلا كنايش وكذلك يرسل الى نواب الممالك الشامية كل أحد بحسبه وايس لأمرائه العشرات في ذلك حظ الا ما يتقدمه به على سبيل الأنعام ، قال ، وللخاصة المقربين من الامراء المقدمين والطبلخاناه زيادات في ذلك بحيث يصل بعضهم الى مائة فرس في كل سنة وله أوقات اخرى يفرق فيها الخيل على مماليكه . وربما اعطى بعض مقدمي الحلقة وكل من مات له فرس من مماليكه دفع اليه عوضه . وربما أنعم بالخيول على ذوى السن من اكابر الامراء عند الخروج الى الصيد ونحوه ولخيول الامراء في كل سنة اطلاقات اراض بالاعمال الجبزية ازرع القرط لحيولهم من غير خراج وللمالك السلطانية البرسيم المزروع على قدر مراتبهم وما يدفع اليهم من ذلك يكون بدلا من العليق الراتب من الشعير في غير زمن الربيع عوضاً عن كل عليقة نصف فدان من القرط القائم على أصله لمدة ثلاثة اشهر

﴿ النوع الخامس - الكسوة ﴾ قد جرت عادته ان ينعم على ممالিকে وخواص اهل المناصب من ارباب الاقلام في كل سنة بكسوة في الشتاء وكسوة في الصيف على قدر مراتبهم وانه اذا ركب للعب الكرة بالميدان فرق حوائص من ذهب على بعض الامراء المقدمين يفرق في كل موكب ميدان على أميرين بالنوبة حتى يأتي على آخرهم في ثلاث سنين أو أربع بحسب ما تقع نوبته في ذلك، قال في مسالك الابصار، أما امراء الشام فلاحظ لهم من الانعام في أكثر من قباء واحد يابس في وقت الشتاء الا من تعرض لقصد السلطان فإنه ينعم عليه بما تقتضيه حالته

﴿ النوع السادس - الانعام والادرار ﴾ وليس له قدر معين بل هو بحسب مزية المنعم عليه عند السلطان وقربه منه . قال في مسالك الابصار: ولخاصة الامراء المقدمين انواع من الانعامات كالعقارات الضخمة التي ربما انفق على بعضها فوق مائة الف دينار، وكساوى القماش المنوع، وفي أسفارهم في وقت خروجهم الى الصيد العلوقات والاموال الجمية . واذا خرج الى العيد أنعم على أكابر الامراء المقدمين سنا وقدرا كل واحد منهم بألف مثقال من الذهب . ولكل من يرد عليه أو يهاجر اليه من مملكة أخرى انواع الأدرارات والارزاق والانعام الذي لا يبلغه أهل البلاد وكذلك التجار الذين يجلبون الممالك والبضائع وبيعونها عليه لهم الرواتب الدائمة والمساحات والاطلاقات ولكل من باع عليه ولو رأسا واحدا من الرقيق خامة مكالة بحسب حالته خارجا عن الثمن والانعام . وكذلك جلابة الخيل من عرب الحجاز والشام والبحرين وبرقة وبلاد العرب لهم من ذلك الحظ الوافر وربما أعطى عن الفرس الواحد نظير ثمنه عشر مرات أو أكثر خارجا عن الخلع والرواتب والمساحات التي تكتب لهم . وكذلك البازدارية بالحوارح ومن يجرى مجراهم لهم عوائد في كل سنة عند الاصطياد جارية لا تنقطع

﴿ النوع السابع - المأكول والمشروب ﴾ أعظم أسمطة هذا السلطان تكون بالايوان الكبير أيام المواكب اذا خرجت القضاة وسائر ارباب الاقلام من الخدمة مد السماط بالايوان الكبير من أوله الى آخره بأنواع الاطعمة الفاخرة وبمجلس السلطان على رأس الخوان والامراء يمينة ويسرة على قدر مراتبهم فيأكلون أكلا خفيفا ثم يقومون ويجلس من دونهم طائفة فطائفة ثم يرفع الخوان . وأما بقية الايام فيمد

الخوان بالقصر في طرفي النهار لعامة الامراء خلا البرانيين فانه لا يحضر منهم الا القليل النادر ففي أول النهار يمد سباط لا يأكل منه السلطان شيئاً ، ثم سباط ثان بعده قد يأكل منه وقد لا يأكل ، ثم سباط ثالث بعده يسمى الطارى ومنه ما كول السلطان وفي أخريات النهار يمد سباطان الأول والثاني المسمى بالخاص ثم ان استدعي بطارى حضر والا فيحسب ما يؤمر به وفي كل هذه الاسمطة يسقى بعدها المشروب من الاقسما السكرية عقب الأكل وأما في الليل فيبيت بالقرب من ميته اطباق من أنواع المأكول المختلفة والمشروب الفائق ليتشاغل اصحاب النوب بالاكل والشرب عن النوم . قال في مسالك الابصار : ولكل ذى إمرة بمصر من خواص السلطان عليه السكر والحوى في شهر رمضان والاضحية في عيد الاضحى على مقادير رتبهم

﴿ المقصد التاسع ﴾

في انتهاء الاخبار الى السلطان وهو على ثلاثة أنواع :

الأول ، أخبار الملوك الواردة عليه مكاتباتهم - جرت العادة انه اذا وصل رسول من ملك من الملوك الى أطراف مملكته كاتب نائب تلك الجهة السلطان يعرفه بوفوده ويستأذنه في أشخاصه اليه فتهرب المراسيم السلطانية بحضوره فان كان مرسله ذا مكانة عظيمة من الملوك كأحد القانات من ملوك الشرق خرج بعض أكابر الامراء كالنائب وصاحب الحجاب ونحوهما للقائه وأنزل بقصور السلطان بالميدان الكبير الذي يلعب فيه بالكرة وهو أعلي منازل الرسل . وان كان دون ذلك تلقاه المهندار واستأذن عليه الدوادار وأنزله دار الضيافة أو بعض الاماكن على قدر رتبته ثم يرتقب يوم موكب فيجلس السلطان بأيوانه ويحضر أعيان المملكة الذين شأنهم الحضور من أرباب السيوف والاقلام ويحضر ذلك الرسول وصحبه الكتاب الوارد معه فيقبل الارض ويتناول الدوادار الكتاب منه فيمسحه بوجه الرسول ثم يدفعه الى السلطان فيفضه ويدفعه الى كاتب السر فيقرؤه على السلطان ويأمر فيه بما يراه

الثاني ، الاخبار التي ترد عليه من جهة نوابه - عادة هذا السلطان ان يطالعه نوابه في مملكته بكل ما تجدد عندهم من مهمات الامور أو ما قاربها وتؤخذ أوامره وتعود أجوبته عليهم من ديوان الانشاء بما يراه في ذلك او يبتدئهم هو بما يقتضيه رأيه وينفذ

على البرد أو اجنحة الحمام الرسائلى وقد جرت العادة أنه اذا ورد يريد من بلد من بلاد المملكة او عاد المجهز من الابواب الشريفة بجواب أحضره أمير جاندار والدوادار وكاتب السر بين يدى السلطان فيقبل الارض ثم يأخذ الدوادار الكتاب فيمسحه بوجه البريدى ثم يناوله للسلطان فيفضه ويجلس كاتب السر فيقرؤه عليه ويأمر فيه بأمره . وأما بطائق الحمام فإنه اذا وقع طائر من الحمام الرسائلى ببطاقة أخذها البراج وأتى بها الدوادار فيقطع الدوادار البطاقة عن الحمام بيده ثم يحملها الى السلطان ويحضر كاتب السر فيقرؤها كما تقدم

الثالث ، أخبار حاضرتة - جرت العادة ان والى الشرطة بالحضرة يستعلم متجددات ولايته فى كل يوم من نوابه ثم يكتب مطالعة جامعة بذلك تحمل الى السلطان صبيحة كل يوم فيقف السلطان عايتها . قال فى مسالك الابصار : أما ما يقع للناس فى أحوال أنفسهم فلا

* (المقصد العاشر) *

(فى هيئة الامراء بالديار المصرية وترتيب امرتهم)

واعلم أن كل أمير من أمراء المثين والطلبخاناة سلطان مختصر فى غالب أحواله : فكل منهم استادار ورأس نوبة ودوادار وأمير مجلس وجدارية وأمير اخور واستادار صحبة ومشرف وبيوت خدمة كبيوت خدمة السلطان من الطشت خاناه والفراش خاناه والركاب خاناه والزرد خاناه والمطبخ والطلبخاناة . أما الحوائج خاناه فأنها مختصة بالسلطان . واكل بيت من هذه البيوت مهتار متسلم لحاصله وتحت يده رجال وغلمان لكل منهم وظيفة مختصة وكذلك اكل منهم الحواصل من اصطبلات الخيول ومناخات الجمال وشون الغلال . قال فى مسالك الابصار : ومن رسم الامراء ان يركب الامير منهم حيث ركب وخلفه جنيب مسرج ملجم وربما ركب الامير من أكابرهم بجنيبين فى الحاضرة كان أو فى البر ويكون لكل منهم طلب يشتمل على أكثر مما ليكه والطلبخاناة قدامهم خزانة محمولة على جمل واحد يجره راكب على جمل آخر وقد يكون على جملين وربما زاد بعضهم على ذلك وامام الخزانة عدة جنائب تجر على أيدي ممالك راكبة على الخيل والهجن وركابة من العرب على هجن وامامهم الهجن والبخاتى مجنوبة ، للطلبخاناة قطار واحد وهو أربعة وركوب الهجان ، وللألف قطاران وربما زاد بعضهم . وعدد

الجناثب في كثرتها وقلتها الى رأي الامير وسعة نفسه وتلك الجناثب منها مله ومسرح ملهجم ومنها ما هو بعباء لا غير. ومن عادة امراء العسكر بالخضرة السلطانية انهم يركبون في يوم الاثنين والخميس في الموكب منضمين على نائب السلطنة الكافل ان كان، والا فعلى حاجب الحجاب، ويسرون تحت القلعة مرات، ثم يقفون بسوق الخيل، ثم يطلعون الى الخدمة على ما تقدم؛ فاذا انقضت الخدمة يخرج النائب ويذهب الى دار النيابة فيجلس بها ويمد عنده السباط كما يمد عند السلطان وبأكل عليه الامراء، ثم يجلس في شبك النيابة ويحكم بين الناس ويأخذ القصص ويكتب عليها وعلى المناشير وما يجري مجراها

* (المقصد الحادي عشر) *

في ولاية الامور بالوجهين القبلي والبحري، وهي على اربع طبقات:

﴿الطبقة الاولى، النيابات﴾ وهي ثلاثة الاولى: نيابة السلطان بشرف الاسكندرية المحروس. وهي نيابة مستحدثة، استحدثت في سنة ٧٦٧ بعد طروق الفرنج الاسكندرية، وكانت قبل ذلك ولاية طبلخاناه ونائبها من الامراء المقدمين في رتبة نائب طرابلس وحماه. وبها كرسي السلطان مرصع مغشي بالحريير الاصفر يوضع عليه نمجاء ويمد السباط تحته في ايام المواكب بعد نزول النائب من ركوبه في الموكب، وبها حاجب أمير عشرة وحاجب جندي وأجناد حلقة مائتا فارس يعرفون بأجناد المائتين، وبها قاضي قضاة مالكي وقاض حنفي مستحدث وربما كان بها قاض شافعي والمالكي بها أكبر الكل وهو المتحدث في أموال الايتام والاقاف، وبها موقع يبر عنه فيها بكتاب السر، وناظر يتحدث في الأموال الديوانية من جهة الخاص ومعه مستوف وكتاب وشهود، وبها محتسب، وليس بها قضاء عسكر ولا افتاء دار عدل ولا وكيل بيت مال بل نائب عن وكيل بيت المال بالقاهرة، ويركز بها الامراء من المقدمين والعلماخانا في غير زمن امتناع سير المراكب الحربية في البحر لشدة الريح. وبها وال للبر يسمى الحاجب غير والى المدينة، وليس لها عمل يحكم فيه نائبها ولا قاضيها ولا محتسبها (بل حكمهم قاصر على المدينة)

الثانية، نيابة الوجه البحري - وهي مما استحدثت في الدولة الظاهرية برقوق وكان بها قبل ذلك كاشف يسمى « والى الولاية بالوجه البحري » ومقر ولايتها مدينة دمنهور الوحش. ونائبها من الامراء المقدمين، وهو في رتبة مقدم العسكر بغزة من البلاد

الثامية، وهو يحكم على الوجه البحرى خلا الاسكندرية، ويكتب اليه في خلاص الحقوق وغيرها . وليست على قاعدة النيابات في ترتيب حجاب ولا ركوب مواكب، وليس فيها من رسوم النيابة سوى لبس نائبيها تشرىف النواب وكتابة التقليد وكتابة الكتب اليه بما يكتب به الى النواب

الثالثة ، نيابة الوجه القبلى - وهي مما استحدثت في الدولة الظاهرية برقوق أيضاً وكان بها قبل ذلك كاشف طبليخاناه يسمى « والى الولاية » كما في الوجه البحرى، ومقر ولايتها مدينة اسيوط من الوجه القبلى . ونائبيها يحكم على جميع الوجه القبلى . وهو في الترتيب والرتبة على ما تقدم من نيابة الوجه البحرى، ويكتب اليه في خلاص الحقوق وغيرها ﴿ الطبقة الثانية ، الكشاف ﴾ - قد تقدم انه قبل استحداث النيابة بالوجهين القبلى والبحرى كان بكل منهما كاشف يسمى والى الولاية . أما الآن فان بالوجه البحرى خاصة كاشفا من امراء الطبليخاناه على العادة المتقدمة، وهو في الحقيقة تحت أمر نائب الوجه البحرى . وربما جعل للفيوم كاشف بمفرده، وربما أضيف اليه البهنساوية وربما أضيف اليه (الجيزية) أيضاً

﴿ الطبقة الثالثة ، الولاية بالوجهين القبلى والبحرى ﴾ ومراتبهم لا تخرج عن مرتبتين : المرتبة الاولى ، الولاية من امراء الطبليخاناه - وهي سبع ولايات بالوجهين البحرى والقبلى على ما استقر عليه الحال ، وكل من ولايتها يكتب اليه في خلاص الحقوق وغيرها . فأما الوجه البحرى ففيه أربع ولايات من هذه الرتبة وهي : ولاية الشرقية، ومقر واليها مدينة بلبيس ؛ وولاية المنونية ، ومقر واليها مدينة منوف ؛ وولاية الغربية، ومقر واليها مدينة المحلة ، وهي أعلى رتبة ؛ وولاية البحيرة، ومقر واليها مدينة دمنهور الا انها قد عطلت باستقرارها نيابة . وقد تقدم ان الاسكندرية قبل ان تستر نيابة كانت ولاية طبليخاناه ، * وأما الوجه القبلى ففيه ثلاث ولايات من هذه المرتبة وهي : ولاية البهنساوية ، ومقر ولايتها مدينة البهنسا ؛ وولاية الاشمونين ، ومقر ولايتها مدينة الاشمونين . وولاية قوص ، ومقر ولايتها مدينة قوص وهي أعظم ولايات الدبار المصرية فدرا حتى ان واليها كان يركب في المواكب بالشبابه - قلت : وقد استحدثت ولاية اسوان وكانت قبل ذلك تحت امر والى قوص، ثم هي تارة تستقر وتارة تبطل

وتارة تكون كشفا * المرتبة الثانية، الولاة من الامراء العشرات - وهي سبع ولايات بالوجهين. فأما الوجه البحرى ففيه ثلاث ولايات من هذه الرتبة، وهي: ولاية الدقبلىة والمرتاحية، ومقر ولايتها شوم الرمان، وولاية دمياط، وليس لها عمل، وولاية قطيا وكانت قبل ذلك طبلخاناه وليس لها عمل أيضاً وإنما هي للطالعة بالصادر والوارد كما تقدمت الاشارة اليه * وأما الوجه القبلى ففيه اربع ولايات من هذه المرتبة، وهي: ولاية الجيزة وكانت قبل ذلك طبلخاناه؛ وولاية اطفيح، ولم تزل إمرة عشرة وولاية منفلوط وهي الآن امرة عشرين؛ وقد كان بعيداب في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون وما والاها وال أمير عشرة يولى من قبل الساطان ويراجع والى قوص فى الامور المهمة جريا على ما كان عليه الامراء اولا فى زمن الخلفاء الفاطميين وقد بطل ذلك الآن

﴿ الطبقة الرابعة، أمراء العربان بنواحي الديار المصرية ﴾ - قد ذكرنا فى الاصل أصول أنساب العرب ونبأاتهم واقتصرنا فى « ثلاثد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان » المؤلف للمقر الاشرف الناصرى البارزى والدالمقر الكالى المؤلف له هذا الكتاب على ذكر الموجودين منهم الآن . والمقصود هنا ذكر أمراء العربان بالوجهين البحرى والقبلى . فأما الوجه البحرى فقد ذكر الحمدانى ان الامرة فيه كانت فى خمسة أعمال: الاول الشرقية ، قال الحمدانى ، والامرة فيها فى قبيلتين ثعلبية وجذام . وقد ذكرنا فى الاصل من كانت فيه الامرة من كل من القبيلتين - قلت : وقد آل أمره فى زماننا فى ثعلبية فى بنى علوية وفى جذام فى بقر ثم صارت الى بنيه * الثانى المنوفية - والامرة فيه لأولاد نصير الدين وهم مستمررن الى الآن ولكن قد صارت امرتهم الى معنى مشيخة العرب * الثالث الغربية ، والامرة فيه فى أولاد يوسف من الحزائلة من سنبس من طى . وهقرتهم سخا من الغربية وهي باقية فيهم الى الآن إلا أنها فى معنى مشيخة العرب أيضاً * الرابع البحيرة وقد ذكر فى التعريف ان الامرة فيه فى الدولة الناصرية محمد بن قلاوون كانت لحالد بن أبى سليمان وفايد بن مقدم . قال فى مسالك الاصدار : وكانا سيدين جليلين ذوى كرم وأمن بلاد - قلت : والامرة الآن فى المقادسة من بنى فايد بن مقدم * الخامس برقة . وقد ذكر فى التعريف أنه لم يبق الى رمنه من أمراء برقة الا جعفر بن عمر وكان لا يزال بين طاعة وعصيان ومخاضة وليان

والجيوش في كل وقت تمد اليه وقل أن تظفر منه بطائل أوجمت منه بمغزم ، ثم قال ،
وآخر أمره أنه ركب طريق الواح حتى خرج من الفيوم وطرق باب السلطان لا نذاً
بالعفو ووصل ولم يسبق به خبر ولم يعلم السلطان به حتى استأذن له المستأذن عليه وهو في
جملة الوقوف بالباب فأكرم اتم الكرامة وشرف بأجل التشاريف وأقام مدة في قرى الاحسان
واحسان القرى وأهله لا يملون ماجرى ولا أين يم ولا الى أي جهة لجأ حتى أتتهم
وافدات البشائر منه فقال له السلطان : لم لا أعلمت أهلك بقصدك إلينا ؟ قال : خشيت
أن يقولوا بفتك بك السلطان فأتثبط فاستحسن قوله وأفاض عليه طوله ، ثم أعيد الى
أهله فاتقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسه سوء ولا رثي له صاحب ولا شمت به عدو -
قلت : وقد آتت الامرة في برقة الى عمر بن عريف وهو رجل دين ، وكان أبوه عريف
ذا دين متين ، رأيت بالاسكندرية بعد الثمانين والسبعائة وآثار الخير ظاهرة عليه
وأما الوجه القبلي فقد ذكر الحمداني أن الامرة فيه كانت في ثلاثة أعمال : الاول
عمل البهنسا ، قال ، وكانت الامرة فيه في بيتين : أحدهما بيت أولاد زُعازع من بني
جديدي من بني بلار من لوائة من قيس عيلان أو من البربر على خلاف فيهم . قال
الحمداني ، وهم أشهر من في الصعيد * الثاني اولاد قريش ، قال الحمداني ، وهم أمراء
بني زيد ومساكنهم نويرة دلاص ، قال ، وكان قريش عبداً صالحاً كثير الصدقة ،
ومن أولاده سعد الملك المشهور بنوه هناك - قلت : وبقايا بني زُعازع موجودون
هناك والامرة فيهم الى الآن الا أنها صارت في معنى مشيخة العرب * الثاني عمل
الاشمونين ، وقد ذكر الحمداني ان الامرة كانت فيه في بني ثعلب من السلطنة
وهم أولاد بني جحيش من الحياذرة من ولد اسماعيل بن جعفر الصادق من عقب
الحسين السبط ابن علي بن ابي طالب رضی الله تعالى عنه ، وكانت منازلهم بذروة سربام
وغلب عليها الشريف حصن الدين بن ثعلب فعرفت بذروة الشريف من يومئذ ،
واستولى عليها وعلى بلاد الصعيد في أواخر الدولة الايوبية فلما ملك المعز أيبك التركماني
الديار المصرية جهز له جيوتاً فلم يظفر منه بطائل ، وبقي الى دولة الظاهر بيبرس فنصب
له حياثل الحيل وصاده بها وشنقه بالاسكندرية * الثالث عمل قوص ، وقد ذكر الحمداني
أن الامرة فيه في بيتين من بلى ، من قضاة ، من الفحطانية ، أحدهما بيت بني شاد ، وهم بنو

شادى ، وكانت منازلهم بالقصر الخراب المعروف بقصر بنى شادى ، وربما قيل أنهم من بنى امية بن عبد شمس من قريش ؛ والثانى بيت بنى العجيل ، بن اندب منهم أيضاً ، وهم المعروفون بالعجالة وكانوا معهم هناك . واعلم ان المقر الشهابى بن فضل الله قد ذكر فى التعريف أن الامرة فى الوجه القبلى كانت فى زمانه لناصر الدين عمر بن فضل ، ولم يذكر مقره ولا قبيلته . وذكر أن الامرة فيما فوق اسوان كانت فى قبيلة يقال لهم الحدارية فى سمرة بن مالك وهو ذو عدد جم وشوكة منكية يغزو الحبشة وأم السودان ويأتي بالنهاب والسبايا ، وله أثر محمود وفضل مآثور وقد على السلطان فأكرم مشواه وعقد له لواء شرف بالتشريف وقد وكتب الى ولاية الوجه القبلى عن آخرهم وسائر العربان بمساعدته ومعاضدته والركوب للغزومعه متى أراد وكتب له منشور بما يفتح من البلاد وتقليد بأمره عربان القبلة مما يلي قوص الى حيث تصل غايته وترتكز رايته قلت : وقد كانت الامرة آلت فى طما وما حولها من الاسيوطية الى ابي بكر بن الأحدب وبقيت فى بنيه الى قريب وامراؤهم تكتب عن الابواب السلطانية . أما الآن فقد وجهت هواره من البربر وجهها الى الوجه القبلى مدت رواقها على الصعيد بأسره واستقرت آخرها فى بيتين أحدهما : أولاد (عمر محمد) وإخوته ومنازلهم بمنشأة اخيم وما والاها من الاعمال القوصية ، والثانى بنو غريب بدهروط من البهنساوية وما أضيف اليها ، وكل من أمراء البيتين يكتب عن الابواب السلطانية

﴿ المقصد الثانى عشر ﴾

فى المكاتبات الصادرة عن ملوك الديار المصرية الى أهل المملكة على الاستقرعاه الحال وهى على ضربين :

(١) هذا المقصد ترجم فى الاصل بالفصل السادس ، وهو كذلك فى العادة التى بسط فيها العول على ترتيب المماكة بما فيها الشام والحجاز . ولما جرده المصنف منها ليضعه بعد العول فى الديار المصرية مباشرة نقله بترجمته الأصلية وتقسيمه الى قسمين وتقسيم اولهما الى أربعة مفاصد ولكنه لم يبسط منه فى هذا الموضع الا المقصد الاول لاختصاصه بالديار المصرية . وترك سائر تقاسيمه ليدكرها فى محالها . فرأينا أن تقتصر من تسميته وتقسيمه على ما رأيت حتى لا يحصل تشويش

﴿ الضرب الاول ﴾

المكاتبات المشتركة . وهي ما يشترك فيه الاثنان فأكثر من نواب السلطنة

فن دونهم ، وهي على ما استقر عليه عشر مراتب

المرتبة الاولى : « أعز الله تعالى انصار المقر » وهي أعلاها في حق المكتوب اليه

والرسم فيها على ما ذكره في التثقيف : « اعز الله تعالى أنصار المقر الكريم العالى المولوي

الأميرى الكبيرى العالى العادلى المؤيدى الزعيمى العونى الغياثى المناغرى المرابطى الممهدى

المشيدي الظهيرى العابدى الناسي الأتابكى الكفيلى الفلانى معز الاسلام والمسلمين

سيد أمراء العالمين ناصر الغزاة والمجاهدين ملجأ الفقراء والمساكين زعيم جيوش الموحدين

أتابك العساكر محمد الدول مشيد الممالك عماد الملة عون الأمة مظهر الملوك والسلاطين عضد

أمير المؤمنين . . . (ثم الدعاء والصدر، مثل ان يقال) : ولا زال عزه مؤبدا وعزمه مؤيدا وسعده

على مرال جديدين مجددا . أصدرناها الى المقر الكريم تهدي اليه من السلام أتمه ومن الثناء

أعمه ، وتبدي لعلمه الكريم كيت وكيت . ومرسومنا للمقر الكريم أن يتقدم أمره الكريم

بكذا وكذا فيحيط عامه الكريم بذلك والله تعالى يحمله به الممالك بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى »

قلت : وفي معنى الائب الكافل أتابك العساكر فتكتب اليه : « أعز الله تعالى انصار

المقر الكريم » . ويقال في تعريفه : « أتابك العساكر المنصورة »

المرتبة الثانية : « اعز الله تعالى نصره الجناب الكريم » - والرسم فيها : « اعز الله تعالى

نصره الجناب الكريم العالى الأميرى الكبيرى العالى العادلى المؤيدى العونى الغياثى المناغرى

المرابطى الممهدى المشيدي الظهيرى الكافلى الفلانى عز الاسلام والمسلمين سيد الأمراء

في العالمين نصره الغزاة والمجاهدين زعيم جيوش الموحدين مقدم العساكر محمد الدول

مشيد الممالك عماد الملة عون الأمة مظهر الملوك والسلاطين سيف أمير المؤمنين . . .

(ثم الدعاء والتصدير المناسب مثل ان يقال) : . . . ولا زالت عزه مؤيدة وأيام سعده مؤيدة

وأوامره السعيدة مسددة . صدرت هذه المكاتبه الى الجناب الكريم تهدي اليه سلاما

طيبا وثناء مطنبا وتوضح لعلمه الكريم كيت وكيت . ومرسومنا للجناب الكريم أن

يتقدم أمره الكريم بكذا وكذا فيحيط علمه الكريم بذلك والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه »

قلت : والذي في التعريف : « أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم » بأبدال نصره بأنصار

وكانت هي إذ ذاك أعلى المكاتبات الصادرة عن السلطان الى أهل المماكة

المرتبة الثالثة : « ضاعف الله تعالى نعمة الجناب » - والرسم فيها على ما في التثقيف :
 « ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالي الأمير الكيبري العالمي العادلي المؤيدي العوني
 الزعيمي المهدي المشيدي الظهيري الفلاني عز الاسلام والمسلمين سيد الأمراء في العالمين
 نصرة الغزاة والمجاهدين زعيم جيوش الموحدين مقدم العساكر ممد الدول مشيد الممالك
 عماد الملة عون الأمة ظهير الملوك والسلاطين سيف أمير المؤمنين . . . (ثم الدعاء والتصدير
 المناسب مثل أن يقال) : . . . ولا زال قدره عالياً ومدحه متوالياً وجيد الدهر بحسانه حالياً .
 صدرت هذه المكاتبة الى الجناب العالي تهدي اليه سلاماً يروق وثناء يشوق وتوضح
 لعلمه الكريم كيت وكيت . ومرسومنا للجناب العالي أن يتقدم أمره العالي بكذا وكذا
 ويحيط علمه بذلك والله تعالى يؤيده بالملائك بمنه وكرمه »

المرتبة الرابعة : « أدام الله تعالى نعمة الجناب العالي » - والرسم فيها على ما في التثقيف :
 « أدام الله تعالى نعمة الجناب العالي الأمير الكيبري العالمي العادلي المؤيدي الأوحدي
 النصيري العوني الهمامي المقدمي الظهيري الفلاني عز الاسلام والمسلمين سيد الأمراء في العالمين
 نصرة الغزاة والمجاهدين مقدم العساكر كهف الملة زخر الدولة عماد المملكة ظهير الملوك
 والسلاطين حسام أمير المؤمنين . . . (ثم الدعاء والتصدير المناسب مثل ان يقال) : . . . ولا
 زال قدره رفيعاً وعزه منيعاً وقطره مريعاً . صدرت هذه المكاتبة الى الجناب العالي تهدي اليه
 سلاماً طيباً وثناءً صيباً وتوضح لعلمه المبارك كذا وكذا ومرسومنا للجناب العالي ان
 يتقدم أمره العالي بكيت وكيت فيحيط علمه بذلك والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه »

المرتبة الخامسة : « أدام الله تعالى نعمة المجلس » - والرسم فيها على ما في التثقيف :
 « أدام الله تعالى نعمة المجلس الأمير الكيبري العالمي المجاهدي المؤيدي العوني
 الأوحدي النصيري العالمي المقدمي الظهيري الفلاني عز الاسلام والمسلمين سيد الأمراء في
 العالمين نصرة الغزاة والمجاهدين مقدم العساكر كهف الملة ظهير الملوك والسلاطين حسام أمير
 المؤمنين . . . (ثم الدعاء والتصدير المناسب مثل ان يقال) : . . . ولا زال عالي قدره نافذاً
 أمره جارياً على الا لسنة حمده وشكره . صدرت هذه المكاتبة الى المجلس العالي تهدي
 اليه سلاماً وثناءً بساماً وتوضح لعلمه المبارك كذا وكذا . ومرسومنا للمجلس العالي ان
 يتقدم أمره المبارك بكذا وكذا فيحيط علمه بذلك والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه »

المرتبة السادسة : « صدرت هذه المكاتبة الى المجلس العالي » - والرسم فيها على ما في التثقيف :
 « صدرت هذه المكاتبة الى المجلس العالي الأمير الكيبري العفندي الذخري

النصيري الأوحدي العوني المقدمي الظهيري الفلاني مجد الإسلام والمسلمين شرف الأُمراء المهديين نصرة الغزاة والمجاهدين مقدم العساكر ذخرة الدولة كهف الملة ظهير الملوك والسلاطين . . . « (ثم الدعاء والتصدير المناسب مثل ان يقال) : « . . . أدام الله سعادته وأجزل بره وإفادته . موضحة لعلمه المبارك كذا وكذا ومرسومنا للمجلس العالي ان يتقدم بكذا فيحيط بذلك علماً . والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه »

المرتبة السابعة : « صدرت ، والساحي » . ويعبر عنها بالساحي بالياء ، والرسم فيها : « صدرت هذه المكتابة الى المجلس السامى الاثميري الأجل الكيبرى العضدي الذخري النصيري الأوحدي الفلاني مجد الإسلام بهاء الأنام شرف الأُمراء زين المجاهدين عضد الملوك والسلاطين . . . (ثم الدعاء والصدر مثل ان يقال) : « . . . أدام الله سعادته وأجزل من الخير إرادته تتضمن اعلامه كذا وكذا »

المرتبة الثامنة : « هذه المكتابة الى المجلس السامى » ويعبر عنها بالساحي بغير ياء ، والرسم فيها على ما في التثقيب : « هذه المكتابة الى المجلس السامى الامير الاجل الكيبرى الغازي المجاهد المؤيد الأوحدي المرتضى فلان الدين مجد الإسلام بهاء الأنام نجر الأُمراء زين المجاهدين عمدة الملوك والسلاطين . . . (ثم الدعاء مثل :) « . . . أدام الله إقباله وسدد في المصالح احتياله تعلمه كيت وكيت . ومرسومنا للمجلس ان يتقدم بكذا وكذا فيعلم ذلك ويعتمده والله الموفق بمنه وكرمه »

المرتبة التاسعة : « يعلم مجلس الأُمير » والرسم فيها : « يعلم مجلس الأُمير الاجل الكيبرى الغازي المجاهد المؤيد فلان الدين مجد الإسلام بهاء الأنام شرف الأُمراء زين المجاهدين عمدة الملوك والسلاطين . . . (ثم الدعاء مثل :) « . . . أدام الله سعده وأنجح قصده وشان ضده أن الأمر كيت وكيت . ومرسومنا لمجلس الأُمير ان يتقدم بكذا وكذا فيعلم ذلك ويعتمده والله الموفق بمنه وكرمه »

— ضرب الثاني —

المكتابات المختصة . وهي ما يختص بصورة المكتابة فيه الواحد فقط إما باعتبار زيادة أو نقص أو تغيير أو غير ذلك . ويشترك فيها أرباب السيوف والاقلام . وسيأتي ذكر كل مكتابة منها في موضعها ان شاء الله تعالى . وأعلم ان لمملكة تشتمل على

ثلاثة أقاليم لكل منها من يكاتب عن الابواب السلطانية (وكلامنا الآن على)
اقليم الديار المصرية . والمكاتبون فيها على ضربين :

﴿ الضرب الاول ﴾ أرباب السيوف ، وهم ستة أصناف

﴿ المصنف الاول ﴾ ولاية العهد بالسلطنة - ورسم المكاتبه الى ولى العهد بها على ما ذكره في التقييف :

« أعز الله تعالى أنصار المقام للعلى الملكى العلى العادلى . أصدرناها الى المقام العالى تهدي اليه من السلام كذا ومن الثناء كذا وتطلع علمه الشريف على كذا »
ثم قال : والعلامة « اخوه » سواء كان أخا أو غير أخ ، و « ولده » ان كان ولدا ، ولم يذكر تعريفه . والظاهر انه يكتب له : « ولى العهد بالسلطنة الشريفة »
قال فى التقييف : ولعل هذه المكاتبه نظير ما كتب الى الملك الصالح على بن المنصور قلاوون فإنه كان ولى عهد آيه المذكور ، ثم قال ، ورأيت أمثلة كثيرة صدرت عنه بخلص الحقوق وعلامته عليها : « على بن قلاوون »

﴿ الصنف الثانى ﴾ ، نواب السلطنة الشريفة بها - وهم أربعة :

الاول النائب الكافل ، وهونائب السلطنة بالحضرة . وقد تقدم ذكره فى الكلام على أرباب الوظائف بالديار المصرية . قال فى التقييف : وقل أن يكاتب الا اذا كان السلطان مسافرا فى غزاة أو مرحة للصيد . ورسم المكاتبه اليه على ما استقر عليه الحال فيما أورده فى التقييف : « أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم » بالالاقاب المتقدمة فى المرتبة الاولى . والعلامة اليه « أخوه » . وتعريفه : « كافل الممالك الاسلامية أعلاها الله تعالى » . قلت وقد ذكر فى التعريف أن المكاتبه اليه : « أعز الله تعالى أنصار المقر » وزيدت ألقابه على ما كانت عليه لما كتب بذلك الى نائب الشام فى ولاية بيدىس الخوارزمي وكافل المملكة يومئذ الامير منجك فلزم أن يكتب له مثله لثلا يكون نائب الشام أميرا على كافل السلطنة . قال فى التعريف : وقد رأيت بعض الكتاب يكتب فى ألقابه بعد الامير « الأمرى » ، قال ، والكتاب المذكور كاتب صالح فى المعرفة وليس بحجة . وكتابه « الأمرى » ليس بشئ وإنما حمله عليه كثرة الملق . وقد نقل فى التعريف أيضا عن هذا الكتاب أنه كتب فى تعريفه

نائب السلطنة « وكافل الممالك الشريفة الاسلامية » ، ثم قال ، وهو مقبول منه ولكن الذي أراه أن يجمع ذكر النيابة والكفالة في تقليده فيقال أن يقلد نيابة السلطنة المعظمة وكفالة الممالك الشريفة الاسلامية ، أو ما هذا معناه نحو : وكفالة الممالك الشريفة مصر او شاما وسائر البلاد الشامية أو الممالك الاسلامية ونحو ذلك . فأما في تعريف الكتب فقد جرت عادة نواب الشام ان تقتصر في كتبها اليه على « كافل الممالك الاسلامية المحروسة » ، قال ، ولعمري في ذلك مقنع ؛ فإن في الاقتصار عليها ما هو اكبر فخامة . وعليه عمل اكثر الكتاب بديوان مصر أيضا . ويؤيده أنهم يقتصرون فيما يكتب بأشارته على هذا التعريف فاعلم ذلك

﴿ تنبيه ﴾ قال في التعريف : اما نائب الغيبة وهو الذي يترك اذا غاب السلطان والنائب الكافل فليس الا لأخذ الثوائر وخلص الحقوق وحكمه في رسم المكاتبه اليه رسم مثله من الامراء

الثاني ، نائب الاسكندرية - وقد تقدم أن نيابتهما استحدثت في الدولة الاشرفية شعبان بن حسين في سنة ٧٦٧ عند طروق العدو المخدول من الفرنج لها . ورسم المكاتبه اليه « ضاعف الله نعمة الجناب العالي » على ما تقدم في المرتبة الثالثة إلا أنه لا يقال في ألفابه « الكافلي » والعلامة الشريفة اليه « والده » وتعريفه « نائب السلطنة الشريفة ، بئر الاسكندرية المحروس » . واعلم ان بالاسكندرية حاجبا يكاتب عن الابواب السلطانية . قال في التثقيف : ورسم المكاتبه اليه « المجلس السامي » ان كان طبلخاناه ، و« يعلم مجلس الامير » ان كان أمير عشرة ، والعلامة الاسم بكل حال ، وتعريفه : « الحاجب بئر الاسكندرية المحروس »

الثالث ، نائب الوجه القبلي بمدينة أسيوط - قد تقدم أنها نيابة استحدثت في الدولة الظاهرية برقوق في سنة ٧٨٠ ورسم المكاتبه اليه « أدام الله نعمة الجناب » قلت : وكانت المكاتبه قبل ذلك « ضاعف الله تعالى نعمة الجناب » وهو الذي أورده في التثقيف الرابع ، النائب بالوجه البحري بمدينة دمهر الوحش - وقد تقدم أن نيابته استحدثت في الدولة الظاهرية برقوق أيضا بعد حدوث نيابة الوجه القبلي ورسم المكاتبه اليه : « أدام الله نعمة الجناب » كنياب الوجه القبلي ، والعلامة له « والده » ،

وتعريفه « نائب السلطنة الشريفة بالوجه البحرى » . قلت : ولم يتعرض له فى التثقيف وكأنه حدث بعد تأليفه

﴿ الصنف الثالث - الكشاف ﴾ وهم كاشفا الفيوم والبهنساوية وكاشف الوجه البحرى، وكل منهم امير طبلخاناه ورسم المكاتبه اليهما « صدرت »، والعلامة الاسم الشريف، وتعريف كل منهما : « الكاشف بالمكان الفلانى »

﴿ الصنف الرابع -- الولاة بالوجهين القبلى والبحرى ﴾ وهم ثلاثة عشر نفرا منهم ستة طبلخاناه : ثلاثة بالوجه القبلى وهم والى قوص، ووالى الاشمونين، ووالى البهنساء، وثلاثة بالوجه البحرى وهم والى الغربية، ووالى المنوفية، ووالى الشرقية : وسبعة عشرات : ثلاثة بالوجه القبلى وهم والى الجزيرة وكان قبل ذلك طبلخاناة، ووالى اطفيح، ووالى منفوط وكان قبل ذلك طبلخاناه وهو اليوم امير عشرين : وأربعة بالوجه البحرى وهم والى قليوب، ووالى اشموم الرمان، ووالى دمياط، ووالى قطيا ورسم المكاتبه الى كل من الطبلخاناه منهم « السامى » بغير ياء، ووالى العشرات « مجاس الامير »، والعلامة للجميع الاسم الشريف، وتعريف كل منهم « والى مكان كذا » كوالى قوص ووالى الغربية ونحو ذلك

﴿ الصنف الخامس ﴾ كشاف الجسور والمتوجهون لتحضير البلاد وقبض الغلال . قال فى التثقيف : فمن كان منهم طبلخاناه فرسم المكاتبه اليه « السامى » بالياء، ومن كان عشرة فرسم المكاتبه اليه « السامى » بغير ياء، والعلامة للجميع الاسم الشريف قال، ولا تذكر الوظيفة التى توجه بسببها ولا الأقليم الذى هو به

﴿ الصنف السادس ﴾ باقى الامراء بالديار المصرية — وقد ذكر فى التعريف أنهم ان كانوا مقدمي الوف فل كبارهم أسوة كبار النواب بالممالك الشامية كالشام وحلب، ولا وسطهم أسوة أوسطهم كحماه وطرابلس وصفد، ولا صغبرهم أسوة أصغبرهم كغزة وحمص، قال، فاعلم ذلك وقس عليه : ثم قال، والذى نقوله: لكبار المقدمين بالايواب السلطانية « الجناب الكريم »، ثم « الجناب العالى »، ثم « المجلس العالى » . قلت وهذا على ما كان عليه الامر فى زمانه أما على ما استقر عليه الحال آخره فانه يكتب لكبارهم « المقر الكريم » كما يكتب للأتابك، والا « فالجناب الكريم » ثم « الجناب العالى »

ثم « المجلس العالى » وان كانوا طبلخانة فقد ذكر أن منهم من يكتب له « المجلس العالى » كمن يكون معيناً للتقدمة وله عدة ثمانين فارساً أو سبعين فارساً أو نحو ذلك ، وكالمقربين من الخاصكية ، أو من له عراقية نسب كبقايا الملوك وأرباب الوظائف الجليلة كحاجب كبير أو أستاذ ار جليل أو مدبر دولة يصرح له بالوزارة ، أو دوا دار متصرف ، قال ، وهو لاء وان كتب اليهم بـ « المجلس العالى » فإنه يكتب بغير افتتاح بالدعاء . والكتابة لهم بـ « العالى » على وجه الغرض لا الاستحقاق ، والا فأجل رسم مكاتبة امراء الطبلخاناه « السامى » بالياء ولجمهورهم « السامى » بغير ياء . فان كانوا أمراء عشرات فقد ذكر أن لكل منهم « مجلس الامير » وقال ، ان زهد قدر أحد بسبب ما كتب له « المجلس السامى » بغير الياء . وان كانوا من مقدمي الجند فقد ذكر أن لهم أسوة أمراء العشرات فى المكاتبية ، ثم قال : أما الجند فـ « الامير الاجل » وأما جند الامراء فـ « الطواشى » قلت : وكأنه يريد ما اذا كتب بسببهم مكاتبة أو كتب لاحدهم توقيع ونحو ذلك والا فالجند لا يكتب احد منهم عن الأبواب السلطانية (الصنف السابع العربان بالديار المصرية) وهم عرب البحيرة وعرب الشرقية وعرب الوجه القبلى وعرب الجزيرة وعرب برقة فعرب البحيرة قد تقدم فى الكلام على ترتيب المملكة عن التعريف ان الاميرة فى زمانه كانت فيهم فى محمد بن ابى سليمان وفائد بن مقدم وقال ان رسم المكاتبية الى كل منهما « هذه المكاتبية الى المجلس السامى الاميرى » ، والعلامة « اخوه » قلت : والامارة الآن فيهم فى أولاد التركية من المتقدمة من عقب مقدم المذكور آنفا ورسم المكاتبية الى أميرهم « هذه المكاتبية » أيضاً * وعرب الشرقية ، قد ذكر فى التعريف انه كان فى زمانه منهم نجم بن هحل شيخ عايد ، وذكر انه دون محمد بن أبى سليمان وفايد بن مقدم أميرى عرب البحيرة المقدم ذكرهما ثم قال ، ورسم المكاتبية اليه « المجلس السامى الأمير » - « قلت : ثم صارت إمرة العايد فى الدولة الظاهرية برقوق الى محمد بن عيسى وهى الآن بيد سعاد بن محمد بن عيسى . ورسم المكاتبية اليه « هذه المكاتبية أيضاً » . وكانت إمرة جذام فى الدولة الاشرافية شعبان بن حسين فى الامير بقر ، وهى الآن بيد (١) بن أحمد

ابن بقر ، ورسم المكاتبية اليه مثله ؛ وكانت امرأة ثعلبة في احمد بن حسن السلطاني ، ثم تنقلت بعده ، وهي الآن في بني علوية بن ثعلبة ، وعرب الوجه القبلي قد ذكر في التعريف انه كان منهم في زمانه اثنان : احدهما ناصر الدين بن عمر بن فضل ، والثاني سمرة بن مالك ، وانه كان ذو عدد جم وشوكة منكبة يفتزوا الحبشة وأم السودان وبأتي بالنهاب والسبايا . وذكرا ان رسم المكاتبية الى كل منهما « هذه المكاتبية الى المجلس السامي » . قلت : ثم صارت الأمرة في الايام الظاهرية برقوق الى أبي بكر بن الاحدب وكان يكتب اليه « هذه المكاتبية » ، وهي الآن في هواره في بيتين أحدهما : بنو عمر بالصعيد الأعلى بمنشأة اخيم وما والاها . والثاني بنو غريب بدهروط وما حولها من البهنساوية ورسم المكاتبية الى كل منهما « هذه المكاتبية » أيضا . وعرب برقة ، فقد ذكر في التعريف انه لم يكن في زمانه من يكاتب منهم الا جعفر بن عمر ولم يذكر رسم مكاتبته . قلت : وإمرتها الآن في عمر بن عريف ورسم المكاتبية اليه « هذه المكاتبية »

الضرب الثاني ، أرباب الاقلام ، وهو صنفان :

الصنف الاول ، أرباب الوظائف الدينية من حملة الاقلام ... لم يذكر في الشقيف مكاتبية صدرت عن الأبواب السلطانية لأحد من أرباب الوظائف الدينية بالديار المصرية سوى ما كوتب به قاضي القضاة تاج الدين الاخنائي المالكي حين حج في سنة ٧٦٧ في الدولة الناصرية بحسن جوابا عما ورد منه ، وذكر انه كتب له الدعاء و« المجلس العالي » ، والعلامة الاسم ، ثم قال ، أما قاضي القضاة عز الدين بن جماعة فإنه كان يحج ويمجاور كثيرا ولكن لم أره كتب له قط ، قال ، وأنا ساك في أمره . قلت : رأيت في « ايقاظ المتغفل » لابن متوج انه كتب اليه وهو مجاور بمكة « اعز الله تعالى أحكام المجلس العالي » ولم يتعرض للعلامة ، والظاهر أنها « أخوه » ، وان يكون تعريفه « قاضي القضاة الشافعية بالديار المصرية »

الصنف الثاني ، أرباب الوظائف الديوانية من الوزراء ومن في معناهم - والمكتوب اليهم من هذا النمط ثلاثة نفر : الاول الوزير ، وقد ذكر في التعريف انه لم تنزل مكاتبية أجلاء الوزراء « بالمجلس العالي » ثم كتب لآخرهم بالديار المصرية « الجناب العالي » .

قلت : ولم يتعرض في التثقيف لمكاتبة الى الوزير إلا انه ذكر في الكلام على ألقابه في آخر الكتاب ان الدعاء له « ضاعف الله » وحينئذ فتكون مكاتبته : « ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالي صاحبي الكبيرى العالمى العادلى الاوحدى الاكلى القوامى النظامى الاثيرى البليغى المنفذى المسددى المتصرفى المههدى العونى المدبرى المشيرى الوزيرى القلانى صلاح الاسلام والمسامين شرف الوزراء فى العالمين رئيس الكبراء كبير الرؤساء اوحد الاصحاب ملاذ الكتاب قوام الدول نظام الملك مفيد المناجى معتمد المصالح عماد الملة عون الامة مشير الملوك والسلاطين ولي أمير المؤمنين ... » والعلامة « أخوه » وتعريفه « مدبر الممالك الشريفة الاسلامية المحروسة »

الثانى - كاتب السر اذا تخلف عن الركاب السلطانى لعارض . ورسم المكاتبة اليه على ماورد فى التثقيف : « ادام الله تعالى نعمة المجلس العالي الفاضوى الكبيرى العالمى العادلى العلامى الافضلى الاكلى البليغى المسددى المنفذى المسيدى العونى اليمينى السفيرى الاصبلى العريقى القلانى صلاح الاسلام والمسلمين سيد الرؤساء فى العالمين قدوة العلماء العاميين جمال البلغاء أوحد الفضلاء جلال الاصحاب كهف الكتاب يمين المملكة لسان السلطنة والسلاطين ولي أمير المؤمنين ... » والعلامة « أخوه » ، وتعريفه « صاحب دواوين الممالك الشريفة الاسلامية »

الثالث - ناظر الخاص . ورسم المكاتبة اليه كما قانه فى التعريف : « المجلس العالي الفاضوى الكبيرى العالمى الفاضلى الاوحدى الاكلى الرئيسى البليغى البارعى القوامى النظامى الماجدى الاثيرى المنفذى المسددى المتصرفى القلانى جمال الاسلام قوام المصالح نظام المناجى جلال الاكابر قدوة الكتاب رئيس الاصحاب عماد الملة صفوة الدولة خالصة الماوك والسلاطين ولي أمير المؤمنين » قلت : أما ناظر الجيش فإنه لم يتعرض فى التثقيف للكاتبه إليه فأن قدر كتابة اليه كتب له على نظير ناظر الخاص المقدم الذكر وزهد فى ألقابه ما يختص بناظر الجيش المقدم مثل « مرتب الجيوش » ونحو ذلك

الصف الثالث - الخوندات الساطانية من زوجات السلطان وأقاربه اذا دعت الحال الى ذلك لسفر أو نحوه . وقد ذكر فى التثقيف منهن جماعة كتب اليهن فيما تقدم ونحن نذكر مكاتبتهن لينسج على منوالها :

الاولى - ابنة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون زوج أبى بكر بن أرغون ،

كتب اليها عن والدها وهي مع زوجها المذكور بحلب ورسم المكاتبه اليها :
« الذي يحيط به علم الحرمة الشريفة العالية المصونة الولدية عصمة الدين جلال النساء
شرف الخواتين سليمة الملوك والسلاطين ضاعف الله تعالى جلالها . . . والعلامة « والدها » ،
وتعريفها : « الدار السيفية بحلب » ، والكتابة تكون بأسطر متقاربة كالملطف
الثانية — طغاي زوجة السلطان الملك الناصر المتقدم ذكره المعروفة بأمر أنوك ،
كتب لها عنه لما توجهت الى الحجاز الشريف : « ضاعف الله تعالى جلال الحرمة
الشريفة العالية المعظمة المحجبة المصونة الكبرى خوندختون جلال النساء في العالمين سيدة
الخواتين قرينة الملوك والسلاطين . . . » والعلامة « الاسم » وتعريفها « والدة المقر الكريم
الولدي السيفي أنوك » والاسطر متضايقة على ما تقدم

الثالثة — اخت السلطان الملك الناصر حسن زوج الامير طافر ، كتب لها عن
أخيها المشار اليه لما كانت بالحجاز الشريف : « ضاعف الله تعالى جلال الجهة الشريفة
العالية الكريمة المحجبة المصونة الكبرى الخاتون جلال النساء في العالمين جميلة المحجبات
جديدة المصونات كريمة الملوك والسلاطين . . . » والعلامة « أخوها »

الرابعة — الحاجة الست حدق ، كتب لها عن الناصر حسن وهي بالحجاز الشريف :
« ضاعف الله تعالى جلال الجهة الشريفة العالية الكبيرة المحجبية المصونة الحاجة الولدية
جلال النساء في العالمين بركة الدولة والدة الملوك والسلاطين . . . » ثم الدعاء ، والعلامة
الأسم ، وتعريفها « الحاجة ست حدق »

الخامسة — والدة الاشرف شعبان بن حسين ، كتب لها عن ولدها المشار اليه
حين سفرها الى الحجاز الشريف في قطع الشامي الكامل بقلم الثلث الخفيف او قلم
التوقيعات : « ضاعف الله تعالى جلال حجاب الجهة الشريفة العالية الكبرى المعظمة
المحجبة جديدة المصونات والدة الملوك والسلاطين . . . » ثم الدعاء

— الفصل الثاني —

(في المالك الشامية — وهي الشام وملحقاته)

﴿ الشام ﴾ بهمزة مقصورة وميم في الآخر ، قال في تهذيب الاسماء ، ويجوز فيه

فتح الشين والمد على ضعف وان كان مشهورا . قال الجوهري : ويجوز فيه التذكير والتأنيث ، قال النووي ، والمشهور التذكير . وموقع جميع بلاده في الأقليم الثالث والاقليم الرابع من الاقاليم السبعة . وقد اختلف في تسميته شاما : فقيل تشاوتم بنى كنعان ابن حام بن نوح عليه السلام اليه حين قسم نوح الارض بين بنيه ، ومن ثم قيل للشام أرض كنعان : وقيل بل سمي بسام بن نوح اذ يقال أنه أول من نزله ، واسمه بالسريانية شام بشين معجمة فقلبتا العرب سينا مهملتا : وقيل لان أرضه مختلفة الالوان بالحرة والسواد والبياض فسمى شاما لذلك كما يسمى الحال في وجه الانسان شامة : وقيل لأنه عن شمال الكعبة ، والشام لغة في الشمال . واختلف أيضا في تحديده فذكر في التعريف ان حده من القبلة الى البر المقفرتيه بنى اسرائيل وبر الحجاز والسماوة الى مرمى الفرات بالعراق ، قال ، وهذه المحاد كلها من جزيرة العرب ؛ وحده من الشرق طرف السماوة وانقرات ، وحده من الشمال البحر الرومي ، وحده من الغرب حد مصر المتقدم الذكر . وذكروا في تقويم البلدان أن حده من الجنوب من أول رفح في أول الجفار بين مصر والشام الى حدود تيه بنى اسرائيل الى ما بين الشوبك وأيلة الى البلقاء ؛ وحده من الشرق من البلقاء الى مشاريق صرخد ، الى نابلس ؛ وحده من الشمال من نابلس مع الفرات الى قلعة نجمة ، الى البيره ، الى شميساط ، الى حصن منصور ، الى بهسنا ، الى مرعش ، الى بلاد سيس ، الى طرسوس ، الى بحر الروم ؛ وحده من الغرب من طرسوس أخذنا على ساحل البحر الرومي الى رفح المتقدمة الذكر . فخالف التعريف في بعض الحد الشمالي وأدخل بلاد الارمن المتصلة بآخر بلاد حاب من الشمال في حدود الشام . على أنه قد صرح بذلك في التعريف فقال بعد ان أفرد الفتوحات الجاهانية التي هي أول بلاد الارمن من جهة حلب بالذكر : وأتيت بها هنا اذ لم يكن لها تعلق بمملكة تذكروا فيها وليست من الشامات في شيء وإنما هي من بلاد الارمن المسماة قديما ببلاد العواصم والتغور . على ان ما ذكره في التعريف وتقويم البلدان من التحديد لا يخلو من تساهل . قل التيفسانى : وطوله أكثر من شهر . وقال ابن حوقل : وطوله من ملطية الى رفح ٢٥ مرحلة ، ومن ملطية الى منبج اربع مراحل ، ومن منبج الى حلب مرحلتان ، ومن حاب الى حمص خمس مراحل ، ومن حمص الى دمشق خمس مراحل

ومن دمشق الى طبرية اربع مراحل ، ومن طبرية الى الرملة ثلاث مراحل ، ومن الرملة الى رفح مرحلتان . قال : وأعرض ما فيه طرفاه . أما ما بين هذين الطرفين من الشام فلا يكاد ، بين الاردن ودمشق وحمص ، يزيد على اكثر من ثلاثة أيام

* (أجناد الشام) *

واعلم ان المتقدمين قد قسموا نواحي الشام الى خمسة أجناد ، جمع جند بضم الجيم وإسكان النون ودال مهمله في آخره كما ضبطه الجوهري وغيره

الاول — جند فلسطين ، بكسر الفاء وفتح اللام ؛ وهي بلدة كانت قديما . فنسبت الكورة اليها . قال الزجاجي : وسميت بفلسان بن كلثوم من ولد فلان بن نوح عليه السلام .

قال ابن حوقل : وهو أول الأجناد الخمسة من جهة الغرب من رفح الى حد اللجون ، قال ، وعرضه من يافا الى أريحا نحو يومين أما زعز وديار قوم لوط والجبال والشراة فمضمومة اليها وهي منها في العمل الى حدأيلة ، قال ابن حوقل وهي أرخي بلاد الشام اثناني جند الأردن — قال في اللباب ، بضم الالف وسكون الراء وضم الدال المهملتين وتشديد النون في آخرها ، قال ، وهي بلدة من بلاد الغور من الشام وبها نهر كبير يقال له نهر الأردن وقد نسبت الكورة كما نسب النهر اليها . قال ابن حوقل : وديار قوم لوط والبحيرة المنتنة وزعز الى يبسا والى طبرية يسمى الغور لأنه بين جبلين وسائر بلاد الشام مرتفعة عليه ، قال ، وبعضها من الاردن وبعضها من فلسطين

الثالث جند دمشق ، والرابع جند حمص ، والخامس جند قنسرين بكسر القاف وفتح النون المشددة وسكون السين وكسر الراء المهملتين ، وهي قاعدة من قواعد الشام القديمة على القرب من حلب كان ينزلها الجند في ابتداء الاسلام ثم ضعفت بحلب وخربت وصارت قرية . قال الزجاجي : وسميت برجل من قيس يقال له (ميسرة نزلها فمر به رجل فقال له ما أشبه هذا الموضع بقوسيرين فبنى منه اسم للمكان فقيل قنسرين) . قال ابن الاعرابي : واختلف في إعرابها فقيل تجرى مجرى قولك الزيدون فتجعلها في الرفع بالواو وفي النصب والجر بالياء فتقول : هذه قنسران ، ورأيت قنسرين ، ومررت بقنسرين ؛ وقيل تعربها بالياء بكل حال فتقول : هذ قنسرين ،

ورأيت قنسرين ومررت بقنسرين . ولا تصرفها قال ابن الاثير: وكل جند منها عرضه من ناحية الفرات الى ناحية فلسطين، وطوله من الشرق الى البحر اذا علم ذلك فقد حكاه في التعريف على وجه آخر . فقال : للناس في الشام اقوال، منهم من لا يجعله الا شاما واحدا، ومنهم من يجعله شامات: فيجعلون بلاد فلسطين والارض المقدسة الى حد الأردن شاماً، ويقولون الشام الاعلى؛ ويجعلون دمشق وبلادها من الاردن الى الجبال المعروفة بالطوال شاماً، ويقع على قرية اليبك وما هو على خطها؛ ويجعلون سوريا وهي حمص وبلادها الى رحبة مالك بن طوق شاما ويجعلون حماه وشيزر من مضافاتها، وثم من يجعل منها حماه دون شيزر، ويجعل قنسرين وبلادها وحلب مما يدخل في هذا الحد الى جبال الروم وبلاد العواصم والثغور وهي بلاد سيبس . فأما عكا وطرابلس وكل ما هو على ساحل البحر فكما قابل شي، منه شيئاً من الشامات حسب منه . اما ما عليه الحال الآن فان بالشام ست قواعد بكل قاعدة، منها نائب سلطنة

❖ القاعدة الاولى دمشق ❖

بكسر الدال المهملة وفتح الميم، وتسمى أيضاً جلق، بكسر الجيم وتشديد اللام المفتوحة، وجيرون بفتح الجيم وسكون الياء المثناة تحت . وقد اختلف في بانها فقيل بناها نوح عليه السلام لما نزل من السفينة بعد ان بنى حراف، وقيل بناها جيرون بن سعيد بن عاد وبه سميت بجيرون، وقيل بناها جيرون وأخوه بر يد ابنا سعيد بن لقمان بن عاد وبهما يعرف باب جيرون وباب البريد من أبوابها، وقيل بناها العازر غلام ابراهيم الخليل عليه السلام الذي وهبه له نمرود بن كنعان حين خرج من النار وكان اسمه دمشق فسميت به، وفي كتاب فضائل الفرس لأبي عبيد أنه بناها سوراسب ملك الفرس، وقيل بناها ذو القرنين عند فراغه من سد يأجوج ومأجوج و وكل بمارتها غلاما له اسمه دمشق فسميت به وعربت دمشق، وقيل غير ذلك . وهي مدينة حسنة الترتيب جارية الابنية ذات حواضر فسيحة وبها من الجوامع والمساجد والمدارس والخوانق والرباط والروايا والاسواق ما لا يرى في غيرها، وغوطتها أحد مستنزهات الدنيا، وفي جانبها الغربي قلعتها وهي قلعة حسنة مرجلة على الارض تحيط بها وبالمدينة جميعها أسوار عالية يدور بها خندق يطوف الماء منه بالقلعة واذا دعت الضرورة اليه أطلق على جميع الخندق

المحيط بالمدينة فيعمها؛ وفي الميدان القبلى منها القصر الابلق، وهو قصر عظيم مبنى بالحجر
الأسود والاصفر بتأليف غريب وإحكام عجيب، بناه الظاهر بيبرس البدقдарى فى
سلطنته، وعلى مثاله بنى الناصر محمد بن قلاوون القصر الابلق بقلعة الجبل بمصر؛ وبجانبا
الشمالى مدينة مستقلة بنفسها تسمى الصالحية، ذات أبنية جليلة وعمائر ضخمة يسكنها
كثير من الامراء والجنود، تشرف على دمشق وخطتها، ولكل من دمشق والصالحية
البساتين الانيقة والمستنزهات الفاتحة. ومسقى دمشق من نهر يسمى بردا، بفتح الباء
الموحدة والراء والدال المهملتين، ينقسم الى سبعة أنهر، اربعة منها غريبيه وهي نهر داريا
ونهر المزة ونهر القنوات ونهر باناس؛ واثنان شرقيه وهما نهر يزيد ونهر تورا، ونهر
يردا ممتد بينهما فهر باناس ونهر القنوات حاكبان على المدينة مساطران على ديارها.
وبها جامع بنى أمية بناه الوليد بن عبد الملك بن مروان لا نظير له فى الدنيا، يقال إنه
أنفق فيه أربعمائة صندوق كل صندوق فيه ثمانية وعشرون الف دينار، وربما قيل إنه
أنفق فيه خراج الشام سنة، وأنه اجتمع فى ترخييه اثنا عشر الف مرخم

قلت: ولم تزل دمشق زاوية البنيان تامة الاركان الى أن طرقتها تمرلنك فى سنة
٨٠٣ فحرق جميع داخل السور ولم يبق عامرا الا ظاهرها، ثم أعيد بعض بناء ما أحرق
على القرب من الجامع، وباقى ذلك باق على الحراب وذكر فى التعريف أن ولايتها من
العريش حد مصر الى آخر ساهية مما هو شرق بشمال، والى الرحبة مما هو شرق بجنوب.
قال، وقد أضيف اليها فى زمن سلطاننا بلاد جعبر وحقها أن تكون مع حاب. وحينئذ
تكون ولايتها مشتملة على الشام الأعلى المقدم ذكره، وما يليه، وما يلي ما يليه، وبعض
الشام الأدنى، وليس يخرج عنها من ذلك الاحماة، وما خرج مع صفد وطرابلس والكرك.
قال ويكون فى نيابة نائبا نيابة غزة ونيابة حمص وبعض شي مما يقتضى الحق أن
يكون فى نيابة حلب. ويشتمل على بر وأربع صفقات

﴿ فاما برها ﴾ فالمراد به ضواحيها، وحده من القبلة قرية الحيارة المجاورة لالكسوة وما هو
على سمتها طولاً، ومن الشرق الجبال الطوال الى النيك (وما على سمتها) من القرى آخذاً على
عسال وما حولها من القرى الى الزبدانى، ومن الغرب ما هو من الزبدانى الى قرى
القيمران المساهمة للخيارة المقدم ذكرها، قال، ويدخل فى ذلك مروج دمشق وخطتها

(وأما صفقاتها) فأربع صفقات

﴿ الصفقة الاولى الساحلية والجبلية ﴾

وهذه الصفقة هي الغربية عن دمشق . قال في مسالك الابصار : وهي عبارة عن بلاد غزة وما جاورها سهلا ووعرا . قال في التعريف : وهذه الصفقة هي الشام الاعلى ينقص منه ما هو من نهر الاردن الى أول حدود قاقون . وهذه الصفقة لها ناحيتان : ﴿ الناحية الاولى الساحلية ﴾ - وهي التي يساحل بحر الروم وتشتمل على أربعة أعمال : الاول ، عمل غزة - وهي على طرف الرمل بين مصر والشام آخذة بين البر والبحر ، مبنية على نشز عال على نحو ميل من البحر الرومي ، ذات جوامع ومساجد ومدارس وزوايا وبيمارستان ، صحيحة الهواء . وشرب أهلها من الآبار ، وبها أمكنة يجتمع فيها المطر إلا أنه يستثقل في الشرب فيعدل عنه الى الآبار خلفه مائها ، وبساحلها البساتين الكثيرة . وأجل فاكهتها العنب والتين وبها بعض نخيل وبرها ممتد الى تيه بني اسرائيل من قبلها وهو موضع زرع وماشية

الثاني ، عمل الرملة - وهي مدينة من جند الاردن بناها سليمان بن عبد الملك ابن مروان في خلافة أبيه عبد الملك . قال في الروض المعطار : وسميت الرملة لغلبة الرمل عليها . وقال في مسالك الابصار : سميت باسم امرأة تسمى رملة وجدها سليمان هناك حين نزل يريد بناءها فأكرمه . قال في العريزي : وهي قصبة فلسطين ، وهي في سهل من الارض ، وبينها وبين القدس مسيرة يوم . وكان عبد الملك قد أجرى إليها قناة ضعيفة للشرب منها . وأكثر شربهم الآن من الآبار ومن صهاريج يجتمع فيها ماء المطر . وميناها على البحر الرومي بإفا ، وهي مدينة صغيرة بالساحل في الغرب عن الرملة و بينهما ستة أميال

الثالث ، عمل لُدّ وهي واقعة شرقا بشمال عن الرملة ، وهي مدينة قديمة كانت قصبة فلسطين في الزمن الاول ؛ فلما بنيت الرملة تحول الناس إليها وتركوا لُدّ . وقد ثبت في الصحيح أن المسيح عليه السلام يقتل الدجال بياها

الرابع ، عمل قاقون - وهي مدينة لطيفة غير مسورة بها جامع وحمام وقاعة لطيفة

وشربها من ماء الآبار وبينها وبين لد مسيرة يوم

﴿ الناحية الثانية -- من هذه الصفقة ﴾ الجبلية . وبها ثلاثة أعمال :

الاول ، عمل القدس - وهو لفظ غلب على مدينة بيت المقدس ، وهو المسجد الاقصى ؛ وأصل التقديس التطهير ، والمراد المطهر من الادناس . وهي مدينة من جند فلسطين مبنية على جبل مستدير ، وعرة المسلك . وشرب أهلها من ماء المطر المجتمع بصهاريج المسجد الاقصى ، ومن عين تجرى اليها عن بعد ، ومن عين تعرف بعين سلوان ليس ماؤها بالكثير . وكان بها آثار قلعة قديمة خربت فجددها الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٧١٦ وليس بها حصانة

الثاني ، عمل بلد الخليل عليه السلام واسمها « بيت جبرون » باضافة بيت ، واحد البيوت ، الى جبرون ، قال في تقويم البلدان : بماء مفتوحة وباء موحدة سا كنة وراء مهمله مضمومة بعدها واو سا كنة ونون ؛ وفي كلام صاحب الروض المعطار ما يدل على ابدال الحاء جيم والباء الموحدة بمشاه تحت فإنه ذكرها في حرف الجيم (جبرون) . وهي بلدة من جند فلسطين ، وبها قبر ابراهيم واسحاق ويعقوب عليهم السلام ونسأهم الثالث ، عمل نابلس - وهي مدينة من جند الاردن . قال في مسالك الابصار : وهي مدينة يحتاج اليها ولا تحتاج الى غيرها ، وبها البئر التي حفرها يعقوب عليه السلام ، وهي مدينة السامرة ، وكانت السامرة في الزمن المتقدم لا توجد الا بها ؛ وبها الجبل الذي يحجون اليه ، وهو طور نابلس

﴿ الصفقة الثانية - القبيلة ﴾

سميت بذلك لأنها قبلى دمشق . قال في مسالك الابصار : وتشتمل على بلاد حوران والغور وما مع ذلك . قال في التعريف : وحدها من القبلة جبال الغور القبيلة المجاورة لمرج بني عامر ، ومن الشرق البرية ، ومن الشمال حد ولاية دمشق القبلى ، ومن الغرب الاغوار الى بلاد الشقيف ؛ قال ، والاغوار كلها داخلة في هذه الصفقة خلا ما يختص بالكرك . وتشتمل هذه الصفقة على عشرة أعمال :

الاول ، عمل بيسان - وهي مدينة من جند الاردن على الجانب الغربي منه

ذات بساتين وأشجار وأتinen ، وبها عين تشق المدينة وهي مدينة الغور ، قلل في مسالك
الابصار ، وبها قلعة من بناء الفرنج

الثاني ، عمل بانياس - وهي مدينة من جند دمشق على مرحلة ونصف من دمشق
من جهة الغرب بميلة الى الجنوب ، وهي في لطف جبل الثلج ؛ وبها قلعة الصببية ، يضم
الصادد المهلة وفتح الباء الموحدة . قال في التعريف ، وهي من أجل القلاع وامنعها .
وكان لها نائب مفرد يولى من جهة نائب دمشق ، أما الآن فقد أضيفت الى والى
بيسان المقدم ذكرها

الثالث ، عمل الشعرا - وهي عن بانياس شرق بجنوب ، وطول هذا العمل ما بين
بانياس الى جبل الثلج . قال في التعريف : والولاية بها تارة تكون بقرية بيت حان ،
بالحاء المهلة ، وتارة تكون بقرية القنيطرة ، تصغير قنطرة

الرابع ، عمل نوى - وهي بلدة صغيرة في جهة الغرب الى الجنوب عن دمشق
على نحو مرحلة منها ، واليها ينسب الشيخ محي الدين النووي الشافعي ، وهي عن يمين عمل
الشعراء المقدم ذكره شرق بجنوب

الخامس ، عمل أدراعات - قال في الروض المعطار : ويجوز فيه الصرف وعدمه ،
قال ، والثاء (كذا) في الحالتين مكسورة . وقال الخليل : من كسر الالف لم يصرف ، وهذا
صريح في جواز كسر الالف . في أولها قال : ويقال لها يدراعات ، بياء مشاة تحت بدا ، الالف .
وهي مدينة من أعمال دمشق بينها وبين الصنمين ١٨ ميلا . قال في التعريف : وبها
ولاية الحاكم على مجموع الصفقة

السادس ، عمل عجلون - وهي قلعة من عمل الأردن مبنية على جبل يعرف
بجبل عوف يشرف على الغور . وهي محدثة البناء ، بناها أسامة بن منقذ أحد أمراء
السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في سلطنة العادل أبي بكر بن أيوب في سنة
٥٨٠ قال في مسالك الابصار : وكان مكانها راهب اسمه عجلون فسميت به . قال
في التعريف ، وهي حصن جبل على صغره ذو حصانة ومنعة منيعة . ومدينة هذه القلعة
الباعونة وهي على شوط فرس من عجلون . قال في مسالك الابصار : وكان مكانها دير به
راهب اسمه باعونة فسميت المدينة به . وهما شرقي بيسان المقدم ذكرها

السابع ، عمل البلقا - قال في تقويم البلدان : وهي إحدى كور الشراة ، وهي عن اريحا في جهة الشرق على مرحلة . قال في الروض المعطار : وسميت بالبلقا بن سوريه من بنى عبيد بن لوط ، وهو الذي عمرها . ومدينة هذا العمل حسان ، وهي بلدة صغيرة . ولها واد وأشجار وأرجحة وبساتين وزروع . قال في مسالك الابصار : ومن هذا العمل الصلت ، وهي بلدة لطيفة من جند الاردن في جبل النور الشرقي في جنوب عجلون على مرحلة منها وبها قلعة بناها المعظم عيسى بن العادل ابي بكر بن ايوب قلت : ومقتضى كلامه في التعريف ان يكون الصلت عملا مستقلا بذاته ، وهو ما رأيت في التذكرة الآمدية تقلا عن ابن الفارقي أحد كتاب الانشاء بدمشق في الدولة الناصرية ابن قلاوون ، بل أخبرني بعض كتاب الانشاء بها أن المستقر الآن الصلت فقط والبلقا مضافة اليها وعليه يدل كلام التعريف فإنه قال : وممن يكتب اليه من الولاة بالممالك الشامية ، ولعله في الأيام الشهيدية يعنى ابن قلاوون ، والى الصلت والبلقا

الثامن ، عمل صرخد - وهي بلدة صغيرة ذات بساتين وكروم ، وليس بها ماء سوى ما يجتمع من ماء المطر في الصهاريج والبرك . قال ابن سعيد : وليس وراء عملها من جهة الجنوب وإلى الشرق الا البرية ، ومنها يسلك طريق يعرف بالرصيف الى العراق يصل المسافرون منها الى بغداد في نحو عشرة أيام . قال في التعريف : وبها قلعة ، وكان بها ملك من المماليك المعظمية فهدمتها عساكر هولاء كوثم جردها الظاهر بيبرس . قال في التعريف : وقد جعل بها من ينحط عن رتبة السلطنة أو نيابة معظمة . قلت : وممن وليها العادل كتبغا بعد خلعه من السلطنة وقبل ولايته نيابة حماة

التاسع ، عمل بصرى ، بضم الباء الموحدة ، ووقع في تقويم البلدان ضبطه بفتح أوله - وهي مدينة بحوران من أعمال دمشق ، قال ابن سعيد ، وهي على أربع مراحل من دمشق ؛ وفي شرقها صرخد على نحو ١٦ ميلا . قال في مسالك الابصار : وهي مدينة حوران السفلى ؛ بل حوران كلها ، بل الصنفقة جميعها ؛ وكلامه في التعريف يوافق . وهي مدينة أزلية ولها قلعة متينة البناء . قال في التعريف ، وكانت دار ملك لبعض بنى أيوب ، وبها وجد النبي صلى الله عليه وسلم بحيرة الراهب عند سفره للشام تاجرا لخديجة . وقبر بحيرة بها مشهور

العاشر، عمل زَرَع — وهي بلدة من حوران لها عمل مستقل . قال في التعريف:
وقد يتصل عمل بصرى بأدرعات لوقوع زرع متشاملة

﴿ الصفقة الثالثة - الشمالية ﴾

سميت بذلك لأنها عن شمال دمشق . قال في مسالك الابصار : وهي ساحلية وجبلية . قال في التعريف: وحدها من القبلة حد ولاية دمشق الشمالى و بعض الغربى ؛ وحدها من الشرق قرية جوسية التي بين القرية المعروفة بالقصب من عمل حمص وبين القرية المعروفة بالفيكة من عمل بعلبك ؛ وحدها من الشمال مرج الأسل المستقل عن قائم الهرمك حيث يمد نهر العاصى بطرابلس وكل ما تشامل عن جبل لبنان الى البحر؛ وحدها من الغرب ماهو على سمت البحر منحدرًا عن صور الى حد ولاية بر دمشق القبلي والغربى . وتشتمل هذه الصفقة على خمسة اعمال

الاول ، عمل بعلبك — قال في تقويم البلدان بفتح الباء الموحدة وسكون العين المهملة وفتح اللام والباء الموحدة الثانية وفي آخرها كاف ، والجارى على الالسنه فتح العين واسكان اللام — وهي مدينة من أعمال دمشق شمالى دمشق جليلة البناء نبيهة الشأن قديمة البنيان ، يقال أنها من بناء سليمان عليه السلام . قال في مسالك الابصار : وهي مختصرة من دمشق في كمال محاسنها ، بها المساجد والمدارس والر بط والخوانق والزوايا والبيمارستان والاسواق الحسنه ، والماء جار في ديارها وأسواقها ، وفيها يعمل الدهان الفائق . وكانت دار ملك ومن عشا درج نجم الدين أيوب والد الملوك الايوبية : ولها قلعة حصينة جليلة المقدار من أجل البنيان وأعظمه ، وهي مرجلة على وجه الارض كقاعة دمشق ، قال في التعريف : انما بنيت قلعة دمشق على منالها وهيئات لا تعد من أمثالها ، وأين قلعة دمشق منها وحجارتها تلك الجبال الثوابت وأعمدتها تلك الصخور النوابت

قد يبعد الشئ من شئ يشابهه ان السماء نظير الماء في الزرق
ثم قال : وبهذه القلعة من عمارة من نزل بها من الملوك الايوبية آثار ملوكية جليلة ويستدير بها وبالمدينة سور عظيم ، ويحف بذلك غوطة أنيقة ذات بساين مشتبكة الاشجار بها التمار الفاتقة والفواكه المختلفه ، ويدخلها نهر من عين من خارجها وينقسم في بيوتها

وجهاًها ، وبخارجها جبل لبنان المعروف بمش الاولياء .
 الثاني عمل البقاع البعلبكي ، والثالث عمل البقاع العزيزي بوصف البقاع بالعزيزي
 نسبة الى العزيز ، وكان المراد الملك العزيز بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب .
 قال في التعريف : ومقر الولاية به كرك فوح عليه السلام ، قال ، وبهاتين الولايتين
 الآن انفصال عن بعلبك وهما مجموعتان لوال جليل مفرد بذاته
 الرابع ، عمل بيروت وهي مدينة بساحل دمشق على ضفة البحر الرومي ، عليها
 سوران من حجارة ، وفيها جبل به معدن حديد ، ولها غيضة من أشجار الصنوبر سعتها
 ١٢ ميلا في التكسير تتصل ببلتان المقدم ذكره . قال في تقويم البلدان : وشرب أهلها
 من قناة تجرى اليها وقال في مسالك الابصار (شرب أهلها من الآبار)
 الخامس ، عمل صيدا - وهي مدينة بساحل البحر الرومي ذات حصن حصين
 قال ابن القطامي ، سميت بصييدون بين صدقا بن كنعان بن حام بن نوح عليه
 السلام وهو أول من عمرها وسكنها . وقال في الروض المطار : سميت بامرأة . وشرب
 أهلها من ماء يجرى من قناة . قال في العزيزي وبينها وبين دمشق ٦٠ ميلا . قال في
 مسالك الابصار : وكورتها كثيرة الأشجار غزيرة الأنهار وهي ولاية جليلة واسعة
 العمل ممتدة القرى تشتمل على نيف وسبائة ضيعة

﴿ الصفة الرابعة الشرقية ﴾

سميت بذلك لأنها شرق دمشق . قال في التعريف : وحدها من القبلة قرية
 القصب المجاورة لقرية جوسية المقدم ذكرها أخذاً على النبك ، الى القريتين : وحدها
 من الشرق السماوة الى الفرات ، وينتهي الى سلمية ، الى الرمتن ؛ وحدها من الغرب
 نهر الارنط ، وهو العاصي ، وتشتمل على ستة أعمال :
 الاول ، عمل حمص - قال في الروض المطار : ولا يجوز فيها الصرف كما يجوز
 في هند لأن هذا اسم أعجمي . وسميت برجل من العاليق اسمه حمص ، وهو الذي
 بناها ، قال الزجاجي ، هو حمص بن المهرب بن حاف بن مكنف . وقيل برجل من عاملة
 هو أول من نزلها . واسمها القديم سوريا ، وبه كانت تسميها الروم . وهي مدينة جليلة
 ٣٧ ضوء

مبنية في وطأة من الارض ممتدة على القرب من النهر العاصي ، ومنه شرب أهلها، ولها منه ماء مرفوع يجري الى دار النياحة و بعض مواضع بها . قال في العريزي: وليس ببلاد الشام أصح من هوائها . وبوسطها بحيرة صافية الماء . قال ابن حوقل: وليس بها عقارب ولا حيات . قال في التعريف: وكانت دار ملك للبيت الاسدي، يعنى أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، قال ، ولم يزل للملكها في الدولة الأيوبية سطوة تخاف وبأس يخشى وبها قبر خالد بن الوليد رضى الله عنه ، قال في الروض المعطار: ويقال ان بقراط الحكيم منها

الثاني، عمل مصياف — وهي بلدة جليلة ولها قلعة حصينة في لطف جبل اللكام الشرقي عن حماة وطرابلس في جهة الشمال عن بارين على مسافة فرسخ وفي جهة الغرب عن حماة على مسيرة يوم وبها أنهر صغار من أعين ؛ وبها البساتين والاشجار وهي قاعدة قلاع الدعوة الآتية ذكرها في أعمال طرابلس فكانت أولا مضافة الى طرابلس ثم افردت عنها وأضيفت الى دمشق وكانت نياحتها إمرة طبلخاناه

الثالث ، عمل قارا — هكذا مكتوب في التعريف وغيره وهو الجاري على الألسنة، ورأيتها مكتوبة في تقويم البلدان بهاء في الآخر بدل الألف الاخيرة . وهي قرية كبيرة قبلي حمص بينها وبين دمشق على منتصف الطريق تنزلها قوافل السفارة وغالب أهلها نصارى ، وبينها وبين حمص مرحلة ونصف ، وبينها وبين دمشق مرحلتان الرابع ، عمل سلمية — وهي بلدة من عمل حمص قال ، احمد الكاتب ، بناها عبدالله بن صالح بن عبدالله بن عباس بن عبد المطلب واسكن بها ولده . وهي بلدة على طرف البادية نزهة حصينة كثيرة المياه والشجر مياها من قنى ، قال في الروض المعطار ، وبينها وبين حمص مرحلة

الخامس ، عمل تدمر — قال السمعاني ، بفتح أولها، والجاري على الألسنة ضم أولها . قال في التعريف: وهي بين القريتين والرحبة، ثم هي معدودة من جزيرة العرب . قال المؤيد صاحب حماة: وهي من أعمال حمص من شرقيها ، وغالب أرضها سباخ ، وبها نخيل وزيتون ، وبها آثار عظيمة أزلية من الاعمدة والصخور ، ولها سور وقلعة . قال في الروض المعطار: وهي في الأصل مدينة قديمة بنها الجن لسليمان عليه السلام ولها

حصون لا ترام ، وسميت بتدمر بنت حسان بن أذنية وفيها قبرها وإنما سكنها ساليان عليه السلام بعدها قال في العريزي : وبينها وبين دمشق ٥٩ ميلا ، وبينها وبين الرحبة مائة ميل وميلان . قال في تقويم البلدان ، وهي من حماة على ثلاث مراحل السادس ، عمل الرحبة — وهي مدينة على الفرات بين الرقة وعانة عدها في تقويم البلدان من ديار بكر من الجزيرة الفراتية ، وتعرف برحبة مالك بن طوق . وهو قائد من قواد هارون الرشيد قيل أنه أول من عمرها فنسبت إليه . قال في تقويم البلدان وقد خربت الرحبة المذكورة وصارت قرية وبها آثار المدينة من المآذن الشواهد وغيرها ، واستحدث شيركوه بن محمد بن شادى صاحب حصص من جنوبها الرحبة الجديدة على نحو فرسخ من الفرات ، وهي بلدة صغيرة ، وهي قلعة على تل تراب . وشرب أهلها من قناة من نهر سعيد الخارج من الفرات ، وهي اليوم محط القوافل من الفرات والشام ، قال ، وهي أحد الثغور الإسلامية في زماننا ، قال في التعريف ، وبها قلعة نيابة وفيها بحرية وخيالة وكشافة وطوائف من المستخدمين وما يجب التنبيه عليه أمران : أحدهما قد تقدم تقلا عن التعريف ان مما أضيف الى الشام في دولة الناصر محمد بن قلاوون بلاد جعبر ، وأن حقا ان تكون مع حلب . قلت : وقد أضيفت بعد ذلك الى حلب ، وهي مستمرة على ذلك الى زماننا ، وسيأتى ذكر ذلك في الكلام على أعمال حلب ان شاء الله تعالى . الثاني ذكر في التعريف انه كان قد استقر بتدمر والسخنة والقريتين نواب واستقر الحال على أن مكتوبة كل منهم ان كان مقدم الف نظير النائب بالرحبة يعنى « صدرت » و « العالى » ، وان كان طبلخاناه فالاسم ، و « السامي » بالياء .

حـ القاعدة الثانية ، حلب بـ

وهي مدينة عظيمة ، أم الاقاليم ، ذات بلاد وأغوار وأنجاد ، وبها معظم قلاع الشام وحصونه وثغوره وموقعها وموقع جميع أعمالها في الاقليم الرابع من الاقاليم السبعة . واختلف في سبب تسميتها بحلب على قواين حكاهما في الروض المعطار : أحدهما انه كان مكان قاعها ربوة وكان ابراهيم عليه السلام يأوى اليها ويحلب غنمه ويتصدق بابنها فسميت

بذلك * الثاني انها سميت برجل من العماليق اسمه حلب . قال الزجاجي : وهو حلب ابن المهر من ولد حاف بن مكنف . قال في مسالك الابصار : وهي من قواعد الشام القديمة ، وهي في وطأة حمراء على مدرج طريق العراق مبنية بالحجر الأصفر الذي ليس له نظير ؛ وتعرف بحلب الشهباء ، وبها المساكن الفاتقة والمنازل الأنيقة والاسواق الواسعة والحمامات البهجة ؛ ذات مساجد وجوامع ومدارس وخوانق وزوايا وغير ذلك . قال في مسالك الأبصار ولها نهران : أحدهما يعرف بنهر قويق وهو نهرها القديم ، والثاني يعرف بنهر الساجور ، ويجرى الى داخلها فرع ماء يتشعب في دورها ومساكنها لكنه لا يبيل صداها ولا يشفي غلتها ، وشرب أهلها من صهاريج من ماء المطر ، ويدخل اليها الثلج من بلادها وليس لأهلها اليه كبير التفات لبرد هوائهم وقرب اعتدال صيفهم وشتائهم ؛ وبها القواكه الكثيرة وأكثرها مجلوب اليها ، وبظاهرها المروج الفيح والبر الممتد حاضرة وبادية ، وبها عسكر كثير وأم من طوائف العرب والأكراد والتركان قال في اللباب : وكان الجند في ابتداء الاسلام ينزلون قنسرين التي ينسب اليها جند قنسرين على ما تقدم ولم يكن لحلب معها ذكر ، قال ابن سعيد ، ثم ضعفت بقوة حلب عليها وصارت الآن قرية صغيرة . ونائبها من أكابر الامراء ومقدمي الألوف من الدولة الناصرية ابن قلاوون وإلى الآن ؛ وهي ثانية دمشق في الرتبة ، وبوسطها قلعة جليلة بعيدة المازل مبنية على تل مرتفع يقال ان به الربوة التي كان بأوى اليها ابراهيم الخليل عليه السلام بغنمه ، وهناك شهيد يعرف بمشهد ابراهيم بقصده الناس للتبرك . قال في الروض المعطار : ومن فضائل هذه القلعة ان بها ماء نابعا لا يخاف فيها الظم ، وعليها سوران دونها خندق لا يكاد البصر يبلغ مدى عمقه ، وهي معروفة بالحصابة والحسن . ثم لحلب أعمال متسعة ، قال في مسالك الأبصار ، وهي اوسع الشام ، بلادها متصلة ببلاد سويس والروم وديار بكر وبرية العراق - قلت : وقد اتسعت أعمالها عما كانت عليه إذ ذاك اتساعاً كبيراً على ماسياتي ذكره في مواضعه ان شاء الله تعالى . قال في التعريف : ويحدها من القبلة المعرة وما وقع على سمتها الى الدمنة الخراب والسلسلة الرومية ويجرى القناة القديمة الواقع ذلك بين الحياز والقرية المعروفة بقبة ملاعب ؛ ويحدها من الشرق البرحيث يحد برد أخذ على جبل الثلج ونهر الحلاب على أطراف بالس

الى الفرات دائرة بحدها ، قال ، وهذا التقسيم تكون بلاد جيب داخل في حدودها ؛
ويحدها من الشمال بلاد الروم مما وراء بهسني وبلاد الارمن مما وراء نهر جاهان ؛ ويحدها
من الغرب ما أخذ من بلاد الارمن على البحر الشامي . ثم أعملها على ثلاثة أقسام :

﴿ القسم الأول ﴾

ما هو داخل في البلاد الشامية ، وهي سبعة وعشرون عملاً
الاول عمل برثها — وهو ضواحيها المنسوبة اليها كما تقدم في دمشق
الثاني عمل بهسني — وهي قلعة شمالى حلب على أربع مراحل منها قال في تقويم البلدان :
وهي قلعة مرتفعة حصينة لا ترام حصانة ، وبها بساتين ونهر صغير وأسواق ورستاق
متسع ، ثم قال ، وهي بلدة واسعة كثيرة الخير والخصب ، وهي في الغرب والشمال
عن عينتاب وبينها نحو مسيرة يومين ، وبينها وبين سيواس نحو ستة أيام . قال في
التعريف : وهي الثغر المتاخم لبلاد الدروب والمشتعل جره في الحروب وبها عسكر من
التركان والأكراد ولا يزال لهم آثار في الجهاد ، قال ، ولنائبها مكانة جليلة وان كان
لا يلتحق بنائب البيه

الثالث عمل قلعة المسلمين ، المسماة قديماً بقلعة الروم ، وهي قلعة من جند قنسرين
في البر الغربي الجنوبي من الفرات ، في جهة الغرب الشمالى عن حلب على نحو خمس
مراحل منها والفرات بنديها ؛ وهي من القلاع الحصينة التي لا ترام ولا تدرك ، ولها
ربض وبساتين : ويعربها نهر يعرف بمرزبان يصب في الفرات . قال في التعريف :
وكان بها خليفة الأرمن ولا يزال بها طاغوت الكفر فقصدتها الأشرف خليل بن
المنصور قلاوون فنزل عليها ولم يزل بها حتى فتحها وسماها قلعة المسلمين ، قال ، وهي
من جلائل القلاع

الرابع عمل عينتاب — وهي مدينة من جند قنسرين شمالى حلب على نحو مرحلتين
منها ، وفي الجنوب عن قلعة الروم على نحو ثلاث مراحل . وهي مدينة حسنة واسعة الأرجاء
كثيرة المياه والبساتين ذات أسواق جليلة مقصودة للتجار والمسافرين وبها قلعة حصينة
منقوبة في الصخر

الخامس عمل الراوندان - وهي قلعة من جند قنسرين في الغرب والشمال عن حلب على نحو مرحلتين منها، وهي مبنية على جبل أبيض مرتفع ذات أعين و بساتين وفواكه ووادٍ حسن ، ونهر عفرين يمر من تحتها ، وهي في الشمال عن حارم السادس عمل كحتا ، وربما قيل الكحختا بالألف واللام - قال في تقويم البلدان : وهي قلعة في أقاصى الشام من جهة الشمال بشرق عن حلب ، وهي قلعة عالية البناء لا ترام حصانة . وبها نهر و بساتين ، وكر كرمها في جهة الشرق وكانت من أعظم الثغور في زمن التتار (السابع عمل كر كرا (١) - وهي قلعة في شمالي حلب على خمس مراحل ، وفي غرب الكحختا على مسيرة يوم . وهي شاهقة يرى الفرات منها كالجدول الصغير ، وهو منها في جهة الشرق)

الثامن عمل الدّرْبَسَاك - شمالي حلب على نحو ثلاث مراحل أو أربع منها . وهي قلعة حصينة ذات أعين و بساتين ، وبها من شرقيها مروج متسعة حسنة المظر كثيرة العشب ويمر بها نهر يعرف بالنهر الأسود التاسع عمل بفراس ، قال السمعاني ، بفتح أولها وسين مهملة في الآخر . وهي قلعة من جند قنسرين شمالي حلب على أربع مراحل منها ، وهي ذات أعين و بساتين وأشجار ، وهي في جهة الجنوب عن الدربساك وبينهما بعض مرحلة ، وهي عن حارم في جهة الشرق وبينهما نحو مرحلتين ، وبينها وبين كل من انطاكية وسكندرونة اثنا عشر ميلا قال في التعريف : وكانت ثغر الاسلام في نحر الأرمين حتى استضيفت الفتوحات الجاهانية قال ، وبها رُصص وهي عضو من أعضائها . ورصص المذكورة بلدة على ساحل البحر الرومي

العاشر عمل القصير - قال في مسالك الأبصار : وهي قلعة غربي حلب على نحو أربع مراحل منها ، قال في التعريف ، وهي لانطاكية الحادى عشر عمل الثغر وبكاس ، بضم الشين المعجمة في الأولى وفتح الباء الموحدة في الثانية - وهما قلعتان من جند قنسرين مبنيتان على جبل مستطيل ويحتمها نهر يجرى ، وبها بساتين وأشجار وفواكه ولها رستاق ، قال في تقويم البلدان :

وهما في الجنوب عن انطاكية وبينهما الجبال

الثاني عشر، عمل شيزر - وهي مدينة من جند حمص غربي حلب على نحو ثلاث مراحل منها ، وهي مدينة ذات أشجار و بساتين وفواكه وأكثرها الرمان . قال في العزيزي : وبينها وبين حماة تسعة أميال ، وبينها وبين حمص ٣٣ ميلا ، وبينها وبين انطاكية ٣٦ ميلا

الثالث عشر ، عمل حجر شغلان ، بضم الشين المعجمة وسكون الغين المعجمة - وهي قلعة شمالي حلب على نحو ثلاث مراحل منها قال في مسالك الابصار : وهي بالقرب من بفراس في جهة الشمال على مسافة قريبة جداً

الرابع عشر ، عمل أبي قيس - وهي قلعة حصينة غربي حلب بمائلي الساحل على نحو ثلاث مراحل قصيرة منها كما أخبرني بعض أهل تلك البلاد

الخامس عشر عمل حارم - وهي قلعة حصينة في جهة الغرب عن حلب على نحو مرحلتين منها ذات أشجار و بساتين ، وبها نهر صغير كثير الماء ، وبجوارها بحيرة عظيمة يقال لها بحيرة حارم ، واليهما يضاف العمق فيقال عمق حارم

السادس عشر عمل كفر طاب - وهي بلدة صغيرة من جند حمص على ثلاث مراحل منها . وهي على الطريق بين المعرة وشيزر . قال في العزيزي : وبينها وبين المعرة وشيزر اثنا عشر ميلا

السابع عشر عمل قامية ، بفاء في أولها . قال في المشترك : ويقال لها أفامية بهمزة في أولها يعني مفتوحة . وهي مدينة من أعمال شيزر غربي حلب على نحو أربع مراحل منها ، ولها بحيرة حلوة يشقها النهر المغلوب (كذا في المختصر وفي الأصل : المغلوب) الثامن عشر عمل سريمين - وهي مدينة في الغرب عن حلب على نحو يوم وليس عليها سور . وشرب أهلها من الماء المجتمع في الصحار ينج من المطر . وعملها متسع . وتسمى هذه الجهة الغريات

التاسع عشر عمل الجبول وهي بلدة شرقي حلب على نحو مرحلة منها وهي بالقرب من الفرات ، قال في تقويم البلدان : ومنها ينقل الثلج الى سائر بلاد حلب العشرون عمل جبل سمعان - وهي في جهة الشمال عن حلب على ساعة منها

الحادى والعشرون عمل عَزَّاز ، والجارى على الألسنة اعزاز، وعليه جرى ابن سعيد . وهي بلدة شمالى حلب بميلة الى الغرب على نحو مرحلة منها
 الثانى والعشر عمل تل باشر — وهي حصن شمالى حلب على مرحلة (في لاصل : مرحلتين) منها بالقرب من عينتاب . قال ابن سعيد وهي ذات مياه وبساتين
 الثالث والعشرون عمل مَنبِج — وهي بلدة من جند قنسرين شرقى حلب على نحو مرحلة (في الاصل مرحلتين) منها . قال ابن سعيد بناها بعض الأكاسرة الذين غلبوا على الشام وسماها منبه فعربت منبج . وكان بها بيت نار للفرس . وهي كثيرة القى السارحة والبساتين ، وأكثر شجرها التوت ، وحريرها من أحسن الحرير . وأكثرها الآن خراب

الرابع والعشرون عمل تيزين — وهي بلدة صغيرة غربى حلب على نحو مرحلة منها
 الخامس والعشرون — عمل الباب وبزاعا — وهما بلدتان متقاربتان من جند قنسرين على مرحلة من حلب فى الجهة الشمالية الشرقية . أما الباب فبلدة صغيرة لها البساتين الكثيرة والنزه . قال فى تقويم البلدان : وبظاهرها قبر عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه . وأما بزاعا فضيعة من مضافاتها

السادس والعشرون عمل دركوش — وهي بلدة على النهر العاصى غربى حلب على نحو ثلاث مراحل منها ، وأكثر غراسها العنب ، وبها قلعة عاصية استولى هولاء كوعلى قلاع الشام ماعداها فإنه لم يصل إليها

السابع والعشرون عمل أنطاكية بفتح الهمزة وياؤها مشددة، وخالف فى الروض المعطار فذكر أنها مخففة . وهي مدينة عظيمة قديمة على ساحل بحر الروم بناها بطليموس الثانى من ملوك اليونان ، وقيل بناها ملك يقال له انطاكين فعرفت به . ولها سور عظيم من صخر ليس له نظير فى الدنيا مساحة دورها اثنا عشر ميلا ، قال فى الروض المعطار ، وعدد شرافاته ٢٢ الفاً (فى الاصل ٢٤ ألفاً) وعدد أبراجه ١٣٦ برجاً . قال فى تقويم البلدان : وهي قاعدة العواصم . نال فى العزيزى : وهي على منتصف الطريق بين حلب والمعرية يمر بظاهرها العاصى والنهر الاسود مجموعين وتجرى مياههما فى دورها . وقد قيل انها المذكورة فى سورة « يس » بقوله تعالى « وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى »

وان ذلك الرجل هو حبيب النجار ، وقبره مشهور بها يزار . وميناها السو يدية المقدم
ذكرها في ساحل البحر الرومي

﴿ القسم الثاني ﴾

من الاعمال الحلبية ما اضيف اليها من البلاد المعروفة الآن ببلاد الأرمن مما
اقتلع منهم من بلاد الاسلام بمد ان غلبوا عليه من بلاد سيس وما والاها مما كان
قديماً يسمى بالثغور لثاغرة المدو . وقد حدد في التعريف هذه البلاد بمجملتها فقال : وحدها
من القبلة وانحراف الجنوب بغراس وما يليها ؛ وحدها من الشرق جبال الدر بتدات ؛
وحدها من الشمال بلاد ابن قرمان ؛ وحدها من الغرب سواحل الروم المفضية الى
العلايا وانطاكية . وتشتمل على ثمانية أعمال :

الاول عمل آباس — وهي مدينة من بلاد الأرمن على ساحل البحر وهي فرضة
ما حولها من البلاد ، وبينها وبين بتراس المقدم ذكرها مرحلتان . قال في التعريف :
وكان أمرها قد جعل الى نائب الشام ثم جعل الى نائب حلب ، وهي المعبر عنها
بالتوحات الجاهانية لمجاورتها نهر جاهان وهو نهر جيحان . وكانت استعادتها من
الأرمن في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون في سنة ٧٨٣ (في الاصل ٧٣٨) ولذلك
قال في التعريف : والعهد بفتحها قريب

الثاني عمل طرسوس . قال في اللباب ، بفتح الراء -- وهي مدينة مسورة من بلاد
الأرمن على ساحل بحر الروم شمالا بغرب عن حلب ، قال في الروض المعمار ، بناها
الرشيد في سنة ١٧٠ وأكملها في سنة ١٧٢ قال ابن حوقل : وبينها وبين حد الروم
جبال هي الحاجز بين الروم والمسلمين . وبها دفن المأمون بن الرشيد . وكانت استعادتها
من الأرمن في الدولة الناصرية حسن بن محمد ابن قلاوون — قلت : ولم تنزل سجنا
لمن ينفيه السلطان الى آخر الدولة الأشرفية شعبان بن حسين

الثالث عمل أدنه — وهي مدينة من بلاد الأرمن ، قال احمد بن يعقوب الكاتب
في كتابه المسالك والملك : وهي من بناء الرشيد . قال ابن حوقل : وهي مدينة
حصينة عامرة وبينها وبين طرسوس ١٨ ميلا

الرابع عمل سرفندكار ، قال في تقويم البلدان ، وقد يجعل موضع الفاء واوا فيقال سروندكار ؛ قلت : والموجود في الدساتير الآن إسفندكار ، بهمزة في الأ ول وسقوط الراء الأولى — وهي قلعة من بلاد الأرمن ، قال في تقويم البلدان : وهي قلعة حصينة في واد على صخر ، وبمض جوانبها ليس له سور للاستغناء عنه بالصخر . وهي على القرب من نهر جيحان من البر الجنوبي في الشرق عن تل حدون على أربعة أميال الخامس عمل سيس — ووقع في كلام الصاحب كمال الدين بن العديم ان اسمها سيسة ، بإثبات هاء في آخرها ، وكلامه في العزيزى يوافقه . بناها بعض خدام الرشيد وهو الذى سماها . وهي قاعدة بلاد الأرمن جميعها ، وبها قلعة حصينة عليها ثلاثة أسوار ، وهي على جبل مستطيل . قال ابن سعيد : وكانت قاعدة الثغور الشمالية . قال في العزيزى : وبينها وبين المصيصة ٢٤ ميلا . وكانت استعادتها من الأرمن في الدولة الاشرفية شعبان ابن حسين على يد قشتمر المصورى نائب حلب يومئذ

السادس عمل ملطية — وهي مدينة من بلاد الروم شمالي حلب قبلة الى الشرق على نحو سبع مراحل منها . قال في الروض المعطار : وكانت قديمة فخر بها الروم ، فبناها ابو جعفر النصور سنة ١٨٧ (وفي الاصل ١٨٩) وجعل عليها سورا محكما قال ابن سعيد : وهي قاعدة الثغور ، وعدها ابن حوقل من بلاد الشام وقال انها على مرحلة من قرى بلاد الروم ، وعدها بعضهم من الثغور الحزبية . وهي بلدة مسورة في بسيط من الأرض والجبال محتفة بها من بعد ، ذات أمهار وأشجار وفواكه ، وبها نهر صغير يمر بسورها ويدخلها منه قى تجرى في دروبها ، وهي شديدة البرد . وبينها وبين كل من سيس وسيواس نحو ثلاث مراحل . وهي في الغرب عن كحتا وبينهما نحو مرحلتين . قال في تقويم البلدان : وكان فتحها سنة ٧١٥

السابع عمل درنده — وهي مدينة في جهة الغرب عن ملطية على نحو مرحلة ذات بساتين وأبهار وعيون ماء تجرى . وبينها وبين حلب نحو عشرة أيام الثامن عمل دبركى ، وقد يقال دوركى بأبدال الياء واوا — وهي مدينة في جهة الشمال والغرب من حلب على نحو عشرة مراحل منها ذات بساتين وأشجار وبينها وبين حلب ١٢ يوما

التاسع عمل الابلستين - وهي مدينة عظيمة بالقرب من ملطية في الجهة الغربية على نحو مرحلتين منها، وبينها وبين حلب نحو ثمانية أيام فأكثر، وبها بساتين وأتهار وعيوت تجرى

والم يعلم ان بهذه البلاد ثمانية قلاع صغار ذكر في التثقيف بعضها : أحداها قلعة بارى كروك، وهي قلعة على رأس جبل بالقرب من طرسوس على نحو نصف مرحلة. قال في التثقيف : واستجدت سنة ٧٦٠ * الثانية قلعة كاورًا ، وهي قلعة في الشمال عن آباس على نحو ساعة . قال في التثقيف استجدت سنة ٧٦٩ * الثالثة قلعة كولاك ، وهي قلعة مدورة على رأس جبل في الشمال عن طرسوس على نحو مرحلة منها يكمنها طائفة من الأركان * الرابعة قلعة كرزال . وهي قلعة صغيرة على رأس جبل بالقرب من كولاك المتقدمة الذكر * الخامسة قلعة ابن حمدون ، وهي قلعة على تل عال على القرب من جيحان الى جهة الجنوب على نصف مرحلة كانت في الزمن القديم حصينة حسنة البناء لها سور مانع ووربض وبساتين ونهر يجرى ، وبينها وبين آباس نحو مرحلة ، وبينها وبين سييس نحو مرحلتين ثم خربها المسلمون ، ثم استجدت بعد ذلك * السادسة اقلعة الهارونية ، وربما قيل الهارونيتان . قال في التعريف : وهما حصنان باهما هارون الرشيد ، وقال في المشترك : الهارونية مدينة صغيرة اختطها هارون الرشيد بالتغور في طرف جبل اللكام * السابعة قلعة نجمة ، بفتح النون وسكون الميم ، وهي قلعة على القرب من الفرات شاهقة كان يقال لها أولاحصن منبج ثم صارت تعرف بقاعة نجمة وهي من بناء السلطان محمود بن زكي ، وفي التعريف ما يقتضى انها من جملة بناء المأمون * الثامنة قلعة لؤلؤة وهي تجمالى كولاك

القسم الثالث

من الاعمال احابية ، أضيف اليها من بلاد الخزيرة الفراتية وهي ثلاثة أعمال

الاول عمل البيرة - وهي قلعة في البر الشرقي في الشمال عن الفرات ، وفي التشرق عن قلعة الروم المقدم ذكرها على نحو مرحلة من الفرات وقد عدها في تقويم البلدان من

جند قنسرين من أعمال الشام ذات ارتفاع وحصانة . قال ابن سعيد: وهي على صخرة قال في التعريف : ولها منعة وعسكر . قال في تقويم البلدان : ولها سوق وعمل الثاني عمل قلعة جعبر وهي قلعة من ديار بكر في البر الشرقي الشمالي عن الفرات أيضاً . قال القاضي جمال الدين بن واصل : وكانت هذه القلعة تعرف بالدوسرية نسبة الى دوسر عبد النعمان بن المنذر وهو الذي بناها لما جعله النعمان على افواه الشام ، ثم ملكها سابق الدين جعبر القشيري في أيام الملوك السلجوقية فعرفت به . قال صاحب حماة : وهي في زماننا خراب ليس فيها ديار ، وذلك في أثناء الدولة الناصرية محمد بن قلاوون ثم عمرت بعد ذلك في آخر الدولة المذكورة او بعدها بقليل ، وقد أشار الى ذلك في التعريف حين تعرض لذكرها في آخر مضافات الشام فقال : وهي مجددة البنيان مستجدة الآن لأنها جددت منذ سنوات بعد أن طال عليها الأبد وأخني عليها الذي أخني على لبد . وكان قد ذكر قبل ذلك في الكلام على تقاسيم الشام أنها مضافة الى دمشق ثم قال وحقها ان تكون مع حلب ؛ وقد اضيفت بعد ذلك الى حلب وبقى الحال فيها على ذلك الى الآن

الثالث عمل الرُّها - وهي مدينة من ديار مضر في البر الشرقي في الشمال عن الفرات . قال في العريزي : وهي مدينة عظيمة رومية فيها آثار عجيبة . قال ، في الروض المعطار : وهي ذات عيون كثيرة تجري منها الأنهار ، وبها البساتين والأشجار الكثيرة ، وعليها سور من حجارة ، قال ، وليس في بلاد الجزيرة أحسن متنزهاً منها ولا أكثر فواكه والفرات منها في ناحية الغرب على مسيرة يومين ، وفي ناحية الشمال على مسيرة يوم . قلت : وأكثر أعمال حلب كانت قد غلب عليها التركمان والاكراذ من بعد وقعة تمرلنك واستبدوا بامرها وملكوا قلاعها الى أن توجه اليها السلطان الملك المؤيد شيخ ، سلطان العصر في سنة ٨٢٠ هـ فاقبلها عن آخرها وانزعها بجماعتها واستضافها الى المملكة واستناب فيها من أمراء الدولة وأجنادها

القاعدة الثالثة

من قواعد البلاد الشامية حماة . وقد ذكرها في مسالك الابصار : بعد دمشق

وهو أليق بها لقبها، ولكنه قد ذكرها في التعريف بعد حلب لكونها دونها في رتبة النيابة . وهي مدينة قديمة لها ذكر في التوراة ، على ضفة النهر العاصي . وهي وأعمالها واقعة في الاقليم الرابع من الاقاليم السبعة بين حمص وقنسرين . قال في الروض المعطار : وبينها وبين حمص ٤٠ ميلا وهي مدينة مكينة البناء ، ولها سور جليل ، وبها القصور الملوكية والدور الانيقة والجوامع والمساجد والمدارس والربط والزوايا والاسواق التي لاتعدم نوعا من الأنواع ، ودور ملوكها وشرافاتها مطلة على العاصي ، وبها قلعة مبنية بالحجارة الملونة ، وغالب مبانيها العلية وآثار الخير والبر الباقية فيها من فواضل نعم الدولة الايرية ؛ وبها نواعير مركبة على العاصي تدور بجريان الماء وترفع الماء الى الدور السلطانية ودور الامراء والا كابر والبساتين ، وفي بساتينها الفراس الفائق والثمار الغربية . ولم تزل على القدر رفيعة المحل الى ان كانت الدولة الاتابكية زنكي فزادت فخامتها وعظم شأنها . فلما آلت الى ملوك بني أيوب مصر وها بالابنية العظيمة والقصور الفاتحة والمسالك الفاخرة وتأمر الامراء وتجنيد الاجناد فيها ، وعظموا أسواقها وزادوا في غراسها وجلبوا اليها من أرباب الصنائع كل من فاق في فنه الى ان كملت محاسنها وصارت معدودة في أمهات البلاد وأحسن الممالك وهي في غاية رفاهية العيش ، واضمحلت حمص بعد النباهة في جانبها ؛ وحوطها مروج فيح ممتدة تكثر فيها مصائد الطير والوحش . قال في مسالك الابصار : وليس في الممالك السامية بعد دمشق لها نظير ولا يدانيها في لطف ذاتها من مجاورتها قريب ولا بعيد — قلت : وقد زادت نباهة وعلوا ورفعة بانتساب المقر الناصري ولد المقر الكمالى المؤلف له هذا الكتاب وذويه اليها حتى جاوزت كيوان وعلت قيمة على الثريا . وقد نظمت قصيدة دالية في مدح المقر الناصري ولد المقر الكمالى المؤلف له هذا الكتاب افتتحتها بالنويه يذكر حياة وتعظيم شأنها ونباهة ذكرها :

الا حبذا وادى حياة وأهله	ورعيا لغناها على القرب والبعد
ولا يبرح الوسمي يروى عباها	سجلا وسحب الحود تأتي على عهد
ولا زال رباها يضوع لنا تنق	ولا برحت للشكر أهلا وللحمد
انقد أبرزت البارزى . مخرا	أنافت على الجوزاء في الطالع السعد
وجادت لدار الملك . رعب كتبه	فعرزها والسيف ما سل من نمد

ويردى طغاة البغي وقع خطابه
 له سمر أقلام قنا الخط دونها
 لعاب الافاعي دون فعل لعابها
 إذا ماسواد النفس حل بطرسه
 فتلك برود قد تناسق وشيها
 وتلك جنان بالعوارف اثمرت
 وتلك ظبابة تتقى قتمكاتها
 الى رأيه تلقى الملوك زمامها
 وتعدت رأيا منه نجحا لقصدها
 فلا برحت عليه يروى حديثها
 ولا زال في الدنيا حليف مسرة

ثم لحاة أعمال قد جلت على أطافها واستغنت عن اتساع الارحاء بيديع حسنها
 ورفيع مكائنها . وقد حدها في التعريف فقال : حدها من القبلة مدينة الرستن وما
 سامتها آخذها على سلمية الى ما استقل عن قبة ملاعب ؛ وحدها من الشمال آخر حد
 المعرة من الغرب ؛ وحدها من الغرب مضافات مصياف وقلاع الدعوة . وتشتمل
 على ثلاثة أعمال :

الاول عمل برّها ، وهو ظاهرها وما حولها كما تقدم في حلب ودمشق * الثاني عمل
 بارين وهي بلدة في الغرب عن حماة بعيلة يسيرة الى الجنوب على مرحلة منها * الثالث
 عمل المعرة ، وتعرف بمعرة النعمان ، قال البلادرى ، إضافة الى النعمان بن بشير الانصارى
 الصحابي . قال في العزيزى وهي مدينة جايلة عامرة كثيرة الفواكه والثمار والخصب ،
 وشرب أهلها من الآبار . ويقال ان بها قبر شيث بن آدم ويوشع بن نون ، وعلى القرب
 منها قبر عمر بن عبد العزيز . قال السمعاني : والنسبة اليها معرني - قلت : وهذا على
 مذهب من يرى أن النسب الى المركب من مضاف ومضاف اليه ينسب اليهما جميعاً
 كما ينسب الى عبد شمس عبشمي ، وعبد قيس عبقيسي ، ونحو ذلك ؛ والمعروف في
 النسبة اليها معرني نسبة الى المضاف فقط

﴿ القاعدة الرابعة ﴾

من قواعد البلاد الشامية أطرابلس ، قال في تقويم البلدان بفتح الهمزة وسكون الطاء وفتح الراء المهملتين وباء موحدة ولام مضومتين وسين مهمله ؛ قال في الباب قد تسقط الالف منها فرقا بينها وبين أطرابلس التي في الغرب ؛ وانكر ياقوت في المشترك سقوطها، وعاب المتنبى على حذفها منها في بعض شعره . قال في الروض العطار : ومعنى أطرابلس فيما قيل ثلاث مدن ، وقيل مدينة الناس . وهي مدينة من سواحل حمص واقعة هي وسائر أعمالها في الاقليم الرابع من الأقاليم السبعة، وكانت في الاصل من بناء الروم ، وكان الفرنج قد استولوا عليها وأقامت بأيديهم ١٨٤ سنة فلما انتسبها المسلمون في سنة ٦٨٨ في الدولة المنصورية قلاوون خربوها وبنوا عوضها مدينة علي نحو ميل منها وسموها باسها وهي الموجودة الآن . وهي مدينة ممصرة كثيرة الزحام ذات مساجد وجوامع ومدارس وزوايا وبيارستان وأسواق جليلة وحمامات حسان . وجميع بنائها بالحجر والكلس مبيضا ظاهرا وباطنا، وغوطتها محيطة بها، ويحيط بغوطتها مزدراعاتها، ولها نهر يحكم على ديارها وطباقتها يتخزن الماء في مواضع من أعالي بيوتها التي لا يرقى اليها إلا بالدرج العلية ، ودمتها تنسب الى الوخامة وحوها جبال شاهقة صحيحة الهواء خفيفة الماء ذات أشجار وكروم ومروج ومواش . ولها مينا جارية تهوى اليها وفود البحر الرومي وترسى بها مراكبهم وتباع بها بضائهم . وهي بلدة متجر وزرع كثيرة الفوائد ، ولها أعمال متممة . وقد حدها في التعريف فقال : حدها من القبلة جبل لبنان ممتدا على ما يليه من مرج الاسد (في التعريف : الاسل) حيث يمتد النهر العاصي ؛ وحدها من الشمال قلاع الدعوة ؛ وحدها من الغرب البحر الرومي . وتشتمل على ثمانية عشر عملا ما بين كبار وصغار :

الاول عمل حصن الاكراد - وهو قلعة حصينة من جند حصص مقابلة لخص من غربها على الجبل المتصل بجبل لبنان على نحو مرحلة من حصص . قال في التعريف : وهي حصن جميل وقلعة شام لا تبعد منها السماء وكانت محل النيابة ومقر العسكر قبل فتح طرابلس والثاني عمل حصن عكا - وهي قلعة علي مرحلة من طرابلس في جهة

الشرق بوسط جبل لبنان في واد والجبل محيط بها وشرب أهلها من عين تجرى إليها من ذيل لبنان ولها روض ليس بالكبير * الثالث عمل بلاطنس — وهي قلعة في جهة الشمال عن طرابلس على نحو مرحلتين، وفي الغرب من مصياف على نحو مرحلة * الرابع عمل صهيون وهي قلعة من جند قنسرين ذات حصانة ومنعة مبنية على صخر أصم في ذيل جبل يظهر من اللاذقية، وبها المياه الكثيرة حاصلة من الامطار * الخامس، عمل اللاذقية — وهي مدينة من سواحل الشام وعدها في العزيزي من أعمال حمص، ثم قال، وهي مدينة جليلة بل هي أجل مدينة بالساحل متسعة ذات عمارة ولها مينا حسنة * السادس، عمل المرقب — وهي قلعة بالقرب من ساحل البحر الرومي حصينة حسنة البناء مشرفة على البحر. ولم يتعرض لذكرها في التعريف ولا في مسالك الابصار * السابع عمل الرصافة — وهي إحدى قلاع الدعوة التي كانت بيد الاسماعيلية المعروفين الآن بالفداوية، وهم يسمون أنفسهم اصحاب الدعوة الهادية. وهي قلعة بالقرب من مصياف، وهي غير رصافة هشام التي على الجانب الغربي من الفرات * الثامن عمل الخوابي وهي من قلاع الدعوة أيضا واقعة في جهة الشمال من طرابلس على نحو مرحلتين منها * التاسع عمل القدموس — وهي قلعة من قلاع الدعوة على القرب من الخوابي المقدمة الذكر * العاشر عمل الكهف — وهي قلعة من قلاع الدعوة على القرب من القدموس على نحو ساعة منها على نشز من جبل مرتفع عال على بعد * الحادى عشر عمل المينقة وهي قلعة من قلاع الدعوة على جبل مرتفع بالقرب من الكهف على نحو ساعة * الثانى عشر عمل المليقة — وهي قلعة من قلاع الدعوة على الجبل المقدم ذكره على نحو ساعة من المينقة المتقدمة الذكر * الثالث عشر عمل أنطرسوس — وهي بلدة بالساحل . قال في تقويم البلدان : وهي ثغر لأهل حمص فتحها المسلمون وخرّبوا أسوارها، قال، وهي الآن أهلة * الرابع عشر عمل « جبة المنيطرة » وهي بلدة صغيرة * الخامس عشر عمل الظنين وهي كورة بين مصياف وفاميه * السادس عشر عمل بشريه، ويقال : بشرى بأبدال الهاء ياء مثناة تحت * السابع عشر عمل جبلة — وهي بلدة صغيرة بساحل البحر الرومي ، قال في العزيزي ، ولها أعمال واسعة . وبينها وبين اللاذقية ١٢ ميلا، وبينها وبين انطاكية ٤٨ ميلا، وبها مقام ابراهيم بن آدم *

الثامن عشر عمل أنفة - وهي بلدة على البحر الرومي تردّها المراكب بقلة

❦ القاعدة الخامسة صغد ❦

من قواعد البلاد الشامية صغد ، قال في تقويم البلدان ، بفتح الصاد المهملة والفاء وتاء مثناة من فوق في آخرها ، ثم قال : والمشهور على ألسنة الناس ان مكان التاء دالا مهملة . وقال السمعاني في تاريخ صغد : سميت بذلك لأن الفرنج أعطتها للطائفة الدموية منهم ، وأصل الصفت في لغتهم العطية : ثم قال : ويجوز ان تكون سميت بذلك أخذاً من الصغد ، وهو القيد ، لأن ساكنها يمتنع من الحركة للطلوع والنزول لارتفاع مكانها كما يمتنع المصغد بالقيد من الحركة السريعة . وهي مدينة من جند الأردن واقعة هي وأعمالها في الأقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في تقويم البلدان وهي بلدة متوسطة بين الكبير والصغر . وذكر العثماني أنه كان مكانها أولاً قرية فلما ملكتها الفرنج بنت مكانها هذا الحصن في سنة ٤٩٥ . وقلعتها من الحصون المنيعة تشرف على بحيرة طبرية وتحف بها جبال وأودية . قال الواسطي بنيتها الفرنج سنة ٤٩٥ . قال في مسالك الألبصار : وهي جديرة بالتعظيم فقل ان يوجد لها تشبيه ولا يعلم لها نظير ، ور بضمها منتشر العمارة على ثلاثة أجبل . وأكثر ما يدخل أهلها حمامات الوادي لقلّة الماء بها وسوء بناء حماماتها . وبساتينها تحتمها في الوادي الى جهة بحيرة طبرية . وكل ما يوجد في دمشق يوجد فيها إمامن بلادها وإمام محبوب من دمشق اليها . ولها نواح وأعمال تخصها . قال في التعريف : وحدها من القبلة الغور حيث جسر الصنبرة من وراء طبرية : ومن الشرق الملاحه الفاصلة بين بلاد الشقيف وبين حولة بانياس : وحدها من الشمال نهريطا : ومن الغرب البحر . وقد ذكر لها في التعريف ستة أعمال . وذكر لها في مسالك الألبصار اثني عشر عملا : الأول عمل برتها وهو ظاهرها كما في دمشق وحلب وغيرها من القواعد السابقة . الثاني عمل البصرة وهي بلدة صغيرة من جند الأردن ، قال في الروض المعطار ، على ثلاثة عشر ميلا من طبرية ، قال ، ويقال ان المسيح عليه السلام ولد بها وأهل القدس ينكرون ذلك والمعروف انّه حين عادت به من مصر وعمره سنة نزلت به هذه القرية وهي اليوم منبع الطائفة النصيرية . الثالث عمل طبرية - وهي

مدينة من جند الاردن بناها طبريون أحد ملوك اليونان البطالسة فعرفت به، ثم عربت طبرية؛ والنسبة اليها طبراني للفرق بينها وبين طبرستان حيث النسبة اليها طبرى. وهي في النور في سفح جبل على ضفة بحيرتها. قال في مسالك الابصار: ومن عملها قدس، وكان معها قديماً السواد وبيسان بجبل عاملة ثم خرجا عنها* (الرابع عمل تبين وهونين - قال في مسالك الابصار: وهما حصنان بنيا بعد الخمسمائة) وجعل العثماني في تاريخ صفد هونين من عمل الشقيف. وأهل هذا العمل شيعة رافضة* الخامس عمل عثليث - وهي كورة بين قاقون وعكافيا قرى متسعة، قال العثماني، وفي آخر هذا العمل بلاد قاقون وهو آخر الاعمال الصفدية* السادس عمل عكا - وهي مدينة قديمة من سواحل الشام، قال العثماني، بناها عبد الملك بن مروان (ثم غلب عاها الفرنج، ثم انتزعها منهم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب) ثم استعادتها الفرنج ثم انتزعها منهم المنصور قلاوون وخربها في سنة ٦٩٠ وكانت هي قاعدة هذا الساحل قبل صفد، فلما خربت أقيمت صفد مقامها. وبها مسجد ينسب لصالح عليه السلام* السابع عمل صور وهي مدينة قديمة بساحل دمشق وكانت من أحسن الحصون فلما استعادها المسلمون في سنة ٦٩٠ مع عكا خربوها كي لا تصير حصناً للعدو. وهي خراب الى الآن. ويقال انها أقدم بلد بالساحل وان عامة حكماء اليونان منها. قال في العريزي: وبينها وبين عكا اثنا عشر ميلاً قال في التعريف: و بصور كنياسة بقصدها ملوك من البحر عند ما يكمهم فيما كون ملوكهم بها اعتقاداً أن تملكهم لا يصح الا فيها، وشرطهم أن يدخلوها عنوة، ولذلك لا يزال عليها الرقبة؛ ومع ذلك يأتونها مباغطة فيقضون اربهم منها ثم ينصرفون. وأهل هذا العمل الآن رافضة* الثامن عمل الشاغور - وهي كورة بين عكا وصفد والناصره بها قرى متسعة. وجعلها العثماني شاغورين: أحدهما شاغور النعبه وهي جبل به قرى عامرة. والثاني شاغور غراية وفيه عدة قرى وبه كان مقام أولاد يعقوب عليه السلام التاسع عمل الاقليم - وهي كورة بين دمشق والشغرا والخربة بها قرى متسعة. قال العثماني وغالب أهل هذه البلاد حاكية دهرية دروز ينكرون الشرائع ويعتقدون التناسخ ولا يرون صلاة ولا زكاة ولا صوما ولا حجا ولا بعثا ولا نشورا، ويستبيحون الميتة ولحم الخنزير ونكاح المحارم ولا يغسلون من الجنابة، ويستحلون المسكر ولا يتنزهون عن

النجاسة * العاشر عمل الشقيف ، ويعرف بشقيف أرنون ، يفتح الهمة وسكون الراء
 وضم النون وسكون الواو ثم نون في الآخر . قال في المشترك : وهو اسم رجل أضيف
 الشقيف اليه ، ويعرف أيضاً بالشقيف الكبير ، وهو حصن بين دمشق والساحل بمضه
 مغارة منحوتة في الصخر و بمضه له سور ؛ وهو في غاية الحصانة . قال العثماني وهو أكبر
 اعمال صفد وأطيبها وأهله رفضة * الحادي عشر عمل جينين - وهي بلدة قديمة متسعة
 مركبة على كنف واد لطيف به نهر ماء يجرى ؛ وهي في الشمال عن قاقون على نحو
 مرحلة من رأس مرج ابن عامر ؛ وبها مقام دحية الكلبي الصحابي رضي الله عنه *
 الثاني عشر عمل اللجون - قال في مسالك الابصار : وكان معها السواد ويديان وخرجا
 عنها . ومما يذكرفيها حيفا وهي خراب على الساحل ، وقلعة كوكب رهي التي يقول فيها
 العماد الاصفهاني : راسية راسخة ، شماء شامخة ؛ وقلعة الطور وهي قلعة على جبل الطور الذي
 هناك بناها العادل بن أيوب ثم غلبه عليها الفرنج فهدمها

القاعدة السادسة الكرك

من قواعد البلاد الشامية الكرك ، يفتح الكاف والراء المهملة وكاف ثانية في
 الآخر ، وتعرف بكرك الشوبك لمقاربتها منه . قال في تقويم البلدان وهي من البقا
 وهما وهي وأعمالها من الاقليم الثالث من الاقاليم السبعة قال في مسالك الابصار :
 وهي مدينة محدثة البناء كانت ديرا يتديره رهبان ثم كثروا فكبروا بناءه وأوى اليهم من
 يجاورهم من النصارى فقامت به الاسواق ودارت لهم فيه معاش وأوت اليه الفرنج
 فأداروا أسواره وصارت مدينة عظيمة ؛ ثم بنوا به قلعة حصينة من أجل المعاقل وأحصنها .
 وبقى الفرنج مستولون عليه حتى فتحه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على يد
 أخيه العادل ابى بكر . قال في التعريف : وكانوا قد عمموا به مراكب ونقلوها الى بحر
 القلزم لقصد الحجاز الشريف لأمر سوتهم - لهم أنفسهم فأوقع الله بهم الغرائم
 الصلاحية والمهم العادلية فقبض عليهم وحملوا الى منى فنحروا بها على جرة العقبة
 حيث تنحر البدن ؛ واستمرت بأيدي المسلمين من يومئذ واتخذها مبارك الاسلام
 حرزاً ولاموا لهم كنزاً . ولم تنزل الملوك في الزمن المتقدم يستخلفون به أولادهم ويمدونهم

لتخاوفهم. وهو بلد خصب، وتحت براديه بساتين كثيرة وفواكه مفضلة وحمام. ثم لها تواح واعمال. قال في التعريف: وحدها من القبلة عقبة الصوان: ومن الشرق بلاد البلقا، ومن الشمال بحيرة سدوم، ومن الغرب تيه بنى اسرائيل. وتشتمل على أربعة أعمال:

الأول عمل برها، وهو ظاهرها كما تقدم في غيرها من القواعد المتقدمة * الثاني عمل الشوبك - قال في تقويم البلدان: وهي من جبل الشراة وموقعها وموقع أعمالها في الأقليم الثالث من الأقاليم السبعة. وهي بلدة صغيرة داخلية في البرأ أكثر من الكرك ذات عيون وجداول تجرى وبساتين وأشجار وفواكه مختلفة. قال في العزيزى: ولها قلعة مبنية بالحجر الأبيض على تل أبيض مرتفع مطل على الغور من شرقيه.

قال في تقويم البلدان: وينبع من تحت قلعتها عينان تحريان الى البلد ونها يشرب أهلها وبساتينها * الثالث عمل زغر - وهي مدينة قديمة متصلة بالبادية بنتها زغر بنت لوط عليه السلام فسميت بها * الرابع عمل ممان - وهي مدينة صغيرة بناها معان بن لوط عليه السلام فسميت به. قال ابن حوقل: كان يسكنها بنو أمية وهوالبهم. قال في تقويم البلدان: وبينها وبين الشوبك مرحلة. قال في مسالك الابصار: وقد خربت هي وعملها ولم يبق بها أحد

الفصل الثالث

فما أضيف الى مملكة الديار المصرية من جزيرة العرب من بلاد الحجاز وما صانها. وتشتمل هذه المملكة من الحجاز على ثلاث قواعد

القاعدة الاولى مكة

وهي بفتح الميم وتشديد الكاف المفتوحة وهاء في الآخر كما نطق به القرآن في قوله تعالى « وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة » سميت بذلك لقلة ما فيها أخذاً من قولهم: امتك الفصيل ضرع أمه، اذا امتصه: ويقال فيها أيضاً « بكة » بأبدال الميم باء، وبه نطق القرآن الكريم في قوله تعالى « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا » أخذاً من البك، وهو الدق، لأنها تبك اعناق الحبايرة اذا بغوا فيها. وقيل هي بالميم الحرم، وبالباء المسجد: وقيل هي بالباء موضع الطواف

وقد ذكر العلماء لها ستة عشر اسما ذكرتها مع بيان ما أخذها في الاصل . وهي من جملة الحجاز ؛ وقيل من تهامة ، ورجح في تقويم البلدان . ووقها هي وأعمالها في الاقليم الثاني من الأقاليم السبعة . وهي مدينة في بطن واد الجبال محتفة بها : فأبو قيس مشرف عليها من شرقها ؛ وأجياد ، بفتح الهمزة مشرف عليها من غربها ؛ والكعبة ، البيت الحرام ، بوسطها . قال في الروض المعطار : وسعتها من الشمال الى الجنوب نحو ميلين ، ومن أسفل أجياد الى ظهر جبل قينقاع مثل ذلك والحرم مطيف بها من جميع جهاتها وجوانبها ، ومقاديره تتفاوت في القرب والبعد عن مكة ، وعلى حدوده اعلام منصوبة . قال الزبير : وأزل من وضع علامات الحرم وأنصب العمدة عليه عدنان بن أدخوفا من الاندلس والتغدير . ومن حدوده المشهورة الحديدية والجرمانية . قال ابن حوقل : وليس بمكة الحرم شجر يثمر الاشجار البادية . وقد ذكرنا في الاصل أن البيت نبى سبع مرات أولها بناء الملائكة ، والثاني بناء ابراهيم عليه السلام ، وآخرها بناء الحجاج بن يوسف بأمر عبد الملك بن مروان وهو الموجود الآن وارتفاعه ٢٥ ذراعا ؛ وبينه وبين الركن الأسود والركن الشامي ٢٤ ذراعا ، وبين الركن الشامي والركن الغربي وهو جانب الحجر ٢١ ذراعا وبين الركن الثاني وركن الحجر الأسود ٢٠ ذراعا . أنقص من مقابله بذراع ثم لمكة قرى ومخاليف وكثرتها جبال . وأوديتها معمورة مسكونة ذات عيون جارية وحدائق محدقة والمذهور منها عشرة أمكن : الاول جدة — وهي فرضة مكة على بحر القلزم وهي بالغرب عن مكة بميلة الى الشمال ، قال في تقويم البلدان ، على مرحلتين : وقال الادريسي : بينهما ٤ ميلا * الثاني بطن نخل ، ويقال فيه وادي نخلة ، والجاري على اسانهم نخل إسقاط وادي . قال الجوهري : وبه كانت القرى التي هي طواغيت قريش . وهي الآن بيد هذيل وهي قرى مجتمعة ذات عيون وحدائق ومزدرع . وغالب فواكه مكة وقضائيا وبموخا منها ، ومنها يصب الماء الى بطن مر * الثالث بطن مر — وهي وادي في الشمال عن مكة على مرحلة منها يمر به حجاج مصر والشام ، وبه عيون وويه تجري ونخل كثيرة والمزدرع متصل من وادي نخلة اليها وفيها كهف ، وبه ولها تحمل الى مكة الرابع الهدنة — وهي وادي على القرب من بطن مر على مرحلة ونصف من مكة ، وهي يد بني جابر *

الخامس عسفان - وهي واد معروف على طريق حجاج مصر على ثلاث مراحل من مكة ، بها عيون وحدائق ؛ والماء ينصب اليها من الهدة * السادس البزرة - وهي واد بالقرب من عسفان على مرحلتين من مكة ، وهي بيدني سلوان و بنى .عبد * السابع خليص - وهو واد على طريق حجاج مصر على أربع مراحل من مكة * الثامن وادى كلبة - وهو واد بالقرب من خليص وكان يسدسليم وقد خرب بعد الثمانين وسبعمائة * التاسع الطائف --- وهو بلد شرقي بطن نخل بينه وبين مكة ، قيل سميت بذلك لأنها في طوفان نوح انقطعت من الشام وحملها الماء وطاف بها الأرض حتى أرست بهذا الموضع واسمها القديم « وج » سميت برجل من العمالقة اسمه « وج » ، ثم سكنها ثقيف فبنوا عابها حائطا مطيفا بها فسميت الطائف . وهي بلد خصيب كثير الفواكه المختلفة مما يشابه فواكه الشام وغيره مع رطوبة الهواء لانها شديدة البرد حتي انه ربما جمد الماء بها * العاشر مر الظهران - وهو موضع بينه وبين مكة نحو ١٦ ميلا . وهو الذي نزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلحه مع قريش : وكان به ضياع كثيرة ، وهي الآن خراب . قال في الروض المعطار : وبه حصن كبير كان يسكنه شكر بن الحسن ، يعني أمير مكة

❦ القاعدة الثانية ❦

(المدينة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام)

والمدينة اسم غلب عليها ، وبه نطق القرآن الكريم في قوله تعالى « يقولون لن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعزمنها الاذل » : واسمها القديم يثرب ، وبه نطق القرآن في قوله تعالى « يا أهل يثرب لا مقام لكم » قال الشيخ عماد الدين بن كثير في تفسيره : وحديث الهى عن تسميتها بذلك ضعيف . قال الزجاجي وسميت بذلك لان أول من سكنها يثرب بن قانيه بن مهثيل بن ارم بن عسل بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام . وسمها الله تعالى « الدار » بقوله « والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم » . وسمها النبي صلى الله عليه وسلم « طيبة » و « طابة » ولها أسماء أخرى غير ذلك ذكرناها في الاصل . قال في تقويم البلدان : وهي من الحجاز ، وقيل من نجد ؛

وموقعها قريب من الاقليم الثاني من الاقاليم السبعة . وقد ذكر صاحب « الهناء الدائم » ان اول من بناها تبع الاول حين اعلمه من معه من الكهنة ان بها مظهر نبي يظهر في آخر الزمان اسمه « محمد » فبناها وأسكن بها جماعة من العلماء، وكتب كتابا الى النبي صلى الله عليه وسلم يذكر فيه ايمانه به قبل ظهوره وأودعه عند كبير تلك العلماء فتناقله عقبه واحدا بعد واحد حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فلقبه الذي صار اليه الكتاب بين مكة والمدينة ودفع الكتاب اليه صلى الله عليه وسلم . وقيل في بنائها غير ذلك . وهي مدينة متوسطة في مستومن الارض ، وكان عليها سور في القديم وبخارجها خندق وهو الذي حفره النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب . وفي سنة ٢٣٠ (وفي الاصل ٢٣٦) بنى عليها اسحاق بن محمد الجعدي سورا منيعا وهو باق عليها الى الآن ولها أربعة أبواب : باب في الشرق ، وباب في الغرب ، وباب بين الشمال والغرب ، وباب يخرج منه الى أحد . وبظاهرها عيون جارية وحدائق زاوية وبوسطها المسجد وبه الحجرة الشريفة وبوسطها قبر النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه ابو بكر وعمر رضى الله عنهما معه فيه دائر عليه مقصورة مرتفعة الى نحو السقف عليها ستر من حرير وخارج المقصورة بين القبر والمنبر الروضة التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنها روضة من رياض الجنة . ثم للمدينة حى ومخالف

أما حماها فهو الذي حماه النبي صلى الله عليه وسلم وحرمه ، قال في الروض المعطار : وهو اثني عشر ميلا . وخارج بابها الشرقي البقيع ، بالباء الموحدة ، وهو مدفن أكثر أمواتها وبه قبر ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم وقبر الحسن بن علي والعباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان رضى الله عنهم وقبر الامام مالك بن أنس رحمه الله

واما مخاليقها فالمشهور منها ثمانية مخاليق : الاول قباء بالمد والتمصر ، والمد أشهر . قال في الروض المعطار : ومن العرب من يذكره فيصرفه ، ومنهم من يؤثته فلا يصرفه . قال : وسميت بيئر كانت هناك اسمها قبا . وهي قرية غربي المدينة على ميلين منها ، وبها مسجد التقوى الذي أنزل الله فيه « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه » ومصلى النبي صلى الله عليه وسلم بها مشهور « الثاني خيبر - وهي بلدة بالقرب من المدينة في جهة الشمال والشرق على نحو ست مراحل : وقيل أربع ، والثالث في لغة

اليهود الحصن . وهي ذات نخيل وحدائق ومياه تجري قال في تقويم البلدان : وهي بلد بني عنزة من اليهود . قال الادريسي وكانت في صدر الاسلام داراً لبني قريظة والنضير وبها كان السموءل بن عاديا الشاعر المشهور * الثالث فدك - وهي بلدة على يومين من المدينة . قال الزجاجي سميت بفدك بن حام ، وهو أول من نزلها . وبها حصن يقال له الشمروخ على القرب من خيبر * الرابع الصفرا - وهي واد على ست مراحل من المدينة كثير المياه والحدائق والمزارع ، وعيونها يصب فضلها الى ينبع : وهي بيد بني حسن الشرفاء * الخامس ودّان - وهو واد به قرى خراب لا تحصى كثيرة * السادس الفرع - وهو واد في جنوبي المدينة على أربعة أميال منها يشتمل على عدة قرى أهلة وماؤه يصب في رابع حيث يحرم حجاج مصر ومنها طريق المشاة من مكة الى المدينة . قال في الروض المعطار : ويقال انها أول قرية مارت اسماعيل التمر بمكة . وهي الآن بيد بني حرب * (السابع الجار - وهي فرضة المدينة الشريفة على ثلاث مراحل منها . قال ابن حوقل : وبينها وبين الجحفة ثلاث مراحل) * الثامن وادي القرى - قال في الروض المعطار : وهي مدينة كثيرة النخل والبساتين والعيون وبها ناس من ولد جعفر بن أبي طالب وهم الغالبون عليها . وهو الآن خراب ليس به أحد قلت : وبالغ الادريسي في نزعة المشتاق فمد من مخاليفها تيماء ، ودومة الجندل ، ومدين وقد عد في تقويم البلدان تيماء من بادية الشام تقريبا ، وقال في دومة الجندل انه موضع فاصل بين الشام والعراق ، وقد تقدم ذكر مدين في الكلام على كور مصر

القاعدة الثالثة ينبع

قال في تقويم البلدان : وهي من تهائم الحجاز تقريبا ، وقد غلب ادخال الألف واللام عليها فيقال ينبع . قال في الروض المعطار : وهي على تسعة برد من المدينة ، ولها فرضة على بحر القلزم على مرحلة منها ، وبها العيون الجارية والحدائق النزهة وأنواع الخضراوات ، وبها حصن على رأس جبل . قال ابن حوقل : وبها وقف لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وحضارتها وإمارتها مستحدثة . قال صاحب العبر : وكان بها من بني الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بنو حراب ، وبنو

عيسى، وبنوه علي، وبنوه أحمد، وبنوه إبراهيم
 قلت : وقد ذكرت في الأصل هنا مع المسالك والممالك بالشرق والغرب والشمال
 والجنوب مالا يوجد في غيره من كتب هذا الفن . وأنا أذكر من ذلك كل مملكة
 أو بلدة يكتب ملكها أو القائم بها عن الأوبال السلطانية بالديار المصرية مع ذكر
 أحوال تلك المملكة في بعضها من المكاتب في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى
 ترتيب مملكة البلاد الشامية

تقدم أنها تشمل على ست قواعد . ولا خفاء إن بكل قاعدة من تلك القواعد
 الست نيابة سلطنة تجرى في الترتيب على نحو الديار المصرية والنائب بها قائم مقام
 السلطان فيها

﴿ النيابة الأولى ﴾

(نيابة دمشق وفيها مقصدان)

﴿ المقصد الأول في حاضرتها ﴾

اعلم إن نيابة دمشق هي أجل نيايات الممالك الشامية وأعلىها رتبة . ونائبها من
 أكبر مقدمي الألوفاً وقد استقر في الألقاب نظير النائب الكافل بالديار المصرية
 ويعبر عنه في المكائبات السلطانية بـ « كافل السلطنة الشريفة بالشام » ويكتب له
 تقليد من أجل التقاليد في ديوان الانشاء . وهو قائم بدمشق مقام السلطان في أكثر
 الأمور المتعلقة بنيابته ويكتب عنه التواقيع في أكثر الوظائف بدمشق وأعمالها، ويخبر
 عنها « بالكريمة » ، ويكتب عنه المربعات بتعيين أقطاعات الجند وتجهز إلى الأبواب
 السلطانية فيشتملها الخط الشريف السلطاني ويترتب حكم المربعات السلطانية المصرية
 والشامية على حكمها ، ويكتب على كل ما يتعلق بنيابته من المناشير والتواقيع والمراسيم
 السلطانية بالاعتماد . ولنائب الساطة بها من الحاشية ، للسلطان من الدوادار، والخزندار
 والسلاح دار، وأمير جاندار، وأمير مجلس وغيرهم : وكذلك مهارة البيوت وغيرهم
 من الثلمان . (ولقلمها) نائب منفرد ليس له نائب بدمشق عليه حكم : وولايته من
 الأبواب السلطانية بمرسوم شريف من ديوان الانشاء . قال في التثقيف : وكانت

عادة نائبها في الايام المتقدمة مقدم الف ، ثم استقرت بعد ذلك طبلخاناه وهي على ذلك الى الآن . ومن شأن نائبها انه يحفظ القلمة ولا يسلم مفتاحها الا لمن يتولاها مكانه او لمن يأمره السلطان بتسليمه له . ولتأنيها اجناد بحرية ولا يركبون في الغالب . وبدمشق الامراء من المقدمين والطبلخاناه ، والعشرات والخمسات ؛ وبها مقدمو الحلقة واجنادها ؛ وكان بها في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون ثلاثة حجاب : احدهم حاجب الحجاب ، وعادته ان يكون مقدم الف ، وهو في الرتبة الثانية من اللائب ، ومن عادته الجلوس بدار العدل دون الوقوف ، واذا خرج اللائب لمهم او غيره كان هو نائب الغيبة ، واذا برز امر السلطان بالقبض على نائب السلطنة كان ذلك اليه ويسكن هو القائم بناية السلطنة بعده الى ان يقام نائب آخر ؛ والحاجبان الاخران طبلخانان ، او طبلخاناه وعشرين ، او عشرة او غير ذلك ، ثم صاروا بعد ذلك خمسة او ستة حجاب ، ولم تجر العادة لكتابة مرسوم لاحد منهم بولايتها . وبها تقيب جيش ، وشاد دواوين ، ومهندار ، ووظائف اخرى كشاد المهمات ، وهو المنحدث في الاحتياجات السلطانية ؛ والخزندرية ، وهي التحدث على الخلع والتشريف وتقدمة البريد ، وغير ذلك من الوظائف . وبها والى شرطة بحكم داخل البلد . وبها من الوظائف الدينية قضاء القضاة ، وعادتها قضاء اربعة من كل مذهب قاض ، وولايتهم من الابواب السلطانية . وبها قاضيا عسكري : شافعي وحنفي ، ووكالة بيت المال ، ونقابة الاشراف ، ومشيخة الشيوخ وعادتها ان تكون لشيوخ الحانقاه الشيمصاتية . وبها من الوظائف اديوانية الوزارة وفي الغالب تنحط رتبة صاحبها فيمبر عنه بناظر المملكة ، وولايته من الابواب السلطانية بكل حال ؛ وبها كتابة السروهي الرتبة الثانية من كتابة السر بالديار المصرية ويعبر عن صاحبها « بصاحب ديوان الانشاء بالشام المحروس » وولايته من الابواب السلطانية ، وبها كتاب الدست وكتاب الدرج كما في الديار المصرية ؛ وبها نظر المهمات ونظر الخزانة ونظر خزائن السلاح ونظر البيوت ونظر الاسواق ونظر مراكز البريد ونظر الحوطات ، وهو نحو استيفاء المرتجع الى غير ذلك . وبها من الوظائف الصناعية راسة الطب وراسة الكحالين وراسة الجراحيمة . وبها من وظائف الحكم على ملل المخالفة بطريرك النصارى اليعاقبة و بطريرك الملكية (كذا بالضوء ، وفي الصبح المكايه ، ولعلها اللاتينية) و رئاسة اليهود القرايين والربانيين ورئاسة السامرة

واعلم ان ترتيب ولايتها يوافق ترتيب السلطنة بالديار المصرية في بعض الامور وبخالفه في بعضها. وكانت عادة النائب بها في يومى الاثنين والخميس ان يركب في المسكر من الامراء ومقدمي الحلقة وأجنادها ويخرج الى سوق الخيل تحت القلعة يسير فيه كما يفعل النائب الكافل بالديار المصرية ، ثم صار الآن يركب الى قبة بلبغا قبل دمشق والى نحو ذلك من جهاتها ، ثم يعود النائب فى موكبها الى تحت القلعة فيقف فى الموكب ساعة ، ثم يسير الى دار النيابة فاذا قرب منها ترجل العسكر على قدر مراتبهم ويبقى راكبا حتى ينتهى الى قاعة عظيمة معدة للجلوس فى الموكب وبصدرها كرسي من خشب مغشى بالحرير الاطلس الاصفر وعليه سيف نمجاه مسند الى صدره ، فيجلس بصدر القاعة على مقعد لا يشاركه فيه غيره وخلفه بشميخ منصوب وراء ظهره والكرسي على شماله على نحو ثلاثة اذرع ، ويجلس قاضى القضاة الشافعي عن يمينه على نحو ثلاثة اذرع ، ويليه الحنفي ثم المالكي ثم الحنبلي ، ويليه قاضى العسكر الشافعي ، ويليه قاضى العسكر الحنفي ، ويليه مفتي دار العدل الشافعي ، ويليه مفتي دار العدل الحنفي ، صفا مساويا للنائب فى صدر القاعة ؛ ويجلس كاتب السر من جهة يسار النائب ملاصقا بتمه ده انذى هو جالس عليه جا علا يمينه الى جدار صدر القاعة وظهره الى جهة الكرسي بانحراف يسير لمواجة النائب ، وكتاب الدست بالميسرة تحته على التدرج بحسب مراتبهم صفا ممتدا من كاتب السر الى جهة باب القاعة ، ويجلس الوزير مقابل كاتب السر من الجانب الآخر على سمت يمين قاضى القضاة الحنبلي ؛ ويجلس ناظر الخيس دونه وكاتب الدست باليمينه تحت ناظر الخيس على الترتيب صفا آخر اخذا من الوزير الى جهة باب القاعة ، فيصير كاتب السر والوزير ومن يسامتهما صفين متقابلين ويجلس اتمك العساكر من الامراء فى رأس اليمينه خلف الوزير على قدر رتبته ، وبقية الامراء المقدمين تحته على الترتيب ، وأمرء الطبلخاناه تحتهم كذلك حتى يصيروا صفا خلف الوزير ومن معه ؛ ويجلس المقدمون من أمرء الميسرة خلف كاتب السر ومن معه ، وتحتهم الطبلخاناه على الترتيب صفا آخر مقابلا لصف اليمينه بحيث يكون اوله خارجا عن يسار الكرسي ، ويكون بين النائب ورأس اليمينه نحو خمسة اذرع ، ويديه وبين الميسرة نحو عشرة اذرع ، وتقف طائفة من العشرات والحماوات ومقدمى الخيمة باليمينه صفا مستقيما خلف

الاتا بك والامراء الجالوس في صفه على ترتيب منازلهم ، ويقف بمالئك النائب عن يسار الكرسى صفاً لآخذ من خلف اول مقدمى الميسرة بأحراب فيه الى خلف ؛ واللائحة من مقدمى الحلقة خلف الامراء الجالسين في الفرجة الواقعة بينهم وبين مالئك النائب ، ويجلس حاجب الحجاب امام النائب في آخر صفى الموقعين الممتدين من جهة كتاب اللير والوزير بميلة الى صف الميسنة ، ويقف بقية الحجاب خلفه ، وتقباء الجيش خلفهم . وتوفى القمص فيتناولها تقباء الجيش ويرصلونها الى حاجب الحجاب فيتناولها ويتقدم فيوصلها الى كاتب السر فيفرفرها على كتاب الدست ويتدى هو بالقراءة فيقرأ بها في يده من القمص ويوقع عليها بما يرسم له به النائب ، ثم يقرأ الذى يليه ، ثم الذى يليه كما تقدم في الديار المصرية . فاذا انتهت القراءة قام القضاة ومن في صفهم وكاتب السر والوزير وناظر الجيش وسائر ارباب الاقلام فينصرفون ؛ فاذا انصرفوا مد السماط . ويجلس النائب على رأس السماط والامراء ومقدمو الحلقة على ترتيب منازلهم فياً كلون ، ثم يرفع السماط ويتحول النائب الى طرف الايوان فيجلس فيه ويجلس قدامه كاتب السر وناظر الجيش وتأتى المحاكمات فيفصلها ويقرأ عليه كاتب السر ما رفع في ذلك المجلس من القمص ، ويتكلم مع ناظر الجيش فيما يتعلق بوظيفته ، ثم يقوم وينصرف كاتب السر وناظر الجيش . . . قال في مسالك الابصار : وتزيد عساكر الشام على غيرها ركوب يوم السبت - قلت : وهو يوم ركوب ليس فيه دار عدل ولا سماط (على انه ربما أهمل حضور دار العدل ومد السماط في يومى الاثنين والنجيس أيضا كما في الديار المصرية)

﴿ المقصد الثانى ﴾

في ترتيب ما هو خارج عن حاضرة دمشق وولاية الامور فيها على أربعة أنواع

(النوع الاول)

النيابات وهي على ثلاث طبقات .

﴿ الطبقة الاولى ﴾ نيابة مقدمى الالوف ، وبها نيابة واحدة من هذه الطبقة وهي

نيابة غزة من الصفقة العربية ولها حالان : أحدهما أن تكون نيابه فيكون حكم نائبها على الصفقة بحملتها من الساحل والجليل ، ويكون قصاتها وسائر ارباب وظائفها من

الايواب السلطانية وهو نادر لم يخفق في زماننا الا في الدولة الظاهرية بوقوف في ولاية ابن با كيش برهة من الزمن ، الثاني ان يكون مقدمة عسكر في فرد بالساجلية بحاجة وهو الغالب ، وعليه الحال في زماننا . وبكل حال فثابتها أو مقدم العسكر بها مقديها ألف . وبها أسراء الطبلخاناه والمشربات والخسبات ومقدمو الخيطة وأجنادها . وليس بها مقدم بالقب غير المهائب أو مقدم العسكر أيها سكان . ومن وظائف أرباب السويق بها الحجومية . وحاجتها الكبير أمير طبلخاناه ، ومن دونه عشرة ؛ ومنها شد الدواوين ، والمهندارية ، وتقابة النقباء القابضة بمقام تقابة الحيوش ، وولاية المدينة ، وولاية البر وغير ذلك . وبها من الوظائف الدينية القضاء ، وبها قاضيان : شافعي وهو نائب عن قاضي دمشق ان كانت غزه تقدمه عسكر والا فولايته من الايواب السلطانية ، وحنفي وهو مستحدث الولاية وولايته من الايواب السلطانية ؛ وبها المحتسب ، ووكيل بيت المال ومن في معناهم ، وكلهم تواب لارباب الوظائف بدمشق كما في القاضي الشافعي : وليس بها قضاء عسكر ولا افتاء دار عدل . وبها من الوظائف الديوانية كاتب درج يقوم مع النائب مقام كاتب السر ، وناظر جيش ، وولايتهما من الايواب السلطانية

(الطبقة الثانية) النيابة الطبلخانة - وبها من هذه الوظيفة اربع نيابات: الاولى نيابة القدس من الصفقة المذكورة . واعلم انها كانت في الزمن المتقدم ولاية صغيرة يوليها نائب الشام، ثم استقرت نيابة طبلخاناه في سنة ٧٦٧ كما قاله في التقيف . وقد جرت العادة ان يضاف اليها نظر القدس ومقام الخليل عليه السلام ويبرعها بالحرمين وبذلك عبر في التعريف في الكلام على وصية الناظر عليهما . وبها من وظائف أرباب السيوف غير النيابة ولاية قلعة القدس، وعادتها جندي من قبل نائب الشام، وكذلك ولاية المدينة . وبها قاض شافعي ومحتسب وهما نائبان عن قاضي دمشق ومحتسبها ، وكذلك جميع الوظائف نيابات عن أرباب الوظائف بدمشق * والتانية نيابة صرخد من الصفقة القبلية . قال في التعريف : وقد يجعل فيها من ينحط عن رتبة السلطة أو تكون نيابة معظمة ؛ وذكر نحوه في مسالك الابصار - قلت : ومن وايها من هذه الرتبة العادل كتبنا بعد خلع من السلطنة ثم انتقل منها الى نيابة حماة . واعلم أن بصرخد المذكورة قلعة لها وال خاص ، قال في التعريف . وهي من الملاع التي يستقل

نائب الشام بالتولية فيها * الثانية نيابة بعلبك من الصفقة الشمالية - وقد كانت في الأيام الناصرية بن قلاوون إمرة عشرة وهي الآن طبلخاناه وبكل فئات الشام يستقل بتوليتهما وربما وليت من الابواب السلطانية . قال في التعريف : ولها ولاية خاصة ، يعني ولاية المدينة * الرابعة ولاية حمص من الصفقة الشرقية (كانت في الأيام الناصرية فابعد مقدمة الف) قال في التثقيف ثم استقرت طبلخاناه وهي على ذلك الى الآن

﴿ الطبقة الثالثة ﴾ النيابات العشرات وفيها نيابتان : الاولى نيابة عجلون من الصفقة القبلية . قال في التثقيف : وهي وان كانت نيابة فان نائب الشام يستقل بالتولية فيها ولم تجر له عادة بالمكاتبة من الابواب الشريفة ؛ الثانية نيابة مصياف من الصفقة الشرقية ، وقد تقدم انها كانت من مضافات طرابلس ثم استقرت من مضافات دمشق - قلت : وقد كتبت نيابتهما في الدولة الظاهرية برقوق لابن اتابك المجاهدين بأمره عشرة وربما كانت طبلخاناه

﴿ النوع الثاني ﴾

(الكشف وولاية الولاة . وبها من هذا النوع كاشفان)

الاول كاشف الصفقة القبيلة . قال في التعريف : ومقرته مدينة أذرعات ، وهو تارة يكون طبلخاناه فتكون ولايته عن نائب الشام ، وتارة يكون مقدم ألف فتكون ولايته من الابواب السلطانية . ثم هو ان كان مقدم ألف سمي كاشف الكشاف ، وان كان طبلخاناه سمي والى الولاة وهو الغالب * الثاني كاشف الرملة ، من الصفقة الغربية . وهو مما استجد في الدولة الظاهرية برقوق ، وعادته امره طبلخاناه ، وقد صار يكتب اليه من الابواب السلطانية في خلاص المحرق كما يكتب الى كاشف الوجه البحرى بالديار المصرية ، وكانت قبل ذلك ولاية صغيرة يابها جندي

﴿ النوع الثالث ﴾

(الولايات ، وهي على ثلاث طبقات)

﴿ الطبقة الاولى ﴾ من ولاياتها الطبلخاناه ، وهي ثلاث ولايات :
الاولى - ولاية نابلس من الصفقة الغربية وقد تكون امره عشرة وربما كانت

امرة عشرين * الثانية ولاية بيروت من الصفقة الشمالية * الثالثة ولاية صيدا من الصفقة المذكورة . قال في مسالك الابصار: وهي ولاية جليلة . ثم ربما كانت امرة عشرة

(الطبقة الثانية) من ولاياتها العشرات - قد تقدم ان نابلس قد تكون امرة عشرة وقد تكون امرة عشرين ، وان ولاية صيدا قد تكون امرة عشرة

(الطبقة الثالثة) من ولاياتها مقدمر الحلقة وأجنادها . وبها من هذه الطبقة ما هو الأكثر عددا وهي : ولاية الرملة وقد بطلت باستقرار الكاشف بها ، وولاية لك من الصفقة الغربية وقد أضيفت الى كاشف الرملة ، وولاية قاقون منها وقد أضيفت الى كاشف الرملة ايضاً ، وولاية بلد الخليل عليه السلام منها وقد أضيفت الى القدس حين استقرت نيابة ، وولاية يدسان من الصفقة القبلية ، وولاية بانياس منها وقد تكون امرة عشرة ، وولاية قلعة الصبيبية منها وقد أضيفت الى بانياس ، وولاية الشغرامنها وكانت في الزمن المتقدم مضافة الى بانياس ثم أفردت عنها ، وولاية حسيان والصلت منها وقد أخبرني بعض كتاب سرالشام انهما إن جمعا لوال واحد كان طبلخاناه أو عشرة ، وان أفرد كل منهما كان جندياً ، وولاية البقاع البعلبكي والبقاع العزيزي من الصفقة الشمالية قال في التعريف : وهاتان الولايتان الآن منفصلتان عن بعلبك وهما مجموعتان لوال واحد جليل منفرد بذاته ثم اذا جمعا فتارة تكون لمقدم حلقة وتارة لجندي . وولاية قارا من الصفقة الشرقية ، وولاية سلمية منها ، وولاية تدمر منها

واعلم أن هذه الطبقات من النيابات والكشف والولايات قد تنتقل في المراتب عما هي عليه بزيادة أو نقص وليست بمستلزمة الدوام

* (النوع الرابع) *

امراء العرب ومقدموهم . والداخلون في نطاق اعمال دمشق من العرب المؤمر عليهم سبع قبائل :

(القبيلة الاولى) - آل ربيعة من طي . من كهلان من التحطانية وهم أبنور ربيعة ابن حازم بن علي بن مفرج بن دغفل بن جراح . وقد سقنا نسبه في الاصل في المقالة الاولى الى طي . وفي بني جراح كانت الرئاسة في الدولة الفاطمية قال في التعريف: وهم

يزعمون أنهم من ولد جعفر بن يحيى البرمكي من العباسية بنت المهدي تحت الرشيد قال
 في مسالك الابصار: ويقولون أنه كان يحضر مع الرشيد في مجالس خاتمة وهي حاضرة
 فمقد له عليها ليحل له النظر إليها وشرط عليه أن لا يواقعها فواقعها على حين غفلة من
 الرشيد فحملت وأتت منه بولد لهم من نسله قال في التعريف: ولما اقتضوا على عدمهم
 في طي لكان أبدخ لشرقهم وأقوم لغتارهم إذ لا تعدل العرب بفارس قلت: وقد ذكرت
 في الاصل نسبهم الى طي ونسبهم الذمعي يزعمونه الى يحيى بن خالد المتصل ابنا عن أب
 الى منتهاه. قال الحمداني: وكان مبدأ ربيعة أنه نشأ في أيام الاتابك زنگي صاحب
 الموصل وكان أمير عرب الشام أيام طغتكين (كذا) السلجوقي صاحب دمشق وقد علي السلطان
 نور الدين محمود فأكرمه وشاد بذكوره. قال: وكان له أربعة اولاد هم: فضل، ومراء،
 وثابت، ودغفل. ووقع في كلام المسيحي أنه كان له ولد اسمه بدر أيضا. قال في
 مسالك الابصار: ولم يزل لهم عند الملوك المكاة العلية والدرجة الرقيقة يخثونهم فوق
 كيوان وينوعون لهم أجناس الاحسان والامرة منهم الآن في ثلاثة أبطن:

﴿البطن الاول آل فضل﴾ وهم بنو فضل بن ربيعة، وهم رأس الكل وأغلامهم
 رتبة وأرفعهم منزلة. وقد ذكر في مسالك الابصار أنهم تشعبوا شعبا كثيرة منهم آل
 عيسى، وآل فرح، وآل سميط، وآل مسلم، وآل علي. وذكروا من المضاف اليهم ما لا يكاد
 يحصى كثرة قال، وأسد بيت منهم في وقتنا آل عيسى. وقد صاروا بيوتا: بيت مهنا بن عيسى،
 وبيت فضل وبيت حاد بن عيسى وأولاد حديشة بن عيسى. قال وآل عيسى
 هؤلاء، في وقتنا ملوك البر فيما بعد واقرب وسادات الناس ولا يصلح الا عليهم القرب...
 في كلام يطول. وقال ان ديارهم من حمص الى قلعة جعفر الى الرحبة آخذين يسارا
 الى البصرة. قال: ولهم مياه كثيرة ومناهل مورودة. أما الامرة عليهم فقد ذكر في
 مسالك الابصار: أنه لم يصرح لأحد منهم بأمرة على العرب بتقليد من السلطان إلا
 من أيام العادل أبي بكر بن أيوب. والذي استقر عليه الحال من أمرهم ان يكون لهم
 أمير كبير يولي من الابواب السلطانية ويكتب له تقليد شريف بذلك ويلبس تشريفا
 أطلسين أسوة البواب ان كان حاضرا، ويجهز اليه ان كان غائبا. ويكون لكل طائفة منهم
 أمير كبير قائم مقام أمير عليهم وتصدر اليه المكاتبات من الابواب السلطانية

الا أنه لا يكتب له تقليد ولا مرسوم

البطن الثاني-- آل مرا، وهم بنو مرا بن ربيعة بن فضل المقدم ذكره . قال في التعريف ومنازلهم حوران . وقال في مسالك الابصار : ديارهم من بلاد الجندور والجولان الى الزرقا والضليل الى بصرى . وزاد في مسالك الابصار فذكر منازلهم بالبوية . قال : وقد تشعب آل مرا أيضاً شعباً كثيرة وهم آل احمد بن حجي وفيهم الأمرة، وآل مسخر، وآل تمي، وآل بقرة، وآل شما، مع خلق كثير تدخل في مضافاتهم . ثم قال : وآل مرا أبطال مناجيد ورجال صناديد وأقيال قل كونوا حجارة أو حديدًا . وأما الأمرة عليهم فلي ما تقدم في آل فضل من أنه يكون لهم أمير كبير حاكم على جمعهم ودونه أسراء على طوائفهم

البطن الثالث-- آل علي، وهم بنو علي بن حديثة بن غضبة بن فضل المقدم ذكره، فهم من جملة آل فضل . قال في مسالك الأبصار : وهم آل بيت عظيم الشأن مشهور السادات له أموال جمة ونعم ضخمة ومكانة في الدول عليّة . وديارهم مرج دمشق وغوطها بين أخوتهم آل فضل ونبي عمهم آل مرا ومنتهاهم الى الحوف والخبائنة الى السكة الى تيماء الى البرادع . قال، في التعريف وانما نزلوا غوطة دمشق حيث صارت الأمرة الى عيسى بن مهنا وتقي جبار الفرات في تلايب التار . وأما الأمرة عليهم فلم تزل فيهم من عهد جددهم محمد بن أبي بكر بن علي بن حديثة بن غضبة بن فضل بن ربيعة من الأيام المنصورية قلاوون حين أمسك مهنا بن عيسى وبقيت في ذويه الى الآن

﴿ القبيلة الثانية ﴾ - جرم، من طيء أيضاً . وهم بنو جرم، واسمه ثعلب وجرم اسم أمه عرف بها فجعلهم من جرم قضاة قال في مسالك الأبصار : وهم ببلاد غزة والداروم مما يلي الساحل الى بلد الحليل عليه السلام . ولهم أفخاذ كثيرة ذكرناها في الاصل . وأما الأمرة عليهم فقد قال في التعريف ان الامرة على عرب غزة، يعنى جرماً المذكورين، في زمانه كانت لفضل بن حجي . والمعروف الآن ان جرماً إنما يكون لهم مقدم لا أمير وعليه جرى في التتيف وذكر أن مقدمه في زمانه في الدولة الظاهرية برقوق كان علي بن نضل

﴿ القبيلة الثالثة ﴾ - ثعلبة، من طيء أيضاً - وهم بنو ثعلبة بن سلامان : وتعلبة

بطان هما درما وزريق ابنا عوف بن ثعلبة ، وقيل ابنا ثعلبة لصلبه؛ وقد ذكرنا جماعة من بطونهم في الأصل . قال الحمداني : وثعلبة الشام من درما الى عينتاب . قلت : ولم يجري في التعريف ولا في التثقيف لثعلبة ذكر لعدم من يكاتب منهم

﴿ القبيلة الرابعة ﴾ بنو مهدي . وقد ذكر في مسالك الأَبصار أنهم من القحطانية من طريق جذام . وقد ذكر في التعريف في الكلام على مكائبات عرب الشام ان بنى مهدي من عذرة - قلت : وبينهما بون فأن جذاما ترجع الى عمرو بن سبا وعذرة من قضاة وقضاة ترجع الى حمير بن سبا . قال في التعريف : ومنازلهم البلقا . وزاد في مسالك الأَبصار ذكر منازلهم بالبرية . وقد ذكرنا بطونهم في الأصل . وأما الأَمرة عليهم فقد ذكر في التعريف : أنها مقسومة في أربعة منهم لكل واحد منهم الربع وذكروا نحوه في التثقيف وهي على ذلك الى الآن

﴿ القبيلة الخامسة ﴾ زُيد ولم يتعرض في مسالك الأَبصار لنسبهم وذكروا الجوهري أن زيدا اسم قبيلة (ولم يزد) والمعروف ان زيدا من سعد العشيرة من مذحج من كهلان من من القطحانية . قال في مسالك الأَبصار : وهم فرق شتى . وذكروا في الشام منهم فرقة بصرخد، وفرقة بغوطة دمشق وذكروا في التعريف ان منهم زييد المرج، وزييد حوران، وزييد الأَحلاف . وذكروا في التثقيف نحوه - قلت : واذا اعتبر المعتبر الجمع بين كلامي مسالك الأَبصار والتثقيف ظن ان فرق زييد بالشام خمس فرق : زييد المرج، وزييد الغوطة، وزييد صرخد، وزييد حوران . وليس كذلك بل زييد الغوطة وزييد المرج واحدة اذ المراد غوطة دمشق ومرجها وهما كالشيء الواحد؛ وزييد صرخد هي زييد حوران كما صرح به في موضع آخر من مسالك الأَبصار اذ صرخد من جملة بلاد حوران . اما زييد الأَحلاف فديارهم بالقرب من الرحبة بجوار آل فضل

﴿ القبيلة السادسة بنو خالد ﴾ عرب حمص . قال الحمداني وهم يدعون النسب الى خالد بن الوليد رضى الله عنه؛ وقد أجمع أهل العلم بالنسب على اقراض عقبه . قال في مسالك الأَبصار : ولعلمهم من ذوى قرابته من مخزوم، وكفاهم ذلك فخارا أن يكونوا من قريش

﴿ القبيلة السابعة غزية ﴾ فقد عدت في التعريف من جملة عرب الشام وهم بطن من

هو ازن من العدنانية. قال في العبر : ولم تزل لهم الصولة . قال الحداني : وهم بطون وأغاذ ولهم مشايخ منهم من وفد على السلاطين . وأشار في التعريف الى أن الغالب عليهم عدم الطاعة

❦ النيابة الثانية ❦

من نيابة السلطنة بالممالك الشامية نيابة حلب وفيها مقصدان

❦ المقصد الاول في حاضرتها ❦

وهي على ما تقدم من دمشق من اتقسام عسكرها الى مقدمي الالوف والطبلخاناه والعشرات والخمسات ومقدمي الحلقة وأجنادها واقطاعاتها على نحو ما تقدم في دمشق من المقدار ، بما زاد اقطاع الحلقة بها على اقطاع الحلقة بالديار المصرية . وبها من وظائف ارباب السيوف نيابة السلطنة ، وهي في الرتبة الثانية من دمشق : فهي أعلى النيابات بالممالك الشامية بعدها . ويمير عن نائبها في ديوان الانشاء بالابواب السلطانية ير (كافل السلطنة الشريفة بحلب) كما يقال في دمشق . ويكتب عنه التواقيع الكريمة بأكثر الوظائف بها وبأعمالها ، وكذلك يكتب عنه المربعات البيضية بتعيين الاقطاعات وتجهز الى الابواب السلطانية ايشملها الخط الشريف ويكمل مناشيرها كما تقدم في دمشق ويكتب على كل ما يتعلق بنيابته من الماشير والتواقيع والمراسيم الشريفة بالاعتماد . ولقلمتها نائب خاص بها لا يدخل تحت حكم نائب السلطنة كما تقدم في قلعة دمشق ، وولايتها من الابواب السلطانية بمرسوم شريف ، ونائبها امير طبلخاناه ، وفيها من الاجناد البحرية نحو اربعين نفسا لحراستها لا يظعنون عنها بسفر ولا غيره ، والحرس في الليل على نحو ما تقدم في قلعة دمشق ، وبها حاجب حجاب والعادة أن يكون مقدم ألف ، وهو ثاني رتبة نائب السلطنة بها ، والامر فيه على ما تقدم في دمشق ؛ وثلاثة حجاب آخر ايطبلخانات أو طبلخانتان وعشرة أو ما في معنى ذلك ؛ وبها شاد الدواوين ، وهو أمير عشرة ؛ ووالي المدينة ، وهو أمير عشرة ؛ وشاد مراكز البريد ، وتقدمة البريدية الى غير ذلك من الوظائف . وبها من الوظائف الدينية قضاء القضاة من المذاهب الاربعة من كل مذهب قاض ؛ وقضاء العسكر ، وبه قاضيان : شافعي وحنفي ؛ واقتاء دار العدل ، وبها اثنان كذلك ووكالة بيت المال . وجميع هذه الوظائف تولى من الابواب السلطانية ، والحسبة وقديريها

النائب وقد تولى من الابواب السلطانية بعضها من الوظائف الديوانية الوزارة ويعبر عنها في ديوان الانشاء بنظر الملكة؛ وكتابة السر، ويعبر عن متوليها في ديوان الانشاء بصاحب ديوان المكاتبات بطلب، ولا يسمح له « بصاحب ديوان لانشاء بحاب » كما في دمشق؛ ونظر الجيش، والحكم فيه على ما تقدم في دمشق. وجميع هذه الوظائف تولى من الابواب السلطانية بتواقيع شريفة. وبها من الوظائف الصناعية برئاسة الطب، ورتاسة الكحالين ورتاسة الجرائحية على ما تقدم في دمشق والديار المصرية

وأما ترتيب النيابة بها فعلى نحو ما تقدم في دمشق والديار المصرية . وعادة النائب بها أن يركب في يوم الاثنين والخميس في الموكب ويخرج من دار النيابة الى سوق الخيل، ويخرج من باب الزبير ويسير الى مكان يعرف بالميدان في جنوب المدينة، ثم يعود من حيث ذهب وقد وقف الامراء بسوق الخيل في انتظاره فيقف ساعة لطيفة ثم يسير الى دار النيابة ومعه الامراء من الحجاب وغيرهم ويترجل بمالكة ثم الامراء على قدر مراتبهم، ويمر النائب راكباً حتى يأتي الى مقعد مرتفع على الارض به دكة صغيرة من خشب في جانبه فيترجل على جانب المقعد ويجلس على تلك الدكة ويجلس حاجب الحجاب على مصطبة لطيفة معدة لجلوسه فيجلس يسار النائب قاضي القضاة الشافعي ثم الحنفي ثم المالكي ثم الحنبلي، ثم قاضي العسكر الشافعي ثم الحنبلي، ثم مفتي دار العدل الشافعي ثم الحنفي، ثم الوزير صفا مستقيماً . ويجلس كاتب السر أمام النائب على القرب منه وعن يمينه ناظر الجيش ثم كتاب الدست على ترتيب منازلهم في مقابلة الصف الذي فيه قضاة القضاة ومن معهم . ويجلس باقي الموقعين بين الصنفين . مقابل صاحب الحجاب حتى يصلوهما فيصرون كالحلقة المستديرة . ويقف الحجاب الصغار أسفل حاجب الحجاب تحت المقعد، ونقباء الجيش خلفهم، والولاة خلف نقباء الجيش ويمد السماط (١) ويأكل الامراء ومن في معناتهم ثم ترفع القصص فيتناولها النقباء ويتناولها صاحب الحجاب فيتناولها لكاتب السر فيقرأها على كتاب الدست ليقروها ويقرأ هو ما بقي معه ثم يقرؤون على الترتيب كما تقدم في دمشق . فإذا انقضت قراءة القصص قام من المجلس القضاة ومن في معناتهم

(١) قدم هنا مد السماط على قراءة القصص وهو خلاف ما في « الصبح »

﴿ المقصد الثاني ﴾

فيا هو خارج عن حاضرة حلب وهو على أربعة أنواع

﴿ النوع الاول ﴾

الولاية من أرباب السيوف وهم على ثلاث طبقات :

﴿ الطبقة الاولى ﴾ نيابة مقدمي الالوف . وولاية جميعها من الابواب السلطانية وهي ثمان نيايات : الاولى نيابة قلعة المسلمين المعروفة في القديم بقلعة الروم ، الثانية نيابة الابلستين ، الثالثة نيابة بانياس ، الرابعة نيابة طرسوس ، الخامسة نيابة أدنة ، السادسة نيابة سيس وقد كانت استقرت نيابة حين فتحها ثم استقرت بعد ذلك بمقدمة عسكر كغزة الا أن مقدم العسكر لا يكاتب في خلاص الحقوق ، السابعة نيابة البيره ، الثامنة نيابة الرها فقد ذكر في التثقيف أنها استقرت في الدولة المنصورية سنة ٧٧٨ تقدمه ألف وكانت قبل ذلك طبليخاناه

﴿ الطبقة الثانية ﴾ نيابة أمراء الطبليخاناه - وهي سبع نيايات ، وولايتها من الابواب السلطانية : الاولى نيابة الكختا وربما كانت إمرة عشرة ، الثانية نيابة كركر وربما كانت إمرة عشرة ، الثالثة نيابة بهسنى كما يقتضيه ايراد التثقيف في العشرات وربما كانت طبليخاناه وعليه ينطبق كلام التعريف حيث قال : واماؤها مكانة جليلة وان كان لا يلتحق بنائب البيرة وبكل حال فتوليتها من الابواب السلطانية بمرسوم شريف ، الرابعة نيابة درنده قال في التثقيف : وربما كانت عشرة ، الخامسة نيابة قلعة جعبر ، السادسة نيابة الرها ، السابعة نيابة ملطية

﴿ الطبقة الثالثة ﴾ نيابة أمراء العشرات وهي تسع نيايات : الاولى نيابة عينتاب كما اوردها في التثقيف وذكر أنه رأى بخط ابن النشاي مائة تضي أنها كانت طبليخاناه وقد اخبرني بعض كتاب سر حلب أنها استقرت تقدمه ألف في آخر الدولة الظاهرية برقوق واستقرت توليتها من الابواب السلطانية . الثانية نيابة الراوندان كما اوردها في التثقيف . وقد اخبرني بعض كتاب السر بحلب ان نائبيها استقر أخيراً جندياً . الثالثة نيابة الدر بساك كما اوردها في التثقيف وربما أضيفت الى نيابة بغراس . الرابعة

نيابة بغراس كما ذكره في التقييف . الخامسة نيابة القصر كما قاله في التقييف واخبرني بعض كتاب سر حلب انها الآن جندي . السادسة نيابة الشغرو وبكاس فقد أوردتها في التقييف في جملة العشرات وان بها الآن جندي . السابعة نيابة شيزر وكانت امرة عشرة فلما تسلطت عليها العربان بعد وقعة منطاس استقرت مقدمة ألف كما أخبرني بعض كتاب السرب بحلب . الثامنة نيابة دبركي وربما كانت طبلخاناه . التاسعة نيابة سرفندكار كما قاله في التقييف وذكر عن ابن النشاي انها كانت اولاً طبلخاناه ﴿ الطبقة الرابعة ﴾ نيابة مقدي الحلقة وأجنادها . وولاياتها من نائب حلب وهي نيابة قلعة مارس ، ونيابة كاورًا ، ونيابة كولاك ، ونيابة كرزال ، ونيابة كومي ، ونيابة تل حدون ، ونيابة الهارونيتين ، ونيابة قلعة نجمه ، ونيابة حصص ، ونيابة لؤلؤة

* (النوع الثاني) *

ما هو خارج عن حاضرة حلب ، وغالبها اجناد يوليها نائب حلب الا في القليل النادر . والمشهور منها عشر ولايات وهي : ولاية برها كما في دمشق الا أن والي بر حلب هو والي الولاية وهو أمير طبلخاناه ، وولاية كفر طاب ، وولاية سرمين وربما كانت امرة عشرة ، وولاية الجبول ، وولاية جبل سمعان وواليها مقيم بمدينة حلب يحضر المواكب مع والي المدينة ووالي البر لقربه منها ، وولاية عزاز وربما كانت امرة عشرة ، وولاية تل باشر وكان لها والي بمفردها جندي ثم اضيفت الى عينتاب ، وولاية منبج وولاية تبهزين ، وولاية الباب وبزعا ، وولاية دركوش ، وولاية انطاكية وربما كانت امرة عشرة

قلت : ووراء ذلك ولايات أخرى ببلاد الأرمن وما والاها لم يتحرر لي أمرها والظاهر أنها كلها أجناد

* (النوع الثالث) *

مما هو خارج عن حاضرة حلب العربان ، وبأعمالها من العرب قبيلتان القبيلة الاولى - بنو كلاب . قال في مسالك الابصار : وهم عرب أطراف حلب والروم ، يتكلمون بالتركية وبركبون الا كاديتس . وهم من أشد العرب بأسا وأكثرهم

ناسا ولكنهم لا يدينون لامير منهم يجمع كلهم . ولو انقادوا لامير واحد لم يبق لاحد من العرب بهم طاقة . قال في مسالك الابصار : وكان سلطاننا لا يزال ملتفتا الى تألفهم ، وآخر الامر أن أمنهم وأمر عليهم سليمان بن مينا وجعل عليهم حفظ جبر وما والاها القبيلة الثانية - آل بشار . قال في مسالك الابصار : وديارهم الجزيرة و (الاحص) ببلاد حلب ، قال ، وحالهم في عدم الانقياد لامير واحد حال بني كلاب ولو اجتمعوا لما أمن بأسهم على تفرق كلهم . وبسبب جماعتهم لا يزال آل فضل منهم على وجل

﴿ النوع الرابع ﴾

من هو خارج حاضرة حلب التركمان . وهم طوائف كثيرة وقد عددهم في التثقيف طوائف منهم البوزقيه ، وهم جماعة ابن ذى ، واللاحقية (١) وهم أولاد رمضان ، والامرية والاشورية ، وتركمان حلب وهم الذكورية ، جماعة سالم الدلكري ، والخر بندلية ، والاغاجرية ، والورسقية وهم تركمان طرسوس ، والبانبدرية وهم من القنيعية . والبلولية ، وأولاد طسحون والبياضية - قلت : وبها طوائف من الاكراد أيضا . وكان الكل قد خرجوا عن الطاعة من لدن واقعة تمرلنك الى أن شمر لها السلطان الملك المؤيد سلطان العصر ساعد العزم حتى انزعها من أيديهم وأعادها الى المملكة في سنة ٨٢٠ بعد أن تعذر على من تقدمه اتزائها والله يؤيد بنصره من يشاء

﴿ النيابة الثالثة حماة ﴾

من نيابات السلطنة بالممالك الشامية نيابة حماة . واعلم انها كانت في الزمن المتقدم بيد الملوك الايوبية بليها بعض ملوكهم من تحت يد صاحب الديار المصريه الى أن صارت في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون الى الملك المؤيد اسماعيل ابن الافضل على ثم الى ولده الافضل محمد . قال في مسالك الابصار : وكان صاحبها يستقل فيها بأعطاء الامرة والاقطاعات وتولية القضاة والوزراء وكتاب السروسائر الوظائف بها ويكتب المناشير والتواقيع من جهته ولكنه لا يمضى أمرا كبيرا في مثل اعطاء امرة أو وظيفة كبيرة حتى يشاور صاحب مصر وهو لا يجيبه الا بأن « الرأي ماتراه » ومن هذا وه مثله

(١) بياض بالاصل . تقول ولم تقف لهذا النوع في الصبح على ذكر لهذا تقيده

قال ، ومع ذلك فصاحب مصر متصرف في ولاية صاحبها وعزله ولم يزل الامر على ذلك الى أن خلع الافضل (محمد) بن المؤيد من سلطنتها في سلطنة المنصور أبي بكر ابن الناصر محمد بواسطة الامير قوصون في سنة ٧٤١ واستقر الامر على ذلك الى الآن .
ثم فيها مقصدان

﴿ المقصد الاول في حاضرتها ﴾

واعلم أن نياتها نيابة جلييلة ، وهي في الرتبة الثانية من حلب في الالقاب . ومن حيث أنها كانت سلطنة قد منها في الذكر على طرابلس وغيرها من الممالك التي في رتبته وان كانت طرابلس مقدمة في الاطلاقات الكبار عليها . وليس بها أمير مقدم ألف ، وبها الطبلخانات والعشرات والخمسات وأجناد الحلقة . ونائبها من أكابر الامراء المقدمين . وبها الحجابة وبها حاجبان الكبير منها طبلخاناه والثاني عشرة ، وبها المهندارية ، وشد الدواوين ، وتقابة العساكر ، وامرة اخورية البريد ، وشد مراكز البريد ، وولاية المدينة وغيرها ؛ وجميعهم أجناد وليس فيهم أمير . وبها من أرباب الوظائف الدينية أربعة قضاة من المذاهب الأربعة ، من كل مذهب واحد وولايتهم من الابواب السلطانية ، وقاضي عسكر حنفي ؛ وليس بها قضاة عسكر من المذاهب الثلاثة الباقية ، ولا أحد من مفتي دار العدل ؛ وبها وكيل بيت المال وولايته من الابواب السلطانية ، وبها محتسب وولايته عن نائب السلطنة بها . وبها من أرباب الوظائف الديوانية كاتب السر ويعبر عنه في ديوان الانشاء بالابواب السلطانية « بصاحب ديوان المكاتبات بحجة » وولايته من الابواب السلطانية وله أتباع من كتاب الندست وكتاب الدرج وولايتهم عن نائب السلطنة ، وبها ناظر المملكة القائم مقام الوزير بها وولايته من الابواب السلطانية أيضاً

وترتيب الموكب بها هو أن نائب السلطنة يركب من دار النيابة في يومي الاثنين والخميس وصحبته العسكر من الامراء وأجناد الحلقة ويخرج الى خارج المدينة من قبلها ويسير في الموكب حتى ينتهي الى ضيعة تسمى بقرين على القرب من المدينة ثم يعود في موكبه حتى يقف بسوق الخيل بمكان خارج المدينة يعرف بالموقف ساعة لطيفة ثم يدخل المدينة ويسير الى دار النيابة ويدخل أول العسكر من داخل باب يعرف

بياب العزة (في الصبح العسرة) ثم يترجل اللاس على الترتيب على قدر منازلهم حتى لا يبقى راكب سوى النائب بمفرده ولا يزال راكبا حتى يترجل بشباك بدار النيابة معد للحكم فيجلس فيه ويجلس معه داخل الشباك القضاة الاربعة : الشافعي عن يمينه، والحنفي يليه ؛ والمالكي عن يساره ، والخبلي يليه ؛ ويجلس الامراء على قدر منازلهم ، وكاتب السر وناظر الجيش أمام النائب خارج الشباك ، ويتف هناك الحاجبان والمهندار وقييب النقباء وترفع القصص فيقرؤها كاتب السر عليه ويأمر فيها بما يراه ، ثم يقوم من مجلسه ذلك وينصرف القضاة . ويدخل الى قبة معدة لجلوسه ومعه كاتب السر وناظر الجيش والامراء فيفصل بقية أموره ما يتعلق بالجيش وغيره ، ثم يمد السماط فيأكلون وينصرفون

﴿ المقصد الثاني ﴾

(في ترتيب ما هو خارج عن حاضرتها)

واعلم انه ليس بأعمالها نيابات بل يقتصر فيها على ثلاث ولايات بثلاثة أعمال ولايتها أجناد ليس فيهم أمير ويولهم النائب بها : الاولى نيابة برها كما في دمشق وحلب ، الثانية ولاية بارين ، الثالثة ولاية المعرة . وليس بها عرب ولا تركان تنسب اليها

﴿ نيابة الرابعة طرابلس ﴾

من نيابات المملكة الشامية نيابة طرابلس وهي في رتبة نيابة حماة كافي المكاتبات وان كانت تذكر قبل حماة في المطلقات المكبرة كما تقدمت الاشارة اليه . وفيها مقصدان

(المقصد الاول)

في ترتيب حاضرتها . وليس بها من الامراء المقدمين سوى النائب . وابتداء نيابتها من حين افتتاحها المنصور قلاوون واقتلعها من أيدي الفرنج في سنة ٦٨٨ بعد ان مضى عليها في أيدي الفرنج ١٨٤ سنة . وبها من الطباخانات والعشرات والخمسات وأجناد الحلقة ، وليس لها قاعة فيكون لها نائب ، بل نائب السلطنة هو المتسلم لجمعها . وبها من وظائف أرباب السيوف الحجوية ، وبها ثلاث حجاب أكبرهم طباخانة ، وهو حاجب الحجاب ؛ والآخرون كل منهما عشرة . وبها المهمندارية ، وشدة الدواوين ،

وشد الخامس ، وتقابة النقباء ، وامرة أخورية البريد، وتقدمة البريدية ، وتقدمة التركان ، وولاية المدينة. وغير ذلك، وأربابها كلهم أجناد يوليهم نائب السلطنة بها . وبها من الوظائف الدينية قضاة القضاة من المذاهب الأربعة ، ووكيل بيت المال وولايتهم من الأبواب السلطانية ، وقاضيا عسكر : شافعي وحنفي ، ومفتي دار عدل كذلك وكلهم يوليهم النائب بها . وبها من الوظائف الديوانية ناظر المملكة القائم مقام الوزير بها ، وناظر الجيش ، وصاحب ديوان المكاتبات القائم مقام كاتب السر بها ؛ وولاية الثلاثة من الأبواب السلطانية . وبها كاتب دست وكاتب درج وولايتهم عن النائب بها وترتيب الموكب بها أن النائب يركب في يومي الاثنين والخميس من دار النيابة ويخرج في موكبه من الأمراء والاجناد حتى يأتي ساحل البحر ثم يعود الى دار النيابة ومعه جميع الأمراء خلا الامير الكبير المقدم فإنه يتوجه الى بيته . فاذا حضر النائب الى دار النيابة جلس في دار العدل ، وليس بها كرسي سلطنة، ويجلس القضاة: الشافعي والحنفي عن يمينه ، والمالكي والحنبلي عن يساره على الترتيب . وحاجب الحجاب أمامه على القرب منه ؛ ووكيل بيت المال تحت القاضي المالكي . ويجلس كاتب السر أمامه على القرب من يساره ، وكتاب الدست خلفه . وترفع القصص فيأخذها الحجاب الصغار ويناولونها لحاجب الحجاب فيناولها لكاتب السر فيقرأها عليه . ثم ينفذ المجلس ويعد السباط فيأكلون وينصرفون

(المقصد الثاني)

في ترتيب ما هو خارج عن حاضرتها ، وهو نوعان :
 (النوع الاول) النيابةات - وهي احدى عشرة نيابة كل منها امرة عشرة :
 الاولى نيابة حصن الاكراد . الثانية نيابة حصن عكار . الثالثة نيابة صهيون . الرابعة نيابة اللاذقية . الخامسة نيابة الرصافة من قلاع الدعوة . السادسة نيابة الخوابي منها . السابعة نيابة القدموس منها . الثامنة نيابة الكهف منها . التاسعة نيابة المنيقة منها . العاشرة نيابة العليقة منها - قلت : وهذه النيابةات الست الاخيرة وهي الرصافة والخوابي والقدموس والكهف والمنيقة والعليقة قد تقدم انها كانت سبعة وأنه خرج منها مصياف

وأضيفت الى دمشق . والمعروف في المكاتبات الى نوابها انها امرة عشرة كما تقدم .
وقد أخبرني بعض أهل المملكة انها استقرت بعد ذلك إمرة أجناد
﴿ النوع الثاني ﴾ - الولايات بها . وهي ست ولايات ولائها أجناد يرليهم نائب
طرابلس ، وهي : ولاية انطرسوس ، وولاية جبة الميطرة ، وولاية الظنين ، وولاية بشرية
وولاية جبله ، وولاية أنفة

﴿ النوع الثالث ﴾ النيابة الخامسة صفد

من نيابات الممالك الشامية نيابة صفد . وابتداء نيابتها من حين فتحها الظاهر
بيبرس واقتلعها من أيدي الفرنج في سنة ٦٦٤ وحكمها في ترتيب النيابة والامراء
وأر باب الوظائف على نحو من طرابلس وحماة . وليس بأعمالها نيابة صغيرة كما في
طرابلس وحلب ، بل جميعها ولايات صغار يابها أجناد من قبل نائبيها . وهي احدى
عشرة ولاية : ولاية برها ، وولاية الناصرة ، وولاية طبرية ، وولاية تبنين وهونين ،
وولاية عثيث ، وولاية عكا ، وولاية صور ، وولاية الشاغور ، وولاية الأقليم ، وولاية
الشقيف ، وولاية جينين

﴿ النوع الرابع ﴾ النيابة السادسة الكرك

من نيابات الممالك الشامية نيابة الكرك . وابتداء نيابتها من حين اقتلعها الظاهر
بيبرس من الملك المغيث عمر بن العادل أبي بكر بن أيوب في سنة ٦٧١ . ونيابتها
تقدمة ألف الا أنه دون حماة وطرابلس وصفد . ويعبر عن كاتب سرها بكتاب
الدرج . وبأعمالها من ولاية الأمور نوعان :
﴿ النوع الأول ﴾ الولاية . وبها أربع ولايات ، وهي : ولاية برها ، وولاية الشو بك ،
وولاية زعر ، وولاية معان

﴿ النوع الثاني ﴾ أمراء العرب . وعربها فيما ذكره في مسالك الأصار بنوعه
من جذام . قال في مسالك الأصار : وكان آخر أمرائهم شطي بن عتبه (؟) وكان الناصر
محمد بن قلاوون قد أقبل عليه إقبالا أحله فوق السماكين وأحقه بأمر آ ل فضل وأقطعه
الاقطاعات الجليلة وأبسه التشريف الكبير وأجزله الحبا وعمر له ولأهله البيت والحبا . ومن

ينسب الى الكرك من العرب أيضاً بنو زهير عرب الشوبك ، وآل عجبون ، والقطوبون ،
والصوتيون (٢) وغيرهم

﴿ فصل ١ ﴾

في ترتيب نيايات الحجاز . وهي ثلاث نيايات :

﴿ النيابة الأولى مكة المشرفة ﴾

ويعبر عن نائبها في ديوان الانشاء بالأبواب السلطانية بـ « أمير مكة » دون
لفظ النيابة . وامارتها الآن في بني عجلان من بني قتادة بن إدريس من بني الحسن
السيطي بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وهي مستقرة بأيديهم من زمن الناصر لدين الله
العباسي الى الآن . واتباعه من عرب الحجاز من بني الحسن وغيرهم ومن عبيده
وعتقائه وعتقاء ذويه . وربما كان فيهم المماليك من الترك ومن في معناهم . وله وزير
وحاجب وقواد ؛ وهم في معنى الأمراء . وإمارته امارة اعرايية ليست على ترتيب
سائر المملكة من عمل المواكب وما في معناها . وأكثر ميرة أهله من التجار الواصلين
اليه بمجدة من اليمن وغيره من العُسر . وهو قائم بحفظ مكة وأعمالها وحفظ المجاورين
من التجار وغيرهم . وفي كل سنة يجزأ اليه المحمل بكسوة البيت في أيام الموسم صحبة
أمير الحج المترجم فيخرج للملاقاة خارج (٢) ويقلب خف يد البعير ويقبلها خدعة
للسلطان صاحب الديار المصرية . ويكسى الكعبة بتلك الكسوة المجهزة اليها وينزع
الكسوة القديمة العتيقة عنها ، فيأخذها حجة الكعبة من بني شيبه ويقسمونها ويأخذها
الناس منهم للتبرك ويبرونهم كل أحد على قدر حاله - قلت : وقد ذكرت في الأصل

(١) هذا الفصل مترجم في الاصل بالفصل الثالث كسابقه . وهو الثالث من قاعدة

ترتيب المملكة مصرأ وشامأ وحجازأ ولما جرد منها إيؤتي به عقيب قسم المملكة الخاص
به كما أشرنا الى ذلك في حاشية سبقت (صفحة ٢٤١) نقل بترجمته . ومما نذبه عليه ان هذا
الفصل ختام هذه المقالة وهو خاتمة الباب الثاني منها . على ان المؤلف ذكر في المقدمة
انها ثلاثة أبواب ، وذكر ان الباب الثالث « في ترتيب المملكة » فتوزيع هذا الترتيب
أخل بذلك التبويب (٢) يياض بالاصل

ان الكعبة في الاسلام كسيت الثياب اليمنية ، والقباطى المصرية ، والحبر ، والانماط ،
والخلل ، والديباج الابيض ، والديباج الاحمر ، والديباج الأخضر ، والديباج الاصفر ،
والديباج الاسود ، والديباج الازرق
وأما مخاليفها وقراها فعمورة بالعرب من بنى الحسن وغيرهم . وفيهم من له عليه
اتاوة يأخذها

﴿ النيابة الثانية المدينة الشريفة ﴾

وهي على نحو ما تقدم في مكة المشرفة : فيعبر عن نائبها في ديوان الانشاء بأمر
المدينة . وهي الآن بيد بنى طاهر بن الحسن بن طاهر من بنى الحسين السبط بن
على بن أبى طالب رضى الله عنها . وهي مستقرة بأيديهم من زمن المعز الفاطمي باني
القاهرة . وأميرها في الاتباع والجند والترتيب على نحو أمير مكة
واعلم ان كسوة الحجرة الشريفة النبوية ليست مما يجدد في كل سنة كالكعبة
لأنها ليست بارزة في الشمس ، فلا تبلى بسرعة ، بل يطول زمنها ولا تجدد الا في كل
سبع سنين ونحوها . وقد حكى بن النجار في تاريخ المدينة ان أول من كسى الحجرة
الشريفة الثياب الحسين بن أبى الهيجاء صهر الصالح طلائع بن رزيك وزير الفاتن (في
الصبيح وزير العاضد) الفاطمي . عمل لها ستارة من الديقق الابيض عليها المطرز والجامات
المرقومة بالابريسم الاحمر والا صفر مكتوب فيها سورة « يس » بأمرها . والحليفة
العباسى يومئذ المستضى . بأمر الله . وكانت قبل ذلك . وزورة بالرخام . ثم كساها
المستضى . العباسى ستارة من الابريسم البنفسجى عليها الطرز والجامات البيض المرقومة ،
وعلى دور جاماتها مرقوم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ؛ وعلى طرازها اسم الأمام
المستضى . فقلعت الأولى وجهزت الى مشهد أمير المؤمنين على بالكوفة وعلقت
الثانية مكانها . واستقرت الكسوة بعد ذلك في كل زمن على حسب ما يراه مستعملها
من الملوك ونحوهم . وأعمالها على نحو أعمال مكة ليس بها نائب ولا وال

﴿ النيابة الثالثة ينبع ﴾

ونائبها على نحو ما تقدم من امارتى مكة والمدينة الا أنها دونها في الرتبة . ويعبر

عن نائبها بديوان الأَنْشاء في الأبواب السلطانية بـ «النائب بالينبع» ولا يصرح له بالأمانة كما في مكة والمدينة . وأميرها من بني قتادة بن ادريس بن مطا عن المقدم ذكره في امرة مكة . وعملها علي ما تقدم من أعمال مكة والمدينة ليس به نيابة ولا ولاية وقد ذكر في التعريف أمراء عرب الحجاز اجمالاً فقال : وأما الحجاز فمر بانه على قسمين : منهم أهل الدرين المصرى والشامى وليس فيهم من هو في غير ولا نغير ولا يحل في ذورة ولا غارب ، قال ، وأما أمراء السراة فشيوخ لام وخالد والمنيفق وعائذ الحجاز — قلت : وقد استوفيت القول عليهم وعلى غيرهم من عرب الحجاز في كتابي «قلائد الجمان في التعريف بقيائل عرب الزمان» ألقته للمقر الأشراف الناصرى ولد المقر الكمالى المؤلف له هذا الكتاب و بالله التوفيق

المقالة الثالثة

في أمور تشترك فيها المكاتبات والولايات وغيرها . وهو من أهم ما يحتاج اليه الكاتب وفيه خمسة أبواب

الباب الأول

في الاسماء والكنى والالقباب والنعوت وما استقرت عليه الآن وفيه فصلان

الفصل الاول — في الاسماء والكنى

﴿ اما الاسماء ﴾ فجمع اسم ، وهو عند النحاة ما دل على مسعى دلالة اشارة؛ والمراد بالاسم هنا أحد أقسام العلم ، وهو ما ليس بكنية ولا لقب . والمقصود من التسمية تمييز المسعى عن غيره بالاسم الموضوع عليه ليتعرف . واعلم ان الاسماء ترد في مواضع في خلال المكاتبات والولايات

الاول ، المكاتبات — فيرد فيها اسم المكتوب عنه فيما اذا كانت المكاتبة بصورة : من فلان الى فلان ؛ وفي العلامة مثل ان يكتب المملوك «فلان» ونحو ذلك . ويرد فيها المكتوب اليه في ابتداء المكاتبات فيما اذا كان يكتب من فلان الى فلان كما تقدم ؛ وفي العنوان من الادنى الى الأعلى كما يكتب في عنوان بعض المكاتبات « مطالعة

المملوك فلان» ونحو ذلك؛ ويرد فيها عند ذكر المكتوب بسببه في طرة الكتاب مثل ان يقول: « بسبب فلان» اذا كان ممن يصرح باسمه، وفي أثناء الكتاب حيث يقال « ان فلانا عربي أو ذكر أو انثي» أو نحو ذلك

الثاني، الولايات - فيرد اسم من تصدر عنه الولاية في طرة الولاية مثل ان يقال في العهد: « هذا ماعهد عبدالله ووليه فلان» ونحو ذلك؛ ويرد اسم من تصدر اليه الولاية في الطرة حيث يقال: « هذا ماعهد فلان الى فلان»، وفي أثناء الولاية حيث يقال « ان يفوض الى فلان كذا وان يستقر فلان في كذا» ونحو ذلك

﴿ وأما الكنى ﴾ فجمع كنية، وهي أحد أقنم العلم أيضاً. والمراد بهما ما صدر بأب أو أم، نحو أبي القاسم وأم كلثوم. وقد كان للعرب بالكنى آتم الاهتمام حتى انهم كنوا جماعة من الحيوان غير الأدميين بكنى مختلفة: فكنوا الأسد أبا الحارث، والثعلب أبا الحصين، وانديك أبا سليمان، والضيع أم عامر، واللجاجة أم حفصة ونحو ذلك؛ بل أطلقوا الكنى على غير الحيوان حتى كنوا البحر أبا خالد. قال الشيخ محي الدين النووي: وجواز التكني أشهر من أن يذكر فيه شيئاً منقولاً فدلائله يشترك فيها الخواص والعموم، قال، والأدب ان يخاطب أهل الفضل ومن قاربهم بالكنية، وكذلك ان كتب اليه رسالة أو روى عنه رواية فيقال: حدثنا الشيخ أو الإمام أبو فلان، وما أشبهه. وقد كان الأولون أكثر ما يعظمون بعضهم بعضاً في المخاطبات والمكاتبات بالكنى ويرون ذلك في غاية التعظيم ونهاية الرفعة حتى في الخلفاء والملوك فيقال: أبو فلان فلان؛ وبالغوا في ذلك حتى كنوا من اسمه في الأصل كنية، فقالوا في أبو بكر أبو المناقب اعتناء بشأن الكنية. وربما وقف الأمر في الزمن القديم في تكنية خاصة الخليفة وأمرائه على ما يكنيهم الخليفة به أما تكنية أهل الكفر والفسقة وأهل البدع فقد قال النووي انه إن كان لا يعرف الا بالكنية جاز تكنيه، قال تعالى « تبت يدا أبي لهب» واسمه عبد العزى؛ وقد تكرر في الحديث ذكر أبي طالب بكنيته، واسمه عبد مناف، قال، وكذلك اذا خيف من ذكره باسمه فنته. بخلاف ما اذا كان يعرف بغير الكنية ولم تخف فنته فإنه لا يزداد على الاسم. فقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل: « من محمد رسول الله الى هرقل عظيم

الروم» فذكره باسمه ولم يكنه؛ قال، وقد أمرنا بالأغلاظ عليهم فلا ينبغي لنا ان نكنيهم ولا نرفق بهم ولا نلين لهم قولاً ولا نظهر لهم ودأً ولا مؤالفة. قال النووي: فإن كان للرجل ولد يكنى به ذكرًا كان أم أثنى، فيجوز تكنية الرجل بأبي فلانة كما يجوز بأبي فلان، فقد تكنى بذلك جماعة من الصحابة والتابعين؛ وان كان له أولاد يكنى بأبائهم. وقد اختلف في جواز التكني بأبي القاسم، فنص الشافعي على منعه، واختار النووي تخصيص المنع بحياته صلى الله عليه وسلم، وخصه قوم بما اذا جمع بين الاسم والكنية بأن يسمى محمداً ويكنى أبا القاسم. وان لم يكن له ولد بأن لم يولد له أصلاً جاز تكنيته، وقد كنى أبو هريرة بهذه الكنية من غير ان يولد له. ثم الرجل قد يكون له كنية واحدة وقد يكون له كنيستان؛ وقد كان لأمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ثلاث كنى: أبو عمرو، وأبو عبد الله، وأبو ليلي؛ والمرأة كالرجل في جميع ذلك. اذا علمت ذلك فالكنية قد تقع في المكاتبات وقد تقع في الولايات.

فأما المكاتبات فالتكني فيها ثلاث حالات الأولى، تكني المكتوب عنه — قال محمد بن عمر المدائني: وأول من آكتنى في كتبه الوليد بن عبد الملك. قال النووي في اذكاره: والادب ان لا يذكر الرجل كنيته في كتابه ولا في غيره إلا أن لا يعرف الا بكنيته، أو كانت الكنية أشهر من اسمه. وقال ابو جعفر النحاس: اذا كانت الكنية أشهر يكنى على نظيره ويسمى لمن فوقه ثم يلحق «المعروف بأب فلان، أو بأبي فلان» وتكنية المكتوب عنه تكون في صدر الكتاب كما يكتب «من ابى فلان فلان الى فلان» أو في موضع العلامة كما يكتب في الطغراء عن السلطان الى ملوك الكفر بعد سياقه ألقاب السلطان: «أبو فلان فلان»، أو في العنوان كما كان يكتب في المصطلح القديم: «من أبى فلان فلان الى فلان» * الثانية تكنية المكتوب اليه وبها كان الاعتناء في الزمن المتقدم اذا كان المكتوب اليه، من يستحق التعظيم وتكون امانى عنوان الكتاب كما يكتب «الى أبى فلان فلان» واما في صدر الكتاب كما كان يكتب «من فلان الى أبى فلان فلان» * الثالثة تكنية المكتوب بسببه وهي إما في طرفة الكتاب إذا قصد تهظيمه مثل ان يقال «بما قصده أبو فلان فلان» واما في أثناء الكتاب حيث يجرى ذكره

وأما الولايات فالكنية قد تكون فيها في طرة الولاية مثل ان يقال «عهد شريف لأبي فلان فلان» أو «توقيع شريف بأن يفوض الى أبي فلان فلان» أو في اثناء الولاية حيث يجرى ذكره

﴿ الفصل الثاني ﴾

في الألقاب والنعوت وفيه تسعة مقاصد

﴿ المقصد الأول ﴾

في أصول يعتمدها الكتاب في ذلك

أما الألقاب فجمع لقب . وهو في اللغة النبز قال ابن حاجب العماني في ذخيرة الكتاب وهو ما يخاطب به الرجل من ذكر عيوبه وما ستره عنده أحب اليه من كشفه وليس من باب الشتم والقذف * وأما النعوت فجمع نعت ، وأصله في اللغة الوصف ، يقال: نعته ينعته نعتا إذا وصفه . قال في ذخائر الكتاب وهو متفق على أنه ما يختاره الرجل ويوثره ويزيد في اجلاله ونباهته بخلاف اللقب ، قال ، ولكن العامة استعملت اللقب في موضع النعت الحسن وأوقعوه موقعه لكثرة استعمالهم إياه حتى وقع الاتفاق والاصطلاح على استعماله في التشريف والاجلال والتعظيم والزيادة في النباهة والتكرمة . قلت : - والتحقيق ان اللقب والنعوت يستعمل كل منهما في المدح والذم جميعا . وقد عرفت النحاة اللقب أنه ما أدى الى مدح أو ذم ، فالمؤدى الى المدح كأمر المؤمنين وزين العابدين ، والمؤدى الى الذم كأنف الناقة . وكذلك النعت يكون تارة صفة مدح وتارة صفة ذم . ولا شك أن مراد الكتاب باللقب والنعوت ما أدى الى المدح خاصة وقد اصطلح الكتاب على أن تسمى صفات المدح التي يوردونها في صدر المكاتبات ونحوها بصيغة الافراد ألقابا ، وصفات المدح التي يوردونها بصورة التركيب كسيف أمير المؤمنين وظهير الملوك والسلاطين ونحو ذلك نعوتاً ولا معنى لتخصيص كل واحد منهما بالاسم الذي سموه به إلا مجرد الاصطلاح وإلا فلا نزاع في إطلاق اللقب والنعوت عليهما باعتبارين فمن حيث أنها صفات مؤدية الى المدح يطلق عليهما اسم للقب . ومن حيث أنها صفات لذوات قائمة بها يطلق عليهما اسم النعت (قال النووي: والجائز من ذلك ما

أدى الى المدح مما يحبه صاحبه ويؤثره، بل ربما استحب كما صرح به النووي في « الاذكار »
 للاطباق على استعماله قديماً وحديثاً ؛ والممتع منه ما أدى الى الذم والقيصة مما يكرهه
 الأنان ولا يجب نسبته اليه ، قال النووي ، وهو حرام باتفاق سواء كان صفة له كالأعشى
 والأعرج ونحوها أو صفة لآبيه كأبي الأعمى ، أو لآمه كابن الصواء أو نحو ذلك مما
 يكرهه قال تعالى « ولا تنازروا بالألقاب » واتفقوا على جواز ذكره بذلك على جهة
 التعريف لمن لا يعرف إلا به

واعلم ان القاب المدح ونعوته لم تزل واقعة على اشرف الناس وجأتهم في القديم
 والحديث ، فقد ثبت تلقيب ابراهيم عليه السلام بالخليل ، وموسى بالكليم ، وعيسى
 بالمسيح ، ويونس بذي النون ، وكان النبي صلى الله عليه يلقب قبل البعثة بالأمين ؛
 وشهدت التواريخ بتلقيب جماعة من العرب في الجاهلية كذى يزن ، وذى المنار ،
 وذى رعين ، وغيرهم من تبابعة اليمن ؛ وكذلك وقعت القاب المدح على كثير
 من عطاء الاسلام من الصحابة والخلفاء والوزراء وغيرهم : فلقب أبو بكر رضى الله عنه
 بعتيق ، ثم لقب بالصديق ؛ ولقب عمر بالفاروق ، وعثمان بذي النورين ، وعلى بمجيدرة
 وحمزة بأسد الله ، وخالد بن الوليد بسيف الله ، ومالك بن النبهان الأنصارى بذي
 السيفين ، وخزيمة بن ثابت الأنصارى بذي الشهادتين ، وجعفر بن أبي طالب بعد
 استشهاد بذي الجناحين ؛ ولقب ابراهيم بن محمد العباسي بالأمام ، ولقب محمد بن
 على أول خلفاء نبى العباس بالسفاح ، ثم لقب أخوه أبو جعفر بالمنصور ، ثم توالى
 ألقاب خلفائهم بعد ذلك الى الآن ؛ وكذلك خلفاء الفاطميين بمصر ، وخلفاء نبى
 أمية بالأندلس . وتلا خلفاء فى الألقاب الوزراء لاستقبال الدولة العباسية وما بعدها :
 فلقب أبو سلمة الخلال وزير السفاح بوزير آل محمد ، ولقب المهدي وزيره يعقوب بن
 داود بن طهمان الاخ فى الله ، ولقب المأمون الفضل بن سهل حين استوزره بذي
 الكفابتين ، وأخاه الحسن بن سهل بذي الرياستين ؛ ولقب المعتمد على الله
 وزيره صاعد بن مخلد بذي الوزارتين إشارة الى وزارة المعتمد والموفق ؛ وكذلك
 وقع التلقيب لجماعة من أرباب السيوف وقواد الجيوش فلقب أبو مسلم الخراسانى بأمير
 آل محمد ، وقيل سيف آل محمد ؛ ولقب أبو الطيب طاهر بن محمد بذي اليمينين ، ولقب

المعتصم حيدر بن كلووس بالافشين من حيث انه اشرومى والافشين لقب على
 ملك اشرومى ، ولقب اسحاق بن كيداح ايام المعتد بنى السيفين ، ولقب يونس
 ايام المقتدر بالمظفر ، ولقب سلامة اخو نجيح ايام القاهر بالموتمن وابو بكر (بن محمد طنج
 الراضى بالله بالاخشيد والاخشيد لقب على الملك بفرغانة) ثم وقع التلقيب بالاضافة الى الدولة
 في ايام المكتفى بالله فلقب المكتفى الحسين بن قاسم بن عبد الله ولى الدولة ، وهو
 اول من لقب بالاضافة اليها : ولقب المقتدر بالله على بن الحسين المقدم ذكره عميد
 الدولة . ووافت الدولة البويهية ايام المطيع لله والامر على ذلك فافتحت ألقاب الملوك
 بالاضافة الى الدولة فكان اول من لقب بذلك من الملوك بنوبوية الثلاثة فلقب ابو
 الحسن على بن بويه بهاد الدولة ، ولقب أخوه أبو على الحسن بركن الدولة ، ولقب اخوهما
 ابو الحسين احمد بمعز الدولة . ثم ولى عضد الدولة من بعدهم فاقترح ان يلقب بتاج
 الدولة فلم يجب اليه وعدل به الى عضد الدولة ، فلما بذل نفسه للمعاونة على الاتراك اختار
 له ابو اسحاق الصابى صاحب ديوان الانشاء تاج الملة مضافا الى عضد الدولة فكان يقال
 « عضد الدولة وتاج الملة » ؛ ولقب ابو الحسن محمد بن حمدان المتقى لله ناصر الدولة ،
 ولقب اخوه ابو الحسن على بن حمدان بسيف الدولة . ثم افتتح التلقيب بالاضافة الى
 الدين ايام القادر بالله ، فكان اول من لقب بذلك أبو نصر بهاء الدولة (فزيد على بهاء الدولة)
 نظام الدين ، فكان يقال : بهاء الدولة ونظام الدين . قال ابن حاجب النعمان : ثم تزايد
 التلقيب به وأفرط حتى دخل فيه الكتاب والجند والاعراب والاكراد وسائر من
 طلب وأراد وكره (كذا) حتى صار لقباً على الاصل - قلت : وكان أهل الديار المصرية
 يتقبلون ما ينتهى اليهم من أخبار الالقاب بالدولة العباسية ببغداد فقب اول خلفائهم
 بها المعز لدين الله . وتوالت ألقاب الخلافة فيهم الى ان كان آخرهم اماض لدين الله ولقب
 وزراؤهم وكتابهم بالاضافة الى الدولة فلقب ابن ابي كدينة وزير المنتصر ولى الدولة .
 وتلقب ابن حيران كاتب الانشاء بها ولى الدولة أيضاً . وها صارت الوزارة لبدر الجالى
 لقب أمير الحيوش ، ثم تلقب الوزراء بعده بنحو لافضل والمأمون . ثم تلقب رضوان
 ابن وحشى بالملك الافضل بزيادة لفظ الملك . فاستقرت في وزيره على ان كان آخرهم
 الملك ناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب حين وزير المعتمد استقرت ذات لقب عليه

بعد سلطنته وداوم ذلك فيمن بعده من ملوك الديار المصرية الى الآن . وكان الكتاب في أواخر الدولة الفاطمية قد لقبوا بالفاضل والرشيد والعماد وما أشبه ذلك ، ثم دخلوا في عموم التلقيب بالاضافة الى الدين واختص التلقيب بالاضافة الى الدولة كولى الدولة ، وغر الدولة ، ونحوها بالكتاب من الصارى . والامر على ذلك الى الآن

﴿ المقصد الثانى ﴾

في بيان معانى ألقاب أرباب الوظائف . وهي على ثمانية أنواع :

* (النوع الاول) *

ألقاب أرباب السيوف ، وهي على ضربين :

﴿ الضرب الاول ﴾ الألقاب المفردة ، وهي عشرة ألقاب :

الاول الخليفة - وهو لقب على الزعيم الأعظم القائم بأمر الامة . وقد اختلفت في معناه ، فقيل انه فعيل بمعنى مفعول كجريح بمعنى مجروح وقيل بمعنى مقتول ويكون المعنى أن يخلفه من بعده ، وعليه حمل قوله تعالى « أنى جعل فى الارض خليفة » على قول من قال ان آدم أول من عمر الارض وخلفه فيها بنوه ؛ وقيل فعيل بمعنى فاعل ، ويكون المعنى ان يخلف من بعده ، وعليه حمل الآية عند من قال انه كان قبله فى الارض الجن ، وأنه خلفهم فيها ، واختاره النحاس فى صناعة الكتاب ، واقتصر عليه البغوى فى شرح السنة ، والماوردى فى الاحكام السلطانية ، فالنحاس ؛ وعليه خوطب أبو بكر الصديق بخليفة رسول الله . والهاء فيه ، قيل ، للتأنيث ؛ وقيل للمبالغة كما فى راوية وعلامة ونحوها ؛ وربما حذف فقيل : خليف وقد اجازوا ان يقال فى الخليفة خليفة رسول الله لانه خلفه فى أمته ؛ قال الماوردى : واختلفوا هل يجوز ان يقال فيه خليفة الله . فجوزه بعضهم ، وانكره بعض . قال البغوى : ويسمى خليفة وان كان مخالفا لسيرة أئمة العدل . وحكى فيه التذكير (على المعنى والتأنيث على اللفظ ويجمع) على خلفاء وخلائف . والنسبة اليه خليفي ، وقول العمامة « درهم خليفتى » ونحوه خطأ . ومن وقع له ذلك المقر الشهابى بن فضل الله فى كتابه التعريف فى الكلام على المكاتبه الى الخليفة - قلت : وقد بسطت القول على ذلك فى الاصل فى كتابى

« ما أثر الاناقة في معالم الخلافة » الذي أفتته للمتشهد بالله أبي الفتح داود في كتابي « النيوث الهوامع وشرح جامع المختصرات ومختصرات الجوامع » في الفقه

الثاني ، الملك — وهو الزعيم الاعظم ممن لم يطلق عليه اسم الخلافة . وقد نطق القرآن بذلك في غير موضع كما في قوله تعالى « ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا » وقوله « وقال الملك اثنتى به » الى غير ذلك من الآيات . ويقال فيه ملك بكمثر اللام ، وملك بأسكانها ، ومليك بزيادة ياء . قال الازهرى : والملك مقصور من مالك او مليك ، ويجمع على ملوك وأملاك ؛ ويقال لموضعه الملكة

الثالث السلطان — وهو لقب خاص في العرف والعام بالملك . يقال ان اول من لقب به خالد بن برمك ، لقبه به الرشيد في وزارته له ، ثم انقطع التلقب به الى ان تلقب به الملوك السلاجقة ومن والاهم . وأصله في اللغة الحجية . واختلف في اشتقاقه فقيل من السلاطة ، وهي القهر والغلبة ؛ وقيل من قولهم لسان سليط ، أى حادماض ؛ وقيل من السليط ، وهو الشيرج في لغة أهل اليمن ، لأنه يستضاء به في خلاص الحقوق . وقال محمد بن يزيد البصرى : السلطان جمع ، واحده سليط ، كقفيز وقفزان ، وجير وبعران . وذكر في ذخيرة الكتاب أنه يكون واحدا ويكون جمعا . ثم هو يذكر على معنى الرجل ، ويؤنث على معنى الحجية

الرابع الأمير — وهو زعيم الجيش أو الناحية ونحو ذلك مما يوليه الأمام . وأصله في اللغة ذو الأمر ؛ وهو فعيل بمعنى فاعل فيكون أمير بمعنى آمر ؛ سمي بذلك لامثال قومه أمره . يقال : أمر فلان اذا صار أميرا ، والمصدر الأمرة والأمرة بالكسر فيها ، والتأثير تولية الأمير

الخامس الحاجب — وهو في أصل الوضع عبارة عن يأخذ الأذن على الأمام ونحوه . وهي وظيفة قديمة الوضع ، كانت لا ابتداء الخلافة ، وهي مستمرة الى زماننا وقد أضيف اليه في زماننا الكلام في فصل المظالم ونحوها

السادس صاحب الشرطة ، بضم الشين المعجمة — وهو المعبر عنه بالوالي في زماننا . واختلف في اشتقاقه فقيل من الشرط بفتح الشين والراء ، (وهو العلامة) لأنهم يجعلون لانفسهم علامات يعرفون بها ؛ وقيل من الشرط وهو زوال المال ، لأنهم يتحدثون في

أراذل الناس وسفلتهم ممن لا مال له من اللصوص وغيرهم
 السابع النائب - وهو لقب واقع على كل من ينوب عن السلطان في عامة أموره.
 أو ذالها ؛ ويطلق في العرف على كل نائب عن السلطان بحضوره أو خارجها في قرب
 أو بعد : إلا أن النائب عن السلطان بالحضرة يوصف في عرف ديوان الإنشاء بالكافل
 فيقال : النائب الكافل ، أو كافل الممالك الإسلامية ؛ والنائب بدمشق يقال فيه كافل
 السلطنة الشريفة بالشام المحروس ، وربما قيل نائب السلطنة الشريفة بالشام ؛ ومن
 دونه من أكبر النواب كنائب حلب وحماة ، ونائب طرابلس ، ونائب البكر يقال
 فيه نائب السلطنة الشريفة بكذا ليس إلا ؛ ويقال فيمن دونهم من النواب كنائب
 حمص ، ونائب الرحبة وغيرها النائب بفلاة

الثامن الساقى - وهو لقب على الذى يتولى تقطيع اللحم على السماط ، وسقى
 المشروب بعده ونحو ذلك . وكأنه وضع أولاً لسقى المشروب فقط ثم استحدث له بعد
 ذلك أمور أخرى

التاسع المشرف - وهو الذى يتولى أمر المطبخ ويقف على مشاركة الأطبحة في
 خدمة استدار الصحبة الآتى ذكره ، ومعناه ظاهر

العاشر الأوجاقى - وهو الذى يتولى ركوب الخيل للتسيير والرياضة ونحو ذلك
 ولم أقف على معناه

(الضرب الثانى) الألقاب المركبة . وهي إما متمحضة التركيب من اللفظ العربى
 وهي ثمانية ألقاب :

الأول أمير المؤمنين - وهو لقب واقع على الخلفاء . وأول من لقب به عمر بن
 الخطاب رضى الله عنه في أثناء خلافته وكانوا قبل ذلك يدعون أبا بكر الصديق خليفة
 رسول الله . واختلف في أول من دعاه بذلك فقال النحاس أبو وبرة حين بعثه خالد بن
 الوليد إليه يسأله عن حد الحجر ، وقال العسكري فى الأوائىل : أول من دعاه أبيـدبن
 ربيعة وعدى بن هشام حين بعثهما إليه (١) العراق بأمره

الثانى ملك الأمراء - وهو من الألقاب التى اصطلح عليها نواب السلاطة بالممالك

الشامية ومن في معانهم . وكأنه قام فيهم مقام الملك في التصرف والتنفيذ والأمر .
 في خدمته كخدمة السلطان ، فقليل ملك الأمراء لذلك ؛ وأكثر ما يخاطب به تواب السلطنة
 في الكاتبات الإخوانيات « الثالث رأس نوبة - وهو لقب على الذي يتحدث على بمالك
 السلطان أو الأمر وتنفيذ امره فيهم . ويقال لأكبرهم رأس نوبة النوب » الرابع أمير
 مجلس - وهو لقب على متولى أمر مجلس السلطان أو الأمير في الترتيب وغيره . والاحسن
 ان يقال فيه أمير المجلس بالتعريف وتكون الالف واللام فيه للعهد الذهبى والمراد مجلس
 سلطانه أو أميره » الخامس أمير سلاح - وهو لقب لمن يتولى أمر سلاح السلطان أو
 الأمير . والسلاح آلة القتال . قال الجوهرى : وهو مذكر ويجوز تأنيثه » السادس مقدم
 المالك - وهو لقب على الذى يتولى امر ممالك السلطان أو الأمير من الخدم
 الخصيان المعروفين الآن بالطواشية ومقامه فيهم على نحو من مقام رأس النوبة » السابع أمير علم
 وهو لقب على الذى يتولى أمر الاعلام السلطانية أو الطبلخاناه وما يجرى مجراها . والعلم
 فى اللغة يطلق على معان أحدها الراية ، وهو المراد هنا » الثامن نقيب الجيش - وهو
 الذى يتكفل بأحضار من يطلبه السلطان من الأمراء وأجناد الحلقة ونحوهم . والنقيب
 فى اللغة العريف الذى هو ضمن القوم ؛ والجيش المسكر ، ويجمع على جيوش . وقد يعبر
 عنه فى بعض الممالك الشامية بنقيب النقباء .

واما المتمحصة التركيب من لفظ أعجمى فقاعدة اللغات العجمية تقديم المضاف

على المضاف اليه ، والصفة على الموصوف على خلاف اللغة العربية . ولذلك حالتان

الحالة الأولى ان يضاف الى لفظ دار - وهي لفظة فارسية معناها ممسك ، فاعل

من الأمسك . وكثير من كتاب الزمان أو أكثرهم بل كلهم يظنون أن لفظ دار فى

ذلك عربى بمعنى المحلة كدار السلطان أو الأمير وهي محله التى بأوى اليها وهو خطأ .

ثم المضاف الى لفظ دار من القاب وظائف أرباب السيوف تسعة ألقاب :

الاول الاستدار ، بكسر الهمزة - وهو لقب على الذى يتولى قبض مال السلطان

أو الأمير وصرفه ويمثله أو امره فيه . وهو مركب من لهظتين فارسيتين : الأولى استد بهمزة

مكسورة وسين ساكنة ومعناها الاخذ ، والثانية دار ومعناها الممسك كما تقدم ، والمراد

المتولى للأخذ لانه الذى يتولى قبض المال كما تقدم . ويقال فيه أيضاً « ستدار »

بأسقاط الالف من أوله وكسر السين — قلت : والمتشققون من الكتاب يضمون الهزمة في اوله ويلحقون فيه ألفا بعد التاء فيقولون « استاد دار » وربما قالوا اسناد الدار بأدخال الالف واللام على لفظ الدار ظنا منهم ان المراد بالدار المحلة كما تقدم ، وان أستاذ بمعنى السيد أو الكبير . وعمن وهم في ذلك المقر الشهابي ابن فضل الله في كتابه التعريف في الكلام على الوصايا . على ان العامة تنطق به على أنه الصواب . فان اختص بمتولى أمر المطبخ قيل فيه استدار الصحبة * الثاني الجوكاندار — وهو الذي يحمل الجوكان مع الساطان في لعب الكرة . وهو مركب من لفظين فارسيين أيضاً : أحدها جوكان وهو المحجن الذي تضرب به الكرة ويعبر عنه بالصولجان أيضاً ، والثانية دار ومعناها ممسك كما تقدم . والمراد بمسك الجوكان * الثالث الطبردار — وهو الذي يحمل الطبر عند ركوب السلطان لراسه . وهو مركب من لفظين فارسيين : أحدها طبر ومعناها القأس ، والثانية دار ومعناها ممسك كما تقدم * الرابع السنجدار — وهو الذي يحمل السنجدق خائف السلطان . وهو مركب من لفظين أحدهما تركي وهو السنجدق ومعناه الريح ، وهو في لفظهم مصدر طعن فعبر به عن الريح الذي يطعن به ، والثاني دار وقد تقدم ذكر معناه . فمعناه ممسك السنجدق * الخامس البندقدار — وهو الذي يحمل جراوة البندق خلف السلطان أو الأمير وهو مركب من لفظين فارسيين : أحدهما بندق فإنه منقول عن البندق الذي يؤكل وقد ذكر أبو حنيفة في كتاب البيان انه فارسي على ان الجوهرى قد أطلق ذكره في صحاحه من غير تعرض لكونه معرباً . فقال : والبندق الذي يرمي به . والثاني دار بمعنى ممسك ومعناه ممسك البندق * السادس الجمدار — وهو ندى يتصدى لألباس السلطان أو الأمير ثيابه . وأصله جاما دار ، مخذفت الألف استعمالاً : وهو مركب من لفظين فارسيين أحدهما من اللغة التركية « جاما » ومعناها الثوب والثانية دار . وهي ممسك فيكون المعنى ممسك الثوب * السابع البشمقدار — وهو اندي يحمل نعل السلطان أو الأمير . وهو مركب من لفظين أحدهما من اللغة التركية وهو بشق ومعناه النعل ، والثاني دار ومعناه ممسك ، ويكون المعنى ممسك النعل . الثامن البهتدار — وهو يتصدى لثلقى الرسل والعربان الواردين على السلطان ونزاعهم دار الضيافة والقيام بأمرهم . وهو مركب من لفظين فارسيين أحدهما ميهن ، ومعناه الضيف ، والثاني دار ومعناه ممسك : والمعنى ممسك الضيف * التاسع الزممدار — وهو المتحدث على باب ستارة السلطان أو الأمير من الخدام الحصيان — فأت : وأد : زان دار بالنون ، فيكون مركباً من لفظين فارسيين ، أحدهما

زنان» ومعناه النساء ، والثاني دار ومعناه ممسك كما تقدم؛ ويكون المراد ممسك النساء
تقبلوا التوئين ميبين فعبروا عنه بالزمام دار كما تقدم ظناً أن الدار على معناها ، وأن الزمام
يعني القائد أخذاً من زمام البعير الذي يقاد به

(اعلالة الثانية) ان يضاف الي غير لفظ دار . وفيها لقبان : الاول الجاشنكير وهو
المتصدي لذوقان المأكول والمشروب قبل السلطان أو الأمير خوفاً من ان يدس عليه
فيه سم ونحوه . وهو مركب من لفظين فارسيين : أحدهما جاشنا ومعناه الذوق ، والثاني
كبر ومعناه تعاطى الشيء ، ويكون المعنى « الذي يذوق » والعامية تقول فيه « شيشني » *
الثاني السراخور ، وهو المتحدث على علف الدواب من الخيل وغيرها . وهو مركب من
لفظين فارسيين أحدهما « سرا » ومعناه الكبير والثاني أخور ، ومعناه العلف . والمراد كبير
الجماعة الذين يتعاطون علف الدواب . والناس يقولون فيه « سلاخوري » فيبدلون
الراء لاما ويأجقون به ياء النسب للمبالغة كما سيأتي بيانه

وأما ما تركب من لفظ عربي ولفظ عجمي فله حالتان أيضا :

(الحالة الأولى) - ان يصدر بلفظ أمير وفيها أربعة القاب :

الاول - الأمير أخور ، وهو الذي يتحدث على اصطبل السلطان أو الأمير . وهو مركب
من لفظ أمير وهو عربي . ولنظ أخور وهو فارسي ومعناه العلفت ، والمراد أمير العلف *
الثاني - أمير جاندار ، وهو الذي يستأذن على السلطان ايام المواكب كما تقدم . وقد تقدم
انه يتولى عقوبة من أراد السلطان عقوبته وقتل من أراد قتله . وهو مركب من ثلاثة
الفاظ : أحدها أمير وهو عربي ، والثاني جان ومعناه لروح بالتركية والفارسية جميعاً ، والثالث
دار ومعناه ممسك كما تقدم فيكون المعنى الأمير الممسك للروح كما تقدم لانه المتولى لقتل
من أراد السلطان قتله * الثالث - أمير شكار ، وهو الذي يتحدث على جوارح السلطان أو
الأمير من الطيور واليه سائر أمور الصيد . وهو مركب من لفظين أحدهما عربي وهو
أمير ، والثاني فارسي وهو شكار ، ومعناه الصيد . ويكون المراد أمير الصيد * الرابع - أمير طبر ،
وهو لقب للمتحدث على الضرب داريه الذين يحملون الأظفار حول السلطان في انواع
ونحوها . وهو مركب من لفظين أحدهما عربي وهو أمير ، والثاني طبر وهو بالفارسية الفأس
(الحالة الثانية) - ان لا يصدر لقب بلفظ أمير . وفيها أربعة القاب : الاول - الدوادار ، وهو
لقب على الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير مع ما ينعم الي ذلك من الامور على ما
تقدم ذكره في موضعه . وهو مركب من لفظين الاول عربي وهو الدواة ، والثاني دار

ومعناه ممسك كما تقدم؛ والمراد ممسك الدواة. وحذفت التاء من آخر الدواة استئقلاً — قلت: أما في اللغة العربية فإنه يقال لحامل الدواة داور على وزن قاض * الثاني السلاح دار؛ وهو نقب من يحمل سلاح السلطان أو الأمير ويتولى أمر السلاح خاناه . وهو مركب من نظنين أحدهما عربي وهو السلاح وقد تقدم معناه في الكلام على أمير سلاح؛ والثاني فارسي وهو دار وهو بمعنى ممسك كما تقدم؛ ويكون المعنى ممسك السلاح * الثالث الخزانة دار؛ وهو المتحدث على خزنة السلطان أو الأمير التي فيها ماله . وأصله الخزنة دار فحذفت الألف والهاء استئقلاً . وهو مركب من نظنين: عربي وهو خزنة؛ وفارسي وهو دار ومعناه الممسك؛ كما تقدم والمراد ممسك الخزنة — قلت وتمدقو كتاب الزمان يقولون الخازن دار بمعنى الخازن لما في الدار وهو خطأ. الرابع العاقد دار وهو لقب على الذي يحمل العلم مع السلطان في الموكب . وهو مركب من نظنين: عربي وهو العلم وقد تقدم أن معناه الراية . وفارسي وهو دار ومعناه ممسك الراية

﴿ النوع الثاني ﴾

القاب أر باب الوظائف الدينية وهي ثمانية القاب

الاول - القاضي وهو المتولى لفصل الخصومات بين المتداعين في الأحكام الشرعية . واختلاف في اشتقاقه فقيل من قضى الأمر إذا أحكمه لأنه يحكم القضايا التي يفصلها؛ وقيل من قضى الأمر إذا قطعه لأنه بحكمه تنقطع الخصومات؛ وقيل من قضى الأمر إذا فرغ لأنه يفض الحكومات * الثاني - الحاكم وهو بمعنى القاضي؛ واشتقاقه من الحكمة وهي الحديد الغائمة في صدر الاجام؛ سمي بذلك لأنه يمنع الخصم من الجراح كما تمنع الحكمة الفرس من الجراح * الثالث - المحتسب وهو القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. واختلف في اشتقاقه . فقال الماوردي: وهو مشتق من قولهم حسبك بمعنى اكفف لأنه يكف عن الظلم . وقال النحاس من قولهم أحسبه إذا كفاه لأنه يكفي الناس مؤنة من يخسهم حقوقهم . قال: وحقيقته في اللغة المجتهد في كفاية المسلمين إذ حقيقة « افعل » عند الخليل وسيبويه بمعنى اجتهد . وأول من قرر ذلك في الاسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه * الرابع - الخطيب وهو الذي يخاطب الناس ويذكرهم في الجمع والاعياد ونحو ذلك. وكان ذلك في الزمن القديم مختصاً بالخلفاء والأمراء ثم صار إلى غيرهم * الخامس - المقرئ وهو الذي يقري القرآن العظيم ويعلمه . وقد غلب اختصاصه في العرف على مشايخ القراءة من قراء السبعة المجيدين المنصويين لتعليم علم القراءات * السادس - المحدث

والمراد به من يمانى علم الحديث النبوي على قائله أفضل الصلاة والسلام بطريق الرواية والدراية والعلم بأسماء الرجال وطرق الأحاديث والمعرفة بالاسانيد ونحو ذلك * السابح المدرس وهو الذى يتصدى لتدريس العلوم الشرعية من التفسير والحديث والفقهاء والنحو وغير ذلك * الثامن - المعيد، وهو ثانى رتبة المدرس فيما تقدم . وأصل موضوعه أنه اذا أتى المدرس الدرس وانصرف أعاد المعيد للطلبة ما ألفاه المدرس

﴿ النوع الثالث ﴾

ألقاب أرباب الوظائف الديوانية وهي عشرة ألقاب

الاول - الوزير وهو القائم بتدبير المملكة للإمام . وقد اختلف في اشتقاقه فقيل من انوزر ، بفتح الواو والزاي ، وهو الملجأ لان الناس يلجؤون اليه في حوائجهم ؛ وقيل من الوزر بكسر الواو واسكان الزاي وهو الثقل لانه يتكفل بأثقال الملك ؛ وقيل من الاوزار وهي الامتعة لانه يتكفل بأثقال الملك وما في خزائنه ؛ وقيل من الأزر وهو الظهر لان الملك يتقوى به تقوى البدن بالظهر . على أنه ربما وليها أرباب السيوف . ثم أول من لقب به في الاسلام ابو سلمة حفص الحلال وزير السفاح وكانوا قبل ذلك يقولون الكاتب * الثاني - كاتب السر وهو صاحب ديوان الانشاء وقد تقدم الكلام عليه في الكلام على الكتابة والكتاب في أول مقدمات الكتاب مع (جملة) أتباعه من كتاب الدست وكتاب الدرج وغيرهم * الثالث - الناظر وهو الذي ينظر في أمر تلك الوظيفة من الاموال وغيرها وينفذ تصرفاتها ويرفع اليه حسابها لينظر فيه ويتأمله فيمضى ما يمضي ويرد ما يرد . وهو مأخوذ من النظر بمعنى الفكر وعنه يتفرع نظر الجيش . ونظر الخاص ، ونظر الدواوين وغيرها من الانظار السابقة الذكر في موضعها * الرابع صاحب الديوان - وكانوا يعبرون عنه في الزمن المتقدم بتولى الديوان ؛ وهو ثانى رتبة الناظر في المراجعة ، وله أمور تخصه * الخامس ، الشاهد - وهو الذى يشهد بتعلقات الديوان تقيا واثباتا * السادس ، المشارف - وهو في معنى الشاهد إلا أنه اذا غاب العامل لزمه عمل الحساب بخلاف الشاهد * السابع ، المستوفي - وهو الذى يضبط أمور الديوان وينبه على ما فيه مصلحته من استخراج الاموال ونحو ذلك * الثامن ، العامل - وهو الذى ينظم الحسابات ، ثم نقله العرف الى هذا الكاتب فخصه به * التاسع ، المسح - وهو الذى يتصدى لقياس ارض الزراعة ؛ وهو مشتق من « مسح الارض » اذا ذرعها * العاشر ، المعين - وهو الذى يتصدى للكتابة اعانة لاحد ممن تقدم ذكرهم

﴿ النوع الرابع ﴾

ألقاب أرباب الوظائف من أهل الصناعات وفيه خمسة ألقاب:
 الأول مهندس العمائر، وهو الذي يتولى ترتيب العمائر وتقديرها ويحكم على أرباب
 صناعاتها . والهندسة علم معروف فيه كتب مفردة بالتصنيف * الثاني رئيس الأطباء ،
 وهو الذي يحكم على طائفة الأطباء ويأذن لهم في التطبيب ونحو ذلك * الثالث رئيس
 الكحالين ، وحكمه في الكلام على طائفة الكحالين حكم رئيس الأطباء في أهل الطب *
 الرابع رئيس الجراحية ، وحكمه في الكلام على طائفة الجراحية حكم رئيس الطب
 ورئيس الكحالين عليهم * الخامس رئيس الحراقة ، وهو الذي يحكم على رجال الحراقة
 جريا على ما كان الأمر عليه في الخلافة الفاطمية بالديار المصرية

﴿ النوع الخامس ﴾

اللقاب أرباب انوظائف من الاعوان ، وفيه ثلاثة ألقاب :
 الأول مقدم الدولة -- وهو الذي يتحدث على الاعوان والمتصرفين لخدمة الوزير *
 الثاني مقدم الخاص -- وهو يتحدث على الاعوان والمتصرفين بديوان الخاص . وهو بالنسبة
 الى خدمة ناظر الخاص كمقدم الدولة بالنسبة الى خدمة الوزير * الثالث مقدم التركان
 ويكون بالبلاد الشامية والحلية متحدا على طوائف التركان الذين تقدم عليهم * الرابع
 البرددار -- وهو الذي يكون في خدمة مباشري الديوان بأبواب الأمراء وغيرهم متحدا
 على من بها من الاعوان والمتصرفين كما في مقدمي الدولة والخاص . وأصله «فردادار»
 بالفاء وهو مركب من لفظين فر-يين : أحدهما فردا ومعناه الستارة . والثاني دار ومعناه
 ممسك كما تقدم وأمراء ممسك الستارة . وكأنه في أول الوضع كان يقف بباب الستارة
 ثم نقل الى الديوان

﴿ النوع السادس ﴾

أرباب الخدم وفيه اثني عشر لقبا
 الأول الشرابدار - وهو المتصدي للتحدث بالشراب خانا التي هي أحد البيوت
 الديوانية . وهو مركب من لفظين أحدهما عربي وهو الشراب ، والثاني فارسي وهو دار
 ومعناه ممسك كما تقدم . والمعنى ممسك الشراب * الثاني الطشتدار - وهو لرب على بعض
 رجاء الطشت خانا مركب من لفظين : أحدهما طشت وهو الذي يغسل فيه وقد تقدم

الكلام عليه في الكلام على البيوت ، والثاني دار ومعناه ممسك كما تقدم . والمعنى ممسك الطشت * الثالث البازدار — وهو الذي يحمل الطيور الجوارح امددة للصيد . ومعناه ممسك الباز . وخص بالباز لانه اسهل انواع الجوارح عند الملوك السانقة * الرابع الحيواندار — وهو المتصدي لخدمة طيور الصيد من الكراكي وغيرها ويحملها الى مواضع تعام الجوارح . ومعناه ممسك الحيوان . وأطلق الحيوان في عرفهم على هذا النوع من الطيور لان الغالب عليهم ذلك * الخامس المرقدار — وهو المتصدي لخدمة (ما يجوز المطبخ وحفظه . سمي بذلك لكثرة معاطاته لمرق الطعام عند رفع الخوان * السادس المحفدار) — وهو المتصدي لخدمة الحفنة ، وحذفت الهاء منه استثقالا * السابع المنهار — وهو لقب على كبير كل طائفة من غلمان البيوت كما تار الشراب خاناه ومهتار الطشت خاناه ونحوهما ، و « مه » بالفارسية معناه الكبير و « تار » بمعنى افعال التفضيل فيكون معناه « الاكبر » * الثامن البابا — وهو لقب واقع على كل من رجال الطشت خاناة ممن يتعاطي الغسل والصقل ونحوهما . وهو لفظ رومي معناه أبو الآباء وكأنه لقب بذلك لما يتعاطاه من ترفيه مخدومه بالتنظيف ونحوه فأشبهه الاب الشفيق * التاسع الرختوان — وهو لقب لبعض رجال الطشت خاناه ، والرخت بالفارسية اسم للتماش والالف واواو والنون بمثابة ياء النسب (معناه المنولي لامر القماش) * العاشر الخوان سلار — وهو لقب خاص بكبير رجال المطبخ السلطاني القائم مقام المهتار في غيره من البيوت وهو مركب من لعظين : أحدهما خوان وهو الذي يوك كل عليه . قال الجوهرى وهو « عرب ، والثاني سلار وهو فارسي ومعناه المقدم ، وكأنه يقول مقدم الخوان * الحادي عشر المهمرد — وهو الذي يتصدى لحفظ قماش الجبال ورحالها وقماش الاصطبل والسقاين ونحو ذلك . ومعناه بالفارسية الرجل الكبير ومعناه بمعنى كبير ، ومرد بمعنى رجل * الثاني عشر الام — وهو واقع على خدم جميع البيوت من رجال الشراب خاناه والطشت خاناه وغيرهما إلا انه غاب على المتصددين لخدمة الخيل أكثر من غيرهم . فاذا أطلق الغلام لا يراد به في الغالب الا ذلك . على انه في الاصل مخصوص بالملوك دون غيره

﴿ النوع السابع ﴾

القاب أرباب الوظائف من الصارى والمشهور من القابهم شمسية ألقاب :
الاول الباب ، ياءين موحدين مفخمتين في اللفظ ، ويقال فيه البابا بزيادة ألف في آخره ، وربما أبدلت تلك الألف هاء فصيل البابه . وهو لقب على البطر كالقائم

بأمور دين النصارى الملكانية بمدينة رومية واليه مرجعهم في أمر ديانتهم بل به عندهم
مناط التحريم والتحليل . وهو لفظ رومي معناه أبو الآباء . والأصل فيه أن طائفة
النصارى كان من شأنهم أن كلاً منهم يخاطب من فوقه بالآب فاخترعوا لفظاً يميزه عن غيره
فصبروا عنه بأبي الآباء . وقد ذكرت في الأصل ان ذلك أول ما وضع على بطرك الاسكندرية
ثم نقل الى بطرك رومية تعظيماً له من حيث أنه خليفة بطرس كبير الحواريين وبطرك
الاسكندرية خليفة مرقس تلميذ بطرس . وما وقع في التثقيف من أنه عندهم بمثابة القان
عند التتار خطأ ظاهر لأن مرجع الباب الى متعلقات أمور دينهم ومرجع القان الى متعلقات
الملك . الثاني البطرك بالباء الموحدة في أوله ورأيت في ترسل العلاء بن موصلايا ابدال الباء
فيه فاه . وأصله بطريرك بفتح الباء وسكون الطاء وكسر الراء وفتح الياء الممتدة تحت
وسكون لراء الثانية وكاف في الآخر . وهو لقب على القائم بأمر دين النصرانية مناطاً
للتحليل والتحريم . وكراشي البطاركة عندهم بأربعة أماكن : كرسي برومية المقدمة
الذكر . وكرسي بالقدس ، وكرسي بالاسكندرية ، وكرسي بانطاكية وكان بطرك
الاسكندرية تارة يكون من الملكانية وتارة يكون من اليعاقبة الى حين التفتح للإسلام
فقرر فيها عمرو بن العاص بطرك اليعاقبة . واستمرت فيه بطاركتهم الى الآن وتبعهم
بلاد الحبشة * الثالث الأسقف بضم الهمزة والفاء وهو عندهم عبارة عن نائب البطرك *
الرابع المطران بكسر الميم وهو عندهم عبارة عن العاضى الذي يفصل الخصومات بينهم *
الخامس القسيس بكسر الفاء وهو الفاري الذي يقرأ عليهم الإنجيل والمزامير وغيرها *
السادس الجاتبليق بكسر التاء . اثنان فوق بعد الألف وهو عندهم عبارة عن صاحب الصلاة *
السابع الشماس وهو عندهم عبارة عن قيم الكنيسة * الثامن الراهب وهو الذي حبس
نفسه على العباداة في الخلوة

❁ النوع الثامن ❁

أر باب الوظائف من اليهود والمشهور من ألقابهم ثلاثة ألهاب :

الأول الرئيس ، يهز الياء وتشديدها ، وهو القائم فيهم مقام البطرك في النصارى *
الثاني الحزان ، بالحاء المهملة وتشديد الزاي ، وهو عندهم بمثابة الخطيب : يصعد المنبر
ويذكرهم * الثالث الشايح صبور (١) بتشديد الباء الموحدة بعد الصاد والحاء المهملتين

(١) سألت حبراً من أحبار اليهود عن هذا الاسم فقال انه مركب من كلمتين عبرانيتين احدهما شليح
والثانية صبور . ومعناها مجتهدين رسول الجماعة . والمراد الأمام الذي يتولى الأمامة في صلاة الجماعة

وهو الامام الذي يصلى ٣٣

المقصد الثالث

في ذكر الالقاب والاصول التي يتفرع عنها الألقاب في المكاتبات والولايات وهي عشرة ألقاب

الاول الديوان - وهو من الالقاب المستعملة فيما يكتب به للخلفاء، ويقال فيه الديوان العزيز، قال في التعريف : والمراد ديوان الانشاء لان المكاتبات عنه صادرة واليه واردة ، قال ، وكان السبب في ذلك الخضوع عن مخاطبة الخليفة نفسه . والديوان في الاصل اسم للموضع الذي يجلس فيه الكتاب وقد ذكرت الاختلاف في سبب تسميته بذلك في الاصل

الثاني الجانب ، وهو من ألقاب ولاية العهد بالخلافة ومن في معناهم كأمام الزيدية باليمن . وهو في أصل اللغة اسم للناحية ، والمراد الناحية التي بها صاحب القرب كني بها عنه تعظيما له عن أن يتفوه بذكره

الثالث المقام ، بفتح الميم ، وهو من الألقاب الخاصة بالملوك . وأصله في اللغة اسم لموضع القيام ، ومنه قوله تعالى « فيه آيات بينات مقام ابراهيم » أي أثر موضع قدميه في الصخرة التي كان يقوم عليها لبناء البيت به . ثم توسع فيه فأطلق على ما هو أعم من ذلك من محلة الرجل وبلده ونحو ذلك . ومن ثم قال الزمخشري في قوله تعالى « ان المتقين في مقام أمين » أنه خاص استعمل في معنى العموم بمعنى أنه يستعمل في موضع الإقامة في الجملة . ويجمع على مقامات . قال في عرف التعريف : ويقال فيه المقام الأشرف ، والمقام الشريف العالي ، وربما قيل فيه المقام العالي - قلت : ولو قيل : المقام الكريم تأسيا بلفظ القرآن لكان له وجه بل هذا أوجه

الرابع المقر بفتح الميم والقاف . وأصله في اللغة موضع الاستقرار والمراد الذي يستقر فيه صاحب ذلك القرب ؛ ويجمع على مقرات . قال في عرف التعريف : ويقال فيه المقر الأشرف ، والمقر الشريف العالي ، والمقر العالي ، مجردا عن ذلك . قال ابن شيث في معالم الكتابة : وهو من أجل القاب السلطان ، قال في عرف التعريف ، ويختص بكبار

الأمراء وأعيان الوزراء وكتاب السر ومن يجرى مجراهم كذاظر الجيش وناظر الدولة وكتاب الدست ومن في معانهم ، قال ، ولا يكتب لأحد من العلماء والقضاة - قات : اما في الزمن المتقدم فكان من ألقاب الملوك كما قال ابن شيث : وعليه كتب القاضي محيي الدين بن عبدالظاهر (عهد سلطنة) المنصور قلاوون ثم انحط عن رتبة الملوك الى من دونهم من الاعيان كما تقدم حين لقب الملوك بالمقام وخص بغير القضاة والعلماء كما أشار اليه في عرف التعريف ثم استقر الحال بعد ذلك على أنه يكتب لهم ايضاً إلا أنه يختلف الحال بحسب رتبة المكتوب اليه عنه وهبوطها فقد لا يكتب عن السلطان لشخص ويكتب عن غيره من نواب السلطنة لذلك الشخص . وكذلك التولى في سائر الألقاب الآتية الخامس الجناب ، وهو من ألقاب أرباب السيوف والاقلام جميعها مما يكتب عن السلطان وغيره من النواب ومن في معانهم . وأصله في اللغة الفناء أو ما قرب من محلة القوم ، ومنه قولهم : لذنا بجناب فلان ، وفلان خصيب الجناب ؛ فيعبر عن الرجل بفنائه وما قرب منه . ويجمع على أجنبية كمكان وأمكنة وعلى جنابات كجمادات . قال في عرف التعريف : ويقال فيه الجناب الشريف العالى ، والجناب الكريم العالى ، والجناب العالى مجردا عنهما . وهو أعلى ما يكتب للقضاة والعلماء من الألقاب جنوحا الى أنه لا يكتب لاحد منهم بالمقر كما تقدم ذكره عنه ، قال ، ويكتب لمن لا يوهل للمقر من الامراء وغيرهم ممن يجرى مجرى الوزراء - قلت : ويزيد على ما ذكره ان يكتب ، لبعض نواب المكاتبين عن الابواب السلطانية

السادس المجلس ، وهو من ألقاب أرباب السيوف والاقلام أيضا ممن لا يوهل لرتبة اجناس ودرجات لقب به بعض الملوك في المكاتب السلطانية . على أنه كان في الدولة الايوبية لا يلقب به الا المارك ومن في معانهم ومكاتبات القاضى الماضى والعماد الاصفهاني وغيرهما من كتاب الدولة الايوبية شاهدة بذلك . قال ابن شيث في معان الكتابة : وقد كانوا لا يكتبون المجلس الا للسلطان خاصة ، ولم يكن السلطان يكتب به احدا من الداخلين تحت حكمه والمنسحب عليهم أمره ثم ذكر أنه يكتب في زمانه هو الى كبار الامراء والوزراء وولاية العهد بالسلطنة قلت : أما في زماننا فقد صار في أدنى الرتب وجعل الجناب والمقر فوقه كما تقدم . ويقال فيه المجلس العالى

والمجلس السامي رتبة بعد رتبة . وأصل المجلس في اللغة موضع الجلوس ويشار بذلك الى الموضوع الذي يجلس فيه المكتوب له تعظيماً له علي ما تقدم . واعلم ان العالي والسامي اسمان منقوصان كالقاضي والوالي ، وقد تقرر في علم النحو انه إذا دخلت الألف واللام علي الاسم المنقوص جاز فيه اثبات الياء وحذفها فيقال القاض والقاضي ونحو ذلك ؛ وحينئذ فيجوز في العالي والسامي إثبات الياء وحذفها ولكن الكتاب لا يستعملونها الا بالياء : فأما العالي والسامي بالياء فيجوز ان تكون الياء فيهما مكان الياء اللاحقة للاسم المنقوص وتكون حينئذ ساكنة ، ويجوز ان تكون ياء النسب التي للمبالغة علي ماسياتي بيانه ان شاء الله تعالى وتكون مشددة . أما السامي (١) بغير ياء فيجوز أن يكون المراد حذف ياء النسب لا الياء اللاحقة للاسم المنقوص وحينئذ فتحذف الياء من الألقاب التي تبعت بها فيقال : المجلس السامي الأمير الاجل ونحو ذلك .

السابع مجلس ، مجردا عن الالف واللام مضافاً الى ما بعده . وله في الاصطلاح أربع حالات : الأولى ان يضاف الى الأمير ، فيقال : مجلس الأمير وهو مختص بأرباب السيوف * الثانية ان يضاف الى القاضي ، فيقال : مجلس القاضي وهو مختص بأرباب الأقلام علي اختلاف أنواعهم * الثالثة ان يضاف الى الشيخ ، فيقال : مجلس الشيخ . وهو مختص بالصوفية وأهل الصلاح * الرابعة ان يضاف الى الصدر ، فيقال : مجلس الصدر . وهو يختص بالتجار وأرباب الصنائع ونحوهم . وربما كتب في الدولة الناصرية ابن قلاوون وما قاربها لكتاب الدرج ومن في معانهم الثامن ان يقتصر علي المضاف

التاسع أن يقتصر علي المضاف اليه من مجلس الأمير أو مجلس القاضي أو مجلس الشيخ أو مجلس الصدر فيقال : الأمير ، أو القاضي ، أو الشيخ ، أو الصدر وهي أدنى المراتب المباشرة الحضرة ، قال في أدب الكاتب بفتح الحاء وكسرها وضها ، والمراد بها حضرة المكتوب له قال الجوهري : (حضرة الرجل قر به وفناؤه) . وأكثر ما تستعمل في المكاتبات وهي من الألقاب التي كانت تستعمل في مكاتبات الخلفاء وكان يقال فيها الحضرة

(١) أثبتنا الياء في « السامي » هذه وامثالها لان الغرض من قوله « بغير يا » ياء

النسب التي هي للتعظيم والتفخيم كما يتضح للقراء بمد

العالية والحضرة النامية وذكر في معالم الكتابة انها كانت في الدولة الايوبية يكتب بها لا عيان الدولة من الوزراء وغيرهم وان السلطان لم يكن يكتب بها أحدا من الداخلين تحت حكمه والمنسحب عليهم أمره - قلت : والامر على نحو ذلك الى الآن فيكتب بها عن الابواب السلطانية الى بعض الملوك . ويقال فيها : الحضرة الشريفة العالية ، والحضرة الكريمة العالية ، والحضرة العلية بحسب ما تقتضيه رتبة المکتوب له . وكذلك تستعمل في الكتب الصادرة الى ملوك (النصارى) ويقال فيها : بعد الدعاء للحضرة حضرة الملك الجليل ، ونحو ذلك . وربما استعملت في الولايات فتكتب في ولاية البطرك ونحو ذلك

﴿ الضرب الثاني ﴾ - من الاقواب الاسلامية الالقاب الموثقة وهي ثلاثة ألقاب الاول الدار ، وهي تجمع على ديار ، وأدر ، ودور ؛ ويقال فيها الدار العزيزة . وكان يكتب بها في القديم لديوان الخلافة ثم استقر الحال على أن يكتب بها للخواتين من نساء الملوك من الابواب السلطانية وغيرها * الثاني الستارة ، ويقال فيها : الستارة الشريفة ، ويكنى بذلك عن المرأة الجليلة القدر التي بصدد ان تنصب الستارة على بابها حجابا لها * الثالث الجهة ، ويقال فيها الجهة الشريفة أيضا وهي في اللغة اسم للباحية فكسوا بها عن المرأة الجليلة كما كنوا عن الرجل الجليل بالجناب . وهي في المعنى أعلى من الستارة لا تساع نطاقها كما إن الجناب أعلى من المجلس لا تساع نطاق الجناب ﴿ تنبيه ﴾ - كثير من كتاب الزمان يظنون أن هذه الالقاب أو أكثرها أحدثها المقر اشهابي بن فضل الله ، وليس كذلك ، بل المجلس مذکور في مكاتبات القاضي الفاضل ومن عاصره بكثرة . ويقتضى كلام ابن حاجب النعمان في ذخيرة الكتاب أنه أول ما حدث في أيام نبي بويه ملوك الديلم . والجناب موجود في مكاتبات القاضي الفاضل إلا أنه بقلة ، وذكر ابن شيث أنه موجود في مصطلح كتاب الدولة الايوبية . والمقر موجود في كلام القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر . والمقام موجود في كلام من قبل المقر اشهابي بن فضل الله المذكور

واعلم ان ترتيب هذه الاقواب على هذا الوجه وهو جعل المقام أعلى من المقر ، والمقر أعلى من اجناب ، واجناب أعلى من المجلس ، والمجلس العالی أعلى من المجلس

السامي ، والمجلس السامي بالياء أعلى من المجلس السامي بغير ياء ، والمجلس السامي بغير ياء أعلى من مجلس مضافا ، ومجلس مضافا أعلى من المضاف اليه فقط لم أره الا في كلام المقر الشهابي ابن فضل الله ومتابعيه ولا أدري أهو المقترح لذلك أم سبقه اليه غيره . وقد أولع فضلاء الكتاب بالسؤال عن وجه الترتيب في ذلك ، بل أخذوا في انكاره على مرتبه من حيث ان هذه الالقب متقاربة المعاني في اللغة فلا يتجه تقديم بعضها على بعض في الرتبة . ولا يخفى ان واضع ذلك من المقر الشهابي أو غيره لم يضعه عن جهل على سبيل التشبه في التقديم والتأخير اذ لا يليق ذلك بمن عنده ادنى مسكة من العلم . وقد ظهر لي عن ذلك أجوبة يستحسنها الذهن السليم إذا تلقيت بالأ نصاب . ولا بد من تقديم مقدمة على ذلك وهي أن الخطاب في المكاتبات والوصف في الولايات مبنى على التعظيم والتفخيم ، ومن ثم عبروا عن أكثر هذه الألقاب باسم الامكنة تنزيها للمكتوب له عن التصريح بذكره وجعلوها رتبة بعد رتبة بحسب ما تقتضيه معانيها اللائحة منها فجعلوا أدناها رتبة الأمير ، والقاضي والشيخ والصدر التي وقع فيها التصريح بذكر الشخص ، وجعلوا فوق ذلك مجلس الأمير ، ومجلس القاضي ، ومجلس الشيخ ومجلس الصدر من حيث ان المجلس يقتضى الاقتصار على موضع الجلوس خاصة وهو أخص مكان ينسب الى الشخص مع اضافته الى اللقب الخاص الذي هو قريب من التصريح بالذكر وهو الأمير والقاضي أو الشيخ أو الصدر . وجعلوا فوق ذلك المجلس مجردا عن الأضافة التي هي قريب من التصريح بالذكر ؛ وجعلوا فوق ذلك المجلس السامي بغير ياء من حيث وصفه بصفة العلواتي لم توجد حالة الأضافة . وجعلوا فوق ذلك السامي بالياء من حيث ان ياء النسب إذا أتت بها في آخر اللقب أفادت المبالغة كما سيأتي بيانه فيما بعد ان شاء الله تعالى . وجعلوا فوق ذلك المجلس العالي ، من حيث ان العالي وصف من معنى العلو يفهمه كل من ألم باللغة العربية أدنى الملم ، والسامي لا يفهم منه معنى العلو الا الخاصة ، وما أفاد تعريف العلو عند البعض دون البعض (أقل مما أفاد عند الكل) وجعلوا فوق ذلك الجناب العالي ، من حيث ان المراد بجناب الرجل فناؤه كما تقدم والفناء أوسع من المجلس ضرورة بل ربما اشتمل على المجلس واستضافه اليه . وجعلوا فوق ذلك الجناب الكريم العالي من حيث

زياده التفضيم بوصف الكريم . وجعلوا فوق ذلك الجناب الشريف العالى من حيث ان المراد بالشرف العلو والرفعة والمراد بالكريم الخلوص من الكرم فقد قال الجوهرى انه تقيضه وايضاً فان الشريف لا يطلق الا على من له أب « عريق » فى الشرف كما قاله ابن السكيت بخلاف الكريم فإنه لا يعتبر فيه ذلك . وجعلوا فوق ذلك المقر وان كان المراد منه موضع الاستقرار فإنه يشمل جميع المحلة اذ يقال : مقره محلة كذا أو بلد كذا لتضمنه معنى القرار الذى هو ضد الزوال كما قال تعالى « وان الآخرة هي دار القرار » . وجعلوا فوق ذلك المقر الكريم ، ثم المقر الشريف لما تقدم فى الجناب . وجعلوا فوق ذلك المقر الأشرف لاشتماله على افضل التفضيل . وجعلوا فوق ذلك المقام لاستعماله فى المعنى العام الذى هو أعم من موضع القيام كما أشار اليه الزنجشى مع ما فى القيام من (معنى) النهضة والشهامة الزائدة على معنى الاستقرار . وجعلوا أعلى مراتبه المقام العالى ، ثم المقام الكريم ، ثم المقام الشريف العالى لما تقدم فى المقر والجناب والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ النوع الثانى ﴾

من الألقاب الاصول ألقاب ملوك (النصارى) وزعمائهم وهي على ضربين

﴿الضرب الاول﴾ الألقاب المذكورة - وهي خمسة ألقاب

الاول الباب - وقد تقدم انه لقب على ملوك رومية ويقال فيه الباب الجليل *
 الثانى البطرک - وقد تقدم انه لقب على بطرك الاسكندرية و بطرك انطاكية و بطرك القدس ويقال فيه البطرک الجليل أيضاً * الثالث الحضرة وهي من ألقاب ملوكهم كما تقدمت الاشارة اليه فى آخر الألقاب الاصول الاسلامية ويقال، فيها الحضرة العلية والحضرة السامية والحضرة الكريمة، والحضرة الموقرة . وقد تأتي مع الاضافة فيقال حضرة الملك الجليل او حضرة المحتشم ونحو ذلك * الرابع النائب ، وهو من القاب نوابهم ويقال فيه النائب الجليل * الخامس القنصل فيقال فيه القنصل المحتشم وغير ذلك ﴿الضرب الثانى﴾ الألقاب المؤتثة . وفيه لقب واحد وهو الملكة . ويتال فيها الملكة الجليلة . وسيأتى ذلك مستوفى فى (الكلام على المكاتبات) الصادرة اليهم فيما بعد ان شاء الله تعالى

﴿ المقصد الرابع ﴾

في الالقاب المفرعة على الاصول المتقدمة . وهي نوعان
* (النوع الاول) *

الالقاب المفردة . وهي اما مجردة عن ياء النسب او غير مجردة . فأما المجردة عن ياء النسب فكا لسلطان والملك والامير والقاضي والشيخ والصدر والاجل والكبير والعالم والعامل وما أشبه ذلك . وأما غير المجردة وهي الملحقة بها ياء النسب فكالملكي والاميري والقاضي والشيخ والصدر والاجل والكبير والعالي والعالمي ونحو ذلك ثم الالقاب الملحقة بها ياء النسب تارة يراد بالنسب فيها النسب الحقيقي على يابه كالتضائي لانه منسوب الى القضاء الذي هو موضوع الوظيفة التي مناطها فصل الحكومات الشرعية كما تقدم ، وتارة يراد به المبالغة كالتضوي لانه منسوب الى القاضي نفسه مبالغة ؛ وفي معناه الاميري نسبة الى الامير ، والوزير نسبة الى الوزير ، والشيخ نسبة الى الشيخ ، والكبيري نسبة الى الكبير ، وما أشبه ذلك . والاصل فيه أن عادة العرب أنهم اذا أرادوا المبالغة في وصف شيء ادخلوا عليه ياء النسب للمبالغة فيقولون في الاحمر احمر مبالغة في وصفه بالحمر ، وما أشبه ذلك علي ما هو مقرر في كتب النحو المبسوطة

ثم منها ما يستعمل مجردا عن ياء النسب تارة ومنها أخرى كالعالم والعالمي ، والاكمل والاكلى ونحو ذلك . ومنها ما يستعمل مجردا عنها فقط كالتقطب والغوث من القاب الصوفية . ومنها ما يستعمل معها فقط كالغياثي ونحوه . وبكل حال فالالقاب التي تثبت ياء النسب فيها كالاميري (اعلى من المجردة عنها) كالامير فان كانت من القاب (المجلس السامي) بالياء فما فوقه من المجلس العالي ، والجناب ، والمقر ، والمقام على مراتبها تثبت الياء فيها ؛ وان كانت من القاب « المجلس السامي » بغير ياء فما دونه من مجلس الامير ، ومجلس القاضي ، ومجلس الشيخ ، ومجلس الصدر ، والامير ، والقاضي والشيخ ، والصدر لم تثبت الياء فيها . والالقاب المضافة الى الدين ان كانت مع القاب التي لا تثبت فيها الياء كلقاب « المجلس السامي » بغير ياء فما دونه بقيت على حالها في الاضافة للدين

مثل ناصر الدين ، وعلاء الدين ، وسيف الدين ، وما أشبه ذلك وان كانت مع الالقاب التي تكتب فيها الياء كلقاب « المجلس السامي » بالياء فما فوقه حذف المضاف إليه وأدخلت الالف واللام على المضاف وأختمت به ياء النسب فيقال في ناصر الدين الناصري ، وفي علاء الدين العلاءي ، وفي سيف الدين السيفي ، ونحو ذلك

﴿ النوع الثاني ﴾

اللقاب المركبة ، وهي المعبر عنها عند الكتاب بالنعوت. وأكثر ما يكون التركيب فيها بالاضافة . ثم تارة تكون اضافة واحدة نحو : مهاد الدول ، وتارة تكون بأضافتين نحو : سيد أمراء العالمين ، وتارة تكون بثلاث اضافات نحو : حاكم أمور ولاية الزمان ، وربما زيد على ذلك . وتارة ، يكون بوصف المضاف نحو بقية السلالة الطاهرة . وتارة يكون بالمطف على المضاف إليه ، ما يعطف واحد نحو سيد الملوك والسلطين وإما بأكثر نحو : فاتح الممالك والاقاليم والاقطار . وتارة يكون بجار ومجرور بعد المضاف إليه نحو : سيد الامراء في العالمين ، وربما توسط النعت بين المضاف اليه والجار والمجرور نحو : سيد الامراء الاشراف في العالمين . وقد يكون التركيب بغير اضافة إما بالجار والمجرور نحو : المجاهد في سبيل رب العالمين ، وإما بغير ذلك نحو : (معنى ملوك) ساسان ، ونحو ذلك مما يجري هذا المجرى

واعلم انه اذا كان لقب الاصل مفردا نحو المقر ، والجناب ، جاءت ألقابه ونعوته مفردة فيقال : المقر الشريف والجناب الشريف ، والمقر الكريم والجناب الكريم ، وفي نعوته سيد الامراء في العالمين ، ونحو ذلك . ثم ان كان مذكرا جاء بصفة التذكير كما تقدم في ألقاب المقر ، وان كان مؤنثا كالجهة في ألقاب النساء كانت ألقابه ونعوته مؤنثة : فيقال الجهة الشريفة ، او الكريمة ونحو ذلك ، وفي العوت : سيدة الخواتين في العالمين وما يجري هذا المجرى . وان كان اللقب الاصل مجموعا نحو : مجالس الامراء جاءت الالقاب والنعوت مجموعة فيقال : الاجلاء والا كابر وما أشبه ذلك . وفي النعوت ان كان ذلك اللقب اسم جنس نحو عضد الملوك والسلطين ، او مصدرا نحو عون الامة ، جار ابقاؤه على الافراد لان المصدر واسم الجنس لا يثنيان ولا يجمعان وان

نحط فيه معنى التعداد جاز الجمع فيقال : اعوان الملة وأعضاء الملوك والسلطين ونحو ذلك . وقد أشار الى ذلك في التعريف في الكلام على المطلقات فقال : ويحوز عضد وأعضاء

﴿ المقصد الخامس ﴾

﴿ في الألقاب الفرعة عن الألقاب الاصول المتقدمة الذ كر ومراعاة مناسباتها ﴾
اعلم انه يجب على الكاتب مراعاة مناسبة الألقاب الفرعة عن الاصول لاصولها فاما في الألقاب الاسلامية المذكورة فيتين ذلك من ثلاثة أوجه : أحدها أن يراعى مناسبة الفرع للأصل في شرف القدر مثل ان يصف لقب الأصل بالعزيز أو بالاشرف أو الشريف أو الكريم أو العالى أو السامى على ما تقدمت الإشارة اليه عند ذكر الاصول * الثانى ان يأتى لكل من الألقاب الأصول بما يميز المكتوب له عن غيره مثل ان يكتب في ألقاب السلطان : الملكى ، وفي القاب الأمير : الأيمرى ، وفي ألقاب القاضى ونحوه من أرباب الأ قلام : القضاى ، أو القاضوى ، وفي القاب أهل الصلاح : الشيخى ، وفي القاب التجار : الخواجكى ، وفي ألقاب أصحاب الصنائع السنية : الصدرى أو الصدرى ، وما أشبه ذلك * الثالث ان يأتى لكل صاحب لقب من الألقاب الاصول بما يلائمه من الأوصاف مثل ان يصف الديوان العزيز أو الجانب الشريف فى لقبى ديوان الخلافة وولى العهد بالمولى السيدى النبوى ، لا تنسأبهما الى مقام النبوة بقراية العباس للنهى صلى الله عليه وسلم . ويصف السلطان بالأعظم المالك الملك ، ونحو ذلك . وان يتبع ذلك بما يناسب أحوال الملوك من الأوصاف مثل : العادل والمجاهد والمرابط والمثاغر والمؤيد والمظفر ؛ ومن النعوت مثل : ساطان الاسلام والمسلمين محبى العدل فى العالمين ، وما أشبه ذلك . ويصف أرباب السيوف بما فيه معنى الشجاعة مثل : المؤيدى العونى الغياثى الظهيرى وما فيه معنى الجهاد مثل : المثاغرى المرابطى وما أشبه ذلك . ويصف نواب السلطة بما فيه معنى العدل وتدوين البلاد وتمهيد الدول مثل : الممهدى المشيدى ، ومن النعوت مثل : مهد الدول مشيد الممالك عماد الملة عون الأمة ونحو ذلك . ويصف القضاة بصفات الحكم والعدل مثل : الحاكى العادلى وما أشبه ذلك . والعلماء بصفة العلم مثل : الشيخى العالمى الامامى العلامى القدوى

المفیدی الحجی المحقق المدقق . والمدرسین مثل : قدوة العلماء صدر المدرسین لسان المتکلمین حجة الماظرین وما أشبه ذلك . ویصف الوزراء بحسن التدریر والتنفيذ مثل المدبری المتصرف فی المنفذی الملاذی : وفي النعوت بمدبر الدول جمال المالك . ویصف کتاب الدست ومن فی معنایهم من کتاب الأنشاء بصفات البلاغة وحسن التدریر والتسدید والرأی مثل : البلیغی المسددی المنفذی المدبری ؛ وفي النعوت مثل جمال الباغاء أو حد الفضلاء جلال الاصحاب کف کتاب لسان السلطنة سفير المملكة وما أشبه ذلك . ویصف أهل التصوف بصفات الصلاح والعبادة مثل العالمی السالکی الزاهدی العابدی الحاشعی الناسکی القدوی ، وفي النعوت : زین العباد امام الزهاد قدوة السالکین صفوة الناسکین ونحو ذلك . ویصف التجار بما يتضمن رفعة القدر والاحترام والامانة والتقریب ونحو ذلك مثل : المحترمی الموثقی المقربنی الخواجکی ؛ وفي النعوت : شرف الاکابر فی العالمین أو حد الامناء المقربین صدر الروساء رأس الصدور عین الاعیان ثقة الدولة، وما یجری هذا المجرى

وأما الالقاب الاسلامیة الموثقة فیتعین ان یصفها اولاً بصفات العظمة مثل الجهة الشریفة المعظمة ، ثم ما فیہ معنی الصیانة مثل المحجبة المصونة ، وفي النعوت مثل جمیلة المحجبات جمیلة المصونات ، وما فی معنی ذلك

وأما القاب (غیر المسمیة) المذکرة فإنه یراعی فیها ما یناسبها فیصف الباب والبطریق باغدیس زوحانی لخاصة العامل ویصفه بالعلم فی ملته وقیامه بشرائعه مثل عظیم المسیحیة وقدوة السوائف العیسویة عماد نبی المعمودیة کنز الطائفة الصلیبیة وما أشبه ذلك . ویصف منو کهم بصفات الشجاعة والعلم فی شریعته والعدل فی رعیته مثل ان یقال الضرغام الاسد الغضفر الخطیر الباسل السمدع العالم فی ملته العادل فی مملکته وما أشبه ذلك

وأما الغایب الموثقة فعلى نحو ما تقدم الا انه یورد بالفظ التأنیث فیقال المکرمة المبعجة الموقرة العالمة فی ماتها المادلة فی رعیته ونحو ذلك

المقصد السادس

في تفاوت الالقاب في المراتب في العلو والمهبوط . وهو على نوعين
(النوع الاول)

الالقاب المفردة وهي على أربعة أضرب :

﴿الضرب الاول﴾ ما يقع فيه التفضيل بجوهه اللفظ وهي التواضع التي تلي الالقاب
الاصول كالعزيز والاشرف والشريف والكريم والعالى والسامى على ما تقدم ذكره .
وبعضها أرفع من بعض : فالعزيز أرفع من الجميع لأن كل وصف دون العزيز ليس اليه
كبير التفات ، والاشرف أرفع من الشريف لما فى الاشرف من صيغة التفضيل :
والشريف أرفع من الكريم فقد قال ابن السكيت ان الشرف لا يكون الا لمن له آباء
شرفاء والكريم لا يعتبر فيه ذلك ، ومقتضى ذلك ترجيح الشريف على الكريم بكل
حال . والكريم أرفع من العالى لأن الكرم ان حمل على خلاف اللؤم فهو صفة مدح ،
والعالى يحتمل ان يكون من « على » بكسر اللام يعلى بفتحها علاء بالفتح والمد اذا
شرف ، وان يكون من علا يعلو علوا اذا ارتفع فى المكان ، وليس العلو فى المكان من
صفات المدح ، وما هو صفة للمدح بكل حال اعلى مما احتمل المدح وعدمه . وقد تقدم
فى آخر المقصد الثانى وجه رفع العالى على السامى

﴿الضرب الثانى﴾ ما يقع فيه التفضيل بحسب لحوق بآء النسب وما يتجرد عنها . قد تقدم
ان ما تلحقه بآء النسب من الالقاب المفردة منه ما هو منسوب الى شىء خارج عن
صاحب اللقب كالقضائى فإنه منسوب الى القضاء الذى هو نفس الوظيفة فيكون النسب
فيه على بابه ، ومنه ما هو منسوب الى صاحب اللقب نفسه كالا مبرى والقاضوى فإن
الأول منسوب الى الامير والثانى منسوب الى القاضى وهما عين صاحب اللقب وبكل
حال فقد اصطلحوا على ان ما لحقت به بآء النسب أرفع رتبة مما تجرد عنها الا أن ما هو
منسوب الى نفس صاحب اللقب أعلى من المنسوب الى شىء خارج عنه ، ومن ثم جعلوا
القاضوى الذى هو نسبة الى القاضى أعلى من القضائى الذى هو نسبة الى القضاء .
على أنهم لم يقفوا على ما حكم فى كون ادخات عليه بآء النسب أرفع فى جميع الأحوال

فقد استعملوا الأجل ونحوه في القاب السلطان التي هي أعلى الألقاب فقالوا : السلطان
الاجل العالم العادل ، الى آخر ألقابه المفردة من غير الحاق ياء النسب بها . ثم استعملوا
ذلك في القاب « السامي » بغير ياء فادونه مما هو أدنى الألقاب رتبة ، وكانهم اكتفوا
بمكان السلطان من الرفعة عن المباغة بالحاق ياء النسب من حيث أن المعظم غني عن التعظيم
﴿ الضرب الثالث ﴾ ما يقع فيه التفضيل بصيغة مباغة بغير ياء النسب كما في الكفيل
فانه أرفع رتبة من الكافلي لأن صيغة فعيل أبغ في المعنى من صيغة فاعل من حيث
ان « فعيل » لا تأتي الا من فعل بضم العين اذا صار ذلك الفعل له سجية كما يقال : كرم
فهم كريم ، وعظم فهو عظيم بخلاف فاعل .

﴿ الضرب الرابع ﴾ ما يقع فيه التفضيل بحسب ما في ذلك اللقب من اقتضاء
الرفعة لعلوا تعلقه كالمهدي والمشيدي فإن المراد ممد الدول ومشيد الممالك . فإن من
ينتهي في الرتبة الى ذلك لا نزاع في أنه من علو الرتبة بالمكان الارتفاع . وكذلك ما يجري
هذا المجرى كالمديري بالنسبة الى الوزراء ، والمحقق بالنسبة الى العلماء ، والاصيلي بالنسبة
الى العراقة في كرمه الاصل ونحو ذلك

﴿ النوع الثاني ﴾

لا لقب مركبة بغير ضم بالنعوت . وهي على أربعة أضرب :

﴿ ضرب لأول ﴾ فاقب ازباب اسيوف ولها ستة أحوال :

الأول - أن يضاف الى لاسلام . وقد جعل في التعريف أعلاها في السلطانيات
ركن الاسلام وسمين « وورد ذلك في المكاتبه الى النائب الكافل ، ومكانته
يرمز « بحسب كريم » ثم يبدئه بكتاب بعدد بعز الاسلام والمسلمين وجعلوه مع
كتابة يه مع المقر الكريم » على ما استقرار عليه الحال في المكاتبه اليه والى نائب
اسلام . وورد ذلك « عز لاسلام والمسلمين » فأوردوه مع « الجناب الكريم ،
وحسب كريم » ، استقرار عليه الحال في السلطانيات . وجعل في عرف التعريف
في الاحويات عز لاسلام وسمين « حتى لا لقب فأوردوه مع « المقر الشريف »
ثم ضرده في « نائب من بكر كريم ، ونقر العالي » ثم جعل دونه « مجد الاسلام

والمسلمين» فأورده مع «المجلس العالى» مع الدعاء، وصدرت؛ وجعل دون ذلك «مجد الاسلام» فقط من غير عطف المسلمين عليه فأورده مع «المجلس السامى» بالياء «والسامى» بغير ياء ولم يجاوزه الى ما بعده، بل جعل بعده: مجد الامراء على ماسياتي ذكره . وتابعه على ذلك في التثيف

الثانى - ان يضاف الى الامراء . وقد جعل في التعريف اعلاها «سيد الامراء في العالمين» فأورده مع «الجناب الكريم» وهو يومئذ أعلى المكاتبات الى التراب؛ وجعل في التثيف دونه «سيد امرء العالمين» وأورده مع «الجناب العالى»؛ ودونه «شرف الامراء في العالمين» وأورده مع «المجلس العالى» بالدعاء؛ ودونه شرف الامراء المقدمين، وأورده مع «صدرت» و«العالى»؛ ودونه «شرف الامراء في الانام» وأورده مع السامى بالياء؛ ودونه «زين الامراء المجاهدين» وأورده مع «السامى» بغير ياء، ودونه «مجد الامراء» وأورده مع «مجلس الامير» قلت ولا يخفى ما في ذلك من الاختلاف الفاحش

الثالث - ان يضاف الى الغزاة والمجاهدين . وقد جعل في التعريف اعلاها «ناصر الغزاة والمجاهدين» فأورده في ألقاب الدائب الكافل وهي يومئذ «الجناب الكريم»؛ وجعل دونه «نصير الغزاة والمجاهدين» فأورده في المكاتبه الى نائب الشام وهي يومئذ: الجباب العالى - قلت وهو مخالف لتاعدة لغة العرب من حيث ان صيغة فاعل ابلغ من صيغة فاعل على ما تقدمت الاشارة اليه . وتابع في التثيف التعريف على جعل «ناصر الغزاة والمجاهدين» اعلاها وأورده مع المقر الكريم العالى» وجعل دونه نصره الغزاة والمجاهدين» وأورده مع «الجباب الكريم» وما بعده الى آخر «المجلس العالى» ثم اتى مع «السامى» بالياء بأوحد المجاهدين، ومع السامى بغير ياء، ومجلس الامير بزين المجاهدين، والحال في ذلك قريب . أما في عرف التعريف فإنه اعرض عن ناصر الغزاة والمجاهدين مع «المقر الشريف» وأتى مع «المقر الكريم» بنصير الغزاة والمجاهدين، ومع الجناب الشريف الى آخر المجلس العالى بنصرة الغزاة والمجاهدين، فجعل نصير الغزاة ابلغ من نصره الغزاة لما في نصير من التذكير . ثم أتى مع السامى بالياء بذخ الغزاة والمجاهدين، ثم مع السامى بغير ياء بزين الامراء المجاهدين، ثم مع مجلس

الامير بزين المجاهدين

الرابع - ان يضاف الى الجيوش وقد جعل في التعريف اعلاها أتابك الجيوش فأورده في ألقاب النائب الكافل وهي يومئذ «الجناب الكريم» وجعل دونه «زعيم الجيوش» فأورده في ألقاب نائب الشام وهي يومئذ «الجناب العالى» ودونه «زعيم جيوش الموحدين» فأورده في ألقاب نائب حلب. واورد في عرف التعريف زعيم الجيوش مع المقر الشريف، والمقر الكريم؛ واورد زعيم جيوش الموحدين مع الجناب الكريم، والجناب العالى. وعلى نحو ذلك جري في التثقيف

الخامس - ان يضاف الى الملوك والسلاطين. وقد جعل في عرف التعريف اعلاها «ظهير الملوك والسلاطين» واورده مع «المقر الكريم» وما بعده الى آخر «المجلس العالى»: وجعل دونه «عضد الملوك والسلاطين» واورده مع المجلس العالى، والمجلس السامى بالياء؛ وجعل دونه «عمدة الملوك والسلاطين» وأورده مع مجلس الأمير. أما التثقيف فأورد ظهير الملوك والسلاطين مع المقر الكريم وما بعده الى آخر المجلس العالى، وجعل: عضد الملوك والسلاطين مع المجلس السامى بالياء، وعمدة الملوك والسلاطين مع السامى بغير ياء، وعمدة الملوك والسلاطين مع مجلس الامير

السادس - ان يضاف الى أمير المؤمنين. واعلاها قسيم أمير المؤمنين وهو من ألقاب اولاد السلاطين وألقاب بعض الملوك، الا جانب المكتوب اليهم عن الابواب السلطانية، ودونه عضد أمير المؤمنين. وهو أعلى ما يكتب لنواب السلطنة عن الابواب السلطانية وجعله في عرف التعريف مع المقر الشريف خاصة، ودونه سيف أمير المؤمنين، واورده مع المقر الكريم، والمقر العالى: ودونه حسام أمير المؤمنين وجعله في عرف التعريف مع الجناب الشريف، والجناب الكريم، والجناب العالى ثم لم يورد بعد ذلك لقباً بالاضافة الى أمير المؤمنين بل اقتصر على ما يضاف الى الملوك والسلاطين كما تقدم ذكره. اما في التثقيف فإنه جعله مع المقر الكريم، والمقر العالى ودونه حسام أمير المؤمنين وجعله مع المجلس العالى والدعاء ولم يورد فيما بعد ذلك لقباً بالاضافة الى أمير المؤمنين

(الضرب الثاني) القاب القضاة والعلماء. ولها خمسة أحوال:

الأول - ان يضاف الى الاسلام . وقد جعل في عرف التعريف اعلاها : حجة الاسلام أو ضياء الاسلام ، فأوردهما مع الجناب الشريف الذي هو عنده أعلى الرتب لهذه الطائفة ، وجعل دونه : بهاء الاسلام ، فأورده مع الجناب الكريم ، ودونه : مجد الاسلام فأورده مع المجلس العالى ، والسامى بالياء ، والسامى بغير ياء

الثانى - ان يضاف الى العلماء ونحو ذلك . وقد جعل في عرف التعريف اعلاها سيد العلماء والحكام ، وجعله للجناب الشريف فما فوقه : ثم جعل دونه : أوحده العلماء الاعلام للجناب الكريم والجناب العالى ؛ وجعل دونه تاج العلماء والحكام ، او شرف العلماء والحكام وأورده مع المجلس العالى ، ودونه جمال العلماء أو حد الفضلاء ؛ وأورده مع السامى بالياء ؛ ودونه جمال الاعيان وأورده مع السامى بغير ياء فما دونه

الثالث ان يضاف الى الأنام . وقد جعل في عرف التعريف أعلاها شرف الأنام ، وأورده مع الجناب الشريف الذى جعله أعلى الألقاب لهم ومع الجناب الكريم . والجناب العالى ؛ وجعل دونه فخر الأنام فأورده مع المجلس العالى بالدعاء ؛ ودونه بهاء الأنام وأورده مع صدرت ، والعالى ، والسامى بالياء ، والسامى بغير ياء .

الرابع ان يضاف الى الملوك والسلاطين . وقد جعل في عرف التعريف أعلاها للقضاة : حكم الملوك والسلاطين ، وبقيرهم من العلماء : خالصة الملوك والسلاطين ، وهو عنده للجناب الشريف فما فوقه ؛ ودونه : بركة الملوك والسلاطين ، وأورده مع الجناب الكريم ، والجناب العالى ، والمجلس العالى مع الدعاء ؛ ودونه : صفوة الملوك والسلاطين وأورده مع : صدرت ، والعالى . وما دونه

الخامس - ان يضاف الى أمير المؤمنين . وقد جعل في عرف التعريف أعلاها : ولى أمير المؤمنين ، وجعله مع : الجناب الشريف فما فوقه - قلت : ويحسن ان يمجى مع الجناب الكريم خالصة أمير المؤمنين أو صفوة أمير المؤمنين ﴿الضرب الثالث﴾ القاب الوزراء ومن في معاهم من كتاب السر ، وناظر الجيش ، وناظر الخاص ، ومن دونهم من الكتاب . ولها أربعة أحوال :

الأول -- أن يضاف الى الاسلام . وقد ذكر المقر الشهابى بن فضل الله فى بعض دساتيره ان اعلاها لهم : ركن الاسلام والمسلمين ، وجعل في عرف التعريف أعلاها

للوزراء : صلاح الاسلام والمسلمين ، وأورده مع المقر الشريف وما دونه من المقر الكريم ، والجناب الشريف ، والجناب الكريم . وجعل دون ذلك : مجد الاسلام مجردا عنه وأورده مع : المجلس العالي ، والمجلس السامى . وقد ذكرت توجيهه فى الأصل الثانى ان يضاف الى الوزراء ونحوهم . وقد ذكر فى عرف التعريف أعلاها : للوزراء : سيد الوزراء فى العالمين ، وإن فى معنهم من كاتب السر ونحوه سيد الكبراء فى العالمين وأورده مع : المقر الشريف ، والمقر العالي ، والمقر الكريم ، والجناب الشريف ، والجناب الكريم ، والجناب العالي . وجعل دونه لمن هو دون هو لاء من الكتاب الثالث — ان يضاف الى الملوك والسلاطين وقد جعل فى عرف التعريف أعلاها : ظهير الملوك والسلاطين . وأورده مع المقر الشريف ، والمقر الكريم ، والمقر العالي ، والجناب الشريف ، والجناب الكريم ، والجناب العالي . وجعل دونه : صفوة الملوك والسلاطين ، وأورده مع المجلس العالي فما دونه

الرابع — أن يضاف الى أمير المؤمنين . ولم يزد فى عرف التعريف فى ذلك على : ولى أمير المؤمنين . وأورده مع المقر الشريف ، والمقر الكريم ، والمقر العالي والجناب الشريف ؛ قلت : ويحسن ان يجمع مع الجناب الكريم : خالصة أمير المؤمنين ، ومع الجناب العالي : صفى أمير المؤمنين أو صفوة أمير المؤمنين ، ولا يضاف الى أمير المؤمنين مع المجلس العالي فما دونه شئ من الألقاب بل يقتصر على الأضافة الى الملوك والسلاطين ﴿ الضرب الرابع ﴾ ألقاب الصالحاء . ولها أربعة أحوال :

الاول — أن يضاف الى الاسلام . وقد جعل فى عرف التعريف أعلاها : صلاح الاسلام ؛ وأورده مع الحضرة ، ومع الجناب الشريف ، والجناب الكريم . وجعل دونه جلال الاسلام ، فأورده مع : الجناب العالي ، ودونه ضياء الاسلام ، وأورده مع المجلس العالي ، ودونه : جمال الاسلام ، وأورده مع : المجلس السامى بالياء فما دونه الثانى — ان يضاف الى العارفين ونحوه . وقد جعل فى عرف التعريف أعلاها : شيخ سيوخ العارفين ؛ وأورده مع « الحضرة الطاهرة » التى هى أعلى الرتب عنده . وجعل دونه : أوحد المحققين ، فأورده مع : الجناب الكريم ، ودونه : أوحد الماسكين ، فأورده مع : الجناب العالي

الثالث - ان يضاف الى الأنام . وقد جعل في عرف التعريف أعلاها : خالصة الأنام ، وأورده مع : الحضرة الشريفة ، التي جعلها أعلى رتبهم ، ومع : الجنب الشريف ، والجنب الكريم ، والجنب العالي . وجعل دونه : شرف الأنام ، فأورده مع : المجلس العالي ، ودونه : زين الأنام ، فأورده مع : السامي بالياء وبغير ياء .
الرابع - ان يضاف الى الملوك والسلاطين . ولم يزد في عرف التعريف على ان يكتب لهم : بركة الملوك والسلاطين - قلت : ويجب الاقتصار عليها لمن يستحق الأضافة الى الملوك والسلاطين . اما ما يضاف الى أمير المؤمنين فلم يورد لهم شيئاً منه .
ويحسن أن يحى لهم نظير ما تقدم للعلماء

المقصد السابع

في تفاوت الالقاب بالتقديم والتأخير . وهو نوعان أيضاً

النوع الاول

الالقاب المفردة وهي على سبعة أضرب :

﴿ الاول ﴾ الالقاب التي تلى الألقاب الاصول وهي كالأشرف والشريف والكريم والعالي والسامى . فالأشرف يلي المقام ، والمقر فيقال : المقام الأشرف والمقر الأشرف ؛ والشريف يلي المقام ، والمقر والجنب فيقال : المقام الشريف ، والمقر الشريف ، والجنب الشريف ؛ والكريم يلي المقر ، والجنب فيقال : المقر الكريم ، والجنب الكريم ؛ والعالي يلي المقام على قلة ، والمقر ، والجنب ، والمجلس فيقال : المقر العالي ، والجنب العالي ، والمجلس العالي ؛ والسامى يلي المجلس خاصة فيقال : المجلس السامى

﴿ الثانى ﴾ ما يلي الالقاب التي تلى الاصول وهو : العالي ، اذا تأخرت رتبته عن أن يلي الاصول فيلى الأشرف ، والشريف ، والكريم فيقال : الأشرف العالي ، والشريف العالي ، والكريم العالي

﴿ الثالث ﴾ ما يلي التالي وهو اللقب الذي يقع به تمييز المكتوب له كالاميرى والقضائى وما فى معنى ذلك . فيقال : العالي الاميرى أو القضائى أو القاضوى أو الشينى أو ما يجرى مجرى ذلك

﴿ الرابع ﴾ ما يلي لقب الوظيفة وهو: الكبيرى، وما فى معناه . فيقال : الأميرى الكبيرى وما أشبه ذلك

﴿ الخامس ﴾ ما يقع قبل لقب التعريف الذى هو: الفلانى ، أو فلان الدين . وهو اللقب الدال على الوظيفة دلالة خاصة كالكافى والكفىلى للنواب، والوزيرى للوزراء، والحاكى للقضاء . فإن كان المكتوب له نائب سلطنة كتب له قبل « الفلانى » الكافى او الكفىلى بحسب ما تقتضيه رتبته . وان كان حاكما كتب له قبله: الحاكى . قال فى التتيف : وان كان وزيرا كتب له فى آخر القابه : الوزيرى ؛ والذى فى عرف التعريف ان الوزيرى يلى لقب الوظيفة . فإذا كان الوزير من أرباب السيوف كتب له الاميرى الوزيرى ، وان كان من أرباب الاقلام كتب له الصاحبى الوزيرى

﴿ السادس ﴾ ما يقع فصلا بين الاقواب المفردة والاقواب المركبة ، وهو لقب التعريف الخاص كالفلانى، وفلان الدين . فإنه موضوع بين المفردة والمركبة كالفصل بينهما

﴿ السابع ﴾ ما ليس له موضع مخصوص من الاقواب المفردة . وهو ما يقع به التمييز بين الاميرى ونحوه وبين اللقب الذى قبل لقب التعريف كالعالمى والعادلى ونحوهما فالعلم فى ذلك مطلق العنان بالتقديم وتأخير على ما تقتضيه الحالة بحسب ما يراه الكاتب

﴿ النوع الثانى ﴾

ما تتفاوت فيه مراتب الألقاب بالتقديم والتأخير الاقواب المركبة وهى على ثلاثة أضرب

الاول — ما يلى لقب التعريف الذى هو الفلانى أو فلان الدين ، وهو ما يضاف الى الاسلام مثل: ركن الاسلام واملين، وما فى معنى ذلك . فقد اصطلحوا على أن يكون أول الألقاب المركبة

الثانى — ما يقع فى آخر الاقواب المركبة ويختلف احوال فيه باختلاف المكتوب له . فان كان ممن يكتب له : المجلس السامى ، بغير ياء ، فما دونه جعل آخر الاقواب فيه ما يضاف الى الملوك والسلاطين وما أشبه ذلك : وان كان ممن يكتب له : السامى ؛ بالياء . فما فوقه جعل آخر الاقواب فيه ما يضاف الى أمير المؤمنين مثل: عضد أمير

المؤمنين ، وما أشبه ذلك على ما تقتضيه رتبته
الثالث - ما بين أول الألقاب المركبة وبين آخرها . فقد اصطلحوا على ان يقدم من
ذلك ما يقتضى رفعة المكتوب له على أبناء جنسه مثل : سيد الأمراء في العالمين ،
وما أشبه ذلك بحسب ما يقتضيه الحال

❦ المقصد الثامن ❦

في ترتيب الألقاب الفروع بجماتها على الألقاب الأصول وهي على ثلاثة عشر نوعا

❦ النوع الأول ❦

الألقاب (المتعلقة بالخلافة) وهي أربعة أضرب :

الأول - القاب الخليفة نفسه . اعلم أنه كان يذال في الزمن القديم : عبد الله فلان
أمير المؤمنين ؛ فإن كان اسم الخليفة عبد الله كما أمون كرر الاسم مرتين ، مرة للاسم
العلم ، ومرة لقب الخلافة فيقال : عبد الله عبد الله أمير المؤمنين . ثم زيد فيه الكنية بعد ذلك
فقال : عبد الله ابو فلان الإمام الفلاني - بلقب الخلافة مثل المعتضد بالله ونحوه -
أمير المؤمنين . ثم زيد فيه بعد عبد الله : ووليه فلان ابو فلان الامام الفلاني أمير المؤمنين .
وهو ما استقر عليه الحال الآن

الثاني - القاب ديوان الخلافة . وهي : الديوان العزيزي المولوي السيدى النبوى

الإمامي الفلاني ، بلقب الخلافة

الثالث - القاب ولاية العهد بالخلافة . وهي : الجانب الشريف المولوي السيدى

النبوى الفلاني ، بلقبه المنسوب الى الخلافة . وربما قيل له : الجانب ، بدل الجانب ؛

وبقية الألقاب على ما تقدم

الرابع - ألقاب إمام الزيدية باليمن . وهي : الجانب الكريم العالى السيدى الإمامي

الشريفى النسبى الحسينى الفلانى ، بلقب التعريف ، سليل الأطهار جلال الاسلام سيف

الأنام بقية البيت النبوى نحر الحسب العلوى مؤيد أمور الدين خليفة الأئمة رأس العلياء

صالح الأولياء علم الهداة زعيم المؤمنين ذخر المسلمين منجد الملوك والسلاطين

❦ النوع الثانى ❦

الألقاب الموكية . وهي ضربان :

(الضرب الأول) - القاب الساطان بالديار المصرية على ما استقر عليه الحال . وقد

ذكر في التعريف فيها مذهبين . الأوله أن يقال : السيد الأجل الملك الفلاني العالم العادل المجاهد المرابط المناغر المؤيد المظفر المصور الشاهنشاه فلان الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين محي العدل في العالمين وارث الملك ملك العرب والعجم والترك ظل الله في أرضه القائم بسنته وفرضه اسكندر الزمان مملك أصحاب المنابر والأسرة والنيجان (واهب) الاقاليم والأمصار مبيد الطغاة والبقاة والكفار حامي الحرمين الشريفين والقبليتين جامع كلمة الايمان ناشر نواء العدل والاحسان سيد ملوك الزمان أبو فلان فلان ابن السلطان الشهيد الملك الفلاني والد الملوك والسلاطين أبي فلان فلان . . . أما في التحقيق فإنه ذكر ذلك بزيادة وتغيير وتقديم وتأخير فقال « السلطان الأعظم الملك الفلاني السيد الاجل العالم العادل المؤيد المجاهد المرابط المناغر المظفر الشاهنشاه فلان الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين محي العدل في العالمين منصف المظلومين من الظالمين وارث الملك سلطان العرب والعجم والترك فاتح الاقطار مانح الممالك والأقاليم والأمصار اسكندر الزمان مولى الاحسان جامع كلمة الايمان مملك اصحاب المنابر والتخوت والنيجان ملك البحرين مسلك سبيل القبليتين خادم الحرمين الشريفين ظل الله في أرضه القائم بسنته وفرضه سلطان البسيطة مؤمن الارض المحيطة سيد الملوك والسلاطين ولي أمير المؤمنين أبو فلان فلان » . ثم ذكر ان الغالب ان تحذف الشاهنشاه لان معناها ملك الا ملاك وقد ورد النهي عن التسمي بذلك ، قال : والواجب ان يكون بدل أمير المؤمنين قسم أمير المؤمنين

المذهب الثاني — ان يكتب : المقام الشريف ، أو الكريم أو العالی مجرداً عنهما ؛ ويقتصر على الألقاب المفردة دون المركبة مثل ان يكتب « المقام الشريف العالی المولوى السلطاني الملكي الفلاني أبو فلان فلان » قال في التعريف : والى هذا ذهب المتأخرون من الكتاب ، ثم قال ، وأنا على الاول أعمل . قلت : وهو المستقر عليه الحال الآن (الضرب الثاني) — الالهاب التي يكتب بها عن السلطان لغيره من الملوك وهي على ثلاثة أصناف

الأول — القاب ولاة العهد بالسلطنة . وهي : المقام العالی العالی العادلى الملكي الفلاني الفلاني ، بلقب الملك واللقب المتعارف . قال في التحقيق : فان كان أخا للسلطان زيد فيه : الاخوي أو ولدا زيد فيه : الولدى

الثاني — صغار الملوك المستقلين بصغار البلدان كما كان صاحب حماة في الدولة العاصرية محمد بن قلاوون . وكان يكتب له : المقام الشريف العالی السلطاني الملكي الفلاني ، بلقب

الملك . وربما قيل بعد لقب الملك : الاصيل لعراقتة في الملك
الثالث — ألقاب المكتوب اليهم من الملوك الاجانب عن الابواب السلطانية وهي على
أربع طبقات :

الطبقة الاولى — ما يصدر بائتمام . واعلاها : المقام الاشرف . كألقاب صاحب الهند
وهي « المقام الاشرف العالي المولوى السلطاني الاعظمي الشاهنشاهي العاليي العادلي
المجاهدي المناغري المظفري المؤيدي المنصوري اسكندر الزمان سلطان الاوان منبع
الكرم والاحسان المعنى آل ساسان وبقايا فراسياب و خاقان ملك البسيطة سلطان الاسلام
غيث الانام اوحد الملوك والسلاطين . . . » ودونه : « المقام الشريف العالي الكيبرى
السلطاني العاليي العادلي المجاهدي المؤيدي المرابطي المنصوري الملك الفلاني (بلقبى الملك
والتعارف) ودونه : المقام العالي . كألقاب العان بيلاد أزبك فيما ذكره في التثقيف .
وهي : « المقام العالي الساطاني الكيبرى الملكي الاكرمي الفلاني — باقب التعريف — فلان
الدين والدين مؤيد الغزاة والمجاهدين قاتل الكفرة والمشركين ولي أمير المؤمنين . . . »
وكألقاب صاحب الغرب الاقصى فيما ذكره في التعريف . وهي « المقام العالي السلطاني
السيد الاجل العالم العادل المجاهد المرابط المناغري المؤيد المظفر المنصور على اعداء الله
امير المسلمين قائد الموحدين مجهز الغزاة والمجاهدين مجند الجنود عاقد البنود مالي صدور
البراري والبحار مزعزع أسرة الكفار مؤيد السنة معز الملة شرف الملوك والسلاطين
بقية السائف الكريم والنسب الصميم ريبب الملك العديم ابو فلان »

الطبقة الثانية — ما يصدر بالمقر . واعلاها : المقر الكريم . كألقاب صاحب هراة
فيما ذكره في التعريف وهي : « المقر الكريم العالي العالي العادلي المجاهدي المؤيدي
المرابطي المناغري الاوحد الفلاني شرف الملوك والسلاطين خايل أمير المؤمنين . . . »
وكألقاب صاحب كرمدان (في الصباح : كرمان) من يلا داروم فيما ذكره في التثقيف وهي . « المقر
الكريم العالي العالي العادلي المجاهدي المرابطي المناغري المظفري المنصوري الفلاني عز الاسلام
والمسلمين فخر الملوك والسلاطين نصير الغزاة والمجاهدين زعيم الجيوش مقدم العساكر
ظهير أمير المؤمنين . . . » ودونه : الممر العالي كألقاب صاحب مالي والتكرور فيما ذكره في
التعريف وهي « الممر العالي السلطاني الجليل الكبير العالم العادل المجاهد المؤيد الاوحد
عز الاسلام شرف ملوك الانام ناصر الغزاة والمجاهدين زعيم جيوش الموحدين جمال الملوك
والسلاطين سيف الخلافة ظهير الامامة عضد أمير المؤمنين »

الطبقة الثالثة — ما يصدر بالجانب . واعلاها : الجانب الكريم كألقاب ملك التكرور

المقدم ذكره على ما استقر عليه الحال فيما ذكره في التثقيف وهي « الجنب الكريم
العالي الملك الجليل العالم العادل المجاهد المؤيد المتأغر المرابط العابد الخاشع الناسك الاوحد
فلان ذخر الاسلام » وكألقاب ملكي البرنو والكاتم فيما ذكره في التعريف وهي « الجنب
الكريم العالي الملك الجليل الكبير العالم العادل الغازي المجاهد الامام الهدام الاوحد المظفر
النصور عن الاسلام ٠٠ » وبقية الالقاب من نسبة القاب ملك التكرور

الطبقة الرابعة - القاب المجلس . وأعلاها المجلس العالي كألقاب صاحب حصن
كيفاً من الجزيرة القراتية فيما ذكره في التعريف . وهي : « المجلس العالي الملكي الفلاني
الاجلي العالي العادلي المجاهدي المؤيدي المرابطي المتأغري الاوحدى الاصيل الفلاني
(يلقب بالتعريف) عن الاسلام واملين بقية الملوك والسلاطين نصير النزاة والمجاهدين
زعيم جيوش الموحدين شرف الدول ذخر الممالك خايل أمير المؤمنين (أو عضد أمير المؤمنين
على مخالفة فيما أورده في التثقيف في المكتبة اليه) ودونه : المجلس السامي بالياء كألقاب
صاحب ارزن . وهي : « المجلس السامي الملكي الفلاني - بلقب الملك - الاصيل الكبير
العالمى المجاهدي المؤيدي المرابطى الاوحدى الفلاني -- بلقب التعريف - عز الاسلام
شرف الملوك في الانام بقية السلاطين نصرة النزاة والمجاهدين ولي أمير المؤمنين » .
ودونه : المجلس السامي ' بغير ياء كلقاب صاحب دقلة إذا كان مسلماً فيما ذكره في التعريف
وهي : « المجلس الجليل الكبير النازي المجاهد المؤيد الاوحد محمد الاسلام زين الانام
نجر المجاهدين عمدة الملوك والسلاطين ٠٠٠ » ولم يذكر فيه السامي ولا الملكي

أما ما يصدر بالألقاب المؤنثة كالحضرة فيختلف الحال فيه باختلاف الملوك . فألقاب
الغان بمملكة ايران على ما كان عليه الحال في أيام السلطان أبي سعيد وما قبله هي « الحضرة
الشريفة العالية السلطانية الأعظمية الشاهنشاهية الا وحدية ٠٠ » قال في التعريف ولا
يخلط فيها الملكية طوائها لديهم . وان كان صاحب التثقيف اثبت فيها الملكية أيضاً على
ما سيأتى في الكلام على المكتبة اليه . وألقاب صاحب تونس فيما ذكره في التثقيف :
« الحضرة العلية السنية السرية المظفرية الميمونة المنصورة حضرة الامير الملم .. » الخ الالقاب

بـ النوع الثالث

اللقاب العامة لسائر الملوك مما يكتب به عن الابواب السلطانية وهي ثمانية أصناف :

(الصنف الاول)

القاب أرباب السيوف وهي على خمس درجات :

(الدرجة الأولى) درجة « المقر » وفيها ثلاث مراتب :
المرتبة الأولى — مرتبة « المقر الشريف » وهو مختص في عرف الزمان بما
يكتب عن نواب السلطنة دون الابواب السلطانية فمثاله على ما أورده في عرف التعريف :
« المقر الشريف العالي المولوى الاميري الكبيرى العالمى العادلى الممهدي المشيدى الزعيمى
المقدمى العوفى الغياثى المرابطى المئاغرى الظهيرى الفلانى عز الاسلام والمسلمين سيد الامراء
في العالمين »

المرتبة الثانية — مرتبة « المقر الكريم » وهي مستعملة في السلطانيات وما يكتب
عن النواب فأما في السلطانيات فمثاله على ما أورده في التتقيم في ألقاب النائب الكافل ونائب
الشام « المقر الكريم العالي الاميري الكبيرى العالمى العادلى المؤيدى الزعيمى العوفى
الغياثى المئاغرى المرابطى الممهدي المشيدى الظهيرى العابدى الناسكى الاتابكى الكفيلى
الفلانى عز الاسلام والمسلمين سيد الامراء في العالمين ناصر الغزاة والمجاهدين زعيم جيوش
الموحدين محمد الدول مشيد الممالك عماد الملة عون الامة ظهير الملوك والسلاطين عضد
امير المؤمنين . . . » وأما فيما يكتب عن النواب فمثاله على ما أورده شهاب الدين الفارقي
في دستوره : « المقر الكريم العالي المولوى الاميري الكبيرى العالمى العادلى المؤيدى الممهدي
العوفى المقدمى الذخري الغياثى الفلانى عز الاسلام والمسلمين سيد الامراء في العالمين زعيم
جيوش الموحدين مقدم العساكر المجاهدين ذخىر الدولة بهاء الملة محمد المملكة ظهير
الملوك والسلاطين عضد أمير المؤمنين »

(الدرجة الثانية) — درجة « الجنب » وفيها ثلاث مراتب :
المرتبة الأولى — مرتبة « الجنب الشريف » وهي مستعملة فيما يكتب عن نواب
السلطنة دون ما يكتب من الابواب السلطانية ومثاله على ما أورده في عرف التعريف
« الجنب الشريف العالي المولوى المجاهدي المؤيدى الممهدي الذخري الأوحدي العوفى
الظهيرى الفلانى عز الاسلام والمسلمين سيد الامراء المدمين نصره الغزاة والمجاهدين
عماد الدولة عون الامة ذخىر الملة ظهير الملوك والسلاطين سيف أمير المؤمنين »
المرتبة الثانية — مرتبة « الجنب الكريم » -- وهي مستعملة في السلطانيات
وما يكتب عن النواب فأما في السلطانيات فمثاله على ما أورده في التتريم على ما كان
عليه الحال أولا « الجنب الكريم العالمى الاميري الاجلى الكبيرى العالمى العادلى المؤيدى
الممهدي المشيدى الزعيمى الذخري المقدمى العوفى الغياثى المرابطى المئاغرى المظهري
التصوري الاتابكى ركن الاسلام والمسلمين سيد الامراء في العالمين أتابك الجيوش

مقدم العساكر زعيم الجنود عاهد البنود ذخر الموحدين ناصر الغزاة والمجاهدين غياث
الامة عون الملة مشيد الدول كافل الممالك ظهير الملوك والسلاطين عضد أمير المؤمنين «
ومثاله على ما أورده في التقييف في ألقاب نائب حلب على ما استقر عليه الحال وذكر انه
هو الذي كان يكتب لثائب الكافل في الاول « الجناب الكريم العالي الاميري الكبير
العالي العادلي المؤيدي الزعيبي العوني النياتي المتاغري المرابطي الممهدي المشيدي الظهيري
الكافلي الفلاني عز الاسلام والمسلمين سيد أمراء العالمين ناصر الغزاة والمجاهدين زعيم
جيوش الموحدين مقدم العساكر ممد الدول سيف الممالك عماد الملة عون الأمة كافل
السلطنة ظهير الملوك والسلاطين عضد أمير المؤمنين . » واما ما يكتب عن النواب فمثاله
على ما أورده شهاب الدين الفارقي في دستوره عن نائب الشام : « الجناب الكريم العالي
المولوي الأميري الكبير العالي العادلي العضدي النصيري المؤيدي المقدمي الذخري
الفلاني مجد الاسلام والمسلمين شرف الأمراء في العالمين ناصر الغزاة والمجاهدين ظهير
الملوك والسلاطين . »

المرتبة الثالثة — مرتبة « الجناب العالي » وهي مستعملة في السلطانيات وما يكتب
عن النواب . فأما السلطانيات فمثاله فيها على ما أورده في التقييف في ألقاب نائب طرابلس
ومن في معناه : « الجناب العالي الأميري الكبير العالي العادلي المؤيدي العوني الزعيبي
الممهدي المشيدي الظهيري الكافلي الفلاني عز الاسلام والمسلمين سيد أمراء العالمين نصير الغزاة
والمجاهدين زعيم جيوش الموحدين مقدم العساكر ممد الدول مشيد الممالك عماد الملة
عون لامة ظهير الملوك والسلاطين سيف أمير المؤمنين . . . » وعلى ما أورده في التقييف أيضاً
في ألعاب مقدم العساكر بغزة : « الجناب العالي الأميري الكبير العالي العادلي المؤيدي
الأوحدي النصيري العوني الهامى المقدمي الفلاني عز الاسلام والمسلمين سيد الأمراء
في العالمين نصرة الغزاة والمجاهدين مقدم العساكر كهف العلة ذخر الدولة عماد المملكة
ظهير الملوك والسلاطين حسام أمير المؤمنين . . . » واما فيما يكتب عن النواب فمثاله على ما
أورده الصلاح الصفدي في دستوره عن نائب الشام « الجناب العالي الأميري الأجل
الكبري المؤيدي المجاهدي العوني المقدمي الظهيري الفلاني مجد الاسلام والمسلمين شرف
الأمراء المدمين نصرة الغزاة والمجاهدين عضد الملوك والسلاطين . . . »

الدرجة الثالثة — درجة « المجلس » . وفيها ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى - مرتبة « المجلس العالي » وهي مستعملة في السلطانيات وما يكتب
عن النواب . فأما في السلطانيات فمثاله على ما أورده في التقييف في ألقاب نائب الكرك :

« المجلس العالى الاميرى الكبيرى العالمى المجاهدى المؤيدى العونى الأوحدي النصيرى الهمامى المقدمى الظهيرى الفلانى عز الاسلام والمسلمين شرف الأمراء فى العالمين نصره الغزاة والمجاهدين مقدم المساكر كهف الملة ذخى الدولة ظهير الملوك والسلاطين حسام أمير المؤمنين ٠٠٠ » وعلى ما أوردته فى التنقيف أيضاً فى ألقاب أمير مكة المشرفة .

« المجلس العالى الكبيرى النريفى الحسينى النسبى العالمى المجاهدى المقدمى الأوحدي النصيرى العونى الغيائى الظهيرى الأصيلى العريقى الفلانى عز الاسلام والمسلمين شرف الأمراء الاشراف فى العالمين نصره الغزاة والمجاهدين كهف الملة عون الأمة نحر السلالة الزاهرة زين العترة الطاهرة بهاء العصابة العلوية جمال الطائفة الهاشمية ظهير الملوك والسلاطين نسيب أمير المؤمنين ٠٠٠ » وعلى ما أوردته فى ألقاب أمير آل فضل من عرب الشام . « المحاس العالى الاميرى الكبيرى العالمى المجاهدى المؤيدى الأوحدي النصيرى العونى الهمامى المقدمى الظهيرى الأصيلى الفلانى عز الاسلام والمسلمين شرف أمراء العربان فى العالمين نصره الغزاة والمجاهدين مقدم المساكر كهف الملة ذخى الدولة عماد العرب ظهير الملوك والسلاطين حسام أمير المؤمنين ٠٠٠ » وعلى ما أوردته فى ألقاب نائب الرحبة ومن فى رتبته . « المجلس العالى الاميرى الكبيرى المضدى الذخري النصيرى الأوحدي المؤيدى العونى الهمامى المقدمى الظهيرى الفلانى مجد الاسلام والمسلمين شرف الأمراء المقدمين نصره الغزاة والمجاهدين عضد الملوك والسلاطين ٠٠٠ » وأما ما يكتب عن النواب فتتاله على ما أوردته فى عرف التعريف . « المجلس العالى الاميرى الاسفهلارى الأجلى الكبيرى المجاهدى المؤيدى النصيرى الظهيرى الفلانى مجد الاسلام والمسلمين زين الأمراء المقدمين نصره الغزاة والمجاهدين عضد الملوك والسلاطين ٠٠٠ »

المرتبة الثانية مرتبة « المجلس السامى » بالياء وهى مستعملة فى السلطانيات وما يكتب عن النواب . فأما فى السلطانيات فتتاله على ما أوردته فى التنقيف فى ألقاب الكشاف بالوجهين القبلى والبحري بالديار المصرية « المجلس السامى الاميرى الكبيرى الذخري النصيرى الأوحدي المؤيدى الفلانى مجد الاسلام بهاء الانام شرف الامراء أوحدها المجاهدين عضد الملوك والسلاطين ٠٠٠ » وعلى ما رأيت فى بعض الدساتير لأمير آل مرا من عرب الشام : « المجلس السامى الاميرى الكبيرى المجاهدى المؤيدى المضدى الذخري النصيرى الأوحدي الاصيلى العريقى مجد الاسلام شرف الامراء زين القبائل فخر العشائر ملاذ العرب عضد الملوك والسلاطين ٠٠٠ » وعلى ما ذكره المقر الشهابى بن فضل الله فى بعض دساتيره فى ألقاب تقيب الاشراف « المجلس السامى الاميرى الكبيرى العالمى المجاهدى

المؤيدي الشريف الحسيني النسيبي الذخري الاوحدى الاصلي عز الاسلام زين الانام
نسيب الامام شرف الامراء تقيب النقباء جمال العترة الطاهرة جلال الاسرة الزاهرة ذخر
الغزاة والمجاهدين ظهير الملوك والسلاطين ولى امير المؤمنين . . « وأما ما يكتب عن
النواب فتاله على ما أورده في عرف التعريف « المجلس السامى الاميرى الاجلى الكبيرى
المؤيدى العضدى النصيرى الاوحدى الهامى الفلانى مجد الاسلام زين الامراء فى الانام
ذخر الغزاة والمجاهدين عضد الملوك والسلاطين . . »

المرتبة الثالثة — مرتبة « المجلس السامى » بغير ياء . وهى مستعملة فى السلطانيات
وغيرها . فأما فى السلطانيات فتاله على ما أورده فى التثقيف فى ألقاب الولاية الطليخانات
بالوجهين القبلى والبحرى . « المجلس السامى الامير الاجل الكبير الغازى المجاهد
المؤيد الاوحد المرتضى فلان الدين مجد الاسلام بهاء الانام نحر الامراء زين المجاهدين
عمدة الملوك والسلاطين . . . » وعلى ما رأيت فى بعض الدساتير فى ألقاب النائب بالينبع
« المجلس السامى الامير الاجل المجاهد المؤيد الشريف الحسينى النسيب مجد الاسلام بهاء
الانام زين العترة نحر الاسرة جمال الذرية نحر الشجرة الزكية عمدة الملوك
والسلاطين . . » وعلى ما أورده فى التثقيف فى ألقاب أكابر عربان آل فضل من عرب
الشام . « المجلس السامى الامير الاجل الكبير الغازى المجاهد المؤيد الاوحد الاصيل
فلان الدين مجد الاسلام بهاء الانام نحر القبائل زين العشائر عماد الملوك والسلاطين »
واما ما يكتب عن النواب فتاله على ما أورده فى عرف التعريف « المجلس السامى الامير الاجل
الكبير الغازى المجاهد المؤيد فلان الدين مجد الاسلام زين الامراء فخر الانام ذخر الغزاة
والمجاهدين عضد الملوك والسلاطين . . . »

« الدرجة الرابعة » درجة « مجلس الامير » وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها
فأما فى السلطانيات فتاله على ما أورده فى التثقيف فى ألقاب الولاية العشرات بالوجهين القبلى
والبحرى . « مجلس الامير الاجل الكبير الغازى المجاهد المؤيد الاوحد المرتضى فلان
الدين مجد الامراء زين المجاهدين عمدة الملوك والسلاطين . . » وأما ما يكتب عن النواب
فتاله على ما أورده (الفارقى فى دستوره) « مجلس الامير الاجل الكبير الاخص الاكمل
الغازى المجاهد المرتضى المختار فلان الدين مجد الامراء عمدة الملوك والسلاطين . . »
« الدرجة الخامسة » درجة « الامير » مجردا عن المضاف اليه وهى مستعملة فى
السلطانيات وغيرها . فأما السلطانيات فتاله « الامير الاجل الكبير الغازى فلان الدين . . . »
وأما فى غير السلطانيات فتاله على ما أورده فى التذكرة الآمدية . « الامير الاجل

الاعز الأخص الاكمل فلان الدين . . . »

﴿ النوع الرابع ﴾

ألعاب أرباب الوظائف الدينية وهي على خمس درجات
﴿ الدرجة الاولى ﴾ درجة المقر وهي على ثلاث مراتب مختصة جميعها بما يكتب
عن الثواب دون السلطان

المرتبة الاولى — مرتبة « المقر الشريف » ومثالها على ما رأيت في بعض التواقيع عن
نائب الشام: « المقر الشريف العالي المولوى القاضى الكبيرى العالمى العادلى العريقى الأصيلى
القوامى النظامى العلامى القدوى المقيدى الشينخى الحاكى المحسنى الفلانى جمال الاسلام
والمسلمين سيد الفضلاء العالمين قدوة العلماء فى العالمين لسان المتكلمين برحمان المناظرين
صدر المدرسين جلال الطالبين بركة الملوك والسلاطين خالصة أمير المؤمنين . . . »

المرتبة الثانية — مرتبة « المقر الكريم » ومثالها على ما رأيت في بعض الدساتير
الشامية . « المقر الكريم العالي المولوى القضائى الصاحبى الأمامى العالمى العاملى العلامى
المقيدى الفريدى البدينى الأوحدي المحققى القوامى النظامى العريقى الحاكى المحسنى
الفلانى جمال الاسلام والمسلمين جلال العلماء العالمين قدوة المحققين بركة الملوك والسلاطين . »
المرتبة الثالثة — مرتبة « المقر العالى » ومثالها على ما رأيت في بعض الدساتير الشامية .
« المقر العالى المؤيدى الشينخى الكبيرى الامامى العالمى العلامى المقيدى القدوى الفريدى
المحققى القوامى النظامى الحاكى الفلانى علاه الاسلام والمسلمين أوحداً فضلاء فى العالمين
رحلة الطالبين نجبة المحققين جمال العلماء فى العالمين خالصة الملوك والسلاطين »

﴿ الدرجة الثانية ﴾ — درجة الجباب ، وهي على ثلاث مراتب .

المرتبة الاولى — مرتبة « الجباب الشريف » وهي مختصة بالسلطان . ومثالها على
ما أورده في عرف التعريف : « الجباب الشريف العالى المولوى القضائى السيدى الامامى
العالى العاملى العلامى الكاملى الأصيلى الأوحدي المقيدى القدوى الفريدى التوحبى
المجتهدى الفلانى حجة الاسلام (أو ضياء الاسلام) شرف الأنام أثيراً أمام صدر الشام
سيد العلماء والحكام (ان كان حاكماً) بقية الساف الكرام شيخ المذاهب مجلى الغياهب
قدوة الفرق رئيس الأئمة مفتى السنة مؤيد الملة شمس الشريعة سيف القطر مفيد
الطالبين لسان المتكلمين ولي أمير المؤمنين حكم الملوك والسلاطين . . . »

المرتبة الثانية — مرتبة « الجباب الكريم » وهي مختصة بالسلطانيات أيضاً . ومثالها

على ما رأيت في بعض الدساتير الشامية . « الجنب الكريم العالى المولوي القضاى الكبرى
الصاحى الامامى العالمى الفاضلى الكاملى الأربى اللبى الاصلى العربى القوامى النظامى
الفلانى جمال الاسلام والمسلمين أوحد الفضلاء فى العالمين خالصه الملوك والسلاطين . »

المرتبة الثالثة — مرتبة « الجنب العالى » وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها
فأما فى السلطانيات فناله على ما استقر عليه الحال فى القاب قاضى القضاة الشافعية بالديار
المصرية : الجنب العالى العاضوى الشىخى الكبرى العالمى العالى الافضى الأكملى
الأوحدى البلىنى القربى المفيدى النجيدى الحبى المحقى الورع الحاشى الناسكى
الامامى العلامى الاصلى العربى الحاكى الفلانى جمال الاسلام والمسلمين شرف
العلماء العالمين أوحد الفضلاء المفيدى قدوة البلاء حجة الامة عمدة المحققين فخر
المدرسين مفتى المسلمين جلال الحكام بركة الدولة صدر مصر والشام معز السنة مؤيد
العلة شمس اشريعة رئيس الاصحاب لسان المتكلمين حكم الملوك والسلاطين ولى أمير
المؤمنين . . . » . وأما فى غير السلطانيات فنالها على ما رأيت فى بعض الدساتير الشامية :
« الجنب العالى الشىخى الكبرى العالمى الفاضلى الكاملى الأوحدى الماجدى القوامى
النظامى الفلانى ضياء الاسلام والمسلمين أوحد الفضلاء العارفين جلال الائمة فى
العالمين خالصه الملوك والسلاطين . . . »

« الدرجة الثالثة » — درجة « المجلس » وفيها ثلاث مراتب

المرتبة الأولى — مرتبة « المجلس العالى » . وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .
فأما فى السلطانيات فناله على ما أوردته فى التثقيف . فى القاب قضاة القضاة الثلاثة : الحنبلى
والمالكى والحنبلى بالديار المصرية « المجلس العالى القاضوى الكبرى العالمى العالى
الافضى الأكملى الأوحدى البلىنى القربى النجيدى السدى الحبى المحقى الامامى
الاصلى العربى الحاكى الفلانى جمال الاسلام والمسلمين سيد العلماء العالمين أوحد
الفضلاء المفيدى قدوة البلاء حجة الامة عمدة المحدثين فخر المدرسين مفتى المسلمين
جلال الحكام حكم الملوك والسلاطين . . . »

المرتبة الثانية — « مرتبة المجلس السامى بالبلاء » — وهى مستعملة فى السلطانيات
وغیرها فأما فى السلطانيات فلم يدرها فى التثقيف مثالا ومثالها على ما رأيت فى بعض
التواقيع . « المجلس السامى القضاى الكبرى العالمى الفاضلى الأوحدى الرئيسى المفيدى
البلىنى السدى الأثرى الفلانى مجد الاسلام والمسلمين جمال العلماء العالمين أوحد الفضلاء

صدر المدرسين عمدة المفتين خالصة الملوك والسلاطين . . . «
المرتبة الثالثة — « المجلس السامي بغير ياه » وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها
فأما في السلطانيات فلم يذكر لها في التثقيف مثالا ومثالها على ما رأيت في بعض التواقيع
« المجلس السامي القاضي الأجل الكبير الصدر الرئيس العالم الفاضل الكامل فلان الدين
مجد الصدور زين العباد مرتضى الملوك والسلاطين . . . » وأما في غير السلطانيات فمثالها
على ما أورده في عرف التعريف . « المجلس السامي القاضي الأجل الكبير العالم الفاضل
الكامل الأوحد الأثير البارع فلان الدين مجد الاسلام بهاء الانام نحر الصدور زين الاعيان
مرتضى الدولة صفوة الملوك والسلاطين . . . »

﴿ الدرجة الرابعة ﴾ — درجة « مجلس القاضي » وهي مستعملة في السلطانيات
وغیرها . فأما في السلطانيات فلم يذكر لها في التثقيف مثالا . ومثالها على ما رأيت في
بعض التواقيع . : « مجلس القاضي الأجل الكبير العالم الفاضل الأوحد الكامل الصدر
الرئيس مجد الاسلام بهاء الانام زين الاعيان نحر الصدور مرتضى الملوك والسلاطين . . . »
وأما في غير السلطانيات فعلى نحو من ذلك

﴿ الدرجة الخامسة ﴾ — درجة (القاضي) وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها .
ومثالها فيهما . « القاضي الأجل . . . » وربما زيد . الكبير الصدر الرئيس ، ونحو ذلك

﴿ النوع الخامس ﴾

ألقاب أرباب الوظائف الديوانية وهي أيضاً على خمس درجات .
﴿ الدرجة الأولى ﴾ — « درجة المقر » وهي مختصة بغير السلطانيات مما يكتب عن
النواب ومن في معناهم ولها ثلاث مراتب .

المرتبة الأولى — مرتبة « المقر الشريف » . ومثالها على ما أورده في عرف التعريف
في ألقاب الوزراء من أرباب الاقلام : « المقر الشريف العالي المولوى الصاحبى الوزيرى
المتقدمى العالمى المهدي العونى اليبائى جلال الاسلام والسلمين سيد الوزراء فى العالمين
رئيس الاصحاب قوام الامة نظام الملة مدر الدولة ذخر الممالك طهير الملوك والسلاطين
ولى أمير المؤمنين . . . » . ومثالها على ما رأيت في بعض الدساتير الشامية في ألقاب
كاتب السر بالشام : « المقر الشريف العالي المولوى العاضوى الكبيرى العالمى العاملى
العلامى الاكلى الأفضلى الأصيلى العربى المدبرى المشيرى اليمينى السفيرى القلانى ضياء
الاسلام والمسلمين سيد العلماء والرؤساء فى العالمين رئيس الاصحاب كهف الكتاب حسنة الايام

بقية السلف الحكام صدر مصر والشام لسان السلطنة سفير المملكة مشير الملوك والسلطين ولي أمير المؤمنين ... »

المرتبة الثانية — مرتبة « المقر الكريم » — قال في عرف التعريف . والالعب فيها من نسبة ما تقدم في القاب « المقر الشريف » ومثالها على ما أورده الصلاح الصفدي في دستوره عن نائب الشام : « المقر الكريم العالي المولوي القضائي العالمي القوامي النظامي المدبري المشيري الملاذى الفلاني جلال الاسلام والمسلمين سيد الاكابر في العالمين عون الامة ذخر الملة مدير الدول جمال الممالك حسنة الوجود خالصة الملوك والسلطين ... »

المرتبة الثالثة — مرتبة « المقر العالي » قال في عرف التعريف . وهي من نسبة ما تقدم من القاب المقر الشريف أيضاً

﴿ الدرجة الثانية ﴾ — درجة « الجنب » وفيها ثلاث مراتب .

المرتبة الاولى — مرتبة « الجنب الشريف » وهي مختصة بما يكتب عن النواب دون السلطانيات . قال في عرف التعريف . وهي من نسبة ما تقدم في « المقر الشريف » أيضاً . وهي على ما أورده الصلاح الصفدي في دستوره عن نائب الشام لبعض كتاب الدست « الجنب الكريم العالي المولوي القضائي الكبير العالمي العامل البارعي الكامل المؤيدي القوامي النظامي الرئيسي الاصيلي الريقي الاوحدى الفلاني جلال الاسلام والمسلمين أوجد الرؤساء في العالمين تاج الفضلاء المنشئين جهبذ الخذاق المتصرفين خالصة الملوك والسلطين »

المرتبة الثالثة — مرتبة « الجنب العالي » وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها . نأما في السلطانيات فتألف على ما أورده في التثقيف في القاب الوزارة بالديار المصرية . « الجنب العالي الصاحبى الكبيرى العالمى العادلى الاوحدى الاكلى القوامى النظامى الاثيرى البايئى المنقذى المسددى المتصرفى الممهدى العونى المدبرى المشيرى الوزيرى الفلانى صلاح الاسلام والمسلمين سيد الوزراء فى العالمين رئيس الكبراء كبير الرؤساء أوجد الاصحاب ملاذ الكتاب قوام الدول نظام الملك مفيد المناجيج معتمد المصالح مرتب الحياوش عماد الملة عون الامة مشير الملوك والسلطين ولي أمير المؤمنين » وأما فى غير السلطانيات فتألف على ما رأيت فى بعض الدساتير عن نائب الشام فكانت صيغته . « الجنب العالي القضائى الكبيرى العالمى الفاضلى الاكلى البارعى الاوحدى القوامى النظامى المفوهى الرئيسى الماجدى الفلانى مجد الاسلام والمسلمين شرف الرؤساء فى العالمين أوجد الفضلاء الماجدين قدوة البلماء جمال الكتاب زين المنشئين

خالصة الملوك والسلاطين ٠٠٠»

﴿ الدرجة الثالثة ﴾ — درجة المجلس ٠ وفيها ثلاث مراتب ٠

المرتبة الاولى — مرتبة « المجلس العالي » . وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها .
فأما في السلطانيات فنراها على ما أورده في التتيف في ألعاب كانت السر بالابواب
السلطانية : « المجلس العالي الفاضل الكبيرى العالمى العادلى العلائى الأفضلى الأكملى
البليدى المسددى المنفذى المشيدى العونى المشيرى العيىنى السفيرى الأصلى العريقى الفلانى
صلاح الاسلام والمسلمين سيد الرؤساء فى العالمين قدوة العلماء العالمين جمال البلغاء أوحد
الفضلاء جلال الاصحاب كهف الكتاب بين المملكة لسان السلطنة سنير الأمة سليل
الأكابر مشير الملوك والسلاطين ولي أمير المؤمنين ٠٠٠ » وعلى ما أورده فيه أيضاً في
ألقاب ناظر الحاص : « المجلس العالى الفاضل الكبيرى العالمى الفاضلى الأوحدى
الأكملى الرئيسى البايى البارعى القوامى النظامى الماجدى الأثيرى المنفذى المسددى
المتصرفى الفلانى جمال الاسلام والمسلمين سيد الرؤساء فى العالمين فوام المصالح نظام المتاح
جلال الأكابر قدوة الكتاب رئيس الاصحاب عماد الأمة صفوة الدولة خالصة الملوك
والسلاطين ولي أمير المؤمنين ٠٠٠ » . وعلى ما أورده فيه في ألقاب وزير دمشق إذا
صرح له بالوزارة : « المجلس العالى الصاحبى الوزرى الأصبى الكبيرى العالمى العادلى
الأوحدى القوامى النظامى المؤيدى الماجدى الأثيرى المشيرى الفلانى صلاح الاسلام
والمسلمين سيد الوزراء فى العالمين رئيس الكبراء كبير الرؤساء بقية الاصحاب . لاذ الكتاب
عماد الأمة خالصة الدولة مشير الملوك والسلاطين خالصة أمير المؤمنين » وعلى ما أورده في
ألقابها إذ لم يصرح له بالوزارة بل كان ناظر النظار بالمملكة الشامية : « المجلس العالى
الفضلى الكبيرى العالمى العادلى الأوحدى الرئيسى الأثيرى القوامى المنفذى المتصرفى الفلانى
مجد الاسلام والمسلمين شرف الأئمة فى العالمين أوحد الفضلاء حلال الكبراء حجة
الكتاب صفوة الملوك والسلاطين خالصة أمير المؤمنين ٠٠ » . وأما في غير السلطانيات فنراها
على ما أورده في التذكرة الآمدية في بعض التوايع كتابة لدست الشام « المجلس العالى
الفضلى الأجل الكبيرى الرئيسى العالمى العادلى البارعى "الأوحدى الماجدى الأثيرى
الأئبلى الأفضلى الأصلى الفلانى مجد الامام بهاء الامام شرف الرؤساء أوحد الكبراء
صدر الأعيان جمال الكتاب صفوة الدولة خالصة الملوك والسلاطين ٠٠٠ » .

المرتبة الثانية — مرتبة « المجلس السامى » نالياء ٠ وهي مستعملة في السلطانيات
وغیرها فأما في السلطانيات فلم يذكر لها مثالا في التتيف ٠ ومثلها على ما رأيت في بعض

التواقيع : « المجلس السامي القضائي الأجل الكيبري العالمي الفاضلي الكامل الرئيسي الأوحدي الاصيل الاثيري الفلاني مجد الاسلام شرف الرؤساء نخر الانام زين الباناء جمال المضلاء أوحد الكتاب نخر الحساب صفوة الملوك والسلاطين . . » وأما في غير السلطانيات فلم يذكر لها مثالا في التثقيف . ومثالها على ما رأته في التذكرة الآمدية في توقيع بكتابة الدرج : « المجلس السامي القضائي الأجل الكيبري العالمي الفاضلي الكامل البليني الرئيسي الفلاني مجد الاسلام شرف الرؤساء أوحد الكتاب جمال الباناء مرتضى الملوك والسلاطين . »

المرتبة الثالثة — مرتبة « المجلس السامي » بغير ياء . وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها . فأما في السلطانيات فلم يذكر لها صورة في التثقيف ايضاً ومثالها على ما رأته في التذكرة الآمدية في توقيع بكتابة الدرج : « المجلس السامي القاض الاجل الكيبر الصدر الرئيس الاوحد البارع الكامل الاصيل الفاضل فلان الدين جمال الاسلام بهاء الانام شرف الاكابر زين الرؤساء أوحد الفضلاء نخر الكتاب صفو الملوك والسلاطين . . » وأما في غير السلطانيات فمثالها على ما رأته في التذكرة الآمدية في توقيع بكتابة الدرج ايضاً : « المجلس السامي القاضي الاجل الكيبر الفاضل البارع الكامل الاوحد الرئيس الاثير فلان الدين مجد الاسلام شرف الصدور أوحد الفضلاء زين الكتاب صفوة الملوك والسلاطين . . »

﴿ الدرجة الرابعة ﴾ درجة « مجلس القاضي » — وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها . فأما في السلطانيات فلم يورد لها في التثقيف مثالا ومثالها على ما يقتضيه اصطلاح الديوان : « مجلس القاضي الاجل الكيبر الفاضل الاوحد الاثير الرئيس البليغ فلان الدين مجد الاسلام بهاء الانام شرف الرؤساء زين الكتاب مرتضى الملوك والسلاطين . . » وأما في غير السلطانيات فعلى نحو من ذلك

﴿ الدرجة الخامسة ﴾ درجة « القاضي » وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها . ومثالها فيهما : « القاضي الاجل ، وربما زيد : الكيبر ، الصدر الرئيس . ونحو ذلك »

﴿ النوع السادس ﴾

لباب متايخ الصوفية وأهل الصلاح وهي خمس درجات :

الدرجة الاولى ﴿ درجة المهر — وهي مخصصة بما يكتب عن النواب دون السلطانيات وفيها ثلاث مراتب :

المرتبة الاولى — مرتبة « المقر الشريف » . ومثالها على ما رأته في بعض الدساير 'مقر الشريف العالي المولوي الشيجي السيدي الامامي العالم الفاضل الورعي الزاهدي

العابدي الناسكي السالكي الحاشي المسلمي المحقق المدقق الفلاني صلاح الاسلام والمسلمين
جمال الاصفياء العاملين خالصة الانام صفوة الاتقياء قطب العباد الملك على الحقيقة والملك
أزمة الطريقة بقية السلف قدوة الخلف مفيد الطالبين أو حد المحققين ركن الملوك والسلاطين
ولى أمير المؤمنين . . » على أن الاحسن أن يقال بركة الملوك بدل ركن الملوك

المرتبة الثانية - مرتبة « المقر الكريم » . وألقابها من نسبة ألقاب المقر الشريف

المرتبة الثالثة - مرتبة « المقر العالى » . وألقابها من نسبة ما تقدم

﴿ الدرجة الثانية ﴾ - درجة « الجنب » وفيها ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى - مرتبة « الجنب الشريف » . وهي مختصة بما يكتب عن النواب

دون السلطانيات (ومثالها الجنب العالى المولوى الشيخى الامامى العالى الكاملى الفاضلى

الزاهدى العابدى الحاشى الناسكى الورعى الزاهدى جلال الاسلام سيف الانام قطب

الزهاد علم العباد أو حد الناسكين فريد السالكين بركة الملوك والسلاطين . . .)

(المرتبة الثانية - مرتبة « الجنب الكريم » - وهي مختصة بما يكتب عن النواب

دون السلطانيات أيضاً) . ومثالها على ما رأيت في بعض التواقيع عن نائب الشام : « الجنب

الكريم العالى الشيخى العالى العاملى العلامى الأوحدي القدوى العابدى الناسكى الحاشى

المسلمى المربى الربانى الاصيلى الفلانى مجد الاسلام حسنة الايام قدوة الزهاد ملاذ العباد

جمال الورعين مربى المريدين أو حد السالكين خلف الاولياء بركة الملوك والسلاطين . . »

المرتبة الثالثة - مرتبة الجنب الكريم . ومثالها على ما رأيت في بعض التواقيع عن

نائب الشام : « الجنب العالى الشيخى العالى العاملى الاوحدي العابدى الناسكى الورعى الزاهدى

الحاشى المسلمى الاصيلى الفلانى مجد الاسلام بهاء الانام قدوة العباد جمال الزهاد أوحد

المسلكين بركة الملوك والسلاطين . . »

(الدرجة الثالثة) - درجة « المجلس » . وفيها ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى - مرتبة « المجلس العالى » وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها

فأما في السلطانيات فمثاله على ما أورده في التثقيف في ألعاب شيخ الشيوخ بخانقاه سرياقوس

« المجلس العالى الشيخى الكبرى العالى العاملى السالكي الاوحدي الزاهدى العابدى

الحاشى الناسكى المفيدى القدوى الامامى النظامى الملاذى جلال الاسلام والمسلمين شرف

الصلحاء في العائنين شيخ شيوخ الاسلام أوحد العلماء في الانام قدوة السالكين بركة الملوك

والسلاطين . . » . وأما في غير السلطانيات فمثاله على ما أورده في عرف التعريف : « المجلس

العالى الشيخى الاجلى الامامى العالى العاملى الزاهدى العابدى الورعى الحاشى الناسكى القدوى

الفلافي خيرة الاسلام شرف الانام زين العباد نور الزهاد ذخر الطالبين كنز التي ملجأ
المردين بركة الملوك والسلاطين . . . »

المرتبة الثانية — مرتبة « المجلس السامي » بالياء وهي مستعملة في السلطانيات
وغيرها فأما في السلطانيات فناله على ما أورده في الثقيف في ألعاب الشيخ شمس الدين
الطوطي من كان يكتب اليه قديما : « المجلس السامي الشيخي الأجلي العالمي العاملي الكامل
الفاضل الزاهدي الورعي العابد الحاشي الناسكي القدوى الاوحدى الفلافي مجد الاسلام
بهاء الانام بقية الساف الكرام فخر الصالحاء اوحد الكبراء زين الزهاد عماد العباد قدوة
المتورعين ذخر الدول ركن الملوك والسلاطين . . . » وأما في غير السلطانيات فناله على
ما ذكره اقر الشهابي بن فضل الله في توقيع عن نائب الشام : « المجلس السامي الاثامي
العالمي السامي الحاشي الورعي الناسكي السالكي العارفي القدوى البليغي الاصيلي الشيخي
الفلافي مجد الاسلام شرف العاماء قدوة الفضلاء فخر الصالحاء جمال النساك قدوة السالك
اوحد العارفين بركة الملوك والسلاطين . . . »

المرتبة الثالثة — مرتبة « المجلس السامي » بغير ياء — وهي مستعملة في السلطانيات
وغيرها . فأما في السلطانيات فنالها على ما رأيت في بعض التواتيع الشريفة . المجلس
السامي الشيخ الصالح الراهد العابد الورع الخاشع الناسك السالك فلان الدين مجد الصالحاء
زين المشايخ قدوة السالكين بركة الملوك والسلاطين . وأما في غير السلطانيات فالعابها على
نحو من ذلك

« الدرجة الرابعة » — درجة « مجلس الشيخ » وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها .
ومثالها فيهما : مجلس الشيخ الصالح العابد الزاهد الناسك السالك فلان الدين مجد الصالحاء
زين المشايخ بركة الملوك والسلاطين .

« الدرجة الخامسة » — درجة الشيخ — وهي « الشيخ الصالح الورع الزاهد . . . »
ونحو ذلك . . .

* (النوع السابع) *

« ب » نجار خوجكية . وفيه ثلاث درجات :

« درجة الأولى » — درجة الخُباب . ولم أرفها غير مرتبة الخُباب العالي . فيما
عد السعديت . وهما على ما رأيت في بعض لداير الشامية : الخُباب العالي الصدري
الكبيرى خُترمي أو تمني الاوحدى الاكلمي الرئيسي العارفي المقربي الخواجكي الفلافي

مجد الاسلام والمسلمين شرف الاكابر في العالمين أوحد الامناء المقربين صدر الرؤساء
رأس الصدور عين الاعيان كبير الخواجكية ثقة الدولة مؤتمن الملوك والسلاطين . .

﴿ الدرجة الثانية ﴾ درجة « المجلس » . وفيها ثلاث مراتب :

المرتبة الاولى - مرتبة « المجلس العالي » . وهي مختصة بغير السلطانيات . ومثالها على
ما رأيت في بعض الدساتير الشامية : « المجلس العالي الصدري الرئيسي الكبير المحترمي
المؤتمن الاوحدي الاكمل المقرب الخواجكي الفلاني مجد الاسلام شرف الاكابر أوحد
الامناء صدر الرؤساء زين الاعيان ثقة الدول مؤتمن الملوك والسلاطين . . . »

الرتبة الثانية - مرتبة « المجلس السامي » بالياء . وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها
فأما في السلطانيات فمثالها على ما ذكره في التثقيف في ألقاب خواجا عساف بن مسافر
ونظام الدين الاسعدي : المجلس السامي الصدري الكبير الكامل الماجدي الأوحد
المقرب المنتخبي الأمين الأثيري الخواجكي الفلان مجد الاسلام زين الانام شرف الرؤساء
أوحد الكبراء تاج الامناء نحر الاعيان مقرب الحضرتين مؤتمن الدول صفوة الملوك
والسلاطين . . . » وأما في غير السلطانيات فعلى نحو من ذلك

المرتبة الثالثة - مرتبة المجلس السامي ، بغير ياء . وهي مستعملة في السلطانيات
وغیرها . فأما في السلطانيات فمثالها على ما أورده في التثقيف في ألقاب بعض الخواجكية :
المجلس السامي الصدر الأجل الكبير الكامل الماجد الاوحد المقرب المنتخب الامين
الأثير الخواجه فلان الدين مجد الرؤساء زين الاكابر نحر الصدور جمال الاعيان مقرب
الدولة صفوة الملوك والسلاطين . . . » وأما في غير السلطانيات فقريب من ذلك

﴿ الدرجة الثالثة ﴾ درجة الصدر . وصورتها في السلطانيات : الصدر الأجل
الكبير المحترم المقرب الأوحد فلان الدين . وفي غير السلطانيات على نحو ذلك

﴿ النوع الثامن ﴾

ألقاب أرباب الصناعات كرياضة الطب ورياضة الكحابين ورياضة الجرائحية
ونحو ذلك وفيها درجتان

﴿ الدرجة الأولى ﴾ درجة المجلس . وفيها ثلاث مراتب :

المرتبة الاولى - مرتبة المجلس العالي ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها فأما
في السلطانيات فكألقاب رئيس الأطباء وهي : المجلس العالي القضائي العالمي القاضي
الكامل الأوحد الفلاني جمال الاسلام والمسلمين سيد الرؤساء في العالمين أوحد الفضلاء

لمقربين خالصة الملوك والسلاطين وأما في غير السلطانيات فعلي نحو من ذلك
المرتبة الثانية — مرتبة المجلس السامي ' بغير ياء وهي مستعملة في السلطانيات
وغيرها . فأما في السلطانيات فنثاله : المجلس السامي الصدري الاجلي الكبيرى الرئيسى
الغلامي وأما في غير السلطانيات فكذلك أو قريب منه

المرتبة الثالثة — المجلس السامي ' بغير ياء . وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها .
ومثالها فهما : المجلس السامى الصدر الاجل الكبير الرئيس المحترم ونحو ذلك
﴿ الدرجة الثانية ﴾ درجة الصدر ' وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها .
ومثالها فهما « الصدر الأجل » — فأن زيد في رعايته قيل — الكبير المحترم . . . »

﴿ النوع التاسع ﴾

(ألقاب الحاشية السلطانية كتهنئة البيوت ومهندس العمائر وغيرهم وفيها درجتان :
الاولى مجلس الصدر ' وصورتها في السلطانيات وغيرها : مجلس الصدر الأجل الكبير
المحترم المؤمن فلان الدين . الثانية : الصدر ' وصورتها في الخاتين الصدر الأجل ' فأن
ازيد قيل بعد ذلك ' الكبير المحترم)

﴿ النوع العاشر ﴾

ألقاب النساء مما يصدر بالجهة والدار ونحوهما . وفيها مرتبتان
المرتبة الأولى — « مرتبة الجهة الشريفة » ومثالها على ما ذكره في التثقيف في
ألقاب بنت الناصر محمد بن قلاوون عن والدها المذكور : « الجهة الشريفة الدالية المحجبة
المصونة الولدية عصمة الدين جلال النساء شرف الخواتين سليمة الملوك والسلاطين . . . »
وعلى ما أورده في التثقيف أيضاً في ألقاب أم آنوك زوجة الملك الناصر بن قلاوون أيضاً :
« الجهة الشريفة العالية المحجبة المصونة الكبرى خوند خاتون جلال النساء في العالمين
سيدة الخواتين قرينة الملوك والسلاطين . . . وعلى ما أورده في ألقاب الست حدق :
« الجهة الشريفة العالية الكبيرة المحجبة المصونة الحاجية الوالدية جلال النساء في العالمين
بركة الدولة والدة الملوك والسلاطين . . . » وعلى ما رأيت في بعض الدساتير في ألقاب
والدة المر الأشرف : « الجهة الشريفة المحجبة العصمى الخاتون جلال النساء في العالمين
سيدة الخواتين جميلة المحجبات جميلة المصونات والدة الملوك والسلاطين . . . »

المرتبة الثانية — مرتبة « الجهة الكريمة » ومثالها على ما أورده في التثقيف في
ألقاب دلشاه زهـح الشيخ حسن الكبير صاحب بغداد « الجهة الكريمة المحجبة المصونة

العصية الخاتونية المعظمة سيدة الخواتين زينة النساء في العالمين جميلة المحجبات جليلة
المصونات قرينة الملوك والسلاطين . . . »

﴿ النوع الحادى عشر ﴾

ألعاب بطاركة النصارى . وصورتها على ما أووده في التثيف في ألقاب الباب برومية
« الباب الجليل القديس الروحاني الحاشع العامل بابا رومية عظيم الملة المسيحية قدوة
الطوائف العيسوية تملك ملوك النصرانية حافظ البحار والحاجان ملاذالبطاركة والأساقفة
والقسوس والرهبان تالي الانجيل معرف طاقته التحريم والتحليل صديق الملوك والسلاطين . . . »
وعلى ما ذكره في التثيف أيضاً في ألقاب البطريرك بالديار المصرية : « البطريرك الجليل
المديس الحاشع قدوة النصرانية . . . ثم قال - ومن نسبة ذلك . وعلى ما رأته في
بعض الدساتير الشامية عن نائب الشام : البطريرك المحترم المبجل العارف الخبر فلان
العالم بأوردينه المعلم لأهل مانه ذخر الملة المسيحية كنز الطاقة العيسوية المشكور بفعله
عند الملوك والسلاطين

﴿ النوع الثاني عشر ﴾

ألعاب رؤساء اليهود . وصورتها على ما رأته في بعض الدساتير : الرئيس الأوحد
الأجل الكبير شرف الطاقة الاسرائيلية فلان . . .

﴿ النوع الثالث عشر ﴾

ألقاب ملوك غير الاسلام وهي محتصة بألقاب النصرانية اذ لم يكن ملوك غير الاسلام
يكاتبون عن الأبواب السطانية الآن الا منهم بخلاف اليهود فانه لم يبق لهم مملكة في الدنيا
ضربت عليهم الذلة أينما تقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس . وهي على ستة أضرب .
﴿ الضرب الاول ﴾ ما يصدر بالحضرة كالحضرة العالية ، أو العلية . أو السامية ،
أو المكرمة أو البوقرة ، وما أشبه ذلك . مثال ذلك ما أورده في التعريف في ألقاب
ملك القسطنطينية « الحضرة العالية المكرمة حضرة الملك الجليل الخطير الهمام الأسد
المنفرا لباسل الضرغام المعرق الأصيل الممجد الأثيل البالوغوس الريد راغون صابط
المملكة الرومية جامع البلاد الساحلية وارث القياصرة القدماء محيي طرق الفلاسفة والحكام
العالم بأمر دينه العادل في مملكه معز النصرانية مؤيد المسيحية أوحد الملوك العيسوية
مخول التخوت والتيجان حامي البحار والحاجان ملاك ملوك السريان عماد بني المعمودية
رضي اليا بيا رومية ثقة الأصدقاء صديق المسلمين اسوة الملوك والسلاطين فلان . . . »

﴿الضرب الثاني﴾ ما يصدر بحضرة مع الاضافة . مثاله ما أورده في التثقيف في ألقاب ملك السرب والبلغار : حضرة الملك الجليل المكرم المبجل الهمام الضرغام الباسل الدوقس الأنجالوس الكمنوس فلان عماد النصرانية ملك السرب والبلغار نجر الملة العيسوية عماد بني المعمودية جمال الطاهتين الرومية والفرنجية ملك متفراج وارث التاج معز الباب ..

﴿الضرب الثالث﴾ - ما يصدر بالملك وما في معناه ومثاله على ما ذكره في التثقيف في ألقاب ملك الحبشة : الملك الجليل المكرم الخطير الأسد الضرغام الباسل فلان العالم في ملته العادل في مملكته حظي ملك أنجرا أكبر ملوك الحبشان نجاشي عصره سند الملة المسيحية عضد دين النصرانية عماد بني المعمودية صديق الملوك والسلاطين . . .

﴿الضرب الرابع﴾ - القاب النساء القائمات بالملك عنهم . ومثاله على ما ورد في التثقيف في ألقاب ملكة أريد (في الصبح : بابل) : الملكة الجليظة المكرمة المبجلة الموقرة المفخمة المعززة فلانة العالمة في ملتها العادلة في مملكتها كبيرة دين النصرانية نصيرة الملة العيسوية حامية الثغور صديقة الملوك والسلاطين

﴿الضرب الخامس﴾ ألقاب نواب ملوكهم ومثاله على ما أورده في التثقيف في ألقاب النائب بدقلة ، النائب الجليل المبجل الموقر الاسد الباسل لان مجد الملة المسيحية كبير الطائفة الصليبية غرس الملوك والسلاطين .

﴿الضرب السادس﴾ ألقاب قناصة الفرنج ونحوهم . ومثاله على ما رأيت في بعض الدساتير الشامية في ألقاب ابراهيم كرى ، المحتشم الكبير المحول الأسد الهمام الفضنفر مواد المسلمين . تتبع الحواريين جمال العيسوية أوحد بني المعمودية صاحب الملوك والسلاطين .

— المقصد التاسع —

وهو نوعان - ﴿النوع الاول﴾

في ذكر اصول يعتمدها الكاتب في ترتيب الالقاب والمناسبة بين الفروع والاصول من الألقاب وهي ثلاثة اصول .

الاول - ان يعرف رفيع الالقاب ومنحطها ليلحق كل واحد منها بما يناسبها من الاصول كأخاق العالى والعادى ومهد الدول ومشيد الممالك وما شاكل ذلك بالمقر الشريف والمقر الكريم والمقر العالى والجناب الكريم ، وكأخاق المضد والذخر وما أشبههما بالسامي بغير الباء فما دونه

الثاني - ان يعرف ماهو من الالقاب حقيقى لصاحب ذلك اللقب كالعالمى للعلماء
والعابدى لاهل الصلاح فلا يهمله بحال، وما هو منها مجازى كالعالمى لأرباب السيوف
وأرباب الوظائف الديوانية حيث لا اتصاف لصاحب اللقب بالعلم، وكالاصيلى لمن
ليس له آباء فى الرياضة ولا عراقة فى النسب ونحو ذلك

الثالث - ان يعرف الالقاب الخاصة ببعض دون بعض كالشريفى والحسيبى والنسيبى
للاشراف اولاد على من فاطمة رضى الله عنهما، والكافى لثائب سلطنة او وزير كبير،
والمديرى للوزير ونحوه من ناظر الخاص ومن فى معناه، والمشيرى لمن يؤخذ رأيه من
أكبر ارباب السيوف والاقلام، والسفيرى للحاجب والدوادار وكاتب السر،
والعريقى لذى العراقة فى النسب، والاصيلى لمن له ثلاثة آباء فى الرياضة ابن عن أب
عن جد؛ وكذلك النعوت كوالد الملوك والسلاطين للامراء ونحوهم، وكافل الممالك
لثائب الكافل، وسفير الدولة ولسان المملكة للدوادار وكاتب السر، ويمين الملوك
والسلاطين لهما أيضاً. ومرتب الجيوش لناظر الجيش، ووالدة الملوك والسلاطين من
النساء لمن يكون من اولاهاملك، وكريمة الماوث والسلاطين لمن يكون من اخوتها ملك،
وقرينة الملوك والسلاطين لمن تكون زوجة ملك، وصديق الملوك والسلاطين الملوك النصارى،
وعزيز الملوك والسلاطين لنوابهم، وحامى البحار والخليجان لملوك جزائر البحر ومن
فى معنهم وما يجرى هذا المجرى. ويخص كلا منهم بلقبه اللائق به

﴿ النوع الثانى ١ ﴾

فى ذكر ألقاب تقع على أشياء متفرقة قد جرت فى عرف الكتاب وهو على ضربين
﴿ الضرب الاول ﴾ ما يجرى من ذلك مجرى التشريف وهو على أصناف: أحدها
ما يوصف بالعزيز كالكتاب بمعنى القرآن فيقال فيه: الكتاب العزيز. وربما قصد بذلك
الديوان أيضاً فيقال فى ديوان الخلافة: الديوان العزيز. الثانى ما يوصف بالشرف
كالمصحف والعلم فيقال فى المصحف: المصحف الشريف وفى العلم: العلم الشريف، وكذا

(١) قسم المؤلف هذا الباب الى تسعة مقاصد، أورد ثمانية منها بترتيبها وجعل
التاسع نوعاً من أنواع مقاصده. وذكر فى أول الباب ان أنواعه ثلاثة عشر ثم سردها خمسة عشر
فجعلنا الرابع عشر هو المقصد التاسع، والخامس عشر نوعاً منه لتوفق تقسيمه

في الاماكن كمكة والمدينة والقدس فيقال : مكة المشرفة والمدينة الشريفة والقدس الشريف ، ويقال أيضا لكل من حرم مكة والقدس : الشريف ، فأن جماعيل : الحرمان الشريفان . وربما أطلقا في عرف الكتاب أيضا على القدس ومقام الخليل عليه السلام فيقال فيهما : الحرمان الشريفان . وهو مراد المقر الشهابي بن فضل الله في كتابه التعريف في قسم الوصايا بقوله « وصية ناظر الحرمين الشريفين » . وقد اصطلح كتاب الزمان على ان يصفوا أكثر ما يضاف الى السلطان بالشرف فيقولون : عهد شريف ، وتقليد شريف ، وتوقيع شريف ، ومرسوم شريف ، ومثال شريف ، وتذكرة شريفة ونحو ذلك * الثالث ما يوصف بالكرم فيقال : القرآن الكريم . وقد اصطلح كتاب الزمان على ان يصفوا ما يصدر عن دون السلطان من نواب السلطنة ونحوهم بالكريم فيقال : توقيع كريم ، ومرسوم كريم ، وتذكرة كريمة ، وما أشبه ذلك وقد توصف به المكاتبه أيضا فيقال : مكاتبه كريمة . وقد ورد في القرآن « انه لقرآن كريم » * الرابع ما يوصف بالعلو وهو في معنى الكريم في اصطلاحهم فيقال : توقيع عال ومرسوم عال ونحو ذلك ، وقد يوصف به الرأي فيقال : الرأي العالی ، وربما وصف به الامر فيقال : الامر العالی فيمن دون السلطان . وربما وصف به أمر السلطان أيضا مثل كتابة الوزير على المراءيم السلطانية : « يمثل الامر العالی » * الخامس ما يوصف بالسعادة كالرأي فيقال : الرأي السعيد والآراء السعيدة * السادس ما يوصف بالبركة كالكعب فيقال : كعب مبارك ؛ وقد يوصف بذلك المنزل فيقال : منزل مبارك ، والصبح والمساء فيقال : صباح مبارك ومساء مبارك ؛ وقد يوصف به الامر فيقال : يتقدم أمره المبارك ، وكذلك المكاتبه فيقال : وردت مكاتبته المباركة ونحو ذلك

(الضرب الثاني) ما يجري من ذلك مجرى التفاؤل . وهو على أصناف : أحدها ما يوصف بالانصر كالجيوش والعساكر والقلاع والبريد ونحو ذلك فيقال : الجيوش المنصورة والبريد المنصور * الثاني ما يوصف بالحراسة كالمدين والثغور فيقال في المدين : معسر المحروسة ، والقاهرة المحروسة ، ودمشق المحروسة ونحو ذلك في الثغور فيقال : ثغر الاسكندرية المحروس وما أشبه ذلك * الثالث ما يوصف بالعمارة كالداوين وهي الامكنة التي يجلس فيها الكتاب على ما تقدم ذكره فيقال الديوان المعبور والداوين المعبورة *

الرابع ما يوصف بالسعادة كالذواوين أيضاً فيقال: الديوان السعيد والذواوين السعيدة *
 الخامس ما يوصف بالقبول كالضحايا فيقال: الضحية المقبولة والضحايا المقبولة *
 السادس ما يوصف بالبرّ كالصدقة والأجاس فيقال: الصدقة المبرورة؛ وربما وصف
 بذلك الرزقة وهي قطعة الأرض تفرد للشخص فيستغلها برّاً له فيقال الرزقة المبرورة *
 السابع ما يوصف بالخذلان كالمندو فيقال: المندو المخذول على الاجمال، وفلان المخذول،
 بصريح اسمه، وأهل الكفر المخذولين

❦ الباب الثاني ❦

من المقالة الثالثة في الفواتح والخواتم والواحق وفيه ثلاثة نصول

❦ الفصل الاول ❦

في الفواتح وهي خمس فواتح تقع في أول الكلام:

❦ الفاتحة الاولى ❦ البسمة في أول الكتاب — والأصل فيها ان قریشا كانت
 تكتب في أول كتبها: باسمك اللهم . والسبب في افتتاحهم بذلك ما حكاه المسعودي
 في مروج الذهب عن جماعة من أهل المعرفة بأيام الناس وأخبار من سلف ان أمية
 ابن ابي الصلت الثقفي خرج الى الشام في نفر من ثقيف وقریش وغيرهم فلما قفلوا
 راجعين نزلوا وادبها فلما جلسوا للطعام ابتدرت حبة صغيرة حتى دنت منهم فخصبها
 بعضهم بحجر في وجهها فرجعت فشددوا سفرتهم ثم قاموا وارتحلوا من منزلهم . فلما
 برزوا من المنزل أشرفت عليهم عجوز من كثيب رمل متوكئة على عصا فقالت: ما
 منعكم ان تطعموا رحيبة اليتيمة الصغيرة التي باتت لطعامكم عليلة؟ قالوا: وما أنت؟
 قالت: أم العوام، أرملت منذ أعوام، اما ورب العباد، اتفرقت في البلاد. ثم ضربت
 بعصاها الأرض وأثارت بها الرمل وقالت: أطبل إياهم، وفرقي ركابهم. فوثبت الأبل
 كأن على ذروة كل منها شيطاناً ما يملكون منها شيئاً حتى افرقت في الوادي. فجمعوها
 من آخر النهار الى غدوة . فعلت ذلك بهم ثلاث مرات في ثلاثة أيام. فقالوا لأمية
 ابن ابي الصلت: أين ما كنت تخبرنا به عن نفسك وعذك؟ فتوجه الى الكثيب التي
 كانت تأتي منه العجوز حتى هبط من ثنيته الأخرى وصعد كثيباً آخر، ثم هبط منه

فرقت له كنيسة فيها قناديل ورجل معترض مضطجع على بابها ، واذا رجل جالس أبيض الرأس واللحية ، قال أمية ، فلما وقفت قال لي : ما حاجتك ؟ فحدثته حديث العجوز فقال : هي امرأة يهودية هلك زوجها منذ عام ، وانها لن تزال تفعل بكم ذلك حتى تمها بكم ان استطاعت . قال ، فقلت له فما الحيلة ؟ قال اجعوا ظهركم فإذا جاء تكم وقلات ما كانت تفعل فقولوا لها سبعا من فوق وسبعا من أسفل : باسمك اللهم ، فأنها لن تضركم . فرجع أمية الى أصحابه وأخبرهم بذلك وجاءتهم العجوز ففعلوا ذلك فلم تضرهم . فلما رأت العجوز الابل لا تتحرك قالت : قد علمكم صاحبكم ؟ ليبيضن الله أعلاه ، وليسودن أسفله ؛ وساروا ، فلما أدركهم الصبح نظروا الى أمية قد برص في غرته ورقبته وصدره ، واسود أسفله . فلما قدموا مكة حدثوا هذا الحديث فكتبت قريش في أول كتبها : باسمك اللهم . فكان أول من كتبها أهل مكة ، وجاء الاسلام والأمر على ذلك . وقد روى محمد بن سعيد في طبقاته ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتب كما تكتب قريش : باسمك اللهم حتى نزلت عليه « وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها » فكتب : بسم الله ، حتى نزل « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن » فكتب ، بسم الله الرحمن ، حتى نزل « إنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم » فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم . وعلى ذلك جرى الحال في كتب النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده فمن بعدهم من الخلفاء والملوك . الا أن متأخري كتاب الانشاء قد اصطلحوا على حذفها في التواقيع والمراسيم الصغار التي على ظهر القصص ونحوها احتجاجا بمفهوم ما رواه أبو داود وابن ماجة في سننهما وأبوعوانة في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بيسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع ، يعني ناقص البركة ، والتواقيع والمراسيم الصغار ليس لها بال من حيث أنها لا يتم بها . قلت : وقد كان القاضي علاء الدين الكركي كاتب السرفي الدولة الظاهرية برقوق في سلطته الثانية أمر أن يكتب في أعلى التواقيع والمراسيم الصغار بالبسملة بquam دقيق ثم بطل ذلك بعده وعاد الامر الى ما كان عليه من حذف البسملة في ذلك . واعلم أن المقصود من كتابة البسملة التبرك فيما يكتب فيجب ان يجعل في أول المكتوب لتعم البركة . ابعدا وله يشهد قوله تعالى حكاية عن بلقيس « إني ألقى الى كتاب

كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلموا على واثتوني مسلمين « علي قول من قال ان قوله « انه من سليمان » من قول بلقيس ، وانها حكى الكتاب بقوله « وانه بسم الله الرحمن الرحيم . الخ » فتكون البسمة ابتداء الكتاب بخلاف قول من قال ان اول الكتاب « انه من سليمان » فانه يجعل تقديم اسمه علي البسمة وقاية لاسم الله تعالى من حيث ان عادة ملوك الكفر (اذا ورد عليهم كتاب بما يكرهون مزقوا أعلاه وتفلوا فيه) قلت : أما ما يكتب في الولايات من اليهود والتقاليد وغيرها فان الفصل بينه وبين البسمة بالبياض ، قيل ، كأن البسمة وما بعدها كلام مستأنف فلا ينسب الى تقدم شيء عليه . واما الطغراء التي كانت تلتصق بطرة مناشير الاقطاعات فيها القاب السلطان فأنها كتابة اجنبية عن الكتاب فلا تنسب الى التقدم مع الفصل بينها وبين البسمة بالبياض أيضا . على ان ذلك قد بطل في زماننا على ما سيأتي ذكره في موضعه ان شاء الله تعالى . ثم على الكاتب ان يفردا بسطر وحدها تبجيلا لاسم الله تعالى فقد روى محمد بن عمر المدائني بسنده الى ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يكتب في سطر بسم الله الرحمن الرحيم غيرها - قالت : ودلى ذلك جري كتاب الانشاء فيما يكتبون من مكاتبة او ولاية او غير ذلك . أما النساخ وكتاب الوثائق فربما كتبوا بعدها في سطرها : الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وكذلك يكتب القضاة علامتهم من الحمدلة وغيرها في علامات الثبوت في (المكاتيب الشرعية) مع فصاها ببياض

(الفاتحة الثانية) الحمدلة لما كان الحمد مطلوبا في أوائل الامور للتمين والتبرك عملا بما رواه أبو داود وابن ماجه وغيرهما من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « كل امرئ بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو اجنم » اصطلح الكتاب على افتتاح الكثير مما يكتبونه مما له بال بال الخطب المفتحة بحمد الله تعالى . قال في الصناعتين : وإنما افتتح الكلام بالحمد لان النفوس متشوقة للثناء على الله تعالى والافتتاح بما تشوق اليه النفوس مطلوب . وأتي به بعد البسمة تأسيا بكتاب الله تعالى اذ البسمة اول الفاتحة كما هو مذهب الشافعي رضي الله عنه وهي مفتحة بالحمد . ثم ربما اتى الكتاب بالحمد بعد البسمة فكتبوا : اما بعد حمد الله تعالى ، أو أما بعد فالحمد لله . والصيغة الاولى الحمد مقدم فيها معني ،

لأن قوله : أما بعد حمد الله يقتضى تقدم الحمد ؛ والصيغة الثانية تقتضى تقدم شئ على الحمد ولاخفاء في ان المقدم الذى جاء الحمد بعده هنا هو البسملة . على أنه قد يستعمل الحمد بصيغة الفعل كقولهم في المكاتبات : فاني احمد اليك الله . وقد اختلف هل ابلغ صيغة : الحمد لله ، أو أحمد الله ؛ فليل ، الحمد لله أبلغ لما فيها من معنى الاستغراق والاستمرار والثبوت ، وقيل أحمد الله أبلغ لان القائل الحمد لله حاك لكون الحمد لله بخلاف القائل احمد الله فانه حامد بنفسه ولذلك يؤتى بالتحميد ثانيا في الخطب بصيغة الفعل إما بصيغة نحمده بالنون كما يكتب عن الملوك ، وأما أحمد بلفظ الافراد كما في الخطب الجمعية ونحوها

﴿ الفاتحة الثانية ﴾ تشهد في الخطب — قد جرت عادة كتاب الزمان بالاتيان بعد التحميد في الخطب بالتشهد تابعا للفظ التحميد في الافراد والجمع مثل ان يقال : تشهد ، فيما يكتب عن الملوك ؛ وأشهد فيما يكتب عن غيرهم ؛ وان كان بعد : أما بعد حمد الله قيل : والشهادة له بالوحدانية ونحو ذلك . والاصل في ذلك ما رواه الترمذى وصححه البيهقى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليذم الجذماء » على ان المتقدمين من الكتاب ليس في كتابتهم تشهد في الخطب

﴿ الفاتحة الرابعة ﴾ الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله في اوائل الكتب في الخطب وغيرها — اما الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فلانزاع في أنها مطلوبة في الجملة فناسب الاتيان بها في اوائل الكتب تبركا وتيمنا . وقد روى من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « من صلى على في كتاب لم تزل الصلاة جارية له مادام اسعى في ذلك الكتاب » وان كان الشيخ عماد الدين ابن كثير في تفسيره قد نقل تضعيفه عن المحدثين . قال محمد بن عمر المدائنى : وقد رأينا بعض الكتب لا يري الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب فباء وأبأعظم الوزر مع ما فاتهم من الثواب . وأما الصلاة على آله وصحبه صلى الله عليه وسلم بعد الصلاة عليه فقد نقل الشيخ عماد الدين بن كثير في تفسيره الاجماع على جواز الصلاة على غير الانبياء عليهم السلام بطريق التبعية مثل ان يقال : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وازواجه وذريته ونحو ذلك ؛ ثم قال ، وعلى هذا يخرج ما يكتبونه من

قولهم : وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه ، فلا نزاع فيه . وإنما الخلاف في جواز أفراد غير الانبياء بالصلاة ، فاجازه قوم ، ومنعه آخرون . والصحيح من مذهب الشافعي أنه لا يجوز ذلك إلا تبعاً . ورجح النووي في الاذكار أنه كراهة تنزيه من حيث أنه شعار أهل البدع بعد أن حكي قولاً أنه كراهة تحريراً ، وقولاً أنه خلاف الأولى . وأما الإسلام عليه صلى الله عليه وسلم فقد قال النووي في الاذكار : وإذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فليجمع بين الصلاة والتسليم ولا يقتصر على أحدهما فلا يقال صلى الله عليه فقط ثم لا يقال عليه السلام فقط وفي شرح مسلم له أنه يكره أفراد الصلاة عن التسليم . وأما السلام على غير الانبياء فحكي النووي عن أبي محمد الجويني منعه في الغائب من حي وميت وأنه لا يفرد به غير الانبياء عليهم السلام بخلاف الحاضر فإنه يخاطب به

إذا علمت ذلك فالصلاة تكون بعد التحميد في الخطبة في الولايات والمكاتبات المفتحة بالخطب ، وقد تكون في صدور المكاتبات المفتحة بغير الخطب بعد التحميد أيضاً كما كان يكتب في القديم : فأني أحمد إليك الله وأسأله ان يصلى على محمد صلى الله عليه وسلم . وهو ما أحدثه الرشيد . قال في ذخيرة الكتاب : وكان ذلك من أجل مناقبه . وكان يكتب عن الخلفاء الفاطميين بمصر : ويسأله ان يصلى على جده محمد . ويخصون الصلاة بعده بأمر المؤمنين على رضى الله عنه على طريقة الشيعة

﴿ الفاتحة الخامسة ﴾ أما بعد -- اعلم ان « أما بعد » تستعمل في صدر المكاتبات والولايات ، وربما استعملت في ابتدائها وقد قيل أنها فصل الخطاب . واختاف في أول من قالها فقيل داود عليه السلام ، وقيل كعب بن لؤي ، وقيل قس بن ساعدة . ثم هي مركبة من كلمتين أحدهما أما ، والثانية بعد . فأما « أما » فحرف شرط ولذلك توجد الفاء في جوابها . وأما « بعد » فظرف زمان إذا أفرد نبي على الضم قال تعالى « لله الأمر من قبل ومن بعد » وأجاز هشام أما بعد بفتح الدال ومنعه النحاس وقال أنه غير معروف . فأن أضيف بعد إلى ما بعدها فتحت فتقول أما بعد حمد الله ونحو ذلك قال في ذخيرة الكتاب : وإذا كانت بعد البسملة فمعناها ما بعد قولنا بسم الله الرحمن الرحيم فقد كان كذا وكذا . واعلم أنه ربما حذف أما وأتى مكانها بواو العطف يعطفها على

ما قبلها فيبقى البناء على الضم وربما دخلت الفاء في جوابها لموقعها مكان أما بعد غالباً فيقال وبعدفان كذا . ولكنها تصير أنزل رتبة من أما بعد في حق المكتوب له كما أشار إليه في التعريف في الكلام على الولايات على ما سيأتي ذكره في موضعه ان شاء الله تعالى

﴿ الفصل الثاني ﴾

في الخواتم وهي ست خواتم :

(الخاتمة الأولى - ان شاء الله تعالى)

اعلم انه يستحب للكاتب عند انتهاء ما يكتبه من مكاتبة أو ولاية أو غيرها ان يكتب « ان شاء الله تعالى » تبركاً ورغبة في نجاح مقصد الكتاب فقد ورد الحث على تمليق الأمور بمشيئة الله تعالى والندب إليه قال تعالى « ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غداً الا ان يشاء الله » وذم قوماً على ترك الاستثناء فقال « اذ أقسموا ليصرهنا مصبحين ولا يستثنون » . واعلم ان الاستثناء لا يدخل على ماض فلا يقال : ما فعلت ذلك ان شاء الله ، (وإنما يدخل على مستقبل) او ما فيه معنى الاستقبال كما في قوله تعالى « وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمين » اما مثل قوله : أنت طالق ان شاء الله فان كان ماضياً لفظاً فإنه مستقبل معنى إذ معناه الأناشأ (والا لما) وقع به الطلاق . ثم محلها في الكتابة من الدرج أسفل المكتوب في وسط الوصل مكتنفة ببياض من يمينها وشمالها وبين السطر الأخير من المكتوب كما بين سطرين أو دونه . وقد جرت عادة الكتاب أنها ان كانت بقلم الرقاع كتبت معلقة مسلسلة وان كانت بقلم جليل ونحوه كتبت واضحة مبينة قال ابن شيث في معالم الكتاب : ولا يضيف الكاتب إليها شيئاً في سطرها بل تكون مفردة في سطر واحد . قلت : والكتاب فيها على ذلك الى الآن

(الخاتمة الثانية - التاريخ)

وقد اختلف في افظه فقيل انه عربي وان معناه نهاية الشيء وآخره يقال فلان تاريخ قومه إذا انتهى إليه شرفهم ؛ وعليه يدل كلام صاحب مواد البيان وذخيرة الكتاب . ونقل ابن الشاطر (في زيجته) عن بعض أهل اللغة ان معناه التأخير فيكون مقلوباً بامنه ؛ وقيل بل هو فارسي وان أصله « ماه زور » ومعناه « حساب الشهور » فعرب : مؤرخ ، ثم جعل اسمه التاريخ ؛ واليه يرجع كلام المؤيد صاحب حماة في تاريخه . ويقال فيه

أرخت وورخت بالهمزة والواو لغتان ؛ وكذلك يقال في مصدره : تار يخ وتور يخ كما يقال تأكيد وتوكيد . قال في ذخيرة الكتاب : وأرخت لغة قيس ، وورخت لغة تميم . قال العسكري في الأوائل : ولا تكاد ورخت تستعمل اليوم . قال الشيخ أثير الدين أبو حيان في شرح التسهيل : والتاريخ هو عدد الليالي والأيام بالنظر الى ماضى من السنة والشهر والى ما بقى منها . قال في مواد البيان : وهو محقق للخبر دال على قرب عهد الكتاب وبعده . قال محمد بن عمر المدائني : وقد أجمعت العلماء والحكماء والأدباء والحساب والكتاب على كتابة التاريخ في جميع المكتبات . قال صاحب نهاية الأرب : ولاغنية عنه لأن التاريخ يستدل به على بعد مسافة الكتاب وقربها ، وتحقيق الاخبار على ما هي عليه . وقد قال بعض أئمة الحديث لما استعملوا الكذب استعملنا لهم التاريخ قال القضاعي في عيون المعارف : وكانت الامم السالفة تؤرخ بالحوادث العظام وبملك الملوك فكان التاريخ بهبوط آدم ، ثم بمبعث نوح ، ثم بالطوفان ثم بنار ابراهيم ... ثم ساق أصول تواريخ الامم على اختلافها - قلت : والذي استقر عليه الحال من تواريخ الامم أربعة تواريخ :

أحدها - من غلبة الاسكندر على ملك فارس وقتل دارا ملك الفرس وهو قبل الهجرة بـ ٩٣٢ سنة و ٢٩٠ يوما وبه تؤرخ السريان والروم والفرنجة ومن في معانهم الى الآن

الثاني - من ملك دقلطيانوس آخر عبدة الأصنام من ملوك الروم على القبط ، والنصارى يمرون عنه بالشهداء اشارة الى أن الذين قتلهم من القبط شهداء . وهو قبل الهجرة بـ ٣٣٧ سنة و ٢٠ (في الصباح ٢١) يوما . وتؤرخ به القبط الى الآن

الثالث - من الهجرة وهي هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وهي بعد البعثة بـ ٢٣ سنة وعايها استقر التاريخ العربي وبها تؤرخ الكتاب الاسلامية المكتبات وغيرها

الرابع - من هلاك يزدجرد آخر ملوك الفرس وهو بعد الهجرة بعشرين سنين و ٧٩ (في الصباح ٧٨) يوما وبه تؤرخ الفرس الى الآن
ثم قد اختلف في اصل التاريخ من الهجرة فحكى النحاس في صناعة الكتاب عن محمد

ابن (جرير) بسنده الى الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة، وقدمها في شهر ربيع الأول، امر بالتاريخ. ثم قال، والمعروف عند العلماء ان ابتداء التاريخ بالهجرة كان في خلافة عمر رضى الله عنه. ثم اختلف في السبب في ذلك نذكر النحاس ان عاملا لعمر باليمن قدم عليه فقال: اما تؤرخون كتبكم؟ فاتخذوا التاريخ. وذكر أبو هلال العسكري في أوائله أن أبا موسى الأشعري كتب الى (عمر:) أنه تأتينا من قبل امير المؤمنين كتب لاندري على ايها نعمل قد قرأنا (كتاباً) منها محله شعبان، فاندري في أي الشعابين: الماضي، أو الآتي. فاتخذ، عمر التاريخ. وتبعه على ذلك في ذخيرة الكتاب. وذكر المؤيد صاحب حجة انه رفع الى عمر (صك) محله شعبان فقال أي الشعابين؟ لا ندري: الذي نحن فيه أو الذي هوأت! فسأل الهرمزان فقال ان لنا حساباً نسميه «ماه زور» يعنى التاريخ فعمل عمر التاريخ. قال في ذخيرة الكتاب: ولما أراد عمر التاريخ استشار الصحابة فقال بعضهم تؤرخ بالبعث، وبعضهم بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وبعضهم بالهجرة. فاختر عمر التاريخ من الهجرة لأنها أول ظهور الاسلام، وقوته وواقفه الصحابة على ذلك. قال ابن حاجب النعمان: وكان ذلك في اثنى عشر من شباط سنة ٨٨٢ لذي القرنين. ثم بعد اتفاقهم على الهجرة اختلفوا في الشهر الذي يبدأ به، فاشار بعضهم بالبداة برمضان لشرفه، فقال عمر بل بالمحرم لأنه منصرف الناس من حجهم، فرجعوا القهقري ٦٨ يوماً وهو القدر الذي مضى من أول المحرم الى ذلك الوقت. قال في عيون المعارف: وكان ذلك في تسع عشرة او ثمان عشرة من الهجرة

إذا علمت ذلك فتقييد التاريخ على ضربين:

(الضرب الأول) تقييد التاريخ العربي - ومداره الليالي دون الايام لأن سني العرب قريية، والتمر اول ظهوره الأ بصار هلالاً في الليل، فالليالي سابقة للايام. قال الزجاجي في الجمل: وإنما حمل على الليالي دون الايام لان أول الشهر ايله فلو حمل على الايام سقطت منه ليلة. قال الشيخ أثير الدين أبو حيان في شرح التسهيل: واستغنى عن الايام للعالم ان مع كل ليلة يوم، فإذا مر عدد من الليالي مضى مثله من الايام، فيجوز ان يستغنى بذكر أحدها عن الآخر. ثم اكتابة التاريخ ثلاث حالات:

أخانة لأول - أن يؤرخ ببعض ايام الشهر. ويختلف الحال فيه، فإن كانت

الكتابة في الليلة الاولى منه فقد ذكر ابو جعفر النحاس في صناعة الكتاب ان يكتب : كتب غرة شهر كذا ، أو أول ليلة من كذا ، أو مستهل شهر كذا ، أو مهل شهر كذا . وقد حكى ابو حيان مثل ذلك عن بعضهم وزاد انه يكتب أيضاً : أول شهر كذا قال النحاس : ولا يجوز حينئذ : لليلة خلت ، ولا مضت ؛ لانهم في الليلة بعد . قال في ذخيرة الكتاب : وربما كتب بعضهم ليلة الاستهلال : لليلة تخلو . وان كانت الكتابة في اليوم الأول وهو النهار الذي يلي الليلة الاولى من الشهر كتب : لليلة خلت من شهر كذا . قال النحاس ، ويجوز : كتب لغرة الشهر ، أو لأول يوم من الشهر ؛ ومنع ان يقال حينئذ : أول ليلة من شهر كذا (او مستهل شهر كذا) موجهاً لذلك بأن الاستهلال انما يقع في الليل . وتبعه على ذلك في ذخيرة الكتاب ومواد البيان وان وقعت الكتابة فيما بعد مضى اليوم الاول من الشهر الى آخر العشر فأن كان قدم مضى منه ليلتان كتب : لليلتين خلتا من شهر كذا ، او لليلتين مضتاه . قال في ذخيرة الكتاب : ولا يكتب : ليوم خلا ولا ليومين خلوا لان ذكر الليالي في باب التاريخ اغلب . وحكى ابو حيان أنه إذا مضى من الشهر يوم كتب : ليوم مضى ، وإذا مضى يومان كتب : ليومين مضيا . فان كان قدم مضى من الشهر ثلاث ليال كتب : ثلاث خلون او مضين من شهر كذا ، او ثلاث ليال خلون او مضين من شهر كذا . ويجوز فيه : ثلاث خلت او ثلاث ليال خلت ، على قلة ؛ وكذا في الباقيات الى العشر فيقال : لعشر خلون او مضين ، او لعشر ليال خلون او مضين او لعشر ليال خلت او مضت ، على اللغة القليلة . وان كانت الكتابة فيما بعد العشر الى النصف فيكتب : لأحدى عشرة خلت او مضت من شهر كذا ، ويجوز فيه : لأحدى عشرة خلون ، او لأحدى عشرة ليلة خلون ، على قلة ، وكذا في الباقيات الى النصف من الشهر . قال ابو حيان ، فان صرح بالتمييز وكان مذكراً أعيد الضمير عليه فيقال : لأحد عشر يوماً خلا أو مضى ، ونحو ذلك . وان كانت الكتابة في الخامس عشر من الشهر فيكتب : كتب نصف شهر كذا . قال النحاس : وأجازوا : لخمس عشرة ليلة خلت او مضت ولو حذف ذكر الليلة فقليل : لخمس عشرة خلت او مضت او بقيت ، صح . قال في التسهيل والتاريخ بالنصف أجود

وان كانت الكتابة فيما بعد النصف من الشهر الى الليلة الاخيرة منه ففيه مذهبان

احدهما - ان يؤرخ بالماضي من الشهر كما في قبل المصنف فيقال: است عشرة خلت او مضت ، اولست عشرة ليلة خلت او مضت ، وكذا الى العشرين فيقال: لعشرين خلت او مضت ، وكذا في البواقي الى آخر التاسع والعشرين فيكون التاريخ في جميع الشهر من أوله الى آخره بالماضي دون الباقي فرارا من (المجهول) . الى المحقق وهو مذهب (الفقه - ا) . لانه لا يعرف هل الشهر تام ام ناقص . قال النحاس : ورأيت علي بن سليمان يختاره قال في ذخيرة الكتاب : وهو اثبت وحجته اقوى - قلت : ولا يخفى ان من يرى التاريخ باليوم يجوز : لسته عشر يوما خلا او مضى من شهر كذا ، وكذا فيما بعده المذهب الثاني - ان يؤرخ بما بقي من الشهر والمؤرخين فيه طريقتان :

الطريقة الاولى - أن يجزم بالباقي فيكتب لاربعة عشرة ليلة بقيت من شهر كذا ثم لثلاث عشرة ليلة بقيت ، وهكذا الى الليلة الاخيرة من الشهر فيكتب : ليلة بقيت ، وهو مذهب الكتاب قال النحاس ورأيت بعض العلماء وأهل النظر يصوبونه لانهم انما يكتبون ذلك على ان الشهر تام وقد عرف معناه وان كاتبه وقارئه انما يريد اذا كان الشهر تاما فلا يحتاج الى التلغظ به . قال محمد بن عمر المدائني واحتجوا لذلك بأن معاوية حين كتب عن النبي صلى الله عليه وسلم لابن الحضرمي كتب في آخر الكتاب : وكتب معاوية بن أبي سفيان لثلاث بقين من شهر ذي القعدة بعد فتح مكة سنة ثمان . ثم قرأه ابن عفان والداس حوله قال في صناعة الكتاب : وقد وقع مثل ذلك في كلام النبوة فقد ورد في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في ليلة القدر : التمسوها في العشر الاواخر اسابعة تبقى او الخامسة تبقى

الطريقة الثانية - ان يعلق التاريخ الباقي على شرط ، فيقال : لاربعة عشرة ليلة ان بقيت ، اولاربعة عشرة ليلة ان بقيت . وكذا في البواقي فرارا من اطلاق التاريخ بما لا يعلم تمامه أو نفضه وكأنه يقول لاربعة عشرة ليلة بقيت من الشهر ان كان تماماً . قلت . ومن يجوز التاريخ بالأيام يقول : لاربعة عشر تبقى من شهر كذا . وكذا في الباقي . وان كانت الكتابة في الليلة الاخيرة من الشهر فيكتب لآخر ليلة من شهر كذا ، وفي سلخ كذا . أو في اسلاخه . وان كان في اليوم الأخير منه كتب : لآخر يوم من شهر كذا ، أو في ساخه ، وان اسلاخه أيضاً . ولا يختلفوا لها في جواز التاريخ باليوم .

قال في ذخيرة الكتاب : ان الشهر يتبدىء بابتداء الليالي ، وينقضى بانقضاء النهار
قلت : وكتاب زماننا قد أهملوا النظر في التأريخ بالليالي جملة وعولوا على التأريخ
بالأيام فيكتبون في اليوم الأول للشهر : كتب في مستهل شهر كذا ، أو في اليوم الأول
من شهر كذا ، ثم في ثاني شهر كذا ، أو ثالث شهر كذا وهكذا الى التاسع والعشرين ،
وفي اليوم الأخير من الشهر يكتبون : في سلخ شهر كذا . لا يعرفون غير ذلك . ثم مما
يستحسن في التأريخ أنه إذا وقعت الكتابة في يوم مشهور أرخ به مع قطع النظر عن
عدد ما مضى من الشهر وما بقي منه . فيكتب في اليوم الأول من شوال : كتب في يوم
الفر : وفي تاسع ذي الحجة يكتب : كتب في يوم عرفة : وفي عاشره يكتب : كتب
في يوم عيد النحر ، أو يوم عيد الأضحى : وفي حادي عشره يكتب : كتب في يوم
القر ، بفتح القاف ، بمعنى أنه اليوم الذي يقر الناس فيه بمنى : وفي ثاني عشره يكتب :
كتب في يوم النفر الأول : وفي ثاني عشره يكتب : كتب في يوم النفر الثاني
واعلم أنه قد يؤرخ بعشر من أعشار الشهر فينبى التأنيث على معنى الليالي فيكتب
كتب في العشر الأولى أو في العشر الأوسط ، بضم الهمزة وفتح الواو : وكتب
في العشر الوسطى أو في العشر الأوسط ، بضم الواو وفتح السين ، أو كتب في العشر
الأخرى أو في العشر الآخر بضم الهمزة وفتح الحاء . قال الشيخ أثير الدين أبو
حيان : ولا يكتب في العشر الأول ، ولا الأوسط ، ولا الآخر . وحكي عن بعض
الرحاة أنه يكتب : وكتب في العشر الآخرة أو الأواخر ولا يكتب الأخرى ولا
الأخر لثلاثا يلبس بالأخر بمعنى الثاني أو الأخر بمعنى التواني . ثم قال ، وان أرخ
بالثلاث الأخيرة من الشهر كتب : الدآدى . ولا نزاع في أنه يجوز التأريخ بالأيام
المشهورة في السنة كالأيام المعلومات وهي العشر الأول من ذي الحجة ، والأيام المعدودات
وهي أيام التشريق . وان اقتضت الحال التورين ببيعض أجزاء اليوم لسرعة وصول
الكتاب كبطائق الحمام أرخ بتلك الساعة فيؤرخ في الساعة الأولى بالشروق ثم ما
يايها من الساعات على ما تقدم ذكره في الكلام على الأزمنة في المقالة الأولى . قلت :
وكتاب الزمان قد اعتمدوا في ذلك أسماء الساعات المتعارفة عندهم كالأولى من النهار ،
أو الثانية ، أو الثالثة ، أو وقت الظهر ، أو وقت العصر ونحو ذلك

ومما ينبغي التنبيه عليه أنه ربما اتفق بعض على تور يخ خاص وعملوا عليه كما ذكر على بن خلف من آخر كتاب الدولة الفاطمية في مواد البيان أن كتاب الديار المصرية كانوا يجعلون شهراً ثلاثين يوماً وشهراً تسعة وعشرين . وكما ذكر ابن شيث من آخر كتاب الدولة الأيوبية في معالم الكتابة ان كتب السلطان والاعيان تؤرخ بالليالي والكتب من الأدنى الى الأعلى تؤرخ بالأيام ولا مشاحة في الاصطلاح بمد فهم المعنى

﴿ الضرب الثاني ﴾

تقييد التاريخ المعجمي - وهو ما عدا العربي ومداره الايام دون الليالي لأن سنينهم مع اختلافها في الشهور ومباديها ومقاطعها شمسية، والشمس محل ظهورها النهار دون الليل، ولذلك أرخوا بالايام . قال ابو هلال العسكري في أوائله: قال احمد بن يحيى البلاذري حضرت مجلس المتوكل وابراهيم بن العباس يقرأ الكتاب الذي انشأه في تأخير النيروز والمتوكل يتعجب من حسن عبارته ولطف معانيه والجماعة تشهده بذلك فداخنتي نفاسة فقلت يا أمير المؤمنين في هذا الكتاب خطأ . فأعادوا النظر وقالوا ما نراه، فما هو؟ قلت أرخ السنة الفارسية بالليالي والمعجم تؤرخ بالأيام، واليوم عندهم أربع وعشرون ساعة تشتمل على الليل والنهار، وهو جزء من ثلاثين جزءاً من الشهر، والعرب تؤرخ بالليالي لأن سنينهم وشهورهم قمرية، وابتداء الهلال بالليل . فاستحسن المتوكل والحاضرون ذلك واعترف ابراهيم بن العباس وقال ليس هذا من علمي .

قال محمد بن عمر المدائني في كتاب القلم والدواة : وقد رسموا تاريخ الكتب في أواخرها وجملته العامة في صدورها . والتحقيق في ذلك ما ذكره صاحب مواد البيان وغيره ان في الكتب السلطانية ان كان الكتاب في أمر تشوق النفوس الى معرفة اليوم الذي وقع فيه ذلك الأمر كالحوادث العظام والفتوحات والمواسم ونحوها ورخ الكتاب في صدره . مثل ان يكتب في أول الكتاب: كتاب أمير المؤمنين اليك، أو كتابنا اليك يوم كذا من سنة كذا، كما كان يكتب في الزمن القديم . فأن كان الكتاب لا تشوق النفوس الى معرفة اليوم الذي وقع ذلك الأمر فيه ورخ في آخره . أما كتب الاتباع للروساء فقد ذكر في مواد البيان ان الرسم فيها ان تؤرخ في صدرها مثل ان يقال: كتب

العبد من مقر خدمته يوم كذا . قلت - والذي استقر عليه الحال في زماننا كتابة التاريخ في آخر الكتاب بكل حال ولاية كان أو مكانية . ثم قد اُصطلح كتاب الزمان على أن جعلوا التاريخ بعد كتابة : ان شاء الله تعالى ، في سطرين فيكتبون : كتب في كذا من شهر كذا ، في سطر ؛ ثم يكتبون : سنة كذا ، في سطر تحته . اما ما يكتب عن قضاة القضاة فقد اُصطلحوا على أن جعلوا جميع التاريخ في سطر واحد

﴿ الخاتمة الثالثة - كتابة المستند الذي يكتب في آخر الكتاب ﴾

ويختلف الحال، فيه فان كان المستند كتابة السلطان على ظهر قصة يكتب « كتب حسب المرسوم الشريف » ان شاء سطرين وان شاء سطرا واحدا . وان كان بتلقى كاتب السر وحده إما بما يأمر به السلطان عند قراءة القصة عليه في مجلس خاص أو بما يمضيه كاتب السر من نفسه كتب « حسب المرسوم الشريف » في سطر واحد لا غير . وان كان بتلقى كاتب السر أو أحد من كتاب الدست بدار العدل كتب « حسب المرسوم الشريف » سطرا ، ثم يكتب تحته « من دار العدل الشريف » سطرا ثانيا وان كان برسالة الدوادار كتب « حسب المرسوم الشريف » سطرا ثم يكتب تحته سطرا ثانيا : « برسالة الجناب العالي الاميرى الفلاني - بلقبه الخاص - الدوادار الفلاني - بلقب السلطنة - » وان كان من ديوان الخاص كتب « حسب المرسوم الشريف » سطرا ، وتحته « من ديوان الخاص الشريف » سطرا آخر . قلت : ومما يجب التنبيه عليه أن لفظ « حسب » مفتوح السين كما صرح به الجوهرى وغيره من أئمة اللغة الا ما حكاه الجوهرى من جواز تسكينها في ضرورة الشعر . على أن كتاب الزمان لا تكاد تسمعها منهم الا ساكنة السين وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . وان كان المكتوب بأشارة النائب الكافل كتب « بالاشارة العالية الاميرية الكبيرة الكافلية الفلانية » بلقب الكافل الخاص سطرا ، ثم كتب تحته في سطر آخر « كافل المالك الشريفة الاسلامية أعلاها الله تعالى » وان كان بأشارة الوزير كتب « بالاشارة العالية الوزيرية الفلانية » بلقبه الخاص سطرا ، ثم يكتب في سطر تحته « مدبر المالك الشريفة الاسلامية أعلاها الله تعالى » . وان كان بأشارة الاستدار كتب « بالاشارة العالية الاميرية الكبيرة الفلانية » بلقبه الخاص . ثم يكتب في سطر تحته « استدار العالية أعلاها الله تعالى » .

قلت وقد تقدم في الكلام على الالقاب ان الصواب فيه استدار بكسر التاء وحذفه
 الالف ولكن اثبات الالف قد صار في كتابهم كاللازم وان كان خطأ
 واعلم ان الكتاب قد اصطلحوا على أن جعلوا كتابة المستند بعد التاريخ ليكون
 «حسب الرسوم الشريف» أو «بالاشارة» متعلقا به. وربما كتب في حاشية المكتوب في
 المراسيم الصغار التي تكتب على ظهور القصص وأوراق الطريق ونحو ذلك وموضع
 كتابته حينئذ فيما يقابل ما بين السطرين الاولين أخذاً من جهة الاسفل الى جهة الاعلى
 بحيث يكون آخر كتابة المستند مسامتا للسطر الاول. فان كان «حسب الرسوم الشريف»
 فقط كتب سطرا واحداً، وان كان من دار العدل كتب تحته سطر آخر فيه «من دار
 العدل الشريف» وكذا في سائر ما يشاكله

﴿ الخاتمة الرابعة - الحمدلة ﴾

لاخفاء في ان الحمد مشروع في اختتام الامور كما هو مشروع في افتتاحها كما اشار
 اليه السهلي قال تعالى «وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين» وقال جلت قدرته
 « وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين» وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا رجع من سفره
 قال: آيئون تائبون لرنا حامدون ومن ثم جعلت الحمد لله في أواخر الكتب. قال ابن
 شيث في معالم الكتابة ولا يختم بالحمد في التواقيع في المظالم وربما ختم بها في تواقيع
 الاطلاقات ثم قد قال الووي في الاذكار ان افضل انواع الحمد: الحمد لله رب العالمين.
 والذي اصطلح عليه غالب الكتاب ان يكتب هنا: الحمد لله وحده. وصورة وضعها ان
 تجعل بعد كتابة المستند عن يمينه الدرج على بعد قدر ما بين آخر سطر من المكتوب وبين
 ان شاء الله تعالى، قال في معالم الكتابة، وقد يحتمل الخروج عن سمت السطور. قلت:
 وقد اصطلح كتاب الزمان على حذفها بما تحذف البسملة من اوله كالتواقيع التي على
 ظهر القصص واوراق الطريق ونحوها

﴿ الخاتمة الخامسة ﴾

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. والاصل في ذلك انه صلى الله عليه وسلم كتب في
 آخر عهده لعمر بن حزم حين وجهه الى اليمن «صلى الله على محمد» ثم الكلام في الجمع

بين الصلاة والسلام على مامر عليه الكلام في الفواتح وقد اصطالحوا على ان يكون بين الحمدلة وبينها بياض يسير وتكون هي تمام السطر - قلت : فلو كتب كتاب عن ملك مسلم الى ملك كافر احتمل ترك التصلية فيه صيانة لاسم النبي صلى الله عليه وسلم من الامتهان كما منعوا المسلمون بالمصحف الى أرض الكفار، ويحتمل ان لا تترك الصلاة إرغاء الأهل الكفر فقد حكى العسكري في الاوائل ن عبد الملك بن مروان حين أحدث كتابة سورة الاخلاص على الدرهم كتب اليه ملك الروم « انكم قد احدثتم في طواميركم شيئا من ذكر دينكم فانركوه والا أتاكم في دنائيرنا متكرهون » فاستشار في ذلك خالد بن يزيد بن معاوية وكان ادبيا عالما فقال له يا أمير المؤمنين اضرب لهم سكا فيها ذكر الله تعالى وذكركم رسوله ولا تفهم مما يكرهون في الطوامير، ففعل

(الخاتمة السادسة - الحسيلة)

والاصل في كتابتها قوله تعالى « وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء » فجعل « حسبنا الله ونعم الوكيل » سببا لحسن المنقلب والصون عن سوء. ثم الكاتب ان كان يكتب عن ملك يتكلم بنون الجمع تعظيما كتب في آخر كتابه « حسبنا الله ونعم الوكيل » على الجمع، وان كان يكتب عن لا يستوجب ذلك من الآحاد كتب « حسبي الله ونعم الوكيل » على الافراد . على ان بعض الكتاب كان يستحب ان يكتب « حسبي الله » بلفظ الوحدة فرارا من اللبس بين الجمع للتعظيم والجمع الحقيقي وأشار في صناعة الكتاب الى شيء من ذلك . قال في معالم الكتابة : وقد يتأدب الاذني مع الاعلى فيأتي بالآية على نصها فيقول : وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فرارا من نون الجمع التي هي العظمة : قال ، وقد يقال في مكانها « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » ثم قال ، فأما الاعلى اذا كتبت الاذني فلا يخرج عن « حسبنا الله ونعم الوكيل » . ثم بعض الكتاب قد يكتب في أول الحسيلة واوا بأن يكتب « وحسبنا الله ونعم الوكيل » ولا معنى لها اذ لا يسوغ عطفها على ما قبلها كما نبه عليه الشيخ جمال الدين بن هشام في وراقته . وقد اصطالحوا على أن يكتبوها سطرا واحدا بعد سطر الحمدلة والتصلية ، ويكون بين سطرها والذي قبله بقدر ما بين السطر الآخر من المكتوب وبين ان شاء الله تعالى . قال ابن شيث : وموضعها ثلث السطر من الجانب

الايمن الى حيث يتهمى . واعلم ان الكتاب قد اصطلحوا ان يكتبوا تحت الحسيلة صورة
حاء لطيفة منكسة ولا معنى لذلك وكأنهم كانوا يكتبونها عوضا عن الحسيلة ثم التبس
ذلك على بعض الكتاب فأثبتها مع الحسيلة

﴿ الفصل الثالث ﴾

في اللواحق . وهي امران

الامر الاول ، التريب - لانزاع في ان تريب الكتاب عند الفراغ من كتابته
بألقاء الرمل ونحوه عليه امر مطلوب للتبرك طلبا لنجح القصد فقدروي محمد بن عمر المدائني
عن اسماعيل بن محمد بن وهب عن هشام بن خالد وهو ابو مروان الازدي عن بقية بن
الوليد عن عطاء عن (ابن) جريج عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: تروا
الكتاب ونحوه من أسفله فإنه أعظم للبركة . وانجح للحاجة . وفي حديث آخر : اذا
كتب أحدكم كتابا فليتربه فإنه مبارك وهو أنجح لحاجته . في آثار أخرى في معنى
ذلك . وأيضا فان فيه تجفيف ما يطرح عليه من الخط ومنعه من المحو . قال في وادالبيان
ويستحب وضع التراب أولا على البسمة ثم يمرّه الكاتب منها على سائر المكتوب
لتعم الكتاب بركة البسمة . قلت: وكتاب زماننا يتعاونون التريب من اسفل الكتاب
لأنه الى التجفيف احوج لقرب عهده بالكتابة . على انه لا يخلو من بركة أيضا اذ يمر
على الحمدلة، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والحسيلة ولو طلع به من اسفل الكتاب
حينئذ الى البسمة ثم اعاده عليه مرة ثانية لسكان - . وقد اصطلح كتاب الزمان
على التريب بالرمل الاحمر لأنه اقل غبارا . قال محمد بن عمر المدائني : وكرهوا ونهوا
عن تراب الحيطان ومالوا الى الذشارة والاشنان . قال : وبلغنا ان بعض الائمة من اهل
العلم كان يترب الحديث بالصندل ويقول : لا طرح على حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم التراب ، قال ، وكان حياة بن شريح يخرج الى الصحراء فيأخذ الطين الاسود
فيدقه وينخله فيترب به . وقد صرح الامام الرافعي من أئمة الشافعية في باب الصلح
انه يحرم التريب من جدار الغير ومن الجدار المشترك

الامر الثاني، نظر الكاتب في الكتاب وتأمله بعد الفراغ منه . فقد نصوا على
نه ينبغي للكاتب إذا فرغ من كتابه ان يتأمله من أوله الى آخره ويتبع الفاظه

وتأمل معانيه ويصلح منها ما لعله وهم فيه الفكر أو سبق اليه القلم ليسلم من قدح القادح وطمع الطاعن . وقد سبق في مقدمة الكتاب ان صاحب الديوان لا يكتفى بنظر الكاتب في ذلك بل يكله الى نظر كاتب كامل ينصبه لذلك ثم يتأمل هو بنفسه بعد ذلك ليدفع الكتاب ويتهذب (فأنه لسان السلطان) بل السلطان بنفسه ، بل الدولة بأسرها

﴿ الباب الثالث ﴾

في بيان كتابة القصص وتعيين صاحب ديوان الأثناء الفصص التي ترفع بطلب الكتب السلطانية والرقاع التي يكتبها كاتب السر بأمور خاصة من ولايات وغيرها والقوائم التي تحضر من ديوان الوزارة والخاص وغيرها وما في معنى ذلك والمربات الحيشية التي تحضر من ديوان الجيش بسبب كناية المناشير والاقطاعات وما يجري مجرى ذلك وفيه فصلان

﴿ الفصل الاول ﴾

(في بيان كتابة القصص التي ترفع الى ولاية الامور)

وسميت قصصا لحكاية صورة حال رافعها فيها . واعلم ان الذي يجب في كتابة القصص مراعاة الأيجاز والاختصار مع تبليغ الغرض المطلوب والتقرب من فهم المخاطب فأما ممي كانت خارجة عن الحد في الطول أدت الى السآمة والاضجار وربما أدى ذلك الى حرمان الطالب مطلوبه إما للاعراض عنها استثقالا وإما لعدم فهم المقصود منها للافراط في الطول فإن الرئيس مما يسرع الضجر اليه (وخصوصا) الملك فيكون رافعها كالمساعي في حنف أنفه بظلفه . وكذلك يجب ان يتجنب فيها الاختصار المحجف المؤدى الى الاخلال بل يقتصر فيها من الكلام على القليل الدال فإن خير الكلام ما قل ودل وعليه ان يتجنب فيها التعميد الذي ينبو عنه فهم الرئيس ويهجه سمعه

وقد جرت العادة في كتابة القصص ان يخلى من أعلى الورقة قليلا يترك يابضا ويجعل لها هامشا بحسب عرضها ويبتدىء فيها بالبسملة ثم يكتب تحت أول البسملة: المملوك فلان يقبل الارض وينهى كيت وكيت . . . الى آخر قصده ، ثم يقال: وسؤاله: كذا وكذا. فان كان السؤال للسلطان قال: وسؤاله من الصدقات الشريفة.. وان كان لغيره قال: وسؤاله من الصدقات العميمة . . . أو نحو ذلك وينذكر طلبته، ثم يقول: ان شاء الله تعالى ، ويحمد الله ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ويحسب بآخرها

وما ينخرط في هذا السلك — قلت : وقد جرت عادة أكثر الناس في القصص أنه إذا فرغ الكاتب من كتابتها يقطع قليلا من زاويتها اليمنى من أسفلها تطيرا بالتربيع وهو خطأ وغلط فاحش فأنهم يراعون في ذلك كراهة التربع النجمي عند المنجمين من حيث أنهم يتشاءمون به فأسسوا بنيانهم في ذلك على شفا جرف هار ولا ينبغي أن الشكل التريبي من أحسن الأشكال الهندسية وقد جاء في وصف حوض النبي صلى الله عليه وسلم في القيامة أن زواياه على التربع ، والكعبة البيت الحرام مبنية على التربع فلولا أن التربع أفضل الأشكال لما جعل الحوض والبيت على شكله

* (الفصل الثاني) *

(في تعيين صاحب ديوان الانشاء القصص والرقاع والقوائم والمربعات الجيشية)
 أما القصص فمنها ما يرفع الى السلطان فيكتب على ظاهر القصة : يكتب ثم تحمل الى كاتب السر ليعينها ؛ ومنها ما يرفع الى صاحب ديوان الانشاء ابتداء فيوقع عليها بما يراه ويعينها على بعض كتاب الانشاء فيكتبها وتشملها العلامة السلطانية وربما احتاج في بعضها الى مراجعة السلطان قبل الكتابة عليها ؛ ومنها ما يرفع بدار العدل حيث يجلس السلطان للنظر في المظالم وفصل الخصومات فيقرونها كاتب السر وكتاب الدست ويوقع منهم عليها ما يبرز به الاوامر السلطانية ثم تحمل في فوطة كاتب السر ليعينها ومنها ما يرفع للنائب الكافل ان كان (ثم نائب) فيكتب على هامش القصة بقلم مختصر الطومار آخذا من أسفلها الى أعلاها مائثاله : يكتب بعد أن يزيد فيها موقعه ما ينبغي زيادته أو ينقص ما ينبغي نقصه أو يقيده ما يجب تقييده ، ثم تحمل الى كاتب السر ليعينها ؛ ومنها ما يرفع للداودار فيعلق موقعه على الرسالة تارة بمراجعة وتارة استقلالاً بحسب ما يقتضيه الحال فيكتب على هامش القصة بقلم دقيق آخذا من طرف الهامش الى جهة كتابة القصة ميلا ذلك الى الأعلى بعض الامالة مائثاله : رسم برسالة الجناب العالي الاميري الكبير الفلاني — بلقبه الخاص — الداودار الفلاني — بلقب السلطان — ضاعف الله تعالى نعمته ان يكتب مثال الشريف بكيت وكيت ، أو توقيع الشريف بكيت وكيت ، وما أشبه ذلك . ثم تحمل الى كاتب السر ليعينها
 وأما الرقاع فهي أوراق لطف يكتبها كاتب السر ليعينها بولات نواب السلطنة

وقضاة القضاة وغيرهم و بالتواقيع التي تكتب بالمساحات والاطلاقات ومكاتبات البريد
و بعض أوراق الطريق وما يجرى مجرى ذلك مما يختص بالأبواب السلطانية فيكتب
في الرقعة بما يكتب من ذلك ويعينها كما في القصص

وأما القوائم فهي أوراق ديوانية تكتب من الدواوين السلطانية بالمطلوب ويكتب
عليها صاحب ذلك الديوان ثم ترفع الى كاتب السر فيعينها. واعلم ان القوائم تكتب
من ثلاثة دواوين . الاول ديوان الوزارة فيكتب ما مثاله : رسم بالأمر الشريف
شرفه الله تعالى وعظمه ان يكتب مثال شريف الى فلان الفلاني بكذا وكذا . وصورة
وضعها ان يكون السطر الأول في رأس الورقة من الوجه الأول منها وآخره : شرفه
الله تعالى وعظمه ، ويحلى بينه وبين السطر الثاني قدر اصبعين معترضين يياضاً ليكتب فيه
الوزير ما مثاله : يكتب . وباقي السطور مسترسلة الى آخرها . فيوجه القائمة من ديوان
الوزارة الى كاتب السر ليعينها . واعلم انه ربما كتب من ديوان الوزارة بأمر أخرى
كتواقيع الاطلاقات ونحوها فيكتب الوزير أولاً على هامش القصة ما مثاله : يكتب
بذلك ، أو يوقع بذلك . ثم تحمل الى كاتب السر ويكتب عليها بالتعيين * الثاني
ديوان الخاص ، وهو في كتابة القوائم على ما مر في ديوان الوزارة من غير فرق وليس
يصدر من ديوان الخاص تواقيع كما في ديوان الوزارة وانما يكتب فيه مرسعات ليشملها
الخط الشريف لا تعلق لها بكاتب السر الا في أخذ العلامة * الثالث ديوان الاستدارية
وحكمه في ذلك حكم ديوان الخاص من غير فرق . واما المرسعات الجيشية فانها تكتب
من ديوان الجيش بالأقطاعات وصورتها ان يكتب في نصف القطع البلدي مع ظهر
بياض بعد البسملة ما مثاله : « المرسوم بالأمر الكريم العالي المولوي السلطاني الملكي
الفلاني - بلقب السلطنة - الفلاني - بلقب السلطان الخاص - أعلاه الله تعالى وشرفه
وأفنده وصره ان يقطع باسم فلان الفلاني أحد الأمراء المقدمين - أو الطباخانات
أو العشرات أو الخمسات أو أحد المماليك السلطانية أو أحد مقدمي الحلقة أو أجناد
الحلقة - بالمكان الفلاني المرسوم استقراره في أمراء العشرات - أو الطباخانات أو
المقدمين أو مقدمي الحلقة أو أجناد الحلقة - ما رسم له به الآن من الأقطاع - فان
كان أميراً قيل بعد ذلك : - لخاصته - ولمن يستخدمه من الأجناد الجياد النافعين للخدمة

الشريفة والبرك (كذا) التام والمدة الكاملة بمقتضى المثال الشريف أو الخط الشريف أو الخط
العالي الكافى ان كان أصله بخط النائب الكافل أو بمقتضى الاشهاد المشمول بالخط
الشريف أو الخط الكافى على ما تقدم . ثم تحمل تلك الرقعة الى كاتب السر فيمينها
اذا علم ذلك فما يرجع الى كاتب السر من القصص والرقاع والقوائم ونحوها يختلف
الحال فيه باعتبارين : أحدهما ما يختلف باختلاف حال المكتوب فان كان المكتوب الذى رفع
اليه قصة بظاها خط السلطان فلا كتابة له عليها غير التعيين ومحلّه تحت خط السلطان
بظاها القصة . وان كان قصة رفعت الى كاتب السر ابتداء كتب على حاشيتها في
أعلىها آخذا من الأعلى الى الأسفل ما مثاله : يكتب بذلك ، أو يكتب بكذا وكذا
مما يختار امضاه ؛ ثم يكتب التعيين بحاشيتها أسفل من ذلك في عرض الحاشية مملا
للكتابة الى جهة الأعلى قليلا . وان كان قصة عليها خط النائب الكافل كتب عليها
بالتعيين ليس إلا ومحلّه بحاشية القصة أسفل خط النائب بقايل . وان كان قصة كتب
عليها بمرسوم الأتابك أو علق بحاشيتها رسالة الدوادار كتب بأعلى القصة فوق خط
كاتب الدست الذى كتب مرسوم الأتابك أو معلق رسالة الدوادار : يكتب بذلك . وعلى
القرب منه من جهته السفلى التعيين . وانما يكتب هنا بأعلى القصة ومع خط النائب
بأسفلها لأن هناك خط النائب نفسه فوجب النزول عنه وهنا خط الموقع المعلق عن
الأتابك أو الدوادار . وان كان قائمة من ديوان الوزارة أو غيره كتب بهامش القائمة
من أعلاها مقابل خط الوزير ومن في معناه ممن يكتب على القائمة ما مثاله : يكتب
بذلك . وان كان مرعبة أقطاع من ديوان الجيش فلا كتابة له عليها الا بالتعيين
فقط ومحلّه مقابل تاريخ المرعبة من الجهة اليمنى . الثانى ما يختلف باختلاف حال
المعين عليه . فان كان كتابا من كتاب الدست كتب له : المولى القاضى فلان فلان
الدين أعزه الله تعالى . وربما وقع التمييز لبعض أهل العلم فيكتب له : الشيخ فلان الدين
أعزه الله تعالى ، أو المولى الشيخ فلان الدين أعزه الله تعالى . وان كان من كتاب
الدرج فان كان كبيرا كتب له : المولى الشيخ فلان الدين ، وان كان صغيرا كتب له : المولى
فلان الدين . وكاتب السر فى ذلك على ما يراه من رفع وخفض

❦ الباب الرابع ❦

في بيان المستندات التي يترتب عليها ما يكتب من ديوان الأَنْشاء من المكاتبات والولايات وغيرها وبيان وجوه ذلك وفيه فصلان

❦ الفصل الاول ❦

في أصل ذلك الذي يستند إليه - واعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يلقي القول الى الكاتب من كتابه فيكتبه ويستشهد فيه بخطه فيكتب : وكتب فلان . والكثير من كتبه صلى الله عليه وسلم موجود فيه الاستشهاد بخط أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان وغيرها من الصحابة رضوان الله عليهم على ما تعرفه من تتبعه

قلت : وهذه الرقعة التي كتب بها النبي صلى الله عليه وسلم لتميم الداري رضي الله عنه بأقطاع قرى من قرى الشام موجودة بأبدي التميميين الى الآن مكتوب فيها : وكتب علي بن أبي طالب . وسيأتي ذكر نسختها في الكلام على الأقطاعات في موضعها ان شاء الله تعالى . ثم لما انتهى الأمر الى خلفاء بني العباس بالعراق وأضافوا أمر ديوان الانشاء الى الوزير علي ما تقدم ذكره وكثرت الكتاب على الديوان وضنوا على آحاد الكتاب ان يكتب اسمه في كتاب الحليفة جعلوا الاستشهاد فيه بخط الوزير وان كان خط بعض كتابه فكأنوا يكتبون في آخر الكتاب : وكتب فلان بن فلان ، باسم الوزير واسم أبيه كما قال أبو جعفر النحاس في صناعة الكتاب وعليه كان الأمر في الدولة الفاطمية بالديار المصرية يستشهد فيها بخط الوزير فيما رأيته في كثير منها . وقد ذكر أبو الفضل الصوري في تذكرته انهم كانوا بالعراق يستشهدون بخط متولى ديوان الرسائل سواء كان وزيراً أو غيره

❦ الفصل الثاني ❦

فيما الحال مستقر عليه الآن - اعلم انه لم تجر العادة في أن يخلد صاحب الديوان بما يتلقى عن السلطان شاهداً من خطه يكون عنده فان صاحب الديوان هو يد السلطان واسأته ومنفذ أمور دولته والمتصرف في أحوال مملكته بل هو الذي يستشهد الكتاب بخطه

ويحتجون به فكأنه السلطان حقيقة وإنما تخذ الشواهد عند الكاتب فإن كان الشاهد قصة عليها خط السلطان أو خط كاتب السر أو خط النائب الكافل أو رقعة بخط كاتب السر خلدها الكاتب عنده بعد التعيين ليحتج بها ان وقع الإنكار عليه في شيء منها. أما القوائم التي ترد من ديوان الوزارة وديوان الخالص وعن الاستدار فقد جرت العادة أنها بعد التعيين والكتابة تخذ بأضبارات ديوان الانشاء ليقع الاحتجاج بها لديوان الانشاء على هذه الدواوين ان وقع إنكار شيء منها

❦ الباب الخامس ❦

في مقادير قطع الورق وما يناسب كل مقدار منها من الاقلام ومقادير البياض في أول الدرج وحاشيته وبعد ما بين السطور في الكتب وفيه فصلان :

❦ الفصل الاول ❦

في مقادير قطع الورق - اعلم ان الامم السالفة كانوا مختلفين فيما يكتبون فيه فكان اهل الصين يكتبون في ورق يصنعونه من الحشيش والكلأ عنهم أخذ الناس صنعة الورق، وأهل الهند كانوا يكتبون في خرق الحرير الابيض، والفرس يكتبون في الجلود المدبوغة من جلود الجواميس والبقر والغنم والوحوش وكذلك كانوا يكتبون في اللخاف، بالخاء المعجمة، وهي حجارة بيض رقاق، وفي عسيب النخل وهي الجريد الذي لاخوص عليه واحدها عسيب، وفي عظم اكتاف الابل والغنم. وعلى هذا الاسلوب كانت العرب تقرأهم منهم واستمر ذلك الى ان بعث النبي صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن والعرب على ذلك فكانوا يكتبون القرآن حين ينزل في اللخاف والعسيب وربما كتب النبي بعض مكاتباته في الادم وأجمع رأى الصحابة على كتابة القرآن في الرق اطول بقائه اولانه الموجود عندهم حينئذ وبقي الناس على ذلك الى ان ولي معاوية بن ابي سفيان الخلافة فاستعمل الورق بديوان الانشاء امتيازاً لديوان الخلافة على غيره كما اشار اليه محمد بن عمر المدائني فجرى على ذلك الى ان ولي الرشيد وقد كثر الورق وفشا عمله بين الناس فامر ان لا يكتب الناس الا في الكاغد لأن الخلود ونحوها تقبل المحو والأعادة فتقبل التزوير بخلاف الورق فإنه متى محى منه فسد، وان كشط ظهر كسطه ثم انتشرت

الكتابة في الورق الى سائر الاقطار وتعاطاه من قرب ومن بعد فاستمر الناس على ذلك الى الآن على تفاصيل انواع الورق وجودة بعضها ورداءة بعض

واعلم ان الورق اسم جنس واحده ورقة ويجمع على اوراق، وتجمع الورقة على ورقات ؛ وبه سمي الرجل الذي يكتب وراقاً . وقد نطق القرآن بتسميته قرطاسا قال تعالى « ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم » قال ابن السمنان في تفسيره : القرطاس كاغد يتخذ من بردى مصر ، ثم قال ، والجمهور على كسر قافه ؛ وضما أبو زيد وعكرمة وطلحة ويحيى بن يعمر . والذي حكاه الجوهري عن أبي زيد يخالف ما ذكره فانه قال فيه : قرطس ، بفتح الفاف من غيرالف . ويقال فيه أيضاً صحيفة وقد نطق القرآن الكريم بجمعها قال تعالى « ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى » ويجمع أيضاً على صحائف . وسمي المصحف مصحفا لجمعه الصحف ، وسمي التصحيف تصحيفاً للخطأ في الصحيفة . ويسمى أيضاً الكاغد ، بغين معجمة ودال مهملة ، ويقال فيه أيضاً طرس ، بكسر الطاء ، ويجمع على طروس ، ومهرق ، بضم الميم وإسكان الهاء وفتح الراء المهملة ، ويجمع على مهارق . قال الجوهري وهو فارسي

واعلم انه حين كانت الخلافة ببغداد كان الاعتماد في قطع الورق وتقسيمه على الورق البغدادي ويعبر عن الفرخة منه بالطومار . وقد ذكر محمد بن عمر المدائني انه يكتب للخلفاء في قرطاس من ثلثي طومار ، والى الامراء من نصف طومار ، والى العمال والكتاب من ثلث ، والى التجار واشباههم من ربع ، والى الحساب والمساح من سدس . فجعل تقسيم الورق بديوان الانشاء الى خمسة مقادير وهي ثلثان ، ونصف ، وثلث ، وربع ، وسدس . اما الآن فالمستعمل بديوان الانشاء بمملكة الديار المصرية ومضافاتها على ضربين

الضرب الاول — ما يستعمل بديوان الانشاء بالابواب السلطانية وهي تسع مقادير من المصرى وغيره اجلها الخمسة المستعملة في القديم : الاول قطع البغدادي الكامل وعرض درجه عرض البغداوي بكماله وهو ذراع و حد بذراع القماش المصرى وفيه كان يكتب في الاول عهود الخلفاء وبيعاتهم . وفيه كان يكتب ايضاً عهود ملوك الديار المصرية الى آخر دولة الطاهر برقوق ، وفيه كانت كتب المكاتبات الى قانات

الشرق كأبي سعيد وغيره . ولما استقر السلطان الملك المؤيد شيخ سلطان مصر في السلطنة اقترح له ورق مصري شبه البغدادي في عرض ذراع ونصف كتب له فيه عهد وهو مقدار لم يسبق اليه ملك قبله * الثاني قطع البغدادي الناقص ، وعرض درجه دون عرض الكامل بأربعة أصابع مطوقة ، وقد ذكر في التثقيف انه كتب فيه الى القان صاحب السراي ، وفيه كتب عهد الناصر فرج بن برقوق في سلطته الاولى لتعذر وجود البغدادي الكامل * الثالث قطع الثلثين من الورق المصري ، والمراد ثلثا طومار من كامل القطع المنصوري ، وعرض درجه ثلثا ذراع بذراع القماش المصري أيضا وفيه تكتب مناشير اقطاعات الامراء المقدمين وتقاليد النواب الكبار والوزراء وأكابر قضاة الديار المصرية ومن في معناهم ، ولم ينجر العادة بمكاتبة لاحد من الملوك عن الابواب السلطانية فيه * الرابع قطع النصف ، والمراد قطع النصف من المنصوري أيضا . وعرض درجه نصف ذراع بالذراع المذكور ، وفيه تكتب مناشير اقطاعات الطبليخاناه ومراسيم الطبقة الثانية من النواب ، وفيه يكتب بعض الملوك عن الابواب السلطانية * الخامس ، قطع الثلث ، والمراد ثلث القطع المنصوري المقدم ذكره ، وعرض درجه ثلث ذراع بالذراع المذكور . وفيه تكتب مناشير امراء العشرات ومراسيم صفار النواب ومن في معناهم ، وفيه يكتب الى بعض الملوك عن الابواب السلطانية * السادس قطع الربع - والمراد ربع قطع المنصوري . وعرض درجه ربع ذراع بالذراع المذكور ، وفيه تكتب مناشير المالك السلطانية ومقدمي الحلقة ومناشير عشرات التركان بالممالك الشامية وبعض التواقيع لمن لم يؤهل لقطع الثلث * السابع قطع العادة ، وهو النهاية في صغر المقدار وعرض درجه سدس ذراع بالذراع المذكور ، وفيه تكتب عامة المكاتبات لاهل المملكة وحكامها والتواقيع الصغار والمراسيم الصغار والمكاتبات الى بعض حكام الممالك وما يجرى هذا المجرى . وكذلك يكتب فيه عن أعيان الدولة والامراء والوزراء وغيرهم من المكاتبات الاخوانية وما في معناها * الثامن قطع الشامي الكامل ، وعرض درجه عرض الطومار الشامي في طوله ، وهو قليل الاستعمال بالديوان جدا الا انه ربما كتبت فيه بعض المكاتبات كما كتب فيه عن الاترف شعبان بن حسين لوالده عند سفرها الى الحجاز الشريف * التاسع القطع

الصغير من ورق الطير ، وهو في عرض ثلاثة اصابع مطبوعة؛ وفيه تكتب بطائق الحمام وبعض مطلقات الكتب

الضرب الثاني - ما يستعمل من الورق بديوان الانشاء بالممالك الشامية من دمشق وحلب وطرابلس وحماة وصفد والكرك في المكاتبات والولايات الصادرة عن نوابها . وكلها من الورق الشامي وهي لا يخرج عن اربعة مقادير : الاول ، قطع الشامي الكامل ، وهو الذي يكون عرضه عرض الطومار الشامي في طوله على ما تقدم وفيه يكتب عن النواب لأعلى الطبقات من أرباب التواقيع والمراسيم (ليس الا) * الثاني قطع نصف الحموي ، وعرض درجه عرض نصف الطومار الحموي في طوله وفيه يكتب للطبقة الثانية من أرباب التواقيع الصادرة عن النواب * الثالث ، قطع العادة من الشامي ، وعرض درجه سدس ذراع بذراع الفماش المصري في طول الطومار أو دونه . وفيه يكتب للطبقة الثالثة من أرباب التواقيع والمراسيم الصادرة عن النواب وعامة المكاتبات الصادرة عن النواب الى السلطان فمن دونه من أهل المملكة وغيرهم إلا نائب الشام ونائب الكرك فقد جرت عاداتهما بصدور المكاتبات عنهما في الورق الأحمر دون غيرهما من النواب * الرابع ، قطع ورق الطير ، المقدم ذكره في آخر المقادير المستعملة في الأبواب السلطانية . وفيه تكتب بطائق الحمام والمطلقات على ما تقدم ، وكذلك يكتب فيه عن أعيان الدولة بالممالك الشامية من الأمراء والوزراء والحكام ومن في معناتهم المكاتبات الاخوانيات وما في معناها

﴿ الفصل الثاني ﴾

في بيان ما يناسب كل مقدار من مقادير قطع الورق المتقدمة الذكر من الاقلام . ومقادير البياض الواقع في اعلى الدرج وحاشيته ، وبعد ما بين السطور في الكتابة . اما ما يناسب كل مقدار من قطع الورق من الاقلام فقد ذكر المقر الشهابي في التعريف في آخر القسم الثاني أن تقطع البغدادي قلم مختصر الطومار ، وتقطع النابئين قلم الثلث الثقيل ، ولتقطع النصف قلم الثلث الخفيف ، وتقطع الثلث قلم التوقيعات ، وتقطع العادة قلم الرقاع : ومن ذلك يعلم ما يناسب كل قطع من مقادير القطع المستعملة بدواوين الانشاء فيناسب الشامي الكامل قلم التوقيعات لانه في معني ثلث البدي ، ويناسب نصف الحموي والمادة من الشامي قلم الرقاع لانها في معني العادة ، ويناسب ورق الطير

الذي تكتب فيه البطائق والمطلقات قلم الغبار ولذلك يسميه بعض الكتاب قلم الجناح
 لكتابة بطائق الحمام به . اما القلم الذي تقع به العلامة الشريفة فإنه قلم الطومار وهو
 اجل الاقلام ، وبه كانت تكتب الخلفاء في الزمن المتقدم ، وانما حدثت كتابة ملوك
 الديار المصرية به بعد زوال الخلافة من بغداد . قد رأيت خطوط جماعة من ملوك
 الدولة الايوبية وأوائل الدولة التركية بقلم الثلث الثقيل

وأما مقدار البياض قبل البسمة فيختلف في السلطانيات باختلاف قطع الورق،
 فكما عظم قطع الورق كان البياض فيه أكثر : فقطع البغدادي وما في معناه يترك فيه
 ستة أوصال بياضا وتكتب البسمة في السابع ، وقطع الثلثين يترك فيه خمسة أوصال
 وتكتب البسمة في السادس ، وقطع النصف يترك فيه أربعة أوصال ، وقطع الثلث
 يترك فيه ثلاثة أوصال ، وقطع المادة تارة يترك فيه ثلاثة أوصال وتارة يترك فيه وصلان
 فقط بحسب ما يقتضيه الحال . وقطع الشامي الكامل في معنى الثلث ، وقطع نصف
 الحموي والعادة من الشامي في معنى العادة من البلدي . وربما اجتهد الكاتب في زيادة
 وصل أو نقصه في بعض المواضع إذا اقتضاه الحال . وفي المكاتبات الصادرة عن سائر
 أرباب الدولة بمصر والشام يترك في جميعها قبل البسمة وصل واحد، وفي كتابة الأدي
 للأعلى قد يترك دون الوصل

وأما حاشية الكتاب فبحسب اجتهاد الكاتب فيها في السعة والضيق . قلت
 وقد رأيت بعض أعيان الكتاب المعتبرين يقدر حاشية الكتاب بالربح من عرض الدرج،
 وهو اعتبار حسن لا يكاد يخرج عن القانون .

وأما بعد ما بين السطور فيختلف باختلاف حال المكتوب واختلاف قطع الورق .
 ففي السلطانيات كنها على اختلاف قطع الورق فيها تكتب البسمة في أول الوصل بعد
 ما يترك من أوصال البياض في أعلى الدرج بحسب ما يقتضيه الحال ، ثم يكتب تحت
 البسمة سطر ملاصق لها يحسب ما يقتضيه وضع القلم في القرب والبعد بحسب الدقة
 وانماخذ، ثم يكتب السطر الثاني في آخر الوصل الذي كتبت فيه البسمة بحيث يبقى
 منه ثلاثة أصابع أو نحوها في القطع الكبير وقد أصعبين هما دونهما في القطع الصغير .
 وقد قدر صاحب . . . البيان البياض الباقي بين السطر الاول والثاني بقدر شبر ، ثم

ما بين كل سطرين بمقدار نصف ما بين السطرين الاولين . وواقعه صاحب ذخيرة الكتاب على مقدار ما بين السطرين الاولين وخالف فيما بعدها فجعل ما بين كل سطرين كما بين الاول والثاني ولعل هذا ما كان عليه الحال في العراق والاول ما كان عليه الحال ، بالديار المصرية . وذكر ابن شيث من أواخر كتاب الدولة الايوبية ان ما بين كل سطرين يكون ثلاثة أصابع أو أربعة أصابع . قلت : والذي جرت عليه عادة الكتاب في زماننا ان يكون في كل وصل من أوصال قطع العادة وما في معناه ثلاثة اسطر وفيما عداه من القطع العريض سطران وربما وقع التفاوت في القطع الصغير بحسب الحال حتي يكون في التواقيع التي على ظهور القصص ونحوها بين كل سطرين بعديت العلامة قدر أصبعين وربما توصلت الاسطر في المطلقات ونحوها اما ما يكتب عن نواب السلطنة من الولايات والمكاتبات من سائر اعيان الدولة فدور السلطانيات في مقدار خلو موضع العلامة فيكون موضعها بقدر خمس أصابع مطبوقة ونحوها وبعد ما بين السطور بعد ذلك بقدر أصبعين الى مادونهما

المقالة الرابعة

﴿ في المكاتبات السلطانية وفيها أربعة أبواب : ﴾

﴿ الباب الاول ﴾

في أمور تتعلق بالمكاتبات يجب على الكاتب معرفتها، وأصول يعتمدها الكاتب في كتبه في الابتداء والجواب وفيه خمسة فصول

﴿ الفصل الاول ﴾

في أصول يتعين على الكاتب مراعاتها في كتبه وهي عشرة أصول :
 ﴿ الاصل الاول ﴾ حسن الافتتاح المطلوب في جميع أنواع الكلام من نثر ونظم بأن يأتي في مطلع الكلام بسهولة اللفظ وصحة السبك ووضوح المعنى ويتجنب الحشو ونحو ذلك مما تشوق اليه النفس وتمش لسماعه اما بالافتتاح بالحمد لله كما في بعض المكاتبات الصادرة بفتح ونحوه فان النفوس تشوق الى الثناء على الله تعالى لا

سما عند حدوث المن الجسام، او بالافتتاح بالسلام الذي جعله الشارع مفتوح الخطاب،
واما بالافتتاح بما فيه تعظيم الملوك من نحو تقبيل الارض أو اليد ونحوها، او الدعاء
له وما في معنى ذلك فان أمر المكاتبات مبنى على استجلاب الخواطر وتألف القلوب
الى غير ذلك مما يجرى هذا المجرى

﴿ الاصل الثاني ﴾ - ان يراعي الاتيان في أول الكتاب ببراعة الاستهلال
المطلوبة في كل فن من فنون الكلام بأن يأتي في صدر الكتاب بما يدل على عجزه: فان
كان في فتح آتى في أوله بما يدل على الفتح، او في التهنئة آتى في أوله بما يدل عليها، او
في التعزية فكذلك، وعلى ذلك في سائر المعاني ليعلم من مبدأ الكلام ما المراد منه كما
يحكي ان عمرو بن مسعدة كاتب المأمون أمر كاتبه ان يكتب الى الخليفة يعرفه فيه ان
بقرة ولدت عجلا وجهه انسان فكتب: اما بعد حمد الله خالق الانام، في بطون
الانعام. وأئمة الكتاب وفضلاؤهم لهم بهذا الباب الغاية الكاملة ويرون ان في تركه
اخلالا بالصنعة وتقصافي الكتابة حتى ان الوزير ضياء الدين بن الاثير عاب أبا اسحاق
الصابي على علومكاته في الكتابة بكتاب كتبه بفتح بغداد وهزيمة الترك افتتحه بخطبة أولها:
الحمد لله رب العالمين، الملك الحق المبين، الوحيد الفريد، العلي المجيد، الذي لا يوصف
الابسلب الصفات، ولا ينعت الا برفع النعوت. في كلام آخر مما يجرى هذا المجرى.
وقال ان هذه التحميدة انما تصلح ان توضع في صدر مصنف من مصنفات أصول
الدين فأما ان توضع في كتاب فتح فلا. واعلم ان براعة الاستهلال في المكاتبات قد
تقع مع الابتداء بالتحميد كما في كتاب عمرو بن مسعدة المقدم ذكره وكما كتب
الصابي عن الطائع الى بعض ولاة الاطراف عند زوال الوحشة بينه وبين الامراء: أما بعد
فالحمد لله ناظم الشمل بعد شتائه، وواصل الحبل بعد بتائه. . . وقد تقع مع الابتداء
بالدعاء بأن يكون الدعاء مناسبا للحالة المكتوب فيها كما كتب بعضهم في بشرى
بفتح: ولا زالت آيات النصر تتلى عليه من صحف البشائر، ونفائس الظفر تجلى على
سره في أسعد طائر، وفواتح الفتح تزهى به الاسرة وتزهو بنوره المنابر. . . وقد
تقع في الابتداء بتقبيل الارض كما كتب لبعض رؤساء الاسكندرية مشير الى تسميتهم
ريح الشمال بالملثم ويلوح بذكر منتزه لهم على البحر يسمى بالرمل ومساكن لهم في ذلك

المستنزه تسمى القصور ما صورته : يقبل الارض ثغر قد رق مثلثه ، وراق مبسومه ؛
شكرا يعترف الرمل بالقصور عن حده ، وتقف أمواج البحر المحيط دون عده . . .

﴿ الاصل الثالث ﴾ — ان يعتمد في الكتاب المشتمل علي المقاصد الجليلة مقدمة
يصدر بها تأسيسا لما يأتي به في كتابه مثل ان يأتي في صدر كتب الحث على الجهاد
بذ كر اقتراضه على الامة وما وعد الله تعالى به من نصر اوليائه وخذلان أعدائه واعزاز
الموحدين وقع الملحدين ، وفي صدر كتب الفتح بانجاز وعد الله الذي وعده أهل
الطاعة من النصر والظفر واظهار دينه على الدين كله ، وفي صدر كتب جباية الخراج
بحاجة قيام الملك وأس السلطة الى الاستعانة بما يستخرج من حقوق السلطان في عمارة
الثغور وتحصين الاعمال وتقوية الرجال ونحو ذلك مما يجرى هذا المجرى فقد قيل
انه لا يحسن بالكاتب ان يخلى كلامه وان كان وجيزا من مقدمة يفتحه بها وان وقعت
في حرفين أو ثلاثة ليوفى التأليف حقه . قال في مواد البيان : وعلى هذا السبيل جرت
سنة الكتاب في جميع الكتب كالفتوح والتهماني والتعازي والتهادي والاستخبار
والاستبطاء والاحقاد والاذمام وغيرها ليكون ذلك بساطا لما يريد القول فيه
وحجة يستظهر بها السلطان لان كل كلام لا بد له من فرش يفرش قبله ليكون منه
بمنزلة الاساس من البنيان ، قال ، ويرجع في هذه المقدمات الى معرفة الكاتب ما يستحقه
كل نوع من انواع الكلام من المقدمات التي يشاكلها ، ثم قال ، والطريق الى
اصابة المرعي في هذه المقدمات ان يجعل مشتملة على ما بعده من المقاصد والاعراض ،
وان يوضع للامر الخاص مقدمة خاصة ، وللامر العام مقدمة عامة ، ولا يطول في موضع
الاقتصار ولا يقصر في موضع التطويل ، ولا يجعل اغراضها بعيدة المأخذ معتاصة على
المتصفح ، فان الكاتب ربما قصد اظهار القدرة على الكلام والتصرف في وجوه المنطق
فخرج الى الاملال والاضجار الذي تبرم منه النفوس ولا سيما نفوس الملوك وذوي الاخطار
الجليلة . اما الامور التي لا تشتمل علي المقاصد الجليلة كرقاع التحف والهدايا ونحوها
فقد ذكر في مواد البيان ان لا يجعل لها مقدمة تكون امامها فان ذلك غير جائز ولا
واقع موقعه . ألا ترى انهم استحسنا قول بعضهم في صدر رقعة مقترنة بتحفة في
يوم مهرجان : هذا يوم جرت فيه العادة بان تهدي فيه العبيد الى السادة . . . واستظرفوا

الكاتب لا يجازره وتقريبه المأخذ

﴿ الاصل الرابع ﴾ - ان يعرف الفرق بين الالفاظ المستعملة في المكاتبات فيضع كل لفظ منها في موضعه فقد قال في ذخيرة الكتاب : يجب على الكاتب ان يعرف مرتبة الالفاظ ومواقعها ليرتبها ويفرق بينها فرقا يقف به على الواجب وينتهي به الى الصواب فيخطب كلا في مكاتبة بما يستحقه من الخطاب فانه قبيح به ان يكون خطابه أولا خطاب المرؤس للرئيس ثم يتبعه بخطاب الرئيس للمرؤس ، أو يبدأ بخطاب المرؤس للرئيس ثم يتبعه بخطاب الرئيس للمرؤس ، قال ، ومتى استمر الكاتب على هذه المخالفة بين الالفاظ والمناقضة تقصت المعاني ورذلت الالفاظ وسقطت المقاصد . وكان الكاتب قد اخل من الصناعة بمعظمها وترك من البلاغة غاية محكمها ، بل يجب اذا بدأ بخطاب رئيس او نظير أو مرؤس ان يكون ، ايتخلل مكاتبة من الالفاظ على اتساق الى آخرها واطراد من غير مخالفة بينها ولا مضادة ولا مناقضة . فما يجب اعتباره من ذلك : الفرق بين اصدرنا هذه المكاتبة ، وبين أصدرت هذه المكاتبة ، على البناء للمفعول ، وبين صدرت . فأصدرنا أعلى بالنسبة الى المكتوب اليه للتصريح فيها بالضمير العائد على الرئيس الذي صدرت المكاتبة عنه اذ الشئ يشرف بشرف متعلقه ، ويلى ذلك في الرتبة « أصدرت » لاقتضائها اصدار مصدر في الجملة وذلك المصدر هو الرئيس الذي صدرت عنه في الحقيقة ، ودون ذلك « صدرت » لاقتضاء الحال صدورها بنفسها من غير دلالة على المصدر أصلا ومن ذلك الفرق بين : يبدي لعلمه ، ويوضح لعلمه ، فيبدي أعلى بالنسبة للمكتوب اليه لان الابداء يرجع في المعنى الى اظهار على خفي والرئيس لا يظهر على خفي الا خصاؤه . ويوضح يرجع الى بيان مشكل ، وحصول الاشكال المحتاج الى ايضاح ربما دل على بعد فهم الخطاب عن المقصود بخلاف اظهار الخفي فانه لا ينتهي الى هذا الحد . ومن ذلك الفرق بين : علمه الشريف ، وعلمه الكريم ، وعلمه المبارك . فعلمه الشريف اعلى بالنسبة للمكتوب اليه لانه منقول عن الشرف والكرم في الانسان ، وقد تقدم ان الشرف اعلى من الكرم لان الشرف يفتقر الى اتصال ذلك في الآباء بخلاف الكرم ، واذا كان الشرف في الانسان ارفع كان في غيره كذلك ؛ والكرم اعلى من المبارك لان الكرم في أصل اللغة هو الخلوص من اللؤم ، . والبركة النماء والزيادة ، وهي قد تكون مع الكرم وقد يتخلف

الكرم عنها . ومن ذلك الفرق بين : ومرسومنا لفلان بكذا وبين المرسوم له بكذا . فرسومنا أعلى بالنسبة الى المكتوب عنه لاشتماله على نون التعظيم ، ولذلك اختصت بالملوك دون غيرهم بخلاف «المرسوم له بكذا» فإنه عار عن التعظيم . ومن ذلك الفرق بين بلغنا ، وبين انتهى الى علمنا ، وبين اتصل بنا ، فاتصل بنا أعلى من انتهى الى علمنا بالنسبة الى المكتوب اليه لما في معنى الاتصال من التلاصق بخلاف الانتهاء ؛ وانتهى الى علمنا أعلى من بلغنا ، لان البلوغ قد يكون على لسان الآحاد . ومن ذلك الفرق بين عرفنا ، وبين ذكر لنا ، وبين أنهى إلينا . فعرفنا أعلى بالنسبة الى المكتوب بسببه فإن التعريف يقتضى الاعلام بما لم يكن عنده علمه وفيه نوع توفر بخلاف « ذكر » فإنه لا يقتضى ذلك ؛ وذكر أعلي من أنهى ، لأن الانتهاء يحتمل الخطاب ويحتمل رفع قصة . ومن ذلك الفرق في الطلب بين : والمسئول ، وبين : والمستمد ، وبين : والقصد ؛ فالمسئول أعلى بالنسبة الى المكتوب اليه فان السؤال يتضمن نوع ذلة بخلاف الاستمداد ؛ والاستمداد أعلى من القصد ، لان الاستمداد فيه معنى ان المادة ناشئة عن المكتوب اليه بخلاف القصد . ومن ذلك الفرق بين : وردت علينا مكاتبتك وبين : وردت مكاتبتك ، فوردت علينا أعلى بالنسبة الى صاحب المكاتبة الواردة لتخصيصها بالورود على الرئيس بنفسه بخلاف ورودها مطلقا . ومن ذلك الفرق بين : عرضت علينا مكاتبتك وبين وقفنا عليها ، فوقفنا أعلى بالنسبة الى صاحب المكاتبة لان الوقوف عليها يكون بنفسه ، والعرض يكون بقراءة غيره . ومن ذلك الفرق بين : وشكر المملوك الله تعالى على سلامته وبين : وتوالى شكره الله تعالى على سلامته ، فتوالى شكره أعلى بالنسبة الى المكتوب اليه لما فيه من معنى التكرار ومزيد الشكر المؤذن بالاحتفال . ومن ذلك الفرق بين : ورجب المملوك الى الله تعالى في كمال عافيتك ، وبين فضرعت الى الله تعالى : فضرعت أعلى من رغبته بالنسبة الى المكتوب اليه لما في معنى الضراعة من مزيد التأكييد في الطلب بخلاف الرغبة فانها لا تنتهي لذلك . ومن ذلك الفرق بين : فامتثلت أمره بالطاعة وبين : وقابلت أمره بالطاعة ، فامتثلت أعلى بالنسبة الى الأمر لما في الامتثال من معنى الاذعان والالتقياد بخلاف المقابلة . ومن ذلك الفرق بين : وسألت فيه وبين : وشفعت له . فسألت فيه أعلى في حق المسئول لما في السؤال من معنى الذلة وما في الشفاعة من معنى الشرف

والرفعة . ومن ذلك الفرق بين : وخاطبت فلانا في أمره وبين : وتحدثت في أمره ،
 (فتحدثت أشد في تواضع المتكلم من خاطبت) لان الخطاب يقتضى مشافهة
 المخاطب بخلاف التحدث فإنه قد يكون بنفسه وقد يكون بواسطة . ومن ذلك
 الفرق بين : تشرى بكذا ، وبين : اسعافى بكذا ، وبين : اتحنافى بكذا . فاسعافى أعلى
 من تشرى بالنسبة الى المسئول لما فيه من دعوى الاحتياج الى المطلوب ، وتشرى
 أعلى من اتحنافى لان الاتحناف ليس فيه معنى التشرىف المؤذن برفعة قدر المسئول .
 ومن ذلك الفرق بين : نزل عنده ، وبين : نزل بساحته ، فالنزل بالساحة أعلى في
 حق المنزول به لما في ذكر الساحة من معنى الفسحة واتساع الفناء . ومن ذلك الفرق
 بين : فيحيط علمه بذلك وبين : فليعلم ، فيحيط علمه أعلى لما في الاحاطة من الاشعار
 بسعة العلم . . الى غير ذلك من الالفاظ التي لا يسع استيعابها

﴿ الاصل الخامس ﴾ ان يعرف مواقع الدعاء فى المكاتبات فيضع كل دعاء فى
 موضعه . والمرجع فى ذلك الى سبعة أمور

الاول - ان يعرف مراتب الدعاء فى العلو والهبوط فيورد كلا منها فى محله
 ويوفى كل واحد من الدعاء حقه ولا يجاوز به فيه قدره فقد قال فى مواد البيان :
 ان الملوك تسمح بيدرات المال ولا تسمح بالدعوة الواحدة . فمن ذلك الدعاء بطول
 البقاء ، والدعاء بطول العمر ، والدعاء بطول البقاء ارفع لان البقاء لا يبدل على مدة تنقضى ولذلك
 يوصف الله تعالى بالبقاء ولا يوصف بالعمر . قال فى مواد البيان : ومن هنا جعل الدعاء
 بأطالة البقاء اول مراتب الدعاء ، وخص بالخلفاء : وجعل ما يليه لمن دونهم . ومن ذلك
 الدعاء بطول العمر ، والدعاء بالمدفيه ، فالدعاء بطول العمر ابلغ من الدعاء بالمدفيه لان الوصف
 بطول الزمان ابلغ من الوصف بالمدفيه من حيث ان المد قابل للمدة الطويلة والمدة القصيرة
 ولذلك صارت مرتبة الطول اقرب الى مرتبة البقاء من مرتبة المد . ومن ذلك الدعاء
 بعز الانصار ، والدعاء بعز النصر ، والدعاء بعز النصر فالدعاء بعز الانصار اعلى الجميع
 بالنسبة للمدعو له لانه ان جعل الانصار جمع ناصر فعز الناصر عز له بالضرورة مع ما فيه
 من تعظيم القدر ورفعة الشأن اذ الانصار لا تكون الا لملك عظيم او كبير جليل ، وان
 جعل جمع ناصر فالدعاء للجميع اولى من الدعاء للمفرد ؛ والدعاء بعز النصر اعلى من

الدعاء بعز النصر لما في النصر من معني التذكير الذي هو ارفع من التأييد . ومن ذلك الدعاء بدوام النعمة والدعاء بمضاعفة النعمة ، فالدعاء بالمضاعفة اعلى للمدعو له لان دوام النعمة غايته استصحابها ، ومضاعفتها مقتضية للزيادة . ومن ذلك الدعاء بعز الاحكام والدعاء بتأييد الاحكام ، فالدعاء بعز الاحكام اعلى لان المراد بالتأييد التقوية ، وقد توجد القوة ولا عز معها . واعلم انه قد ذكر في معالم الكتابة ان مصطلح الدولة الايوبية كان أن لا يكتب عن السلطان لاحد ممن في ممالكه بلازال ولا برح بل يختص ذلك بسلطان مثله ، ثم قال ، ولا حرج في الكتابة بذلك عن السلطان التي ولده اذا كان نائبا عنه في الملك ، قال ، ولذلك لا يدعو الاعلى للادنى بـ «لازال ولا برح» قلت : والذي استمر عليه الحال الكتابة عن السلطان بذلك لا كابر نواب السلطنة ومكاتبة أ كابر الدولة بعضهم الى بعض

الثاني — ان يعرف ما يناسب كل أحد من أرباب المناصب من الدعاء فيخصه به . ففي المكاتبة الى الملوك يأتي بالدعاء بأطالة البقاء ، ودوام السلطان ، وخلود الملك ، وما أشبه ذلك ؛ وفي المكاتبة الى الامراء بالدعاء بعز الانصار ، وعز النصر ، وعز النصر ، ومضاعفة النعمة ، ودوام النعمة ، وما أشبه ذلك مما يقتضيه الحال . على ان ابن شيث قد ذكر في معالم الكتابة ان الدعاء بعز النصر ومضاعفة الاقتدار كان في الدولة الايوبية مما يختص بالسلطان دون غيره ؛ ويأتي في المكاتبة الى الوزراء من أرباب الاقلام ومن في معانهم من أ كابر الكتاب بالدعاء بسبوغ النعمة وتخليد السعادة ودوام المجد وما يضاهي ذلك ، ويأتي في المكاتبة الى القضاة بالدعاء بعز الاحكام وتأييد الاحكام وما يشاكل ذلك ، ويأتي في المكاتبة الى التجار بالدعاء بمزيد الاقبال وخلود السعادة وشبه ذلك . قال في مواد البيان : وقد كانوا يختارون في الدعاء للادباء أ بتمالك الله ، وأ كرمك الله ، وفي الدعاء للابن والحرمة : ابقاك الله ، وامتع بك . اما (غير المسلمين) فقد اصطلحوا على الدعاء لهم في المكاتبات بطول البقاء وما في معناه . والاصل في ذلك ماورد ان النبي صلى الله عليه وسلم استسقى فسقاه يهودى فقال له : جمالك الله . فما رؤى الشيب في وجهه حتى مات فدل على جواز الدعاء بما لا فيه اعزاز ولا نصرة على المسلمين

الثالث — ان يعرف ما يناسب كل حالة من حالات المكاتبات فيأتى لها بمناسبتها من الدعاء . قال في مواد البيان: ينبغي ان تكون الأدعية دالة على مقاصد الكتاب، فان كانت في الهناء (كانت مما) يعرفه، وان كانت في العزاء كانت مشتقة من وصفه، وكذلك سائر فنون المكاتبات فإنه متى خرج الدعاء عن المناسبة وابتدأ المقصود خرج عن جادة الصناعة وتوجه اللوم على الكاتب لا سيما اذا أتى بما يضاد المراد كما حكي في الصناعتين أن بعضهم كتب الى محبوبته : عصمنا الله واياك مما يكره . فكتبت له : يا غليظ الطبع ان استجيب لك لم نلتق ابدا . ويختلف الحال في ذلك فتارة يكون باعتبار المعنى المكتوب فيه فيكتب بالبشارة بجلوس الملك على تخت الملك لأول امره : وأمتعته من البشائر بما يتوضح علي جبين الصباح بشره ، وما يرجع علي ميزان الكواكب قدره ، وما ينفسح من اوقات امن لا يختلف فيها زبده وعمره . ويكتب في التهنة بعافية : ولا برح في برد الصحة رافلا والاقبال لجابه العالي بالهناء بعافيته واصلا . وتارة يكون باعتبار حال المكتوب اليه فيما هو بصدده ، فيكتب لمن خرج الى الغزو : وحفه بلطفه فلا يخيب ، وهيا له النصر والفتح القريب ، وجعل على يديه هلاك اعدائه حتى لا يبقى لهم بشدة بأسه من السلامة نصيب . ويكتب لمن خرج الى الصيد : وأمتعته بصيوده ، وجعل الاقدار من جنوده ، وأراه من مصارع اعدائه بسيفه ورماحه ما يراه من مصارع صيده ببراته وفهوده . ويكتب لمن خرج لسفر : وقضي بقرب رجعتي ، وجعله كاللهلال في مسيره سبب رفعتي ، وسكن بقدمه أستواق اوليائه واهل محبته . ويكتب لمن خرج لتخضير بلاد : وأبس البلاد بقدمه أخضر الاثواب ، وأحله أشرف محل وأخصب جناب . وتارة يكون باعتبار وظيفة المكتوب اليه ، فيكتب الى كافل المملكة : ولا زالت كهانية كهاتمه تزيد على الآمال ، وتتقرب الى الله بصالح الأعمال ، وتكفل ما بين أقصى الجنوب وأقصى الشمال . ويكتب الى القاضي : وفصل بين الخصوم بأحكامه المسددة ، واقضيته التي بها قواعد الاسلام مهيأة ، وأبنية الشرع المطهر واركانه مشيدة . ويكتب الى متصوف : واعاد من بركات تهجداته ، وانار الليالي بصالح دعواته . وتارة يكون باعتبار بلد المكتوب اليه وناحيته ، فيكتب الى نائب الشام : ولا زال لصرحاية أباه ، وشامة شامه ، وغمامة ما يحلق على بلده المحصن من غمامه .

وتارة يكون باعتبار اسم المكتوب اليه او لقبه : فيكتب الى من لقبه سيف الدين : ولا زال سيفه في رقاب اعدائه . فغدا ، وحده يندر كل ملحد ملحدا . ويكتب الى من لقبه عز الدين : ولا زال عزه دائما ، والزمان في خدمته قائما ، وطرف الدهر عن مراقبة سعادته نائما . ونحو ذلك

الرابع - ان يعرف من الذي يليق الدعاء على المدو في صدر مكاتبته . قال في معالم الكتابة : كان من عوائد مكاتبة الادني الى الاعلى الدعاء على عدو المكتوب اليه مثل : وقسم عدوه واذل مخالفه . وكذلك المماثل والمقارب . فأما من الاعلى الى الادنى فلم يكن ذلك . معروفا عند المتقدمين لاسيما اذا كان الكتاب عن السلطان ، ثم قال ، ولكن قد أفلت الحبل في ذلك ، الى ان قال ، ولا يقال للادنى غير : وكبت عدوه ، او ضده ، او حووده خاصة

الخامس - ان يعرف ما كرهه الكتاب من الدعاء في المكاتبات فيتجنبه . قال في مواد البيان : كانت عاداتهم جارية ان يتجنبوا من الدعاء ما لا يحصل له كقولهم جعلني الله فداك وقد منى الى سوء دونك ، لما في ذلك من التصنع والملق الذي لا يرضاه السلطان لان نفس الداعي لا تسمح باجابته ، قال ، وانما يحسن ذلك من الخواص الذين يتحققون ان بقاؤهم مقرون بقاء رؤسائهم وثبات نعمتهم مقرون بثبات ايام سلطانهم لانه يصدر عن عقائد مستحكمة من بذل النفس دونهم . وذكر انهم كانوا لا يستحسنون الدعاء بالامتناع وهو : أمتع الله بك ، وأمتعني الله بك ، في حق الاخوان . قال في صناعة الكتاب : ولا يقال في مكاتبة النساء : وأدام كرامتك ، ولا : أدام سعادتك . وقد حكى محمد بن عمر المدائني ان بعض عمال زبيدة كتب اليها كتابا بسبب ضياع لها فوقعت على ظهر كتابه : أردت ان تدعو لنا فدعوت علينا فأصاح خطاك والا صرفناك عن جميع اعمالك . فأدركه القلق وتصفح الكتاب فلم يظهر له فيه شيء فعرضه على بعض حذاق الكتاب فقال انما كرهت قولك في صدر الكتاب : وأدام كرامتك . لأن كرامة النساء دفهن فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « دفن البنات من المكربات » فغير ذلك الحرف وأعاد لكتاب اليها فوقعت على ظهره : أحسنت ، ولا تعد !

السادس - ان يجتنب الخلاف في الدعاء والموالات بين دعوتين متفتتين ، فاما

الخلافة في الدعاء فقال في صناعة الكتاب هو ان يقول : اطل الله بقاء سيدي ، بلفظ الغيبة ثم يقول بعد ذلك : وبلغك املك ، بلفظ الخطاب . واما موالاة دعوتين متفتحين فمثل ان يقول : اعزه الله تعالى ثم يقول في الفصل الذي بعده : اعزه الله تعالى . وما أشبه ذلك السابع - ان يجتنب اللبس في الدعاء فاذا ذكر الرئيس مع عدوه لم يدع للرئيس حينئذ فانه لو ذهب يقول : وكان من عدو سيدي ابقاه الله كذا وكذا ، لاحتمل عود الدعاء الى الرئيس والى عدوه بخلاف ما اذا ذكر الرئيس وحده كما اذا قال : وكنت عرفت سيدي ابقاه الله كذا ، فانه لا اللباس فيه .

(الاصل السادس) - ان يراعى في مقاصد مكاتباته مطابقة مقتضى الحال في اللفظ والمعنى فيأتي مع كل كلمة بما يليق بها ويتخير لكل لفظ ما يشاء . قال ابن عبد ربه : وليكن ما تخم به فصولك في موضع ذكر البلوى مثل : نسأل الله دفع المحذور وضرف المكروه ، واشباه ذلك ؛ وفي موضع المصيبة : انا لله وانا اليه راجعون ؛ وفي موضع النعمة : الحمد لله خالصا والشكر لله واجبا ؛ وما شاكل ذلك . قال في مواد البيان : واذا ذكر البلوى شفعها بالاستعانة بالله والرجوع اليه فيها ورد الامر الى حوله وقوته . قال ابن عبد ربه : فان هذه المواضع مما يتعين على الكاتب ان يتقدها ويتحفظ فيها فانه انما يصير كاتبان يضع كل معنى في موضعه ويماق كل لفظ على طبقه في المعنى . ومما يباحق بذلك أيضا انه اذا ذكر الرئيس في اثناء المكاتبات دعا له مثل ان يقول عند ذكر السلطان : خلد الله ملكه . وعند ذكر الامير الكبير : عز نصره أو أعز الله تعالى أنصاره ، وعند ذكر الحاكم أعز الله تعالى أحكامه او ايد الله تعالى أحكامه ، بحسب ما يقتضيه الحال وما أشبه ذلك . وعلى الكاتب ان يتخطى التحريم الى التلويح والأشارة اذا جاءت الحال الى المكاتبة بما لا يجوز كشفه واظهاره على صراحته مما في ذكره على نصه هناك ستر أو في حكايته اطراح مهابة السلطان وإسماعه ما يلزم منه إخلال الأدب في حقه كما لو أطلق عدوه لسانه فيه بلفظ قبيح يسوءه سماعه قال في مواد البيان فيحتاج المنشئ الى استعمال التورية في هذا الموضع والتلطف في العبارة عن هذه المعاني وايرادها في صورة تقتضي توفيق حق السلطان في التوقير والأجلال والاعظام والتهزية عن المخاطبة بما لا يجوز امراره على سماعه وايصال المعنى اليه من غير خيانة في طي ما لا غنى به عن علمه ،

قال ، وهذا مما لا يستقل به الا المبرز في الصناعة المتصرف في تأليف الكلام
﴿ الاصل السابع ﴾ ان يعرف مقدار فهم كل طبقة من المخاطبين في المكاتبات
من العرب والعجم فيخاطب كل واحد بما يناسبه من اللفظ وما يصل اليه فهمه من الخطاب
قال في الصناعتين: اول ما ينبغي ان تستعمل في المكاتبة ان تكاتب كل فريق على مقدار طبقتهم
في الكلام وقوتهم في المنطق، قال ، والشاهد لذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد
ان يكتب الى أهل فارس كتب اليهم ما يمكنهم ترجمته فكتب اليهم « من محمد رسول
الله الى كسرى ابرويز عظيم فارس . سلام على من اتبع الهدى وأمن بالله ورسوله .
وادعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله الى الناس كافة لينذر من كان حيا ويحق القول
على الكافرين . فاسلم تسلم وان آيت قائم المجوس عليك . » فهل رسول الله صلى
الله عليه وسلم الالفاظ غاية التسهيل حتى لا يخفى منها شيء على من له أدنى معرفة
بالعربية. قال في مواد البيان: فيجب على الكاتب ان ينتقل في استعمال الألفاظ على
حسب ما تقتضيه رتب الخطاب والمخاطبين وتوجه الاحوال المتغيرة والأوقات المختلفة
ليكون كلامه مشا كل لالكل منها فان أحكام الكلام تتغير بحكم تغير الأزمنة والأمكنة
ومنازل المخاطبين والمكاتبين ، قال ، وانمخر الصدر الأول من الكتاب بأيقاع المناسبة
بين كتابتهم وبين الاشياء المتقدمة الذكر استعمل كتاب الدولة الأيوبية من الألفاظ
الغريبة الفحلة والمثينة الجزلة ما لم تستعمل مثله الدولة العباسية لأن كتاب الدولة الأيوبية
قصودوا ما شا كل زمانهم الذي استفاضت فيه علوم العرب ولغاتها حتى عدت في جملة
الفضائل التي يثار على اقتنائها، والأمكنة التي نزلها ملوكهم من بلاد العرب، والرجال
الذين كانت الكتب تصدر اليهم وهم أهل الفصاحة واللسن والخطابة والشعر . اما
زمان بني العباس فان الهمم تفاصرت عما كانت مقبلة على تطلبه فيما تقدم من العلوم
المقدم ذكرها، وشغلت بغيرها من علوم الدين، ونزل ملوكهم ديار العراق وما يجاورها
من بلاد فارس وليس استفاضة لغة العرب فيها كاستفاضةها في أرض الحجاز والشام.
ومن المعلوم ان القوم الذين كانوا يكتبون عنهم لا يجارون تلك الطبقة في الفصاحة
والمعرفة بدلالات الكلام فانتقل كتابها من اللفظ المثين الجزل الى اللفظ الرقيق
السهل . وكذلك انتقل متأخرو الكتاب عن الفاظ المتقدمين الى ما هو أعذب منها

وأخذ للمعنى المتقدم ذكره ، قلل ، وحينئذ فيذنبى للكاتب ان يراعى هذه الأحوال
ويوقع المشاكهة بين ما يكتبه وبينها فإذا احتاج الى إصدار كتاب الى ناحية من النواحي
فلينظر الى أحوال قاطنيتها: فأن كانوا من الأدباء والبلغاء العارفين بنظم الكلام وتأليفه
فليودع كتابه الألفاظ الجزلة التي إذا حليت بها المعاني زادت بها فخامة في القلوب وجمالة
في الصدور: وان كانوا ممن لا يفرق بين خاص الكلام وعامه فليضمن كتابه الألفاظ
التي يتساوى سامعوهافي فهم معانيها فإنه متى عدل عن ذلك ضاع كلامه ولم يصل معنى
ما كتب فيه الى من كتبه لأن الكلام البليغ إنما هو موضوع بازاء افهام البلغاء
والفصحاء. فأما العوام والحشوة فأما يصل الى أفهامهم الكلام العاطل من حلى النظم
العارى عن كسوة التأليف فيجب على الكاتب ان يستعمل في مخاطبته من هذه صفته
أدنى: تب البلاغة وأقربها من افهام العامة، وكذلك الأم الأَعْجَمِيَّة إذا كتب اليهم ثم قال،
فأما الكتب الممتدة عن السلطان فأن منها كتب الفتوحات ونحوها، وهي محتملة للألفاظ
الفصيحة الجزلة والأطالة الفاضحة بأشباع المعنى ووصوله الى افهام كافة سامعيه من
الخاص والعام . ومنها كتب الخراج وجبايته وأمور المعاملات والحساب وهي لا تحتمل
اللفظ الفصيح ولا الكلام الوجيز لأنها مبنية على تمثيل ما يعمل عليه وإفهام من لا
يصل المعنى الى فهمه الا بالبيان الشافى في العبارة . ومنها مخاطبة السلطان عن نفسه
فيجب فيها مخاطبته على قدر مكانه من الخدمة من الألفاظ المتوسطة ولا يجوز ان
يستعمل فيها الفصيحة التي لا تحتمل من تابع في حق متبوع لما فيه من تعاطى التفاصيل
على سلطانه وهو غير جائز في أدب الملوك، وكذلك لا يجوز فيه تعاطى الألفاظ المبتدلة
الدائرة بين السوقة لما في ذلك من الوضع من السلطان بمقابلته اياه بما لا يشبه رتبته .
وأما الكتب الاخرانيات النافذة في التهانى والتعازى فأنها تحتمل الالفاظ الغربية
القوية الاخذ بمجامع القلوب الواقعة أحسن المواقع من النفوس لأنها مبنية على تحسين
اللفظ وتزيين النظم، وإظهار البلاغة فيها مستحسن واقع موقعه. قلت: والذي يراعى الفصاحة
والبلاغة فيه من المكانيات عن الابواب السلطانية الا أن مكانيات ملوك الغرب كصاحب
تونس وصاحب تلمسان وصاحب فاس وصاحب اغرناطة من الأندلس، وكذلك القانات
العظام من ملوك الشرق ومن يجرى هذا المجرى ممن اشتملت الالدهم على علماء البلاغة

وصناعة الكتابة بخلاف غيرهم

﴿ الاصل الثامن ﴾ - ان يراعى رتبة المكتوب عنه والمكتوب اليه في الخطاب فيجبر عن كل واحد منهما في كل مكاتبة بما يليق به ويخاطب المكتوب اليه بما يقتضيه مقامه . فأما المكتوب عنه فيختلف الحال فيه باختلاف منصبه ورتبته : فأن كان خليفة فقد جرت عادة من تقدم من الكتاب بالتمبير عنه في الكتب الصادرة عن ابواب الخلافة بأمر المؤمنين مثل ان يقال : فجزى أمر أمير المؤمنين في كذا على كذا ، واوعز أمير المؤمنين الى فلان بكذا ، واقتض رأى أمير المؤمنين كذا وما أشبه ذلك . وربما عبروا عنه بالسلطان مثل ان يقال في حق المخالفين : وحار يواعسا كرا السلطان ، ونحو ذلك ، يريدون الخليفة . وان كان المكتوب عنه ملكا فقد جرت العادة ان يمبر عنه بنون الجمع للمعظم فيقال : فعلنا كذا ، واقتضت آراؤنا الشريفة كذا ، وما أشبه ذلك . وان كان المكتوب عنه صرؤسا بالنسبة الى المكتوب اليه كاتابع ومن في معناه فقال في مواد البيان : ينبغي ان يتحفظ في الكتب الباقذة عنه من الاثيان بنون العظمة وغيرها من الالفاظ التي فيها تعظيم شأن المكتوب عنه مثل ان يقول : امرت بكذا ، أو نهيت عن كذا ، أو تقدم أمرى الى فلان بكذا ، وما في معنى ذلك مما لا يخاطب به الاتباع رؤساءهم ؛ بل يعدل عن مثل هذه الالفاظ الى ما يؤدى الى معناها بما لا عظمة فيه مثل ان يقول : وجدت صواب الرأى كذا ففعلته ، ووجدت السياسة تقتضي كذا فأمضيته وما أشبه ذلك ان كان عرف الكتاب على (الخطاب بالتاء) والاقال : وجد المملوك صواب الرأى كذا ففعله ، ورأى السياسة تقتضي كذا فامضاه ، وما يجرى هذا المجرى

واما المكتوب اليه فقال في الصناعتين : ينبغي ان يعرف الكاتب قدر المكتوب اليه من الرؤساء والنظراء والعلماء والوكلاء ليفرق بين من يكتب اليه : انا افعل كذا : وبين من يكتب اليه : نحن نفعل كذا ، ف«أنا» من كلام الاشباه والاخوان ، و«نحن» من كلام الملوك . ويفرق بين من يكتب اليه : فأن رأيت ان تفعل كذا ، وبين من يكتب اليه : فرأيتك : قال في مواد البيان : وذلك ان قولهم «فأن رأيت ان تفعل كذا» لفظ النظراء والمتساوين بخلاف «فرأيتك» فإنه لا يكتبه الا جليل عظيم لتضمنه معنى الامر ، والتقدير : قرر رأيتك ، بخلاف «فأن رأيت» فإنه لا امر فيه اذ يقال : فأن رأيت ان

تفعل كذا فافعله . على ان الاخفش قد انكر هذا على الكتاب لان اقل الناس يقول ،
 للسلطان : انظر في أمرى ، وافظه لفظ الامر ومعناه السؤال . وذكر مثله في صناعة الكتاب
 عن النحويين . قال في مواد البيان : وحجة الكتاب ان المشافهة تجتمل مالا تحتمله
 المكتابة ، لان المشافهة حاضري محض الانسان لا يمكنه تقييده وترتيبه ، والمكتابة بخلافه
 ذلك ، فلا عذر لصاحبها في الاخلال بالادب . قال محمد بن ابراهيم الشيباني : وان
 احتجت الى مخاطبة الملوك والوزراء والعلماء والكتاب والادباء وأوساط الناس وسوقتهم
 فخاطب كلا منهم على قدر أبعته وجلالته وعلوه وارتفاعه وفطنته وانتباهه . ولكل طبقة
 من هذه الطبقات معان (ومذاهب) يجب عليك ان ترعاها في مراسلتك اياهم في كتبك .
 وتزن كلامك في مخاطباتهم بميزانها وتعطيه قسمته وتوفيه نصيبه . فأنت متى أهملت
 ذلك وأضمته لم آمن عليك ان تعدل بهم عن طريقهم وتسلك بهم غير مسلكهم وتجري
 شعاع بلاغتك في غير مجراه وتنظم جوهركلامك في غير سلكه . فلا (تعتمد) بالمعنى الجزل
 ما لم تكسه لفظا مختلفا على قدر المكتوب اليه فان الباسك المعنى وان صح لفظا لم تجر به
 عادة المكتوب اليه تهجين للمعنى ، واخلال بقدر المكتوب اليه ، وظلم يلحقه ، ونقص مما يجب له
 كما ان في اتباع المتعارف بينهم وما اتشرت به عاداتهم وجرت به سنتهم قطعا لعذرهم
 وبلوغا الى غاية مرادهم واسقاطا لحجة أدبهم . قال ابن عبدربه : فامثل هذه المذاهب
 واجر عليها ، قال في مواد البيان ، وذلك ان المعاني التي يكتب فيها وان كان كل منها
 جنسا بعينه كالتهنئة والتعزية والاعتذار والعتاب والاستظهار ونحو ذلك فإنه لا يجوز
 ان يخرج المعنى لكل مخاطب على صيغة واحدة من اللفظ ، بل ينبغي ان يخرج في الصيغة
 المشاكلة للمخاطب اللاتقة بقدره ورتبته . الا ترى انك لو خاطبت ساطانا او وزيرا
 بالتعزية عن مصيبة من مصائب الدنيا لما جاز ان تبني الكلام على وعظه وتبصيره
 وارشاده وتذكيره وحضه على الاخذ بحظ من الصبر ومجانبة الجزع وتلقى الحادثات
 بالتسليم والرضا ؛ وانما الصواب ان تبني الخطاب على انه أعلى شأننا وارفع مكاننا واصلح
 حزمنا وأرجح حلما من أن يعزى ، بخلاف المتأخر في الرتبة فإنه انما يعزى تنبيهه وتذكيره
 وهداية وتبصيرا وتعريف الواجب في تلقى السراء بالشكر والضراء بالصبر ونحو ذلك .
 وكذلك اذا كاتب رئيسا في معنى الاستزادة والشكوى لا يجوز ان تأتي بمعناها في الفاظها

الخاصة بهما بل يجب ان تعدل عن الفاظ الشكوى الى الفاظ الشكر وعن الفاظ الاستزادة الى الفاظ الاستعطاف والسؤال في النظر لتكون قدرتبت كلامك في رتبته وأخرجت معنالك فخرج من يستدعي الزيادة لامن يشكو التقصير وكذلك لو وقع واقع للسلطان فنصحته لم يجز ان توردد ذلك مورد التنبيه على ما اغفله، والايقاظ لما أهمله، والتعريف لما جهله؛ لان ذلك من القبيح الذي لا تحتمله الرؤساء من الاتباع، ولكن تبني الخطاب على ان السلطان اعلى وأجل رأياً وأصح فكراً وأكثر احاطة بصدور الامور واعجازها، وان رأى خدمه جزء من رأيه، وانهم انما يتفرون مخايل الاصابة بما وقفوا عليه من سلوك مذهبه والتأديب بأدبه والارتياض بسياسته والتقل في خدمته، وان مما يعرضونه في حكم الاشفاق والاهتمام بالمطالعة بما يجري في أوهامهم ويحدث في افكارهم من الامور التي يتخيلون ان العمل بها مصلحة للدرلة وعمارة للمملكة ليتصنعه بأصالة رأيه التي هي اوفر وأثبت فن استصوبه امضاه وان رأى خلافه ألغاه وكان الرأي الاعلى مايراه، الى غير ذلك مما يجري هذا المجرى

﴿ الاصل التاسع ﴾ — ان يراعى مواقع الشعر في المكاتبات فيورده حيث يحسن ايراده ويتركه حيث يحسن تركه. ويختلف الحال في ذلك بحسب المكتوب عنه والمكتوب اليه: فأما المكاتبات الصادرة عن الملوك والصادرة اليهم فقد ذكر في مواد البيان انها لا يتمثل فيها بشيء من الشعر اجلالاً لهم عن (شوب) العبارة عن عزائم أو امرهم ونواهيهم والأخبار المرفوعة اليهم بما يخالف نطمها ووضعها؛ لأن الشعر صناعة مغايرة لصناعة التمرسل وإدخال بعض صنائع الكلام في بعض غير مستحسن. قلت: والواقع بخلافه، وان مكاتباتهم مشحونة في كثير من الامور بشواهد آيات الشعر المناسبة للحال في الحديث والتقديم حتى في كتب الخلفاء الراشدين من الصحابة رضوان الله عليهم. فقد كتب أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين تم الأتاليه اقوم واجتمعوا على قتله: «أما بعد فقد بلغ السيل الزبي، والحزام الطيبين، وطمع في من كان يضعف عن الدفع عن نفسه، ولم يفايك مثل مغلب. فأقبل الى صديقا كنت أم عدوا

فأن كنت ما كولا فكن خيراً آكل وإلا فأدركني ولما أمزق»

وكتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الى معاوية بن أبي سفيان في جواب كتاب: «وزعمت اني لكل الخلفاء حدث ، وعلى كلهم بنيت ، فان يك ذلك كذلك فليست الجناية عليك ، فيكون المذر اليك » وتلك تسكاة ظاهر عنك عارها .. (بل ربما وقع التمثيل بالشعر في المكاتبات عن الخلفاء والملوك الى من دونهم وبالعكس ، كما حكى العسكري في الاوائل ان رافما رفع كتابا الى الرشيد) وكتب في أسفله اذا جئت عارا أو رضيت بذلة فنفسي على نفسي من السكاب اهون فكتب اليه الرشيد كتابا وكتب في أسفله

ورفعت نفسا طالبا فوق قدرها يسوق لك الحنتف المعجل والذلا وحكى أيضا ان أهل حمص وثبوا بماملها فأخرجوه ، ثم وثبوا بعده بعامل آخر ، فامر المتوكل ابراهيم بن العباس ان يكتب اليهم كتابا يزرهم فيه ويختصر ، فكتب : « أما بعد فان أمير المؤمنين يرى من حق الله عليه فيمن تقوم به ، (او عدل به من زيغ) ، اول به من شعث ، ثلاثا يقدم بعضهم امام بعض . فأوطن ما يستظهر به من عظمة وحجة ، ثم ايشفه به من تحذير وتنبية ، ثم آتى لا يحسم الداء غيرها اناة فان لم تكن عقب بعدها وعيد فان لم يكن اغنت عزائه »

وعلى ذلك جرى ملوك بني بويه في مكاتباتهم ، فكتب ابو اسحاق الصابى عن معز الدولة بن بويه الى عدة الدولة أبي ثعلب كتابا يذكر فيه خلاف قريبين له لم يتك به مساعدة أحدهما على الآخر مستشهدا فيه بقول ابي تلس

وما كنت الا مثل قاطع كفه بكف له أخرى فأصبح أجذما فلما استقاد الكف بالكف لم يجذ له دركا في ان يبين نأحجما

وعلى هذا النهج جرى الحال في الدولة الايوبية بالدبار المصرية كما كتب القاضي الفاضل عن السلطان صلاح الدين الى ديوان الخلافة عند قتل ابن رئيس الرؤساء وزير الخليفة مساليا له عنه وكان ممن اساء الديرة

ان المسكاره قد تسر وربما كان السرور بما كرهت جديرا

ن الوزير وزير آل محمد اودى فمن يشناك كان وزيرا

وعلى مثل ذلك جرى الامر في الدولة التركية بالدبار المصرية أيضا كما كتب القاضي

محيي الدين بن عبد الظاهر عن المنصور قلاوون الى صاحب اليمن في جواب تعزية
ارسلها اليه في ولده الملك الصالح مشيرا الى أن المصائب في الاولاد لا تشغل عن الحروب
اذا اعتاد الفتي خوض المنايا فأهون ما عمر به الوحول
وعلى ذلك جرى ملوك الغرب في مكاتباتهم كما كتب بعض كتاب السلطان أبي الحسن المريني
الى الملك الناصر محمد بن قلاوون كتابا يخبره فيه ان صاحب بجاية خرج عن طاعته
فغزاه وواقع به ماقعه مشيرا الى اعادة الايقاع به ان عاد مستشهدا فيه بقوله
ان عادت العقرب عدنا لها وكانت النمل لها حاضرة

واما المكاتبات الاخوانيات الواقعة بالتهاني والتعازي واتهادي والتزاور وسائر انواع
المكاتبات الاخوانية فقد قال في مواد البيان انه يجوز ان تودع آيات الشعر على
سبيل التمثيل وعلى سبيل الاختراع محتجا بان الصدر الاول كانوا يستعملون ذلك
في هذه المواضع . وهذا مما لا يخفى فيه ولا نكر وكتب الاخوانيات مشحونة بالاستشهاد
بالشعر ما بين البيت والبيتين فأكثر بل القصائد الطوال كما استشهد القاضي الفاضل
في بعض كتبه في الشوق بقوله

ومن عجبى انى أحسن اليهم واسأل عنهم من أرى وهم معى
وتطلبهم عيني وهم في سوادها ويشاقهم قلبي وهم بين اضلعي
وكما كتب في جواب كتاب

وكم قلت حقا ليتو كنت عنده وما قلت اجلالا له ليته عندى
﴿ الاصل العاشر ﴾ ان يأتي في كتابه بحسن الاختتام واعتماد سهولة اللفظ
وحسن السبك ووضوح المعنى وتجنب الحشو كما تقدم في الاقتراح مع ما يؤدى الى
تعظيم المكتوب اليه واجلاله مما يستجلب الخواطر مثل ان يكتب : وللآراء العالية
مزيد العلو ، أو : وللآراء العالية فضل السمو ، أو ، والرأى العالى أعلى ، وما أشبه ذلك ،
أو يأتي بنكتة تبهج النفوس كما كتب الصاحب بن عباد في آخر رسالته بعد قسم
أقسمه : لئن خنت فيما حلفت فلا خطوت لتحصيل مجد ، ولا نهضت لاقتناء حمد ، ولا
سعت الى مقام فخر ، ولا حرصت على علو ذكر . . قال ابو هلال العسكري : فهذه اليمين
لو سمعها عامر بن الظرب لقال هي اليمين الغموس لا القسم باللات والعزى ومائة الثالثة

الآخرى . وما ينخرط في هذا السلك

﴿ الفصل الثاني ﴾

في بيان مواضع الایجاز والاطناب وما يلائم ذلك في المكاتبات . والمكاتبات في ذلك على ثلاثة أنواع

﴿ النوع الاول ﴾

ما يكتب عن السلطان او من في معناه وهو على ضربين :

﴿ الضرب الاول ﴾ ما يعمل فيه على الایجاز والاختصار . وقد استحبوا الایجاز

في اربعة مواضع : الاول ان يكون المكتوب عن السلطان في اوقات الحروب التي تواب الملك بالاستيحاء . قال في حسن التوسل : فيجب ان يتوخى الایجاز والالفاظ البليغة الدالة على القصد من غير تطويل ولا بسط يضيع القصد ويفصل الكلام بعضها من بعض ولا يعتمد في ذلك الى تهويل لامر العدو يصف القلوب ولا تهوين لامره بحيث يحصل به الاغترار

الثاني - ان يكون ما يكتب عن السلطان خبرا يريد التورية عنه وسر حقيقته

كاعلامهم بالحوادث الحادثة على الملوك والنواب الملمة بالدولة من هزيمة جيش او تغيير رسم او احداثه او تكليف الرعية مالا يسهل عليها تكليفه وما أشبه ذلك . قال في مواد البيان . فيجب ان يقصد في ذلك الى الاختصار والایجاز ويعدل عن استعمال الالفاظ الخاصة بالمعنى الى غيرها مما يحتمل التأويل ولا ينفر الاسماع عنه ولا نزاع القلوب له من غير تصريح بالكذب ، وان يخرج الباطل صورة الحق ويعرض سلطانه في ذلك الى الاحقاد والتقر يظ من حيث يستحق التأنيب والاذمام فان هذه سبيل البلاغة وطريقة فضلاء الصناعة لان الامر الظاهر الحسن المجمع على فضله لا يحتاج في التعبير عن حسنه الى كد الحاطر واتعاب الفكر اذ الاكث لا يعجز عن التعبير عنه فضلا عن اللسان ، وانما الفضل في تحمين ما ليس بحسن وتصحيح ما ليس بصحيح بضرور من التمويه والتمثيل واقامة المعاذير والعمل المعفية على الاساءة والتقصير من حيث لا يلحق كذب صريح ولا زور مطلق ، قال ، ونضيق هذا المقام وصعوبة مرتقاه اورده الشيخ جمال الدين بن نباتة في جملة مسائله التي سألت عنها كتاب الانشاء بدمشق فقال : وما الذي يكتب

عن المهزوم ومن هزمه ؟

الثالث - أن يكون المكتوب عن السلطان أمراً ونهياً . قال في مواد البيان فحكها حكم التوقيعات الوجيزة الجامعة للسماى الجازمة بالأمر والنهى ، اللهم الا ان يكون الامر والنهى مما يحتاج الى رسوم ومثل يعمل عليها فيحتاج الى الاطالة والتكرير بحسب ما يؤمر به وينهى عنه دون الحذف والايجاز

الرابع ان يكون ما يكتب عن السلطان باستخراج الخراج وجباية الاموال وتدير الاعمال . قال في مواد البيان : فسبيلها ان ينص على ما رآه السلطان ودبره ثم يختتم بفصل مقصور على التوكيد فى امثال أمره ومراده ولا يقتصر على ما تقدم ايجاباً للحجة وتضييماً للعذر وحسباً لاسباب الاعتذار

﴿ الضرب الثانى ﴾ - مما يكتب عن السلطان ما يعمل فيه البسط والاطناب .

وقد استحسنوا البسط فى ثلاثة مواضع

الاول - ان يكون ما يكتب به عن السلطان خبراً يريد تقرير صورته فى نفوس العامة كالاخبار بالفتوحات المتجددة فى أعلاء الدين والسلطان . قال فى مواد البيان : فيجب ان يشبع القول فيه ويبنى على الاطباب والاسباب وتكثير الالفاظ المترادفة ليعرفوا قدر النعمة الحادثة وتزيد بصائرهم فى الطاعة ويعلمو موضع سلطانهم من عناية الله تعالى به فتقوى قلوب أوليائه وتضعف قلوب أعدائه لانه لو كتب فى فتح جليل ليقراً فى المحافل والمشاهد العامة على رؤس الاشهاد بين العامة ومن يريد تفخيم السلطان فى نفسه على صورة الاختصار لا وقع كلامه فى غير رتبته ودل ذلك على جهله وقد أوضح الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي هذا المنام فى كتابه حسن التوسل فقال : واذا كتب فى التهانى بالفتوح فليس الا بسط الكلام والاطناب فى شكر نعمة الله تعالى ، والتبرى من الحول والقوة الابه ، ووصف ما أعطى من النصر ، وذكر ما منح من الثبات ، وتمظيم ما يسر من الفتح ، ثم وصف ما بعد ذلك من عزم واقدام وصبر وجلد عن الملك وعن جيشه مما حسن وصفه ولاق ذكره وراق التوسع فيه وعذب بسط الكلام معه ، قال ، ثم كلما اتسع مجال الكلام فى ذكر الواقعة ووصفها كان أحسن وأدل على السلامة وأدعى لسرور المكتوب اليه وأحسن لتوقيع المنأ عنده وأتقى الى سمعه وأشفى لتليل شوقه الى معرفة

الحال ، قال ، ولا بأس بتهويل أمر العدو ووصف جمعه وأقدامه فأن في تضيير أمره تحقيراً للظفر به . قال في مواد البيان : ولا يحتاج للإيجاز في كتب الفتوح بما كتب به كاتب المهلب بن أبي صفرة الى الحجاج في فتح الازارقة على ارتفاع خطره وطول زمانه وعظيم صيته من سلوكة فيه مسلك الاختصار حيث كتب فيه :

« الحمد لله الذي كفى بالاسلام فقد ما سواه ، وجعل الحمد متصلاً بنعماءه ، وقضى أن لا ينقطع المزيد من فضله حتى ينقطع الشكر من خلقه . ثم انا كنا وعدونا على حالين مختلفين ، نرى منهم ما يسرنا أكثر مما يسوينا ، ويرون منا ما يسوونهم أكثر مما يسرهم ؛ فلم يزل ذلك دأبنا ودأبهم : ينصرنا الله ويخذلهم ، ويمحصنا ويحققهم ، حتى بلغ الكتاب بنا وبهم أجله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين »
فانه انما حسن في موضعه لمخاطبة السلطان به ولغرض كان يكاتبه فيه ، ثم قال ، فان كتب مثل هذا الكتاب عن السلطان في مثل هذا المفتح أو ما يقاربه ليورد على العامة ويقرر في نفوسهم به قدر النعمة لم يحسن موقعه وخرج عن شرط البلاغة بوضعه اياه في غير موضعه . وذكر العسكري في الصناعتين نحو ذلك . قال في حسن التوسل : وان كان المكتوب اليه ملكا صاحب مملكة مفردة تعين أن يكون البسطاً أكثر ، والاطناب والتهويل أبلغ ، والشرح أتم . ثم قال ، وان اضطر ان يكتب مثل ذلك الى ملك غير مسلم لكنه غير محارب فالحكم في ذلك ان يذكر من اسباب المودة ما يقتضي المشاركة في المسار ، وأن أمر هذا العدو مع كثرة أخذ بأطراف الانامل وآل أمره الى ما آل ، ويعظم ذكر ما جرى عليه من القتل والأسر ، ويقول ان تلك عوائد نصر الله تعالى لنا وانتقامه ممن عادانا . وان كان المكتوب اليه متها بما لآة العدو كتب اليه بما يدل على التقريع والتهمك والتهديد في معرض الاخبار

الثاني - ان يكون ما يكتب عن السلطان في أوقات حركات العدو الى أهل الثغور يعلمهم بالحركة للقاء عدوهم . قال في حسن التوسل : فيجب ان يبسط القول في وصف العزائم وقوة الهمم وشدة الحمية للدين وكثرة العساكر والجيوش وسرعة الحركة وطى المراحل ومعالجة العدو وتخيل اسباب النصر والوثوق بعوائد الله تعالى في الظفر وتقوية القلوب منهم وبسط آمالهم وحثهم على التيقظ وحفظ ما بأيديهم وما أشبه ذلك ويبرز ذلك في أمثل كلام وأجله وأمكنه وأقربه من القوة والبسالة وابعده من اللين

والرقة ويبالغ في وصف الانابة الى الله تعالى واستنزال نصره وتأيدته والرجوع اليه في تثبيت الاقدام والاعتصام به في الصبر والاستمانة به على العدو والرغبة اليه في خذلانهم وزلزلة اقدمهم وجعل الدائرة عليهم دون التصريح ببطء حركتهم ورجاء تأخيرهم وانتظار العرضيات في ضعفهم لما في ذلك من ايها الضعف عن لقائهم وإشعاد الوهم والخوف منهم

الثالث - ان يكون ما يكتب به عن السلطان احاداً أو اذماماً أو وعداً أو وعيداً أو استقصاراً أو عدلاً أو توخيخاً . قال في مواد البيان : فيجب ان يشبع الكلام ويمد القول بحسب ما يقتضيه أمر المكتوب اليه في الاساءة والاحسان والاجتهاد والتقصير لينشرح صدر المشرم المحسن وينبسط أمله ورجاؤه ويرتدع المقصر المسمى ويرتجع عما يذم منه ويتلافى ما فرط منه

﴿ النوع الثاني ﴾

ما يكتب به الى السلطان عن الاتباع . وهو على ضربين أيضاً :

﴿ الضرب الاول ﴾ - ما يعمل فيه على الايجاز والاختصار . وقد استحسنا

الايجاز والاختصار في ثلاثة مواضع

الاول - ان يكون ما يكتب به عن التابع من باب الشكر على نعمة يسبغها سلطاناً عليه وعارفة يسديها اليه . قال في مواد البيان : وسبيله ان لا يذمها على الاسباب ويجاوز بها الحد بل يبينها على اللفظ الوجيز اجماع لمعاني الشكر المشتمل على اساليب الاعتراف والاعتداد فان اطناب الاصاغر في شكر الرؤساء داخل في باب الاضجار والابرار ولا سيما اذا رجعوا الى خصوصية وتقدم حرمة وكذلك لا يكثر من الثناء عليه لان ذلك من باب الملق الذي لا يليق الا بالاباعد الذين لم يتقدم لهم من (المواتي) والخدم ما يدل على صحة عقائدهم ولم يقض عليهم من النعم ما يوجب خلوص نياتهم بخلاف ما اذا كان اجنبياً (متكسباً) بالتقرىظ والثناء فانه لا يقيح به الا بغال والاغراق فيها ، قال ، وكذلك لا ينبغي للخاصة الاكثار من الدعاء وتكريره في صدر الكتب عند ما يجري ذكر الرئيس فان في ذلك مشقة وكلفة يستثقلها الملوك . والحكم فيما يستعمل من ذلك في الكتب شبيه بما يستعمل شفاهاً منه . ويقبح من خادم الساطان

ان يشغل سمعه في مخاطبته اياه بكثرة الدعاء وتكريره
 الثانى - ان يكون ما يكتب به عن التسابع فى سؤال حسن النظر وشكوى الفقر
 والخصاصة . قال فى مواد البيان : فينبى القول فيه على الابهاز ويمزج الشكوى بالشكر
 والاعتداد بالآلا . والرغبة فى مضاعفة الاحسان والزياة فى البر والالحاق بالطبقة
 الرابعة فى ايلاء العوارف ، فان ذلك أعطف لقلب الرئيس وأدعى الى بلوغ الغرض ؛
 ولا يكثر شكوى الحال ورثاتها واستيلاء الخصاصة والفقر عليه ، فان ذلك يجمع الى الاضرار
 والابرام شكاية الرئيس بسوء حال مرءوسه وقلة ظهور نعمته عليه وذلك مما يكرهه
 الرؤساء ويندمونه

الثالث - أن يكون ما يكتب به التابع من باب (التنصل) والاعتذار عن
 شىء قرف به عند رئيسه . قال فى مواد البيان : وسيله ان يبنى كلامه على الاختصار
 ويمدل عن الاسهاب والاطباب ويقصد الى (النكت) التى تزيل ما عرض عنده
 من الشبهة فى أمره وتمحو الموجدة السابقة الى ضمير رئيسه ولا يصرح براءة الساحة
 من الاساءة والتقصير فان ذلك مما يكرهه الرؤساء من اتباعهم لان عادتهم جارية
 بأثار اعتراف الخدم لهم بالتقصير والتفريط والاقرار بالمقروف به ليكون لهم فى العفو
 عند الاقرار مواضع منه مستأنفة تستدعي شكرا ، وعارفة مستجدة تقتضى نشرا . أما
 اذا أقام التابع الحجة على براءته مما قرف به فلاموضع الاحسان اليه فى اقراره على منزلته
 والرضا عنه ، بل يكون ذلك قدرا واجبا له ان منعه اياه ظلمه وتعدى عليه

﴿ الضرب الثانى ﴾ - ما يعتمد فيه على البسط والاطناب . وقد استعجوا البسط
 هنا فى موضع واحد . وهو ما اذا كان ما يكتب به التابع واقصا فى باب الاخبار بأحوال
 ما ينظر فيه من الاعمال وما يجرى على يديه من المهمات . قال فى مواد البيان :
 وسيله ان يوفى حقه فى الشرح والبيان ويسلك فيه طريقة يجمع فيها بين ايضاح الاغراض
 من غير هذر يضجر ويمل ولا اختصار يقصر ويخل ، وأن يقصد الى استعمال الالفاظ
 السهلة التى تصل معانيها الى الافهام من غير كلفة ويتجنب ما يقع فيه تعقيد وتوعير أو
 ابهام ، الا أن يعرض له فى المكاتبة ما يحتاج الى التورية والكناية كما تقدم فيما اذا أطلق
 عدواسانه فى السلطان فإنه يحتاج الى الكناية عنه على ما مر

﴿ النوع الثالث ﴾

ما يكتب به الى الاكفاء والنظراء والطبقة الثانية من الرؤساء قال، في مواد البيان: وسبيل مكاتبتهم ان يؤتى فيها باللفظ المساوي للمعنى من غير ايجاز ولا اطناب لانها رتبة متوسطة بين الرتبين المتقدمين . قلت : ولا يخفى ان ما ذكره انما هو عند الوقوف مع حقائق الامور في المكاتبات . أما الاخوانيات المطلقة فانها تكون في الطول والقصر بحسب ما بين الصديقين من المودة والقرب وما يعلمه كل واحد منهما من خلق الآخر وما يوجب دلالة عليه

﴿ الفصل الثالث ﴾

في بيان لواحق المكاتبات . وهي ستة لواحق

الاولى - الترجمة عن السلطان ، فان كانت المكاتبة الى ديوان الخلافة فقد ذكر في التعريف ان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب كتب : « الخادم » ؛ وكتب بنوه والعاذل اخوه : « المملوك » ؛ وكتب الكامل « العبد » ، وعلى ذلك جرى ابنه الصالح ؛ وكتب الباصر بن العزيز « أقل المالك » . وكتب الناصر داود : « أقل العبيد » . وكان علاء الدين خوارزم شاه يكتب : « الخادم المطواع » ، وكذلك ابنه جلال الدين . وكانت ام جلال الدين تكتب : « الامة الداعية » ، وان كانت المكاتبة الى غير ديوان الخلافة فقد ذكر ابن شيث في معالم الكتابة ان مصطلح الدولة الايوبية ان يكتب لارباب خدمته العلامة ، فان أراد تمييز أحد منهم كتب له بخطه شيئاً مكان العلامة . وذكر ان ترجمته للفقهاء والقضاة وذوى التنسك : أخوه ، وولده ؛ وأن الاحسن ان يقال في : ولده « محل ولده » لقوله تعالى « ادعوهم لا بائهم » أما « أخوه » فلا حرج عليه فيه لقوله تعالى « انما المؤمنون اخوة » وقوله تعالى « اخوانكم في الدين » ، وأما الترجمة عن غير السلطان فأهل الصلاح يترجمون عن انفسهم بالخادم ، ودونه : خادمه . وربما قالوا : الخادم بالدعاء ، أو الخادم بدعائه وأهل الورع يترجمون بالفقير الى رحمة الله . وربما راعوا المكتوب اليه اذا كان هو السلطان فكتبوا : العبد الفقير الى رحمة الله ، يعنى انه عبد الله ويحصل بذلك المقصود من الادب مع السلطان .

وهم من يكتب : الداعي لدولته ، أو : المبهل بدعائه الصالح لايامه والمواظب على خدمته ، ونحو ذلك . ثم قال : وأكثر الناس يرى الترجمة لولده . فان ترجم له لم يسم اسمه بمعنى أنه يكتب : والده ، ولا يكتب : فلان : فان ذكر اسمه فقبیح وذكرفي ذخيرة الكتاب أن أعلى التراجم بالنسبة الى المكتوب اليه : المملوك الصنيعة ، ثم المملوك ، ثم مملوكه ، ثم الصنيعة ، ثم العبد الخادم ، ثم العبد ، ثم عبده وخادمه ، ثم خادمه ، ثم عبده ، ثم وليه ، ثم أخوه ، ثم المعتد به ، ثم شاكره ، ثم محبه ، ثم صديقه ، ثم اسم المكتوب عنه . ورأيت في دستور صغير يعزى للمقر الشهابي بن فضل الله أن اعلاها بالنسبة الى المكتوب اليه : المملوك ، ثم المملوك الرق ، ثم المملوك الاصغر ، ثم المملوك المحب ، ثم المملوك الداعي ، ثم مملوكه ومحبه ، ثم الخادم ، ثم خادمه ، ثم أخوه ، ثم محبه ، ثم شاكره ، ثم الفقير الى الله تعالى . قلت : والذي استقر عليه الحال الآن أقرب وأخصر في الترجمة عن السلطان وغيره . فأما الترجمة عن السلطان فالذي ذكره في التعريف ان أكثر ما يكتب اليه الامراء ومماليك البيت الشريف : والده ، ومن دون ذلك الاسم الشريف ، قال ، وأما الغرباء كمملوك المسلمين والعربان وأكابرالقضاة وأهل الصلاح : أخوه من دون ذلك الاسم الشريف . ثم حدث بعد ما ذكره ان جعل الترجمة لأكبر الامراء : أخوه ، ولبن دونهم : والده ، والغرباء على ما تقدم * وأما الترجمة عن غير السلطان في المكاتبات الدائرة بين أعيان الدولة فأعلاها بالنسبة الى المكتوب اليه : المملوك . وتختلف مراتبها باختلاف أماكنها من الكتابة على ما سيأتى ذكره في الاخوانيات ان شاء الله تعالى ، ثم بعد المملوك : أخوه ، ثم الاسم * وأما قضاة القضاة فتترجم بالداعي

الثانية العنوان ، وفيه سبع لغات حكاه صاحب ذخيرة الكتاب واقتصر في صناعة الكتاب على ذكر بعضها : إحداهاعنوان ، بضم العين وواو بعدالنون ؛ والثانيةعنوان ، بضم العين وياء مشاة تحتية بعد النون ؛ والثالثةعنوان ، بكسر العين ؛ والرابعةعنوان ، بضم العين وواو بعد النون ؛ والخامسةعنوان بفتحها ؛ والسادسةعنوان ، بكسرها ؛ والسابعةعنوان بالكسر على ابدال الواو ياء . ويجمع عنوان على عناوين ، وعنوان على عناوين . ويقال : عنونت الكتاب عنونة وعلونته علونة . ثم من قال عنوان جعله

مأخوذ من العنوان يبنى الأثر ، لأن عنوان الكتاب أثر بيان ممن هو والى من هو ،
قال النحاس ، وأكثر الكتاب لا يعرف غير هذا ؛ وزعم بعضهم أنه مأخوذ من قول
العرب : عنت الأرض ، فمن إذا أخرجت النبات . ومن قال علوان ابلل من التون
لاماً كما فى صيدلانى وصيدناتى ، فيكون (الاشتقاق واحدا) . وقيل : علوان مشتق من
العلائية ، لأنه مخط ظاهر على الكتاب ؛ ومن قال : عنيان جملة من عنيت فلاناً اذا
قصده . قال فى مواد اليان : والعنوان كالعلامة ، وهو دال على المكتوب عنه والمكتوب اليه .
والمعنى فيه الاخبار عن اسميهما حتى لا يكون الكتاب مجهولاً . قال ، والاصل فيه
أن يبتدأ باسم المكتوب عنه ثم باسم المكتوب اليه . وهو الترتيب الذى تشهد به العقول
لأن ابتداءه من المكتوب عنه وانتهاءه الى المكتوب اليه . قال : وعلى هذا كانت
كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن سلف من الامم الماضية . ثم عرض للناس رأى
فى تغيير هذا الرسم الى غيره ففرقوا بين مراتب المكاتبين من الرؤساء والنظرء والخدم
والاتباع بتقديم اسم المكتوب اليه اذا قصدوا اعظامه واجلاله وتأخير اسم المكتوب
عنه ورأوا أنه الصواب الصحيح . قال فى صناعة الكتاب : (ولا يتكى) المكتوب عنه
على نظيره بل يتسمى له ولين فوقه ثم « يقول المعروف بأبي فلان » وإن كانت كنيته
أشهر من اسمه واسم أبيه جاز ان يكتب كنيته ويجريها باسم . وان
كان الكتاب الى اثنين أحدهما أكبر من الآخر قدم الأكبر ، وكذلك لو كان الى
ثلاثة . قال النحاس : وقد استحسن جماعة ان يصغر اسم المكتوب عنه يعنى فى الخط
على عنوانات الكتب ورأوا ان ذلك تواضع . والاصل فى ذلك ما حكاه النحاس ان
الحجاج بن يوسف كتب الى عبد الملك بن مروان وهو خليفة فى طومار بقلم جليل :
لعبد الله عبد الملك امير المؤمنين . . . ثم كتب فى طرفه بقلم ضئيل : من الحجاج
ابن يوسف . فجرى الكتاب على أسلوبه فيما بعد . قلت : وسيأتى بيان ترتيب
عنوانات الكتب السلطانيات والاخوانيات فى الكلام على ترتيب المكاتب ان
شاء الله تعالى

الثالث - طى الكتاب وختمه . أما طيه فالطى فى اللغة خلاف النشر . ومنه
قوله تعالى « يوم نطوى السماء كطلى السجل للكتب » والمراد أنه يلف

بعض الكتاب على بعض والكتابة داخل الطي لان المقصود صون الكتاب . ثم للناس في صورة الطي طريقتان : أحدهما أن يكون الطي مدوراً كأنبوبة الرمح وهي طريقة كتاب المشرق والديار المصرية الى الآن ؛ والثانية ان يكون طيه مبسوطاً فقد ذكر ابن شيث ان طي الكتب السلطانية كانت في عرض اربعة أصابع ، قال ، وكذلك الكتب من (العلية) الى من دونهم ، أما من الأذني الى الاعلى فلا يتجاوز به عرض اصبعين . وهذا ظاهر في أن الطي يكون في صورة العرض لا (مدورا) وهي طريقة اهل المغرب وبلاد الفرنجة الى الآن

وأما ختمه : فالختم مصدر ختم ؛ يقال : ختم الكتاب وغيره يختمه ختماً (ومعناه الطبع) ومنه قوله تعالى « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم » ، والمراد سد رأس الكتاب والطبع عليه بالخاتم حتى لا يطلع احد على ما فيه حتى يفضه المكتوب اليه . وهو أمر مطلوب مرغّب فيه : فن كلام امير المؤمنين عمر بن الخطاب : طينة خير من ظنة . يعنى ان ختم الكتاب بطينة خير من تهمة تلحق فيه . ومن كلام غيره : اختم تسلم . وقد قيل ان أول من ختم الكتاب سليمان عليه السلام و به فسر قوله تعالى « انى التى الى كتاب كريم » أى مختوم على أحد الاقوال . وعلى ذلك جرت عادة ملوك المعجم فى كتبهم . قال فى مواد البيان : ولم تزل كتب العرب منشورة حتى كتب عمرو ابن هند الصحيفة للمتلس فقرأها ولم يوصلها فختمت العرب الكتب من حينئذ . وقد ورد فى الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب الى بعض المعجم فقيل له أنهم لا يقرؤن كتاباً غير مختوم . فاتخذ خاتماً من فضة ونقش عليه « محمد رسول الله » فكان يختم به الكتب . (وكان الخاتم فى يده صلى الله عليه وسلم حتى قبضه الله اليه) ثم صار فى يد أبى بكر ، ثم فى يد عمر ، ثم فى يد عثمان الى ان سقط منه فى بئر أريس من بئر المدينة فطلبه فلم يقدر عليه ، فاتخذ خاتماً غيره ونقش عليه « محمد رسول الله » ؛ وقيل بل نقش عليه « لنصبرن او لنندمن » وقيل غير ذلك ؛ ثم صار كل خليفة بعد ذلك يتخذ خاتماً وينقش عليه ما يقتضيه رأيه

واعلم انه كان للختم فى أهام الخلفاء ديوان مفرد يعبر عنه بديوان الخاتم . واختلف فى أول من اتخذ فروى محمد بن عمر المدائنى بسنده الى ابن عمر انه لم يكن أبو بكر

ولا عمر يطبعون كتاباً حتى كتب زياد الى أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه: انك تكتب
الينا بأشياء ليس لها طوابع . فأتخذ عند ذلك عمر رضى الله عنه خاتماً يطبع به ، وخزم
الكتاب ولم يكن قبل ذلك يخزم . وذكر الطبرى فى تاريخه ان اول من أتخذ ذلك
معاوية بن أبى سفيان فى خلافته ، وذلك انه أمر لعمر بن الزبير بمائة الف من عند
زياد ، ففتح الكتاب وجعل المائة مائتين ؛ فلما رفع زياد حسابه أنكر ذلك معاوية
وحبس عمراً حتى قضاها عنه عبد الله بن الزبير ، وأتخذ معاوية حينئذ ديوان الختم
وخزم الكتاب ولم يكن قبل يخزم . قال ابن خلدون فى تاريخه : وديوان الختم عبارة
عن الكتاب القائمين على انفاذ كتب السلطان ، قال ، وهذا الخاتم خاص بديوان
الرسائل ، وكان ذلك للوزير فى الدولة العباسية ، ثم اختلف العرف بعد ذلك . ثم للختم
ثلاث صور : احداها ان يخزم الكتاب من وسطه بالمنفذ حتى ينفذ فى بعض طيات
الكتاب ثم يخرج من وجه الورق أيضاً ويدخل فيه دسرة من الورق كالسير الصغير
ويقطع طرفا الدسرة (ثم يلصق على ذلك شمع أحمر ويختم عليه بخاتم يظهر نقشه فيه) .
ولعل ذلك هو الذى كان عليه الحال فى صدر الاسلام ، ويشهد بذلك قول ابن عمر فى
رواية الطبرى المتقدمة : وخزم الكتاب ولم يكن قبل يخزم . وكان عاداتهم فى أيام الخلفاء
أن يغمس خاتم الخليفة فى طين أحمر معد لذلك ، ويختم به على طريقة الكتاب ليقوم
مقام علامة الخليفة ، قال فى العبر ، وكان هذا الطين يجلب اليهم من سيراف من بلاد
فارس . قلت : وعلى هذه الطريقة جرى أهل بلاد الغرب والفرنجية الا أنهم يجعلون
بدن الطين شمعاً أحمر ، ويجعلون الختم على نفس الخزم وفى وسط الكتاب

الثانية - ان يلصق رأس الكتاب عليه بالنشا المطبوخ او « الكثيرا » المدافعة
بالماء ، ونحو ذلك . وهذا هو المستعمل بالديار المصرية وبلاد المشرق فى الكتب
السلطانية وغيرها الى الآن . قال فى مواد البيان : ويجب أن يكون اللصاق خفيفاً
كالدهن لئلا يتكسر ويكتنف فى جانب الورق . وهذه المسئلة مما سأل عنه الشيخ
جمال الدين بن نباتة كتاب ديوان الانشاء بدمشق فقال : ومن ختم الكتاب بالطين
وربطه ، ومن غير الطين الى النشا وضبطه ؟

الثالثة - أن يلف على الكتاب بمدطيه قصاصة ورق كالسپر فى عرض الخنصر

ثم يلصق رأسها بما لف منها . ويكون ذلك في الرقاع الصغيرة المترددة بين الاخوات وتسمى هذه القصاصة التي يلف بها سحابة ، بفتح العين والمد ؛ وربما قيل فيها سحابة ؛ ويقال منه سحوت الكتاب ، أسحوه سحوا ؛ وسحينه ، أسحية تسحية . وأصله من سحوت المحرم عن العظم اذا قشرته ، لانه كانت عادة الكتاب في هذه القصاصة ان تقشر ثم يختم بها الرابعة - حمل الكتاب وتأديته . ولا نزاع في أن حمل الكتاب وتأديته الى المكتوب اليه أمر مطلوب فقد قال الله تعالى « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها » . وقد روى عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : من أعظم الأمانة أداء الكتاب الى أهله . قال محمد بن عمر المدائني : حمل الكتاب أمانة وترك إيصاله خيانة . واعلم أنه ينبغي (للملك) أن يختار لحمل كتابه وتأديته من هو أهل الامانة والاحترام ووفور العقل وشدة (الشكيمة) في الجواب ، فانه لسان ما كره وترجمان مرسله ، وقد قيل أنه يستدل على عقل الرجل بكتابه ورسوله . وقد وردت الاحاديث بأنه صلى الله عليه وسلم كان يختار الرسل لتأدية كتبه الى الملوك فبعث عبد الله بن حذافة الى كسرى ابرويز ملك الفرس ، وبعث دحية الكلبي الى هرقل ملك الروم ، وبعث حاطب بن بلتعنة الى المقوقس صاحب مصر ، وبعث عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي ملك الحبشة ، وبعث شجاع ابن وهب الاسدي الى الحارث بن أبي شمرا الساساني ، وبعث سليط بن عمرو الى هود بن علي صاحب اليمامة ، وبعث العلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوى ملك البحرين ، وبعث جرير بن عبد الله البجلي الى ذى الكلاع الحميري . والمعنى في اختيار الرسول أنه ربما عرض من المكتوب اليه شبهة أو سؤال يحتاج الى جواب فيكون الرسول متصديا لذلك . فقد حكى السهيلي ان دحية حين دخل على قيصر قال له دحية: هل تعلم أ كان المسيح يصلي ؟ قال ، نعم . قال ، فاني أدعوك الى من كان المسيح يصلي له . فأزوه من صلاة المسيح ان المسيح عبد الله تعالى . وحكى ابن عبد الحكم ان حاطب بن أبي بلتعنة لما بلغ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى المقوقس قال له المقوقس : ما منعه أن يدعو عليّ فيسلط عليّ ؟ فقال له حاطب : فما منع عيسى ان يدعو علي من أبي عليه (ان يفعل ويفعل) ؟ فوجم لها ساعة ثم استعادها ، فأعادها عليه . فسكت . ولما سأله عن حرب النبي صلى الله عليه وسلم مع قومه فذكر ان

الحرب تكون بينهم سجالات تلوها وتارة عليه قاله المقوقس : أنبي يغلب ! فقال له حاطب : الأله يصلب ! مشيرا الى اعتقادهم في المسيح أنه إله وأنه قتل وصلب ، فأخذه عن الجواب

الخامسة - فض الكتاب وقراءته . اما فض الكتاب فالمراد فك ختمه ، والفض في أصل اللغة الكسر ، ومنه اقتضاض البكر وهو ازالة بكرتها . (ولفظه) ثلاث حالات : احداها ان يكون مخطوما باللصاق بالتشاعلى طريقة المشاركة وأهل الديار المصرية فيشق ظاهره على القرب من محل اللصاق بسكين ثم يفتح . وقد تقدم في الكلام على ترتيب المملكة ان الرسول أو البريدى الواصل الى باب السلطان يقدمه للسوادار الى السلطان ثم يتناول الكتاب منه ويمسحه بوجه الرسول أو البريدى ويسلمه الى السلطان فيفض ختامه ثم يتناوله السوادار من السلطان ويدفعه الى كاتب السر فيقروءه على السلطان * الثانية ان يكون مخروما مسمرا بدسرة من الورق على عادة أهل المغرب ومن جرى مجراهم فيرفع الختم الملتصق عليه من الطين أو الشمع وتقلع الدسرة ويفتح الكتاب * الثالثة أن يكون مخطوما بسحابة فتفك السحابة ويفتح الكتاب وأما قراءة الكتاب فإنه ينبغي ان يكون من يقرؤه على السلطان ومن في معناه ماهرا في القراءة ، فصيح اللسان في النطق ، رقيق حاشية اللسان في حسن الأيراد ، قوي الملكة في استخراج الخطوط المختلفة ، سريع الفهم في ادراك المعاني الخفية ؛ وان يكون ذلك بصوت غير خفى بحيث يسمعه ولا (مرتفع) بحيث يمد صاحبه خارجا عن أدب المخاطبة للأكابر ، وان يقرب لمن يقرأ عليه فهم المقاصد التي (اعتاصت عليه) اذا سأله عنها بأحسن ايراد وألطف عبارة يحسن موقعها في النفوس ويجمل وقعها في الأذهان

السادسة - حفظ الكتاب في الاضبارة بعد قراءته ، وعدم طرحه في مكان غير لائق به . اما حفظه في الاضبارة فأمر مطلوب . والاضبارة عبارة عن ورقة يلف في ضمنها جملة من الكتب قد جمعت في داخلها وتلصق اطرافها بالنشا . والقاعدة فيها ان تسوى الكتب من أسفلها ، وان عرض درج بعضها وقل عرض بعض جعل التفاوت من أعلاها . قال في صناعة الكتاب : ومعناها الجمع ، لأنها يجمع بعضها الى

بعض ، ومنه قيل تضبر القوم اذا تجمعوا . ويقال للأضبارة ايضاً إضامة، بكسر الهمزة وتشديد الميم ، لضم بعضها الى بعض . والمعنى فيها صيانة الكتب وحفظها من الضياع . قلت : وقد جرت عادة ديوان الانشاء ان يجعل لكل شهر إضبارة يجمع فيها الكتب الواردة الى الأبواب السلطانية من أهل المملكة وغيرهم ، ويكتب عليها : شهر كذا من سنة كذا . فإذا اكملت سنة جعلت (أضابيرها على حدة واستجدت لغيرها أضابير أخرى) وأما وضع الكتاب بعد فضه بمكان لائق به فقد ذكر في كتاب القلم والدواة أنهم كرهوا تمزيق الرسائل ورميها في الطرق والمزابل خوفاً على اسم الله تعالى ان يداس وتلحقه النجاسة والأدناس ، قال ، وفي رفع ما طرح منها أعظم الرغائب وأجل الثواب . وقد روى ان من رفع قرطاساً من الأرض فيه البسمة اجللاً ان يداس أدخله الله الجنة وشغفه في عشرين من أهل بيته كلهم قد وجب له النار

﴿ الفصل الرابع ﴾

في كيفية تلخيص الكتب الواردة على الأبواب السلطانية وترجمتها

اما تلخيص الكتب فاعلم ان العادة جارية على انه اذا ورد على الابواب السلطانية كتاب من بعض نواب السلطنة بالملك الشامية أو غيرها ان يكتب له ملخصات للدواوين التي يكون لذلك الكتاب بها تعلق من الدواوين السلطانية . وهي خمسة دواوين : ديوان الانشاء وديوان الوزارة وديوان الجيش وديوان الحاص وديوان المفرد . والطريق في كتابة الملخصات ان يحذف صدر الكتاب ثم يعتمد الى مقاصد الكتاب فيستوفي فصوله ويتصورها في ذهنه ، ثم ينظر في متعلقات تلك الفصول ويكتب لكل ديوان من الدواوين المتقدمة الذكر ملخصاً بما يتعلق به من الفصول في وصل أو أكثر بحسب ما يقتضيه الحال من قلة الكلام وكثرته . وكيفية كتابته ان يترك من رأس الوصل قدر ثلاث أصابع يابضاً ، ثم قدر أصبعين يابضاً عن يمينه وقدر أصبعين يابضاً عن يساره ويكتب في صدره ما مثاله « ذكر فلان في مكانته الواردة على يد فلان المؤرخة بكذا وكذا - ويعد لفظ ذكر بين جانبي الوصل ويكتب باقي الكلام تحتها من أول الوصل الى آخره في العرض من غير خلو يابض - انه اتفق من الأمر كيت وكيت ، أو أنه سأل في كذا

وكذا. ثم يخلى يياضاً قدر أربع أصابع ويكتب في وسط الدرج بمخلو يياض من الجانبين أيضاً : « وذكرك » بمدة فيها على نحو ما تقدم . ثم يذكر باقي الكلام من أول الوصل الى آخره ويفعل مثل ذلك في أول كل فصل من فصول الكتاب يتعلق بذلك الديوان المختص بذلك الملخص . ويكتب في آخر كل فصل : وقد عرض على المسمع الشريفة ومما برزت به المراسيم الشريفة كان العمل بمقتضاه ونحو ذلك . ثم ان كان الملخص لديوان الانشاء كتب بأعلى الوصل من ظاهره من الجانب الأيسر منه ما مثاله : ديوان الانشاء الشريف . وان كان الملخص لديوان الجيش كتب هناك ما مثاله : ديوان الجيش . وكذا ديوان الخاص وسائر الدواوين المتقدمة الذكر . فإذا كملت وقف عليها كاتب السر فما كان منها متعلقاً بديوان الانشاء عرضه على السلطان واستمطر جوابه فيه فيكتب في مقابلة الملخص « يكتب بذلك ، أو : يكتب بكذا وكذا أو : رسم بذلك ، أو : رسم بكذا وكذا » وما كان منها متعلقاً بديوان الوزارة بعث به الى الوزير ، وما كان متعلقاً بديوان الجيش بعث به الى ناظر الجيش ، وما كان منها متعلقاً بديوان الخاص بعث به الى ناظر الخاص ليقرا كل منهم ملخصه على السلطان وينظر ما يأمر به فيه ، فما كان يكتب به بجانب الفصل الذي في الملخص : أمضى له ذلك ، أو لم يمض ، أو : رسم بكذا وكذا ، ونحو ذلك وسائر الدواوين على هذا النحو

واما ترجمة الكتب الواردة بغير اللسان العربي فأن كان بالمغلية كالكتب الواردة عن بعض قانات المشرق فإنه يتولى ترجمتها من يوثق به من أخصاء الدولة من أهل ذلك اللسان من الأمراء أو الخاصكية ونحوهم ، ثم يقرأ ترجمته على السلطان ويعتمد ما يأمر به في جوابه ليكتب به . وان كان بالرومية أو الفرنجية ونحوهما من اللغات أحضر ترجمانين أو واحداً من أهل ذلك اللسان وكتب بأعلى الوصل « ترجمة الكتاب الوارد من فلان في التاريخ الفلاني ترجمة فلان ، أو فلان وفلان » ويذكر فصوله على نحو ما تقدم في الملخصات ويقرأ على السلطان

﴿ الفصل الخامس ﴾

في أمور تختص بالأجوبة . واعلم انه قد اختلف في الابتداء والجواب أيهما

أبلغ . فذهب أكثر البلغاء الى ان الكتب الجوابية أتعب وأصعب مرتقى من الكتب الابتدائية ، وأن فيها تظهر مهارة الكاتب وحذقه لا سيما اذا كان الخطاب محتملا للاعتذار والاعتلال عن امتثال الأوامر والتواهي والتورية عن نصوص الأحوال والأعراض عن ظواهرها ، قائد إلى استعمال المغالطة ونحو ذلك مما يؤدي إلى الخلاص من المكروه لأمر :- أحدها ان المبتدئ يحكم في كتابه ، يبتدئ بالمفاظ كيف شاء ، ويتصرف في التقديم والتأخير والحذف والاثبات والايجاز والأسهاب ويبني على أساس يؤسسه لنفسه ، والمجيب ليس كذلك ، انما هو تابع لغرض المبتدئ بان على أساسه الثاني - ان المجيب اذا كان جوابه محتملا للأشباع والتوسع كان مضطرا إلى اقتضاض الفاظ المبتدئ واتباعها للأجابة عنها - الثالث - ان تأليف الكلام وانتظامه يقدر منه المبتدئ على ما لا يقدر المجيب لأن الجواب يفصل أجزاء الكلام ويبدد نظامه ويقسمه أقساما لمكان الحاجة إلى استئناف القول من الفصل بعد الفصل يقول : أما كذا ، وأما كذا . وذهب صاحب مواد البيان إلى أن الابتداء والجواب في ذلك على حد واحد محتجا بأن كلام المبتدئ والمجيب ممتاح من جودة الغريزة وكلاهما يحتاج من البلاغة والصناعة إلى ما يحتاج إليه الآخر وليس واحد من الابتداء والجواب بصناعة على حيا لها بل هما كالنوعين للجنس ولا يحتمل ان يكون الكاتب ماهرا في نوع دون نوع والكاتب لا يكون في الأمر الأعم كاتبا عن نفسه وانما يكون كاتبا عن أمر يأمره بالكتابة في أغراضه ويسلها إليه منشورة فيحتاج إلى نظنها وضمها وبرزها في صورة محيطية بجميع تلك الأغراض المكتوب عنها في الصورة الجماعية لها مع نظنها في سلك البلاغة مثل ما على المجيب من المشقة وتوفية فصول كتاب المبتدئ من الاجابة والتصريف على أوضاع ترتيبها بل كافة المجيب قريبة لأنه يستنبط من نفس معاني الكتاب المبتدئ للمعاني التي يجيب بها لان الجواب ان وافق الابتداء فالامر سهل وان ناقضه فإن كل تقيض قائم في الجواب على مقابلة تقيضه إلا انه أتعب من الموافق . ولا شك ان الجواب بتجزئته قد خف تحمله اذ ليس من يجمع خاطره على الفصل الواحد حتى يخرج من جوابه كمن يجمع خاطره على الكتاب كله ، ثم قال ، وليس القصد مما ذكرناه مناقضة مشايخ صناعتنا ولكن القصد تعريف الحق الذي يجب اعتقاده والعمل عليه

ثم اعلم ان للجواب حالتين : الاولى أن يكون الجواب من الرئيس الى المرءوس عما كتب به اليه . فالذي ذكره في مواد البيان ان للرئيس ان يبنى حكاية كتاب مرءوسه اليه في جوابه على الاختصار ويجمع معانيه في الفاظ وجيزة محيطية بما وراءها كأن يقول : وصل كتابك في معنى كذا وكذا وفهمناه . الثانية أن يكون الجواب من المرءوس الى الرئيس عما كتب به اليه . قال في مواد البيان : والواجب في هذه الحالة أن يحكي فصول كتاب رئيسه على قضيتها ويقصها على وجهها من غير اخلال بشيء منها اعظاما لتقدير الرئيس واجلالا لخطابه ، قال ، وليس للمجيب ان مر في كتاب الرئيس بلفظة واقعة في غير موقعها ان يبدلها في كتابه بغيرها لما في ذلك من الاشارة الى ان هذا أصح من كتاب رئيسه الا أن يكون الكتاب الوارد على المجيب في معنى الشكر والتقريظ من رئيسه له والثناء عليه في قيامه بالخدمة فإنه لا يجوز ان يأتي به على نصه لانه يصير بذلك مادحا نفسه ومدح الانسان نفسه غير سائغ ولا يجوز ان يهمل ذكره جملة لانه يكون قد أخل بما يجب من شكره له على تشریف رتبته بأحماده والثناء عليه بل الواجب ان يقع تلك القصة على جعل نفسه بعضاً منها بأن يقول : فأما ما وصفه من اعتداده بخادته في جملة من نهض بحقوق خدمته وقام بفرض طاعته فأهله لما يرفع الاقدار من احماده وثنائه ويعلى الاخطار من شكره ودعائه . وما يضا هي ذلك من العبارة التي تشتمل على معاني الفاظ رئيسه فإنه اذا قصد هذا السبيل في حكاية كتاب رئيسه في هذا المعنى فقد جمع بين البلاغة والأتيان على معاني الفاظ رئيسه والادب في ترك التذخيم لنفسه بأضافته الى جملة الخاصة دون إيقاع المدح عاينها قلت : وهذا الترتيب هو الذي يجب اعتماده والمشى على منهاجه وان كان كتاب الزمان قد اطرحوا النظر في ذلك جملة ولم يفرقوا بين جواب رئيس ولا مرءوس وأهملوا النظر في حقائق الالفاظ والمعاني

الباب الثاني

في مصطلح الكتب السلطانيات الدائرة بين كتاب الاسلام في كل زمن من الصدر الاول وهلم جرا الى زماننا من الكتب الصادرة عن الخلفاء وولاة العهد بالخلافة والكتب الصادرة عن الملوك . وفيه ستة فصول

﴿ الفصل الاول ﴾

في الكتب الصادرة عن الخلفاء الى الملوك والوزراء وهي على ثلاثة أساليب

﴿الاسلوب الاول﴾ - أن يفتح المكاتبة بافظ « من فلان الى فلان » . والاصل في ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كتابه يكتبون عنه في جل مكاتباته كذلك فكان يكتب « من محمد رسول الله الى فلان » باسمه . فان كان مسلماً كتب : « سلام عليك فإني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو » وان كان كافراً كتب « سلام على من اتبع الهدى » ثم يقول « أما بعد فإن كذا وكذا » وقد لا يقول « أما بعد » ويأتي على المقصد الى آخره ويختم الكتاب بقوله « والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » ان كان مسلماً ؛ وربما اقتصر على « والسلام عليك » . وان كان كافراً كتب « والسلام على من اتبع الهدى » وربما يختم بغير السلام . وعلى هذا الاسلوب كتب عنه صلى الله عليه وسلم الى خالد بن الوليد وغيره من الصحابة ، والى وائل بن حجر ، وطهفة النهدي ، والمنذر بن ساوى ، وأكيدر دومة ، والنجاشي ، والمقوقس ، وهرقل ، وكسرى وغيرهم . فلما ولي أبو بكر الصديق الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم كتب : من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فلان . . . وباقي المكاتبة على ما تقدم ، فلما آتت الخلافة الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب : من عمر بن الخطاب خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فلان . . . فلما لقب بأمر المؤمنين زاد في المكاتبة افظ « عبد الله » قبل اسمه ، وبعده « أمير المؤمنين » فكان يكتب : من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى فلان . . . وباقي المكاتبة على ما تقدم . واستمر ذلك فيما بعده حتى ان المأمون كان اسمه عبد الله فكان يكتب : من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين . . . مكرراً « عبد الله » مرتين مرة للقب الخلافة الذي زاده عمر ، ومرة للاسم العلم ؛ وعلى ذلك جري الحال في خلافة عثمان وعلى والحسن رضى الله عنهم . فلما صارت الخلافة الى معاوية بن أبي سفيان عبر عن نفسه في أثناء المكاتبة بأمر المؤمنين مثل : باغ أمير المؤمنين ، واقتضى رأي أمير المؤمنين ، ونحو ذلك . وانه ينزل الامر على ذلك الى أن ولي الوليد بن عبد الملك الخلافة فجود القراطيس وجلل

الخطوط وفخم المكائبات، وتبعه من بعده من الخلفاء على ذلك الا عمر بن عبدالعزيز
 ويزيد بن الوليد فأنهما جريا في ذلك على طريقة السلف؛ ثم جرى الامر بعدهما على ما سنه الوليد.
 فلما صار الامر الى مروان بن محمد آخر خلفائهم وكتب له عبد الحميد بن يحيى وكان
 من اللسن والبلاغة بالمكان الذى لا يجمل اطال الكتب وفخمها حيث اقتضى الحال
 ذلك واستمر ذلك الى ما بعده . فلما انقضت الخلافة الى الدولة العباسية زيد بعد اسم
 الخليفة لفظ « الامام » فكان يكتب : من عبد الله فلان الامام الفلاني أمير المؤمنين
 الى فلان . سلام عليك فان أمير المؤمنين محمد اليك الله الذى لا اله الا هو . . ثم
 يتخلص الى المقصود على ما تقدم . فلما آلت الخلافة الى الرشيد زاد بعد التحميد
 « ويسأله ان يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم » معيداً الضمير على
 « أمير المؤمنين » فجرى الامر على ذلك في زمنه وما بعده ، قال أبو هلال العسكري في
 كتابه الاوائل ، وكان ذلك من أجل مناقبه . واستمر ذلك بعده . وربما كتب
 « ويسأله أن يصلى على ابن عمه محمد صلى الله عليه وسلم » . ولما صارت الخلافة الى الامين
 اکتى في كتبه وتبعه من بعده من الخلفاء على ذلك . ثم الذى رتبته أبو جعفر النحاس
 فى صناعة الكتاب أنه يقدم الاسم على الكنية والكنية على اللقب مثل أن يقال :
 من عبد الله فلان أبي فلان الامام الفلاني أمير المؤمنين . . وقال : أن هذا هو الذى
 اصطلح عليه فى الامور السلطانية التى تنشأ بها الكتب من الدواوين . وذكر أن
 بعض العلماء خالفهم فى ذلك وقال : الاولى أن يبتدأ باللقب مثل أن يقال : من الراضى
 وما أشبه كما قال عز وجل « انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله » لان اللقب لا يشاركه
 فيه غيره فكان أولى ان يبدأ به . ولم يزل الامر على ذلك الى حين انقراض الخلافة
 من بغداد . أما الخلفاء الفاطميون بالديار المصرية فإنه كان يزداد فيما يكتب به عنهم
 بعد « عبد الله » لفظ « ووليه » فيقال : من عبد الله ووليه فلان أبي فلان الفلاني -
 بلقب الخلافة - أمير المؤمنين . . . ويقولون فى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم :
 ويسأله أن يصلى على جده محمد نبيه ورسوله وعلى الأئمة من عترته ويسلم عليهم تسليماً ..
 ونحو ذلك . فلما صارت الخلافة العباسية من بغداد الى الديار المصرية جرت مكاتبة
 خلفائها على نحو ما كان عليه الحال فى بغداد مع زيادة لفظ « ووليه » الذى كان يكتب

به الفاطميون مع التعويض عن الحمد والسلام بخطبة ، فكتب عن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان الى الملك المؤيد هنبر الدين داود صاحب اليمن بعد الافتتاح بآية من كتاب الله تعالى : من عبد الله ووليه أبي الربيع سليمان ، أما بعد حمد الله . . . ثم لما آلت الخلافة الى المتوكل على الله افتتح الكتب عنه بالسلام ، فكان يكتب : سلام الله ورحمته وبركاته يخص فلاناً . . . وعلى ذلك جرى ابنه المستعين بالله في أول خلافته ، فلما استبد بالخلافة والسلطة كتب عنه : من عبد الله ووليه خليفة رب العالمين وابن عم سيد المرسلين المقرض طاعته على الناس أجمعين الامام المستعين بالله أبي الفضل العباسي أغر الله به الدين . . . ثم يوتى بالمكاتبة السلطانية مثل : أغر الله تعالى أنصار المقر الكريم ، أو نصره الجنب الكريم ، أو ضاعف الله تعالى نعمة الجنب العالي ، أو أدام الله تعالى نعمة الجنب العالي على ما سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى . فلما خلع المستعين واستقر في الخلافة أمير المؤمنين المعتضد بالله أبو الفتح أبو بكر بن المتوكل محمد المقدم ذكره أعاد المكاتبة الى ما كانت عليه في زمن ولده والحال على ذلك الى الآن اذا علمت ذلك فتعلم أن الخطاب في الكتب الصادرة عن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقع باسم المكتوب اليه الذي هو علم عليه ، وبتاء الخطاب وكافه مثل أنت ، وقلت ، وفعلت ، ولك ، وعليك ، وما أشبه ذلك كما كتب الى خالد بن الوليد في جواب كتابه حين وجهه الى نبي الحارث بن كعب وكتب اليه باسلامهم : من محمد رسول الله الى خالد بن الوليد ، سلام عليك فإني أحمد اليك الله انذى لا اله الا هو . اما بعد فإن كذا وكذا . . . وكما كتب الى هرقل عظيم الروم : (من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم) سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإن كذا وكذا . وكذلك الكتب الصادرة عن الصديق رضى الله عنه كما كتب الى أهل الردة : من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة اقام على الاسلام او رجع عنه . سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى الى الضلالة والعمى فإني أحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله . . . وكذلك الكتب الصادرة عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما كتب الى عمرو بن العاص وهو أمير مصر بسبب ما بلغه ان له فاتية

مال فشت : من عبد الله عمر بن الخطاب امير المؤمنين الى عمرو بن العاص . . .
وكذلك سائر الخلفاء الراشدين من الصحابة رضوان الله عليهم ، ثم الدولة الاموية ،
ثم اوائل الدولة العباسية . فلما انحلت عرى الدولة العباسية وغلب على خلفائهم ملوك
بنى بويه وتلقبوا بالاضافة الى الدولة والملة كتب اليهم على نظير القابهم ، فكتب ابو
اسحاق الصابي عن الطائع لله الى صمصام الدولة : (من عبد الله عبد الكريم الامام
الطائع لله امير المؤمنين الى صمصام الدولة) وشمس الملة ابي كاليجان بن
عضد الدولة وتاج الملة مولى امير المؤمنين سلام عليك فان امير المؤمنين محمد اليك
الله الذى لا اله الا هو ويسأله ان يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .
اما بعد اطال الله بقاءك فان امير المؤمنين . . . واتى على المقصد الى آخره على ما اوردته
في الاصل . ثم لما جاءت الدولة السلجوقية وقد لقب فيها بالاضافة الى الدين وكثرت
الالقباب التى يلقب بها الخلفاء الملوك كتب بها ، فكتب عن المتقى لامر الله
الى السلطان ابي الفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي : من عبد الله ابي عبد
الله محمد المتقى لامر الله امير المؤمنين الى شاهنشاه المعظم مولى الامم مالك رقاب
العرب والعجم جلال دين الله ظهير عباد الله حافظ بلاد الله معين خليفة الله غياث
الدين ناصر الاسلام والمسلمين محيي الدولة القاهرة معز الملة الزاهرة عماد
الامة الباهرة ابي الفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه قسيم امير المؤمنين ، سلام عليك
فان امير المؤمنين محمد اليك الله الذى لا اله الا هو ويسأله ان يصلى على محمد عبده
ورسوله ويسلم تسليما . اما بعد اطال الله بقاءك وادام عزك وتأيدك . . . في دعاء
طويل تخلص منه الى المقصد وقد ذكرته في الاصل . . . الا ان المقر الشهابي بن فضل الله
حين كتب عن المستكفي بالله ابي الربيع سليمان الى السلطان الملك الناصر (احمد بن
الملك) الناصر محمد بن قلاوون وهو بالكرك يستدعي حضوره الى قلعة الجبل بالقاهرة
لتقلد السلطنة بعد خلع أخيه الاشرف كجك وقتل الامير قوصون ومن معه فانه عدل
عن الالقاب الى الاتيان بخطبة بعد الافتتاح بآية من القرآن الكريم فكتب : الم تر
ان الله سخر لكم مافى السموات ومافى الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، فالحمد
لله الذى أسبغ نعمه الظاهرة والباطنة ، وألف قلوب أوليائه المتفقة والمتباينة ، وأخذ

بنواصى اعدائه الكاذبة المائنة ، وأعلى جد هذه الدولة القاهرة ، وأطلع فى أسنة العوالى نجومها الزاهرة : وحرك لها العزائم (فملكك) والامور بحمد الله ساكنة ، والبلاد والممنة لله آمنة ، والرعايا فى نطاها قاطنة وأتى على هذه الخطبة الى آخرها ثم تخلص الى المقصد . قلت : أما فى هذا الزمان وما قاربه فإنه لم يعلم أنه كتب عن الخليفة الى السلطان وقتا من الاوقات لملازمة الخليفة السلطان سفرا وحضرا فلو قدر كتابته فى ذلك فالاحسن ان يوتى بخطبة كما فى الكتاب المتقدم فإنه أعظم من الالقاب فلو أتى باللقاب السلطان لساغ ذلك . اما الكتب التى تكتب عن الخليفة الآن فإنه يوتى فيها باللقاب المكتوب اليه التى يكتب بها عن السلطان مثل ان يكتب عن الخليفة الى النائب الكافل فيكتب : سلام الله تعالى ورحمته وبركاته يخص المقام الكريم العالى الاميرى الكبيرى العالى العادلى المؤيدى الزعيمى العوثى الغياثى المشاغرى المرابطى الممهدى المشيدى الظهيرى العابدى الساسكى الاتابكى الكفيلى الفلانى معز الاسلام والمسلمين سيد أمراء العالمين ناصر الغزاة والمجاهدين ملجأ الفقراء والمساكين زعيم جيوش الموحدين اتابك العساكر محمد الدول مشيد الممالك عماد الملة عون الامة ظهير الملوك والسلاطين عضد امير المؤمنين . الى آخر المكاتبة ، وعلى ذلك فى باقى المكاتبات

(الاسلوب الثانى) - مما يكتب به عن الخلفاء ان تفتتح المكاتبة بـ « أما بعد » والاصل فى ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يفتتح بعض كتبه بذلك كما كتب الى اهل نجران : اما بعد فأني (أدعوكم) الى عبادة الله من عبادة العباد ، وادعوكم الى ولاية الله من ولاية العباد ، فإن أيتيم فالحزبة ، فان ايتيم فقد آذنتكم بحرب الاسلام . وكذلك بعض الخلفاء الراشدين كما كتب عثمان بن عفان الى على ابن ابى طالب حين خرج الى البقيع واختلف الناس على عثمان : اما بعد فقد بانغ السيل الزبى والحزام الطيبين . وطمع في من كان يضعف عن الدفع عن نفسه وكذلك خلفاء بنى امية كما كتب عمر بن عبد العزيز الى عدى بن ارمطة : اما بعد فاذا أمكنتك القدية على المحلوق فاذا ذكر قدرة الحاق عليك ، واعلم ان مالك عند الله مثل الارعية عندنا . . . اما خلفاء بنى العباس فغالب ما كان يقع ذلك عنهم فى كتب متوج ونجوها مما لا يختص بواحد وهي على ضربين

الضرب الاول ان يعقب البعدية بالحمدلة امامرة واحدة كما كتب أبو اسحاق الصابي عن المطيع لله الى بعض ولاية الاطراف عند طاعة عبد الملك بن نوح الساماني (في الصبح: الساساني):
 اما بعد فالحمد لله الولي بالاستحجاد ، المستحق (لكنه) الاعتداد ، التقدير علي تأليف
 الاجساد - الى نحو العشرين سجعة ثم تخلص الى المقصود بقوله - : وقد علمت كيت
 وكيت على ما هو مذكور في الاصل . واما بتكرار الحمد الى ثلاث فأكثر كما كتب
 عن المعتصم الى ملوك الآفاق من المسلمين عند قبض الافشين على بابك ملك الروم :
 اما بعد فالحمد لله الذي جعل العاقبة لدينه والعصمة لاوليائه ، والمزمن نصره ، والفلاح
 لمن اطاعه ، والحق لمن عرف حقه ، وجعل دائرة السوء على من عصاه وصدف عنه ورغب عن
 ربوبيته وابتغى الها غيره ، لا اله الا هو وحده لا شريك له . يحمده امير المؤمنين حمد من
 لا يعبد غيره ، ولا يتوكل الا عليه ، ولا يفوض امره الا اليه ، ولا يرجو الخير الا من
 عنده ، - الى نحو عشر سجعات ثم قال - : والحمد لله الذي تولى أمير المؤمنين
 بصنعه فيسر له امره ، وصدق له ظنه ، وانجح له طلبته - الى نحو من ذلك ثم قال - :
 فالحمد لله كثيرا كما هو اهله ونزغب الى الله في تمام نعمه ، ودوام صنعه ، وسعة ما
 عنده بمنه ولطفه - ثم تخلص الى المقصد بقوله - : ولا يعلم امير المؤمنين مع كثرة
 اعداء المسلمين مثل فلان وقد ذكرته في الاصل بكامله

الضرب الثاني ان لا يعقب البعدية بتحميد بل يقع الشروع عقبها في المقصود
 كما كتب أبو اسحاق الصابي عن الطائع لله الى من في عمان وما معها من البحرين بالاجتماع
 علي الطاعة : اما بعد فان أمير المؤمنين كذا الذي حمله الله من اعباء الامامة وأهله له من
 شرف الخلافة واستودعه من الامانة في حياة المسلمين والاجتهاد لهم في مصالح الدنيا
 والدين - الى آخر ما منحه له من ذلك ثم تخلص الى المقصد بقوله - : وقد علمتم
 كيت وكيت

(الاسلوب الثالث) - ان تفتح المكتوبة بخطبة مفتوحة بالحمد لله . وأصل هذه
 المكتوبة مختلس من الاسلوب الاول من قولهم : فأني أحمد اليك الله الذي لا اله الا
 هو ، ثم أحدث عبد الحميد بن يحيى في خلافة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية
 التحميد بعد البعدية وتبعه من بعده على ذلك كما تقدم . ثم توسعوا في ذلك فجعلوا الحمد

افتتاحاً . ولا خفاء في ان الافتتاح بالحمد من أعلى الافتتاحات وأعلى مراتب الابتداءات وان لم يقع الابتداء به في صدر الاسلام .

واعلم أن للخليفة مكاتبات خاصة لاخصائه كالوزير ونحوه. قال في صناعة الكتاب: ويكتب الامام الوزير ومن حل محله بـ « أمتعني الله بك ، وبدوام النعمة عندي بك ، وبقاء الموهبة لي منك » وما جرى هذا المنجى . ثم رتب المكاتبة على ما ذكره في صناعة الكتاب على الاسلوب الاول ان يكتب : من عبد الله فلان أبي فلان الامام الفلاني أمير المؤمنين ، سلام عليك فإن أمير المؤمنين محمد اليك الله الذي لا اله الا هو ويسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله - ثم يفصل ببياض يسير ثم يكتب - : اما بعد فإن كذا وكذا - ويوتى على المعنى فإن انتهى من ذلك وأراد أن يكتب بأمر فصل ببياض يسير ثم كتب - : وقد أمر أمير المؤمنين بكذا ، أو رأى ان يكتب اليك بكذا فيوثر بامثال ما أمر به والعمل بحسبه -- ثم يفصل ببياض ويكتب - : فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين واعمل به ان شاء الله تعالى . قلت ، وقد يكتب في اواخر المكاتبة بعد استيفاء القصد : وهذه مناجاة أمير المؤمنين اليك . ويقال في السلام على اعلى الطبقات من المكتوب اليهم : والسلام عليك ورحمة الله ، وربما قيل ، ورحمة الله وبركاته

أما عنونة كتب الخلفاء فكانت في الجانب الايمن : من عبد الله فلان الامام الفلاني أمير المؤمنين . وفي الجانب الايسر : الي فلان بن فلان . فلما تكفى الامير في كتبه زيدت الكنية في العنوان . ثم زاد المأمون في أول عنواناته بالبسملة فكانت تكتب في الجانب الايمن قبل « من عبد الله فلان » . وفي كلام النحاس في صناعة الكتاب ما يقتضى أن البسملة بقيت ، في العنونة الى خلافة الرازي وفي كلام صاحب مواد البيان أنها بطلت فيما بعد . قال في صناعة الكتاب : فإن كان المكتوب اليه من موالى بنى هاشم نسب الى ذلك ، وان لم يكن ينسب اليهم ترك

﴿ الفصل الثاني ﴾

في الكتب الصادرة عن ولاية العهد بالخلافة

! أقف فيه على ترجمة صريحة غير ان النحاس في صناعة الكتاب بعد أن ذكر

ان صورة المكاتبة عن الخليفة « من عبد الله أبي فلان فلان الامام الفلاني » عقب ذلك بأن قال : وليس أحد من الرؤساء يكتب عنه بالتصدير الا الامام وولي العهد ، ولم يزد على ذلك وقد فسر في ذخيرة الكتاب التصدير بأن قال : يكتب « من عبد الله أبي فلان فلان - باسمه ونعمته وكنيته ثم يقال - أمير المؤمنين الى فلان . أما بعد فإن أمير المؤمنين محمد اليك الله الذي لا اله الا هو . . . » الخ على ما تقدم ذكره . وذكر النحاس في الكلام على العنواف من الرئيس الى المرءوس أنه يحذف من الكتاب عن ولي العهد لفظ « الامام » ولفظ « أمير المؤمنين » ويقال فيه « ولي العهد » وظاهر ذلك ان المكاتبة عن ولي العهد شبيهة بالمكاتبة عن الخليفة ، وأن لفظ « ولي العهد » في المكاتبة عن ولي العهد يقوم مقام « أمير المؤمنين » في المكاتبة عن الخليفة نفسه . قلت : وحينئذ فيتحجج أن تكون المكاتبة عنه « من عبد الله فلان أبي فلان الفلاني بالله ولي عهد المسلمين الى فلان . سلام عليك فإني أحد اليك الله الذي لا اله الا هو وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم . أما بعد فإن كذا وكذا . . . » ويأتي على المقصد . وعلى ذلك يدل كلام صاحب ذخيرة الكتاب حيث قال بعد ذكر المكاتبة عن الخليفة : وكذلك المكاتبة عن ولي العهد

﴿ الفصل الثالث ﴾

في المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن في معانهم الى الخلفاء . والممول عليه من ذلك ستة أساليب

﴿ الاسلوب الاول ﴾ - أن يفتح المكاتبة بلفظ : فلان من فلان ، أو الى فلان من فلان . وقد اختلف العلماء في ابتداء المكاتبة باسم المكتوب اليه على مذهبين : أحدهما كراهة ذلك لأنه مأخوذ عن ملوك العجم وقد جاء عن جماعة من السلف كراهته على ما هو مذكور في الاصل حتى ذكر صاحب صناعة الكتاب عن الربيع بن أنس أنه قال : ما كان أحد أعظم حرمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أصحابه يكتبون اليه فيبدأون بأنفسهم . والذي عليه الجادة أنه لا كراهة فيه ، ففي سيرة ابن هشام أن خالد ابن الوليد رضي الله عنه حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى نبي الحارث بن كعب

فأسلموا كتب اليه : لمحمد النبي صلى الله عليه وسلم من خالد بن الوليد . وأن النجاشي كتب اليه صلى الله عليه وسلم : الى محمد رسول الله من النجاشي . وقد ورد ان جماعة من السلف كانوا يتعاونون ذلك على ما ذكرته في الاصل . ثم القائلون بذلك اختلفوا ، فذهبت فرقة منهم الى أنه ربما يعدي بـ « الى » فيقال : الي فلان بن فلان . ولا يعدي باللام ، فلا يقال : لفلان من فلان . والمشهور أنه لا فرق ، فقد كتب خالد ابن الوليد « لمحمد النبي » وكتب النجاشي : « الى محمد رسول الله » ولم يتكرر على واحد منهما ؛ بل المتداول بين الخلفاء في المكاتبات « لفلان » دون « الى فلان » فقد كتب عمرو بن العاص الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه في جواب كتاب كتبه اليه يذكر فيه فاشية مال فشت له : « لعبد الله عمر أمير المؤمنين ، سلام عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو . أما بعد فأن كذا وكذا » ، وكتب الحجاج ابن يوسف الى عبد الملك بن مروان في جواب كتاب كتبه اليه يؤمخه فيه بسبب تعرضه لأنس بن مالك : « لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين ، سلام على أمير المؤمنين فاني أحمد اليه الله الذي لا اله الا هو . أما بعد فأن كذا وكذا » . وقد ذكر قدامة في كتاب الخراج أن الرسم في الكتابة الى الخليفة ان يكتب : « لعبد الله فلان أبي فلان - باسمه وكنيته ونعمته - أمير المؤمنين . سلام على أمير المؤمنين فاني أحمد اليه الله الذي لا اله الا هو وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم . أما بعد أطال الله بقاء أمير المؤمنين وأدام عزه وتأييده وكرامته وحراسته وأتم نعمته عليه وزاد في احسانه اليه وفضله عنده وجميل بلائه لديه وجزيل عطائه له » . وزاد في صناعة الكتاب في السلام « ورحمة الله وبركاته » قال النحاس ، ثم يقال « أما بعد فقد كان كذا وكذا » حتي يأتي على المعاني التي يحتاج اليها ، قال ، وتكون المكاتبة : « وقد فعل عبد أمير المؤمنين كذا » فان زادت حاله لم يقل « عبد أمير المؤمنين » فاذا بلغ الى الدعاء ترك (فضاء) ثم كتب « آم الله على أمير المؤمنين نعمته ، وهناءه وكرامته ، وألبسه عفوه وعافيته . والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . وكتب يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا » . قلت : وقد جرت عادتهم انه اذا كان الكتاب بظهور نعمة من فتح أو غيره أني في صدر الكتاب بالتحميد كما كتب أبو اسحاق

الصابي عن عز الدولة ابن بويه الى المطيع لله عند فتحه الموصل وهزيمة ابن حمدان صاحب حاب في سنة ٣٦٣: « لعبد الله الفضل المطيع لله أمير المؤمنين من عبده وصنيعته عز الدولة بن معز الدولة مولى أمير المؤمنين ، سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فإني أحمد الى أمير المؤمنين الله الذي لا اله الا هو وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم . اما بعد أطل الله بقاء أمير المؤمنين وادام الله له العز والتأييد ، والتوفيق والتسديد ، والعلو والقدرة ، والظهور والنصرة . والحمد لله العلي العظيم الازلي القديم - في سجعات أخرى تتعلق بتزييه الله تعالى - والحمد لله الذي اصطفى للنبوته احق عباده بحمل اعبائها - في سجعات أخرى تتعلق بنبوته النبي صلى الله عليه وسلم - والحمد لله الذي انتخب أمير المؤمنين من ذلك السنخ الشريف ، والمنصر المنيف في سجعات أخرى تتعلق بالخليفة ثم تخلص الى المقصد وأتى عليه الى آخره

﴿ الاسلوب الثاني ﴾ - ان يفتح المكاتبه بلفظ « كتابي » وهو اقلها وقوعا كما كتب ابو الفرج البيهقي عن أبي ثعلب بن ناصر الدولة أحد ملوك بني حمدان في جواب كتاب وصل اليه من الخليفة : « كتابي أطل الله بقاء أمير المؤمنين وعبداً أمير المؤمنين يستديم بشكر الله تعالى مدد الزعم المتظاهرة والمنح المتناصرة لديه - الى آخر الصدر ثم تخلص منه بقوله - : (ووصل) كتاب أمير المؤمنين ... » وأتى على المقصد الى آخره ﴿ الاسلوب الثالث ﴾ ان يفتح المكاتبه بالصلاة على الخليفة علي رأي من يرى جواز افراد غير الانبياء بالصلاة كما كتب القاضي الفاضل عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الى ديوان الخلافة ببغداد : « صلوات الله التي أعدها لولايته وذخرها (وتحياته التي قذف بشبهها شياطين أعدائه ودحرها) ، وبركاته التي دعا بها كل موحد فأجاب ، وانقشع بها غمام الغم وظلام الظلم فأنجاب عن أنجاب ، ورحمته التي هي للمؤمنين سكن ، وسلامه الذي لا يعتري الموقنين في ترديده حصر ولا لكن ، علي مولانا أمير المؤمنين عاقد ألية الايمان ، وصاحب دول الرمان ، وساحب ذيل الاحسان ، وغالب حزب الشيطان ، الذي زلزلت امامته قدم الباطل ، وحلت خلافته ترائب الدهر العاقل ، واقتضت سيوفه ديون الدين من كل غريم مماطل ، وامضت عزه من كل عزم مفلول وأطلعت غارب نجم كل هدى آفل ، وشغفت بقطات استغفاره الي غافر ذنب كل

غافل ، وعلى آبائه القائمين بمحقوق الله اذا قعد الناس ، والحاكمين بعدل الله اذا عدم القسطاس ، والمستضيئين بأنوار الالهام الموروثة من الوحي إذا عجزوا لاقْتباس ، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، خزان الحكم وحفاظها ، ومعاني النعم وألفاظها ، واعلام العلوم المنشورة الى يوم القيامة ، وكألى السروح المنتشرة بيد الامامة ، ومن لا ينفذ سهم عمل الا اذا شحذ بموالاهم ، ولا يتألق صبح هداية الا اذا استصبح السارى بدلالاهم . المملوك يقبل الارض بمطالع الشرف ومنازله ، ومرابع المجد ومعاقله ، ومجالس الجود ، ومجال السجود ، ومختلف أنباء الرحمة المنزلة ، ومفتر مباسم الامامة ، ومجير مساحب الكرامة ، ومكان جنوح أجنحة الملائك ، ومشتجر مناسك المناسك ، حيث يدخلون من كل باب مسلمين ، ويتبعهم ملوك الارض مستسلمين ، ومشاهد الاسلام كيوم أنزل فيه « اليوم أكملت لكم دينكم » وينعقد على الولاية فأما غيره فله قوله « قاتلوا الذين يلونكم » ، ويناجيها بلسان حكي الاخلاص الصادق عقيدته ، وبسط الولاء السابق عقليته ، وأرهف الايمان الناصع مضاربه ، وفسح المعتقد الناصح مذاهبه ، فأعرب عن خاطر لم يخطر فيه لغير الولاء خطر ، وقلب اعانه علي ورود الولاء صفا المصافاة فيه فطره ، ويخبر أنه ما وهن عما أوجبه آلاؤه ولا وهى ، ولا اثنى عزمه عن أن يقف حيث أظلت صدره المنتهى ، ووضحت الآيات لأولى النهى ، والله تعالى يزبل عنه في شرف المثول عوائق القدر ومواقفه ، ويكشف له عن قناع الانوار التي ليست همته بما دون نظرها قائمة . والامر كيت وكيت . . . »

﴿ الاسلوب الرابع ﴾ ان يفتح المكاتبة بالسلام على الخليفة . وقد ذكر ابن شيث في معالم الكتابة ان علي ذلك كان الاصطلاح في زمانه في أواخر الدلة الايوبية كما كتب عن بعض ملوك بنى أيرب الى ديوان الخلافة يعتذر عن تأخر الكتب ويذكر خبر صاحبي قسطنطينية وصقلية : « سلام الله الاطيب ، وبركاته التي يستدرها الحضرة والغيب ، وزكاته التي ترفع أولياءه الى الدرج ، ونعمه التي لم تجمل على أهل طاعته في الدين من حرج ، على مولانا سيد الخلق ، وساد الخرق ، ومسدد أهل الحق ، ولا بس الشعار الاطهر سواداً ، ومستحق الطاعة التي أسعد الله من خصه بها بدءاً ومعاداً ، وهولى الأمة الذي تشابه يوم نداءه وبأسه ان ركض جوداً أو جواداً ، وواحد الدهر

الذي لا يثني ، واليه القلوب تثني ، ولا تقبل الله جمعا لا يكون بولائه جمع سلامة لاجمع تكسير ، ولا استقبال قبلة ممن لا تكون محبته في قلبه تقيم واسمه في عمله الى الله يسيرا ، مولانا أمير المؤمنين وعلى آباءه المائى الارض عدلا ، الملاء أهلا وفضلا ، والضارين فيصلا والقائلين فصلا ، ومن تقول الجنة لهم اهلا ، المخصوصين بالعناية الالهية ، الحاكمين فكل أمة بطاعتهم مأمورة وعن معصيتهم منهيّة ، والمشرقي الأسارى على اسرة الشرف فكم ملأت البهو مناظرهم البهية . المملوك يخدم الحرم الشريف باحترامه ، والفناء الكريم بأعظامه ، والبساط المقبل بطول استلامه ، والستر الذي أسبله الله على العباد بتحيته وسلامه ، وينهى كيت وكيت .. » قلت : وقد يجمع بين الصلاة والسلام كما كتب المستضيء بالله يبشرى بفتح بلد : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون سلام قولاً من رب رحيم (وروح وريحان وجنة نعيم) وصلاة يتبعها تسليم ، وكأس يمزجها تسنيم ، وذكر من الله تعالى في الملائى الاعلى ، ورحمة الله وبركاته معلومة من النشأة الاولى ، على مولانا الامام المستضيء بالله المستضاء بأنواره .. » الخ

﴿ الاسلوب الخامس ﴾ ان يفتح المكاتبة بخطبة مفتوحة بالحمد لله . وذلك مما يختص بالبشارة بالفتوح وما في معناه كما كتب العماد الاصبهاني عن السلطان صلاح الدين الى الناصر لدين الله ببغداد : « الحمد لله علي ما أنجز من هذا الوعد ، وعلى نصرته لهذا الدين الخفيف من قبل ومن بعد ، وعلى ان أجرى هذه الحسنة التي ما اشتمل على مثلها كرائم الصحائف ، ولم يجادل عن مثلها في المواقف ، في الايام الامامية الناصرية زادها الله تعالى غررا وواضحا ، ووالى البشائر فيها بالفتوح غدوا ورواحا ، ومكن سيوفها في كل مازق من كل كافر ومارق ، ولا اخلاها من سيرة سرية تجمع بين سيرة مخلوق وطاعة خالق ، وأطال ايدى اوابائها لتحمي بالحقيقة حى الحقائق ، وانجز فيها الحق وقذف به على الباطل الزاهق ، وملكها هوادى المغارب ومرامي المشارق ، ولا زالت آراؤها في الظلمات مصابح ، وسيوفها للبلاد مفاتيح ، وأطراف أسننها لدماء الاعداء نوازح . والحمد لله الذي نصر الديوان العزيز وايداه ، وأظفر جنده الغالب وانجده ، وجلا به جلايب الظلماء وجدد جده ، وجعل بعد عسر يسرا . الى آخر التحميد والحمد الذي أعاد الاسلام جديدا ثوبه حديدا حبله ، مبيضا نصره مخضرا نصله ، متسعا

فضله، مجتمعا شمله . والخادم يشرح من نبأ هذا الفتح العظيم كيت وكيت «
 (الاسلوب السادس) — ان يفتح المكاتبة بالدعاء للديوان العزيز مثل: أدام
 الله تعالى أيام الديوان العزيز . وخلص الله أيام الديوان العزيز ، وأدام الله النعمة على
 الدين والدنيا بأيلة الديوان العزيز ؛ وأعلي الله الموحدين على الملحدين وثبت كلمة
 المتقين بدوام أيام الديوان العزيز، وما أشبه ذلك . وعليه اقتصر في التعريف جاريا
 عليه في الاصطلاح وكلامه ظاهر في انه لم يقف على اسلوب سواء ولا شك انه اشهر
 الاساليب وعليه الاصطلاح الآن كما كتب في صدر مكاتبة الى ديوان الخلافة : « خلد
 الله سلطان الديوان العزيز المولوى السيدى النبوى الامامى الفلانى ولا زالت ايامه
 شايخة الذوائب ، شارخة الصبا حيث يلحق الشيب الشوائب ، راسخة الفخار في الظهور
 بالعجائب ، نافخة في فحم الليل جمره الكتائب ، صارخة والرعد ترعد فرائضه بين السحائب ،
 ناسخة دولة كل علياء بما تأتي به من الغرائب ، وتبذله من الرغائب ، فاسخة عقد كل خالع
 يرده الله اليها ردة خائب ، باذخة على ماضى كل زمان ذاهب ، من عصور الخلفاء الشرفاء
 وآيب ، سالخة لجلدة كل أيم ظن ان في أنياب رحمة النوائب . الخادم يقبل العتبات
 الشريفة ساجدا بجبينه ، وشاهدا يستأديه له على يمينه ، وجاحدا كل ولا سوى ولائه المقود
 يمينه ، وعاقدا شرف الاتساب اليه عقدينه ، وحامداً لله الذى جعل طاعة امير المؤمنين
 عند حسن يقينه ، وعائدا بأمله الى كرم ثمر به الآمال ، وتقمربه الليال ، لانها
 شعاره الذى تضرب به الامثال ، وتطر به السحب الجهم فتحموبه آية الأبحال .
 وينهى كيت وكيت »

واعلم ان المراد بديوان الخلافة المكتوب اليه هو ديوان الانشاء لان المكاتبات
 عنه صادرة واليه واردة . قال في التعريف : وكان سبب مخاطبتهم الديوان الخضعمان
 عن خطاب الخليفة نفسه ، قال ، والصدر فيه نحو : العبد ، او المملوك ، او الخادم يقبل
 الارض ، او العتبات ، او مواطىء المواقف . ويخاطب الخليفة في أثناء الكتاب بالديوان
 العزيز والمقام الاشرف والجانب الاعلى او الشريف ، وبأمر المؤمنين مجردة عن سيدنا
 وهولانا ومرة غير مجردة مع مراعاة المناسبة والتسديد والمقاربة ، ثم قال ، ويختم تارة
 بالدعاء ب : طالع ، أو أنهى ، أو غيرها مما فيه معنى الانتهاء . وقد تقدم في الكلام

على أصول المكاتبات ان من الملوك من كتب في العلامة : الخادم : ومنهم من كتب : المملوك ، ومنهم من كتب : العبد ، ومنهم من كتب : اقل العبيد ، ومنهم من كتب : اقل الممالك ، ومنهم من كتب الخادم المطواع وغير ذلك . قال في التعريف ، وعنوانه : الديوان العزيز . . . الى آخر الالقاب . ثم الدعاء من نسبة الصدر نحو : أدام الله تعالى أيامه وخذ سلطانه ، وما أشبه ذلك . قلت : ور بما جرت المكاتبات الى الخلفاء على غير هذه الاساليب ففتتح بالدعاء بطول البقاء كما كتب ابوالمظفر (في : الصبح) ابوالمظفر (بن المثنى الى هشام بن الحكم أحد خلفاء بني أمية بالاندلس عن بعض أتباعه : « أطال الله بقاء أمير المؤمنين ، مولاي وسيدى وسيد العالمين ، وابن الائمة الراشدين ، عزيزاً سلطانه ، منيراً زمانه ، سامية أعلامه ، واضية أحكامه ، ظاهرأ على من ناواه ، قاهرأ لمن عاداه . كتابي أيد الله أمير المؤمنين والأمر على كيت وكيت . » . أو يفتتح بألقاب الخليفة كما كتب ابوالميمون عن بعض أهل دولته الى الناصر لدين الله أحد خلفائهم : « المقام الأعلى المقدس المكرم الامام الطاهر الزكي مقام الخليفة المؤيد بنصر الله الناصر لدين الله كلاً الله جلالهم ، وفيأ ظلالم ، وبوأ وفود السعود ووجود الظهور والصعود مواطنهم المقدمة وحلالهم . عبدالم المتقلب في نعمتهم فلان . . . » و يذكر ما سنع له . أو يفتتح المكاتبة بالحضرة كما كتب ابوالمظفر (في الصبح : المطرف) بن عميرة الى المستنصر بالله أحد خلفائهم « الحضرة الامامية المنصورة الاعلام ، الناصرة للاسلام ، المخصوصة من العدل والاحسان بما يجلو نوره . تراكم الاظلام ، حضرة سيدنا ومولانا الخليفة الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين أبي يعقوب بن ساداتنا الحلفاء الراشدين ، وصل الله لها إسعاد القدر ، وإيجاد النصر والظفر . . . » ويفتح المكاتبة بوصف الخلافة كما كتب أبو عبد الله بن الخطيب عن سلطانه ابن الاحمر بفرناطة من الاندلس الى المستنصر بالله أبي اسحاق ابراهيم خليفة الموحدين بتونس بالبشري بفتح : « الخلافة التي ارتفع عن عقائد فضلها الأصيل القواعد الحلاف ، واستقلت مباني فخرها الشائع وعزها الدائم على ما أسسه الاسلاف ، ووجب لحقها الجازم وفرضها اللازم الاعتراف ، ووسعت الآمان بها الجوانب الرحبية والاكتاف ، فامتزاجاً بعلامها المنيف وولائها الشريف كما امتزج الماء والاسلاف ، وثناؤنا على مجدها الكريم وفيضها العميم كما تأرجت الرياض والافواف ، ودعاؤنا بطول

بقائها واتصال عنايتها يسمو به الى قرع أبواب السموات العلي الاستشراف ، وحرصنا على توفية حقوقها العظيمة وفواضلها العسيمة لا يحصره الحد ولا تدركه الاوصاف ، وان عذَرَ في التقصير عن نيل ذلك المراد الكبير الحق والانصاف . . . » الى غير ذلك من الامثال المختلفة والافانين المتباينة مما لا يسع استيعابه وحصره

﴿ الفصل الرابع ﴾

فيما يكتب عن الملوك ومن في معانهم الى ولاية العهد بالخلافة وهو على أسلوبين : ﴿ الاسلوب الاول ﴾ ما كان عليه الامر في الزمن القديم حين كان يكتب الى الخليفة : لفلان من فلان . وقد أشار الى ذلك في صناعة الكتاب فقال : ويكون التصدير في المكتابة الى ولي العهد على ما تقدم في المكتابة الى الخلفاء مع تغيير الاسماء . غير أنه جعل الفرق بين الامام وغيره ممن يكتب بالتصدير ان يقال للامام في التصدير مع السلام « وبركاته » في أول الكتاب وآخره ولن سوى الامام يحذف « وبركاته » من التصدير ويثبت في آخر الكتاب . حينئذ فتكون المكتابة الى ولي العهد على ما أشار اليه في صناعة الكتاب : « لعبد الله أبي فلان فلان ولي عهد المسلمين ، سلام على ولي عهد المسلمين فآنى أحمد اليه الله الذي لا اله الا هو وأسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم . أما بعد أطل الله بقاء ولي العهد - ويختتمه بقوله - : والسلام على ولي عهد المسلمين ورحمة الله وبركاته » أو نحو ذلك

﴿ الاسلوب الثاني ﴾ ما عليه المصطلح الآن . وقد ذكر في التعريف ان رسم المكتابة اليه : ضاعف الله تعالى جلال الجانب الشريف المولوى السيدى النبوى الفلانى . . . ثم الدعاء . وأبدل في التثيف لفظ الجانب بالجانب ، ثم قال : والخطاب له ب « مولانا وسيدنا ولي العهد » ونحو ذلك ، والتعبير عن المكتوب عنه ب « الخادم يقبل العتبات الشريفة ، أو اليد الشريفة » أو نحو ذلك . وذكر في التثيف أن العلامة له « الخادم » ، والعنوان الجانب « الشريف » وبقية الألقاب المذكورة الى آخرها . وذكر أن التعبير بالجانب أولى من التعبير بالجانب لعدم اشتراك غيره معه فيه بخلاف الجانب ، ثم قال ، وهذا على عادة من تقدم من الملوك أما في زماننا وقبله بمدة مديدة فلم يتفق وجود ولي عهد بالخلافة . قال وبتقدير وجوده فأذا لم يكن الخليفة يكتب في هذه

الايام فكيف بولى العهد . وقد أورد في التعريف لمكاتبتة صدوراً وهذا صدر من ذلك :
 ضاعف الله جلال الجانب الشريف المولوى السيدى النبوى الفلانى وأطلع مع
 وجود الشمس بدره التمام ، واحوج مع زاخر البحر منه الى مدد الغمام ، وقدمه إماماً على
 الناس وأطال الله بقاء سيدنا أبيه الامام ، ولا عدم منه مع نظر والده الشريف جميل
 النظر ، ولا برح صدر دسته العلى اذا غاب وثانيه اذا حضر ، ولا زال الزمان مختالا
 من جود وجودهما بالزهر والثمر . ولا زاد فيض كرم الا وهو من كنف أبيه الكريم فاض او
 من وبله العميم أنهم . الخادم يخدم تلك العتبات الباذخة الشرف ، (الناسخة بما
 وجدته من الخير في تقييلها قول من قال : لا خير في السرف) وينهى ولا ما عقد على مثله ضمير ،
 ولا انعقد شبيهه لولى عهد ولا أمير ، واخلاصه في اتما اشرق منه على الجبين ، واشرف ، فراه
 فرضاعليه فيما نطق به القرآن ورقم في الكتاب المبين

﴿ صدر آخر ﴾ - اعز الله انصار الجانب الشريف ولا حجب منه سر ذلك الجلال ، ولا
 معنى ذلك البدر المشرق منه في صورة الهلال ، ولا فيض ذلك السحاب المشرق منه هذا المورد
 الزلال ، ولا تلك المآثر التي دل عليها منه كرم الخلال ، ولا تلك الشجرة المنفرعة ولا ما امتد منها
 به من الغصن الممتد الظلال ، ولا ذلك الامام الذي هو ولى عهده وهو اعظم من الاستقلال .
 الخادم يقبل تلك اليد موغيا لها بعده ، (ومصفاً منها الورده) ومضيفاً منهم اجلايب الشرف
 على عطفه ، وحسبه فخار ان يدعى في ذلك المقام بعده ، ويتراعى على تلك الابواب ، ويلثم ذلك
 الثرى ويرجو الثواب

﴿ صدر آخر ﴾ - ولا زالت عهود ولايته منصوصة ، واياته بعموم المصالح مخصصة ،
 وصفوف جيوشه كالبنيان مرصوصة ، وقوادم أعدائه بالحوالق مقصوصة ، وبدائع انبائه فيما
 حلقت اليه دعوتة الشريفة مقصوصة الخادم بمجدد بتلك العتبات خده ، ويقف في تلك الصفوف
 لا ينقل عن الطاعة قدمه ، ويتمثل بين تلك الوقوف ويتبزز عليهم اذا ذكر في السوابق قدمه ،
 ويدلى بحجج سيوفه التي اأنكرها الديوان العزيز منذ اثبتتها ، ولا خطر احما منذ انبتتها ، ولا يحا
 سطورها منذ كتبها ، ليغيب الاعداء ولا يشفى صدورها منذ كتبها . وينهى كيت وكيت

﴿ صدر آخر ﴾ - ولا زالت مواعيد الظفر له منضوصة ، ورءوس من كفر بطوارقه مرضوضه ،
 وصحائف الايام عما يسر به الزمان فيه مفضوضه ، وجفون عداه ولو اتصلت بمقل النجوم

مخضوضه. الخادم يخدم ارضه المقدسة بترامي قلبه، وتقليب وجهه الى قبله، ويتطوف به تلك الحرم، ويتطول من فواضل ذلك الكرم، ويتطوق بقلائد تلك المنن، وفرائد تلك المواهب التي ان لم تكن له والافن، فانه والله يشهد له لا يمتد بمدولا، سيدنا ومولانا أمير المؤمنين - القائم بأمر الدنيا والدين: عليه الصلاة والسلام الا ولاها، ولا يرمي بعد الاكلاء الا آلاءها، ولا يرجو من غير هذه الشجرة المباركة لأمله إثمارة، ولا ليلته إقمارا، ولا لآيامه حافظا، ولا لخلل اقدامه في قدم صدق ولاته لافظا، قائما في خدمة هذه الدولة القاهرة يجهد في منافعها، ويدخر شفاعتها العظمى اذا جاءت كل أمة بشافعها وينهى كيت وكيت قلت: وانما أوردت هذه الصور وان ترك ما هنا لك وأهل خوف نسيانه بالترك والاهمال بخلاف ما هو متداول الاستعمال فانه يكون دائرا على الالة محفوظا في الدفاتر

﴿ الفصل الخامس ﴾

في الكتب الصادرة عن الملوك ومن في معانهم في الزمن المتقدم . والمشهور من ذلك ستة أساليب

﴿ الاسلوب الاول ﴾ ان يفتح المكاتبة بـ « اما بعد فان كذا » وعليه كان الحال في الزمن القديم كما كتب الحجاج وهو على العراق الى المهلب بن أبي صفرة وهو على بعض حروبه : « أما بعد فانك تراخي عن الحرب حتى نأتيك رسلي وترجع بعذرِكَ وذلك انك تمسك حتى تبرأ الجراح وتنسى القتلى ويجم الناس (ثم تلقاهم فتحتمل منهم مثل ما يحتملون منك من وحشة القتل وألم الجراح) ولو كنت بذلك الجدل لكان الداء قد حسم والقرن قد قصم . ولمعري ما أنت والقوم سواء لأن من ورائك رجالا وامامك أهوالا وليس للقوم الا ما معهم ولا يدرك الوجيف بالديب ولا الظفر بالتعذير »

﴿ الاسلوب الثاني ﴾ - ان يفتح المكاتبة بلفظ « من فلان الى فلان ثم يحمد الله تعالى ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ويتخلص بأما بعد » كما كان يكتب عن الخلفاء وكما كتب ابن عبد كان عن احمد بن طولون وهو على الديار المصرية الى ابنه العباس حين عصى عليه بالاسكندرية بالأنداز له والتوبيخ على فعله : « من احمد بن طولون مولى أمير المؤمنين الى الظالم لنفسه ، العاصي لربه ، الملم بذنبه ، المفسد لكسبه ،

العادي لظوره ، الجاهل لقدره ، النا كص على عقبه ، المركوس في فنته ، المنحوس من حظ دنياه وآخريته . سلام على كل منيب مستجيب ، تائب من قريب ، قبل الأخذ باللطم ، وحلول الفوت والتدم . وأحمد الله الذي لا إله الا هو حمد معترفه بالبلاء الجليل ، والطول الجليل ، وأسأله مسألة منخصص في رجائه ، مجتهد في دعائه ، ان يصلي على محمد عبده المصطفى ، وأمينه المرتضى ، ورسوله المحتبى صلى الله عليه وسلم . اما بعد فأن كذا . . . » وكما كتب ابراهيم بن عبد الله كاتب الاخشيد محمد بن طنج صاحب الدير المصرية الى أرمانوس ملك الروم : « من محمد بن طنج مولى أمير المؤمنين الى أرمانوس عظيم الروم ومن يليه . سلام بقدر ما أنتم له مستحقون فأنا نحمد الله الذي لا إله الا هو ونسأله ان يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم . أما بعد فأن كذا »

﴿ الاسلوب الثالث ﴾ ان يفتح المكاتبة بلفظ « كتابنا » بنون الجمع المقتضية للتعظيم ويذكر ما يناسب الحال ثم يخلص الى المقصد وهو مختص بما إذا كانت رتبة المكتوب اليه منحة عن رتبة المكتوب عنه كما كتب القاضي الفاضل عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الى بعض أمراء الشام . عزيا بالسلطان نور الدين الشهيد صاحب الشام : « كتابنا هذا الى فلان . عزيا بالرز ، الذي كات اقسامه وتمت : ورمت أحداه القلوب فأصمت ، وطرقت أحاديثه الاسماع فأصمت ، وابي ان تشفى كلومه ، وكاد لاجله الاق تنكسف بدوره وتنكدر نجومه ، وثلم جانب الدين لفقدمن لولاه لدرست أعلامه ولم تدرس علومه ، ونجا فاستولى على كل قلب وجيبه وعلى كل خاطر وجومه ، بانتقال المولى نور الدين الى سكنى دار السلام . . . » الى آخر التعزية

﴿ الاسلوب الرابع ﴾ ان يفتح المكاتبة بلفظ « كتابي » على الافراد . وذلك اذا انحطت رتبة المكتوب عنه عن رتبة المكتوب اليه كما كتب أبو اسحاق الصابي عن عز الدولة بن معز الدولة بن بويه من سوق الأهواز بحضرة أمير المؤمنين الى عضد الدولة في طلب الصلح وقد جرى بينهما خلاف : « كتابي أطال الله بقاء مولانا الملك الجليل المنصور عضد الدولة من المعسكر بظاهر الأهواز ومولانا أمير المؤمنين مشمول بالكتابة والتأييد ، مخصوص بالعز والتمكين . مجرى على فضل ما عود الله خلفاءه في أرضه وامناه في رعاية خلقه من التكفل لهم بالظهار والادالة وتوايهم بالاعلاء والاناقة ،

وأنا مستظل بكنف طاعته ، مستكن في حرم مشايسته ، شاكر لله على بلائه ، مثن عليه
بآلائه ، راغب إليه أن يعصمني في مولانا الملك الجليل المنصور ، وأن يقيني من كل مكروه
ويوفقني وإياه لكل مستحب مستحسن ، ويعيدنا من المقام على الفرقة ، والزوال عن
سنن الالفة ، وهو المحمود رب العالمين . والامر كيت وكيت »

(الاسلوب الخامس) - ان يفتح المكاتبة بلفظ « المقام » او « الامارة » او ماشا كل
ذلك ويوصف بما يناسب الحال ، ثم يقال « مقام فلان » . ثم يقال « معظم قدره فلان »
باسم المكتوب عنه اذا كان المكتوب اليه أعلى رتبة من المكتوب عنه ، ثم يقال « سلام
كريم » ويصفه أيضا ، ثم يقال « اما بعد حمد الله » ويذكر ما يطابق الحال
ويشير الى الدعاء للمكتوب اليه ، ثم يقال « فأنا كتبناه اليكم » ويؤتى على المقصد ،
ويختم بالسلام . وعليه جماعة من كتاب الغرب كما كتب ابو عبد الله بن الخطيب صاحب
ديوان الانشاء بغرناطة من الاندلس عن سلطانه أبي محمد عبد الله بن يوسف بن الاحمر
الى السلطان أبي غياث (في الصبح : ابي عنان) بن ابي الحسن المريني صاحب الغرب
الاقصي عند موت الطاغية ملك قشتالة من الاندلس : « المقام الذي انارت آيات
سعدته في مسطور الوجود ، وتبارت جياذ مجده في ميدان البأس والجود ، وضمنت آياله
لمن بهذه الاقطار الغربية تجديد السعود واعادة العهود ، واختلفت كتائب تأييد الله
ونصره لوقته المشهور فيها او يومه المشهود ، مقام محل أخينا الذي يعظمه ويرفعه ،
ويوجب له الحق العلي موضعه السلطان أبي غياث ابن السلطان أبي الحسن ابن السلطان
ابن سعيد ابن السلطان ابي يوسف بن عبد الحق ابقاه الله بتهلل للبشرى جنابه ،
ويفتح لوارد الفتح الالهى بابه ، وتعمل في سبيل الله عزائمه وركابه ، ويقوم بالجهاد
فيه مجده وسعده وفخره وثوابه ، معظم قدره الامير عبد الله بن يوسف بن أمير المسلمين
أبي الوايد اسماعيل بن فرج بن نصر . سلام كريم مشفوع بالبشائر والتهاني ، محفوف
يلوغ الاماني ، ورحمة الله وبركاته . أما بعد . . . »

(الاسلوب السادس) أن يفتح المكاتبة بالدعاء للمجلس . مثل : أدام الله تعالى
أيام المجلس ، أو سلطان المجلس ، أو نعمة المجلس ، أو اقتدار المجلس ، أو سعادات المجلس ،
وما أتبه ذلك . وعلى ذلك كانت الدولة الايوبية كما كتب عن بعض ملوك الايوبية بانديار

المصرية الى بعض ملوكهم بالبشارة بفتح غزوة واقتلاعها من أيدي الفرنج: «أدام الله سعادات المجلس وأحسن له التدبير، وأصفي عيشه من التكدير، وحقق له وفيه أحسن الرجاء والتقدير، وجعل وجهه من أهلة الأكابر والتكبير، وأعاد تأخير أجله من التقديم وتقدم حظه من التأخير. يشعر المجلس بكذا وكذا...»

قلت: وهذه الأساليب هي الاصول المشهورة الدائرة في القديم بين فضلاء الكتاب فيما يكتب عن الملوك في الشرق والغرب والديار المصرية. ووراء ذلك أساليب وتفننات لا يأخذها الحصر. وبكل حال فليس لخواتمها ضابط يوقف عنده. بل تارة يحتم بالسلام وتارة بالحمد وتارة بقوله: فإن رأى كذا فعل. أو غير ذلك مما يقتضيه الحال

واعلم ان ابن شيث ذكر في معالم الكتابة مصطلح الدولة الايوبية على ما كان عليه الحال في أواخرها فقال: ان الناس كانوا لا يكتبون «المجلس» إلا للسلطان خاصة، ويكتبون لأعيان الدولة من الوزراء وغيرهم «الحضرة» ثم افردوا السلطان «بالمقام والمقر» وصاروا يكتبون «المجلس» لمن دونه ولم يسوغوا مكاتبة السلطان بعدد المجلس ولا بالحضرة؛ قال، ويكتب السلطان الى ولده المستخلف عنه «بالمجلس» دون «المقام». واصطلحوا على الاختصار في نعوت الملوك المكتوب اليهم والدعاء بخلاف من هو تحت أمر السلطان وحوزته فإنه كلما كثرت النعوت والدعاء له في مكاتبة السلطان اليه كان أبلغ، لأن ذلك في معنى التشريف من السلطان. واصطلحوا على أنه لا يقال في المقام «السامي» بل «العالي»؛ وأنه يكتب عن السلطان لمن دونه من ذوى الأقدار «بالمجلس السامي» ولا يزداد على ذلك، ثم يفرد عن ياء النسب بعد «السامي» فيقال: الأمير الأجل، من غير ياء النسب؛ وأنه لا يقال «العالي» مكان «السامي» في الكتابة عن السلطان، وقد يجمع بينهما لذوى الأقدار؛ وأنه يضاف في نعت كل أمير: عمدة الملوك والسلاطين، عن الاسلام، أو نصرة الاسلام، أو فارس المسلمين، أو ماشابه ذلك من غير ضبط ولا تخصيص لأحد دون أحد إذا أحرزوا النعت الذي اشتهر به المكتوب؛ وأنه يقال: عمدة الملوك والسلاطين، وذخر الملوك والسلاطين، ودونها: اختيار الملوك؛ وللأقارب: فخر الملوك، وجمال الملوك، وعن الملوك وصديق الملوك؛ وللأمثال: معين الملوك، ونصرة الملوك وما أشبه ذلك. واصطلحوا على أنه

يكتب للأمرء الاعيان : حسام أمير المؤمنين، وولي أمير المؤمنين، وصفوة أمير المؤمنين، وثقة أمير المؤمنين، وصنيعة أمير المؤمنين على مقدار مراتبهم؛ وان نعت «الاجل» يذكر بعد «العلو والسمو» بأن يقال: المجلس العالى الأجل أو السامي الأجل، وربما جاء نعتاً للأمرء والقضاة فيقال: الأمير الاجل والقاضي الأجل؛ وان السلطان لا يتدعى بالدعاء في كتبه لأحد الا من مائله في الملك، وأن لا يكتب لاحد ممن هو تحت أمره بـ«لازال ولا يرح» في الدعاء، وانما يكتب بذلك الى من مائله من الملوك أو الى ولده المستخلف عنه في الملك؛ وأن الدعاء للملوك مثل: أدام الله أيامه، وخلص الله سلطانه، وثبت الله دولته، وما أشبه ذلك؛ وأن التحميد في أوائل الكتب لا يكون الا في الكتب الصادرة عن السلطان وأن عظم المكتوب اليه أن تكون الحمدلة ثانية وثالثة في الكتاب ثم يوتى بالشهادتين ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم؛ وأنه يكتب في الكتب السلطانية «صدرت، وأصدرناها» ولا يكتب «كتبت»؛ وأن الذي يخاطب به الخلافة عن السلطان «المواقف المقدسة الشريفة، والعتبات العالية، ومحل الرحمة، ومحل الشرف» والذي يخاطب به الملوك «المقام العالى، والمقر الاشرف» والذي يخاطب به الوزراء: الجنب العالى، والمجلس السامي، بالياء - ومن دون ذلك «المجلس السامي» بغير ياء، ودونه مجلس الحضرة، ودونه الحضرة؛ وأنه لا يكتب عن السلطان لمن هو تحت أمره الا بنون الجمع لدلالاتها على العظمة؛ ولا يكتب «نشعر» الا عن السلطان خاصة بخلاف «نعلم»؛ وأن الكتب الصادرة عن السلطان تكون طويلة الطرة وتكون بقلم جليل غير دقيق؛ وأنه يوسع بين السطور حتى يكون بين كل سطرين ثلاث أصابع أو أربع؛ وأنه لا يخرج عن تحت البسمة في الكتابة ولا يحتمل ذلك الا في الحمدلة؛ وأنه لا يكثر النقط والشكل في الكتب الصادرة عن السلطان الى من دونه، ثم استعمل ذلك؛ وأنه يترك فضلة في آخر الكتاب بياضا، ولا يكتب في حاشيته؛ وأن الترجمة عن السلطان في كتبه لمن تحت أمره وأدناهم العلامة، فان أراد تمييز أحد منهم كتب له شيئا بخطه في مكان العلامة؛ وأنه لا حرج على السلطان أن يترجم للقضاة والعلماء والعباد بأخيه، وولده؛ وأن عنوانه الكتاب وختمه مختص بصاحب ديوان الانشاء ليدل ذلك على وقوفه على الكتاب؛ وأنه لا يجوز عنوانه الكتاب قبل ان يكتب عليه السلطان ترجمته أو علامته؛ وأن

الكتب لا تبقى مفتوحة الا أن تكون باطلاق : وأن يكون على الكتاب الصادر عن السلطان عرض ثلاث أصابع . . قلت : ومن هذا المصطلح استخرج المصطلح المستقر عليه الحال الآن مع اتساع مجال وانفساح منط وتقريب مأخذ . وأفاضل الكتاب يتصرفون في ذلك بالزيادة والنقص والتقديم والتأخير ومراعاة التحسين والتنضيد بحسب ما تؤدي اليه قرائهم وتسمح به ينابيع أفكارهم

﴿ الفصل السادس ١ ﴾

(في المكاتب المختصة بالأقليم الثاني وهو البلاد الشامية . وهي مشتملة على خمس نيابات)

﴿ النيابة الاولى - دمشق وأعمالها ﴾

فأما من يكتب اليه بمخضرة دمشق فعلى اربعة اصناف

﴿ الصنف الاول ﴾ وهم ثلاثة نفر : الاول، نائب السلطنة بها - وقد تقدم انه من أكابر الأمرء مقدمي الألو ف كان رسم المكاتبه اليه على ما أورده في التعريف : « أعز الله تعالى نصره الجناب الكريم » . قال في التثقيف : ولم نزل المكاتبه اليه كذلك بعد الدولة الناصرية محمد بن قلاوون الى آخر سنة ٧٧٥ واستقر الامير بيدمر الخوارزمي نائب السلطنة بهافي ولايته الثالثة في الدولة الاشرفية شعبان بن حسين فاستقر رسم المكاتبه اليه « أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم » على ما تقدم في المرتبة الاولى ، والعلامة الشريفة « أخوه » وتعريفه « نائب السلطنة الشريفة بالشام المحروس » او « كافل السلطنة الشامية المحروسة » ولا يقال في تعريفه « كافل السلطنة » . الثاني نائب القلعة بها - كان رسم المكاتبه اليه « صدرت هذه المكاتبه الى المجلس العالي » ، والعلامة : والده ، قال في التثقيف : ثم استقرت المكاتبه اليه « السامي » بالياء لانه طبلخانة ، والعلامة له الاسم ، وتعريفه : نائب القلعة المنصورة بدمشق الثالث ، حاجب الحجاب ، بها ورسم المكاتبه اليه « أدام الله تعالى نعمة المجلس العالي » ، والعلامة : والده ، وتعريفه : أمير حاجب بانشاء المحروس ﴿ الصنف الثاني ﴾ أرباب الوظائف الدينية والمكاتب منهم قاضي القضاة بالشام المحروس . وقد ذكر في التعريف ان المكاتبه اليه : (المجلس العالي) ولم يذكر صررتها قال في التثقيف : والذي كوتب به الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله وهو قاضي

القضاة بالشام : « أعز الله أحكام المجلس العالى القاضى الكيرى العالى العاملى الافضى الاكلى الأوحى البلىنى الفرىدى المقىدى النجىدى القدى الحى الحقى الأماى الاىلى العرىقى الحامى العلافى جمال الاسلام والمسلمى شرف الامراء العاملىن أوحى الفضلاء المىدىن قدىة البلاء حجة الامة عمدة المحدثىن فخر المدرسىن مقى المسامىن جلال الحكام حكم الملوك والسلاطىن ولى أمىر المؤمنىن . . . ثم الدعاء ، ثم « صدرت هذه المكاتبه ، والعلامة أخوه » وتعرفه : قاضى القضاة بالشام المحروس . ثم ذكر فىما بعد أنه كان يكتب فى نعوته : صدر الشام معز السنة مؤيد الملة شمس الشرىعة رعى اصحاب لسان المتكلمىن

(الصنف الثالث) أرباب الوظائف الديوانية - والمكاتب منهم الوزير أو من يقوم مقامه كناظر النظار . فأما من كان وزيراً فقد ذكر فى التعريف أنه كتب للصاحب عز الدين حمزة بن القلاقسى « الجناب » لجلالة قدره وسابقه خدمه وعناية من كتب اليه بذلك ، وأن الذى استقر عليه الحال ان يكتب للوزير بالشام « المجلس العالى » بالدعاء كما كتب للصاحب امىن الدين امىن الملك قال فى التثقىف : وكانت مكاتبته فى وزارته فى الأيام الناصرىة محمد بن قلاون : ضاعف الله تعالى نعمة المجلس العالى الصاحبى الوزىرى الأصىلى الكىرى العالى العادلى المؤىدى الأوحى القوامى النظامى المدبرى الماجدى الاثرى المشىرى القلافى جلال الاسلام والمسلمىن سىد الوزراء فى العالمىن رعى الكبراء كبرى الرؤساء بقية الاصحاب ملاذالك كتاب عماد الملة خالصه الدولة مشىر الملوك والسلاطىن ولى أمىر المؤمنىن . . . والدعاء ، « ثم صدرت » . والعلامة « أخوه » ، وتعرفه : مدبر الملك الشرىفة بالشام المحروس قال ، ولم يكتب لاحد بذلك قبله ولا بعده . ثم قال ، واستقر فى الدولة الناصرىة حسن الصاحب فخر الدين بن قرويلة وزىر بالشام ؛ يضاً على قاعدة جده لأنه امىن الدين المذکور وذكر أنه لم يعلم ما كوتب به : هل كما كتب جده المذکور اودونه وان لم يكن وزىراً بأن لم يصرح له بالوزارة بل جعل ناظر النظار فقد ذكر فى التعريف ان المكاتبه اليه : حرس الله تعالى مجد المجلس العالى القضاى الكىرى العالى الفاضلى الأوحى الرعى الاثرى القوامى النظامى المنفدى المتصر فى القلافى مجد الاسلام والمسلمىن سىد الرؤساء فى العالمىن أوحى الفضلاء جلال الكبراء حجة الكتاب صفوة الملوك والسلاطىن خالصه امىر المؤمنىن . . . والدعاء . ثم « صدرت » والعلامة : الاسم ، وتعرفه : ناظر النظار بالشام المحروس . قال فى التثقىف : وهذا هو الذى استقر عليه الحال الى آخر وقت

وأما من يكتب اليه من بأعمال دمشق فثلاثة أصناف

﴿الصف الأول﴾ النواب ومن في معانهم وهم خمسة نفر: الأول نائب القدس، وقد تقدم أنه من استحدثت نيابته في الدولة الأشرافية شعبان بن حسين سنة ٧٧٧ ورسم أضيف اليه نظر الحرمين: حرم القدس الشريف وحرم الخليل عليه السلام. ورسم المكاتبه اليه «صدرت هذه المكاتبه الى المجلس العالى»، والعلامة: والده، وتعريفه: النائب بالقدس الشريف «الثاني نائب حمص، قال في التثقيف، وكان يكتب اليه نظير نائب الكرك يعني «أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى». والعلامة «والده» لما كان من مقدمي الالف بالشام ثم استقر من أمراء الطبلخاناه: قال، واستقرت مكاتبته «صدرت هذه المكاتبه» فيما أظن. أما نائب قلعة حمص فإنه من المالك السلطانية، قال في التثقيف، ولم تجر له عادة بمكاتبه «الثالث نائب بعلبك. قال في التثقيف: ان كان من أمراء الطبلخاناه فسكاتبته «صدرت هذه المكاتبه الى المجلس السامى» والعلامة الاسم، وتعريفه «النائب بمحمص المحروسة» الرابع نائب مصيف - ورسم المكاتبه اليه «هذه المكاتبه الى المجلس السامى» والعلامة: الاسم، وتعريفه: النائب بمصيف المحروسة. قال في التثقيف: ومن كتب له بمصيف وليس بنائب ولا وال يوسف شاه الأتابك بمصيف في سنة ٧٧٤ على يد نافع بن بدران وكتب له «أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى» وكتب في ألقابه: الأتابكى، وكتب في تعريفه: يوسف شاه الأتابك، قال، والظاهر أن العلامة «والده» «الخامس نائب الرحبة» ورسم المكاتبه اليه «صدرت هذه المكاتبه الى المجلس العالى». والعلامة: والده، وتعريفه: النائب بالرحبة. قال في التثقيف، وكان قد استقر بأماكن من البلاد الشامية نواب واستقر مكاتبه كل منهم ان كان مقدما: «صدرت» والعالى والعلامة: والده. وان كان طبلخاناه فالسامى، والعلامة: الاسم. وتلك الاماكن هي تدمر، والسحنة، والقريتان، وسلمية. ثم بطل ذلك. قال، ومن النواب بالقلاع الشامية جماعة ممن تصدر ولايتهم عن نائب الشام لم تجر لهم عادة بمكاتبه وهم نائب عجلون، ونائب صرخد، ونائب الصيبية فكلهم داخلون في المكاتبات العامة المتقدمة الذكر

﴿الصف الثاني﴾ ممن يكتب لهم بأعمال دمشق الكشاف. والذي يكتب اليه من الابواب السلطانية من كشاف الشام كاشف واحد، وهو كاشف الرملة. وقد تقدم أنه استحدثت ولايته في الدولة الظاهرية بقوق. ورسم المكاتبه اليه: صدرت هذه المكاتبه الى

المجلس السامي: والعلامة الاسم، وتعرفه: الكاشف بالرملة

(الصف الثالث) ممن يكتب لهم بأعمال دمشق العربان. وقد تقدم في الكلام على ترتيب المملكة أن بالشام عدة أمراء عربان تكاتب عن الابواب السلطانية لكل قبيلة أمير، ولبعض أمرائهم أتباع وأقارب يكاتبون أيضا: أحدهم أمير آل فضل من آل ربيعة من طي. وقد تقدم أن منازلهم مشاريق دمشق بجوار الفرات قال في التعريف، ورسم المكاتبه الى الامير منهم «أدام الله تعالى نعمة المجلس العالي، بالقاب جليلة مفخمة معظمة. وقد أوضح ذلك في التثقيف فقال ان رسم المكاتبه اليه «أدام الله تعالى نعمة المجلس العالي الاميري الكبيرى العالمى المجاهدي الفريدي الاوحدى النصيري العونى الهامى المقدمى الظهيري الاصيلى العلافى عز الاسلام والمسلمين شرف أسراء العربان فى العالمين نصرة الغزاة والمجاهدين مقدم العساكر كهف الملة ذخر الدولة عماد العرب ظهير الملوك والسلاطين حسام أمير المؤمنين...» ثم الدعاء، وصدرت هذه المكاتبه. والعلامة: أخوه، وتعرفه: فلان بن فلان، باسمه واسم أبيه. قال في التعريف: أما من هو نظيره ومدانيه وعدته الامرة فرسم المكاتبه اليه «صدرت هذه المكاتبه الى المجلس العالي» ومن دونه «السامى» بالياء، قال، ولكل هؤلاء العلامة «أخوه»: ولمن دون هؤلاء «السامى» بغير ياء، والعلامة الاسم.

واعلم أنه قد ذكر في التثقيف جماعة من أكابر بيت مهنابن عيسى، وبيت فضل بن عيسى وذكر لكل واحد منهم رسم مكاتبه ونحن نورد هنا لينسج على منوالها فمن بيت مهنابن عيسى عساف بن مهنابن وأخوه عمق بن مهنابن وذكر أن رسم الكتابة الى كل منها «هذه المكاتبه الى المجلس العالي الامير الاجل الكبير المغازي المجاهد المؤيد الاوحد الاصيل فلان الدين مجد الاسلام بهاء الانام نحر القبائل زين العشائر عماد الملوك والسلاطين...» ثم الدعاء، وصدرت هذه المكاتبه: والعلامة الى كل منهما الاسم، وتعرفه اسمه * ومنهم زامل بن موسى بن مهنابن وغير بن جبار قبل استقراره فى الامرة. ورسم المكاتبه الى كل منها: صدرت، والاسم: والعلامة والده، والتعريف اسمه * ومنهم على بن سليمان بن مهنابن، ورسم المكاتبه اليه: السامى بالياء، والعلامة الاسم * ومن بيت فضل بن عيسى معقل بن فضل وقد ذكر في التثقيف ان رسم المكاتبه اليه السامى بالياء، والعلامة والده، قال، ولم يكاتب أحد من آل فضل الا سواه: ثم قال، فان اتفق ان يكاتب أحد من أولاد أخيه

المذكور أو من أولادهم فأعلام الاسم ، والسامي بغير ياء ، وأدناهم الاسم ، ومجلس
الامير * اثنان أمير آل سرا من آل ربيعة أيضاً وقد تقدم أن منازلهم بلاد حوران وذكروا في
التثقيف أن الامرة في زمانه كانت مقسومة نصفين بين عنق بن شطى بين عمرو وعنه فضل بن عمر
قال ، ومكاتبة كل منها صدرت ، والسامي ، والعلامة والده ، وتعرفه : فلان بن فلان . وقد
ذكر في التعريف ان لأعيانهم السامي بغير ياء ، ولبن دونهم من الصغار مجلس الامير * الثالث
أمير آل علي من ربيعة أيضاً وقد تقدم أن منازلهم غوطة دمشق . قال في التعريف : ورسم المكاتبة
اليه صدرت ، والسامي ، والعلامة أخوه . وقد ذكر في التثقيف أن الامارة في زمانه كانت بيد
عيسى بن رملة بن جاز وقال ان رسم المكاتبة اليه كما قال في التعريف : صدرت ، والسامي
الأنه قال : والعلامة والده ، وتعرفه فلان بن فلان * الرابع أمير بني مهدي . وتقدم أن منازلهم
البلقاء من بلاد دمشق ؛ وذكروا في التعريف ان الامرة في أربعة منهم . ورسم المكاتبة الى كل
منهم مجلس الامير ؛ وذكروا في التثقيف مثله ثم قال : ومن كان معه نصف الامرة منهم كانت
مكاتبته الاسم ، والسامي بغير ياء ، وتعرفه كل منهم فلان بن فلان * الخامس أمير جرم وتقدم
أن منازلهم بلاد غزة ، وذكروا في التعريف أن امرتهم في زمانه كانت باسم فضل بن حجي وأن
المكاتبة اليه مجلس الامير . والذي ذكره في التثقيف أن لهم مقداً لا أميراً وأنه كان في زمانه
علي بن فضل وذكروا أن رسم المكاتبة اليه الاسم ، والسامي بغير ياء

﴿ تنبيه ﴾ قال في التعريف : وأما بقية عرب الشام نحو زيد المرج وزيد حوران وخالد
حص والمشاركة وغزاة إذا طاعوا وزيد الاحلاف فأجل كبارهم وأشياخهم من يكتب له
مجلس الامير ؛ وذكروا في التثقيف نحوه ثم قال : هذا اذا انفرد أحد منهم بالمكاتبة والافالمادة
ان يكتب لكل طائفة من هؤلاء القبائل لا على الافراد ولا على الاجتماع . قلت : وهذا
تناقض في الكلام حيث ذكر أن العادة أن يكتب لكل طائفة منهم مطلقاً ، ثم قال : أن
العادة لم تجر بمكاتبة أحد منهم لا على الافراد ولا على الاجتماع

﴿ النيابة الثانية - نيابة حلب وأعمالها ﴾

فأما من يكتب اليه ممن بحاب فتلاثة نفر : الاول نائب السلطنة بها . وقد تقدم أنه من أكابر
الأمراء المقدمين . فرسم المكاتبة اليه « أعز الله تعالى نصره احناب الكريم » على ما تقدم في
المرتبة الثانية ، والعلامة أخوه ، وتعرفه نائب السلطنة التريفة بحلب المحروسة * الثاني نائب

القاعة بها - ورسم المكاتبة اليه «صدرت هذه المكاتبة الى المجلس السامي» والعلامة الاسم،
وتعريفه نائب القلعة المنصورة بحلب المحروسة «الثالث حاجب الحجاب بها - ورسم المكاتبة
اليه «صدرت هذه المكاتبة الى المجلس العالي» والعلامة والده، وتعريفه أمير حاجب بحلب
المحروسة . قلت: وليس بهما من يكاتب من أرباب الوظائف الدينية والوظائف الدبلوماسية
وأما من يكتب اليه من بأعمال حلب فعلى ثلاثة أصناف

(الصنف الاول النواب) وهم اثنان وعشرون نائباً: الاول نائب البيرة . ورسم المكاتبة اليه
«صدرت» و«العالي»، والعلامة والده، وتعريفه النائب بالبيرة المحروسة «الثاني نائب قلعة
الروم وهي قلعة المسلمين، ورسم المكاتبة اليه والعلامة كذلك، وتعريفه النائب بقلعة المسلمين
المحروسة «الثالث» (نائب ملطية، ورسم المكاتبة اليه والعلامة كذلك) وتعريفه النائب بملطية
المحروسة «الرابع نائب طرسوس ورسم المكاتبة اليه . والعلامة كذلك، وتعريفه النائب
بطرسوس المحروسة «الخامس نائب ادنه . ورسم المكاتبة اليه والعلامة كذلك، وتعريفه النائب
بأدنه المحروسة «السادس نائب الابلستين ورسم المكاتبة اليه والعلامة كذلك، وتعريفه
النائب بالابلستين المحروسة «السابع نائب بهسي . ورسم المكاتبة اليه «صدرت» و«السامي»
والعلامة والده، وتعريفه النائب بهسي المحروسة . قال في التثقيف: ولم يعلم لاحد من
النواب «والده» مع «السامي» بالياء غيره «الثامن نائب أياس» وهو المعبر عنه بنائب
الفتوحات الجاهانية . قال في التثقيف: ان كان مقدما فالمكاتبة اليه بنسبة مكاتبة نائب البيرة،
فيكون رسم المكاتبة اليه «صدرت هذه المكاتبة الى المجلس العالي»، والعلامة والده . وان
كان طبلخاناه فالمكاتبة اليه «صدرت» و«السامي»، والعلامة الاسم وتعريفه بكل حال
النائب بأياس المحروسة «التاسع نائب جمبر . ورسم المكاتبة اليه «هذه المكاتبة الى المجلس
السامي» والعلامة الاسم، وتعريفه النائب بقلعة جمبر المحروسة «العاشر نائب عينتاب ورسم
المكاتبة اليه علي ما في التثقيف «يُعلم مجلس الامير» والعلامة الاسم، وتعريفه النائب بعينتاب
قال في التثقيف: ورأيت بخط القاضي ناصر الدين بن النشاي ان مكاتبته «الاسم»
و«السامي» بغير ياء: ثم قال وما تقدم هو ما استقر عليه الحال آخراً . قال: وقد يكون ذلك لانه كان
بها أمير طبلخاناه «الحادي عشر نائب درنده . قال في التثقيف ان كان طبلخاناه فالسامي
بغير ياء، وان كان عشرة فمجلس الامير، والعلامة الاسم بكل حال، وتعريفه النائب

بدرنده « الثاني عشر نائب القصير، ورسم المكاتبه اليه « يعلم مجلس الامير » على ما في التثقيف والعلامة الاسم، وتعريفه النائب بالقصير « الثالث عشر نائب الراوندان . ورسم المكاتبه اليه كمثل نائب القصير، وتعريفه النائب بالراوندان « الرابع عشر نائب الرها . قال في التثقيف جرت العادة ان يكون نائبا طبلخاناه فتكون مكاتبته « السامي » بغيرياء ، والعلامة الاسم ؛ ثم قال : وقد استقر في الايام المنصورية في سنة ٧٧٨م مقدم الف ، فقد يكتب له نظير نائب البيرة وقلعة المسلمين يعنى « صدرت » و« العالى » ، والعلامة والده ، وتعريفه بكل حال النائب بالرها « الخامس عشر نائب شيزر وقد ذكر في التثقيف أن مكاتبته « هذه المكاتبه الى المجلس السامي » فتكون العلامة الاسم وتعريفه النائب يشيزر « السادس عشر نائب كركر . ورسم المكاتبه اليه « يعلم مجلس الامير » والعلامة الاسم ، وتعريفه النائب بكر كركر « السابع عشر نائب الكختا . ورسم المكاتبه اليه كذلك ، وتعريفه النائب بالكختا « الثامن عشر نائب بغراض . ورسم المكاتبه اليه كذلك ، وتعريفه النائب بغراض « التاسع عشر نائب الشغروبكاش . ورسم المكاتبه اليه كذلك ، وتعريفه النائب بالشغروبكاش « العشرون نائب الدريساك . ورسم المكاتبه اليه كذلك ، وتعريفه النائب بالدريساك « الحادى والعشرون نائب اسفندكار . ذكر في التثقيف أن المكاتبه اليه كذلك ثم قال : لكني رأيت بخط القاضي ناصر الدين بن النشاي أن مكاتبته الاسم ، والسامي بغيرياء ، قال ، وما يبعد أنه كان اذ ذاك طبلخاناه والمستقر عليه الحال ما تقدم « الثاني والعشرون تقدمه العسكر بسيس . وقد تقدم أنه استجد فتحها في الدولة الاشرافيه شعبان بن حسين واستقرت نيابة ثم استقرت تقدمه عسكر كغزة مع دمشق : وقد ذكر في التثقيف أن رسم مكاتبته كانت « ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى » : ثم قال ، وقد صح أنه استقرت مكاتبته نظير غزة وهي « أدام الله تعالى نعمة الجناب العالى » ، والعلامة والده ، وتعريفه مقدم العسكر المنصور بغزة المحروسة . قال : ولم أطلع على مكاتبه الحاجب بها ، ثم قال ، وما يبعد أن يكون « مجلس الامير » لانه أمير عشرة . قال : ولم يكن بها نائب قلعة ذكره في الكلام على نواب القلاع

﴿ الصنف الثاني ﴾ ممن يكتب بأعمال حلب التركان . وقد تقدم أنهم طوائف كثيرة وجماعة كبيرة ، قال في التثقيف ، وغالبهم لا يكتب اليه الا اذا ضمهم « مطلق شريف » ثم قال : فان كتب الى أحدهم أعيانهم كتب له الاسم ، والسامي بغيرياء ان كان طبلخاناه . فان

كان عشرة أو عشرين كتب له الاسم، ومجلس الأمير لا غير. ثم ذكر في الكلام على تركان البلاد الشرقية عدة طوائف منهم الأوسرية وقال هم تركان حلب، والورسوق وقال هم تركان طرسوس

﴿ الصنف الثالث ﴾ الأكراد . وقد تقدم أن بهذه المملكة منهم طوائف كثيرة، قال في التثقيف، وغالبهم لا يكتب إليه إلا إذا ضمهم «مطلق شريف». ثم قال وإن كتب لأحد من أعيانهم كتب له الاسم، والسامى بغير ياء إن كان طبلخاناه. وإن كان أمير عشرة أو عشرين كتب له الاسم ومجلس الأمير كما تقدم في التركان

﴿ النيابة الثالثة - نيابة حماه ﴾

فأما من كتب إليه بحضورها فنفران: الأول نائب السلطنة بها. وقد تقدم أنه كان بها ملك من بقايا الملوك الأيوبية إلى أن كان بها الأفضل محمد بن المؤيد اسماعيل إلى أن استحدثت بها النيابة بعد الأيام الصالحية اسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون فكانت المكاتبه إليه حينئذ في قطع العادة « أعز الله تعالى أنصار المقام الشريف العالى السلطاني الملكى الفلاني - بلقبه - في السلطنة - الفلاني - بلقب السلطان المكتوب إليه ثم الدعاء، وبعده « أصدرناها إلى المقام الشريف » والعلامة أخوه، وتعريفه صاحب حماه. ثم لما استقرت نيابة صار رسم المكاتبه إلى نائبها « ضاعف الله تعالى نعمة الجنب العالى » على ما تقدم في المرتبة الثالثة من مراتب المكاتبات السلطانية، والعلامة أخوه، وتعريفه نائب السلطنة الشريفة بحماه المحروسة * الثانى الحاجب بها . ورسم المكاتبه إليه « صدرت » والسامى والعلامة الاسم، وتعريفه الحاجب بحماه المحروسة. قال في التثقيف: ولم يكن بها قاعة فيكتب لائبها . قلت: وليس بأعمالها نواب ولا عربان ونحوهم فيكتب إليهم

﴿ النيابة الرابعة - نيابة طرابلس وأعمالها ﴾

فأما من يكتب إليهم بحضورها فنفران: الأول نائب السلطنة بها. ورسم المكاتبه إليه « ضاعف الله تعالى نعمة الجنب العالى » والعلامة والده، وتعريفه نائب السلطنة الشريفة بطرابلس المحروسة * الثانى الحاجب بها . ورسم المكاتبه إليه « صدرت » و « العالى » والعلامة وائده، وتعريفه أمير حاجب بطرابلس المحروسة

وأما من يكب اليهم بأعمالها فالنواب وهم اثني عشر نائباً: لاول نائب اللاذقية ورسم
المكاتبة اليه السامى بغير ياء، والعلامة الاسم، وتعريفه النائب باللاذقية * الثاني نائب صهيون
ورسم المكاتبة اليه « يعلم مجلس الامير » والعلامة الاسم، وتعريفه النائب بصهيون *
الثالث نائب حصن الاكراد، ورسم المكاتبة اليه كذلك: وتعريفه النائب بحصن
الاکراد * الرابع نائب بلاطس. ورسم المكاتبة اليه كذلك، وتعريفه النائب ببلاطس
* الخامس نائب المرقب ورسم المكاتبة اليه كذلك وتعريفه نائب المرقب * السابع
نائب الكهف، ورسم المكاتبة اليه كذلك، وتعريفه النائب بالكهف * الثامن نائب
المنيقة . ورسم المكاتبة اليه كذلك ، وتعريفه النائب بالمنيقة * التاسع نائب العليقة
ورسم المكاتبة اليه كذلك ، وتعريفه النائب بالعليقة * العاشر نائب القدموس ، ورسم
المكاتبة اليه كذلك وتعريفه النائب بالقدموس * الحادى عشر نائب الخوابي
ورسم المكاتبة اليه كذلك ، وتعريفه النائب بالخوابي * الثاني عشر نائب الرصافة
ورسم المكاتبة اليه كذلك ، وتعريفه النائب بالرصافة

❦ النيابة الخامسة نيابة صغد ❦

والمكاتبون بحاضرتها ثلاثة نفر: الاول نائب السلطنة بها . ورسم المكاتبة اليه
« ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى والعلامة والده » وتعريفه نائب السلطنة الشريفة بصغد
المحروسة * الثاني الحاجب بها . ورسم المكاتبة اليه صدرت ، والسامى ، والعلامة الاسم ،
وتعريفه الحاجب بصغد المحروسة * الثالث نائب القلعة بها . ورسم المكاتبة اليه السامى
بغير ياء ، والعلامة الاسم ، وتعريفه النائب بالقلعة المنصورة بصغد المحروسة . قلت:
وليس بأعمالها نواب فتكاتب وانما بها ولاية (يكاتبون عن نائبها)

❦ النيابة السادسة - نيابة غزة ❦

اذا أفردت عن دمشق واستقرت نيابة بمفردها . والمكاتبون بها اثنان : الاول
نائب السلطنة بها ، أو مقدم العسكر . ورسم المكاتبة اليه بكل حال « أدام الله تعالى
نعمة الجناب العالى » والعلامة والده ، وتعريفه نائب السلطنة الشريفة بغزة المحروسة
ان كانت نيابة مستقلة ، أو مقدم العسكر المنصور ان كانت مضافة الى دمشق *

الثانى الحاجب بها . ورسم المكاتبه اليه « مجلس الامير » والعلامة الاسم ، وتعريفه
الحاجب بغزة المحروسة

﴿ النيابة السابعة - نيابه الكرك ﴾

والمكاتبون بمحضرتها اثنان : الاول نائب السلطنة بها . ورسم المكاتبه اليه
« ادام الله تعالى نعمة المجلس العالى » والعلامة وانه ، وتعريفه نائب السلطنة الشريفة
بالكرك المحروس . الثانى والى القاعة بها . ورسم المكاتبه اليه « هذه المكاتبه الى
المجلس السامى » ، والعلامة الاسم ، وتعريفه والى القلعة المنصورة بالكرك المحروس
والمكاتبون بأعمالها عربها وهم بنو عقبه . قال فى التعريف : ورسم المكاتبه الى
أميرهم مثل أمير آل مرا : ورسم المكاتبه الى أقاربه كرسوم المكاتبه الى أقارب أمير آل
مرا أيضا . فتكون مكاتبه أميرهم « صدرت » و« السامى » ومكاتبه أقاربه « السامى »
بغير ياء (للاعيان) ولن دونهم « مجلس الامير » والعلامة الى الجميع الاسم ، وتعريف
كل منهم فلان بن فلان

﴿ الاقليم الثالث - البلاد الحجازية ﴾

من أقاليم هذه المملكة البلاد الحجازية . وقد تقدم أنها تشمل على ثلاث قواعد
﴿ الاولى مكة المشرفة ﴾ - والمكاتبون بها عن الابواب السلطانية اثنان : الاول
أميرها القائم بأمرها . وقد عبروا عنه بالامارة ترفعا عن النيابة لشرفها . وقد تقدم أن
امرتها الآن فى نبي عجلان من الاشراف نبي حسن ، وهي الآن فى حسن بن عجلان
ورسم المكاتبه الى أميرها على ما ذكره فى التعريف : ادام الله تعالى نعمة المجلس العالى
الاميرى الكيرى العالى العادلى المؤيدى العضدى النصيرى الذخرى العونى المقدمى الاوحدى
الظهيرى ابرعيمى الكافى الشريفى الحسينى النسبى الاصبلى الفلانى عز الاسلام والمسلمين سيد
الامراء فى العالمين جلان العترة الطاهرة كوكب الاسرة الزاهرة فرع الشجرة الزكية طراز
العصابة العلوية طهير الملوك والسلاطين نسيب أمير المؤمنين - ثم يدعى له ، ويصدر
بمثل - لازل حرمة أمينا . ومكانه مكينا ، وشرفه بييض له بمجاورة الحجر الاسود
عند الله وجهها ويضى حبينا . صدرت هذه المكاتبه الى المجلس العالى تحمل اليه سلاما
تميل به الركائب وتناه تننى على سمكه الحمايب وشوقا اوسق قلبه فى نسكه مع الحبايب

وتوضح لعلمه الشريف كيت وكيت « ورسم المكاتبة اليه على ما ذكر في التثقيف » أمام
الله تعالى نعمة المجلس العالي الاميرى الكبيرى الشريفى الحسينى النسيبى العالمى المجاهدى
المقدمى الاوحدى النصيرى العوفى الهمامى الظهيرى الأصيلى العريقى الفلانى عز الاسلام
والمسلمين شرف الامراء الاشراف فى العالمين نصرة الغزاة والمجاهدين كيف الملة عون
الامة نحر السلالة الزاهرة زين العترة الطاهرة بهاء العصابة العلوية ظهير الملوك والسلاطين
نسيب أمير المؤمنين . . . ثم الدعاء ، وصدرت . والعلامة : أخوه ، وتعريفه : فلان بن فلان
أمير مكة المشرفة

﴿ صدر آخر من التعريف ﴾ : ومتعه بجوار بيته الكريم ، وزاد بمجمل مساعيه شرف
نسبه الصميم ، وأمنه بقرب الحجر والحجر والركن والحطيم ، صدرت هذه المكاتبة الى المجلس
لعالى تهدي سلاماً ، وثناء يطيب به الصبا قبل ان يحمل شيخاً وخزماً وتوضح لعلمه الكريم
﴿ صدر آخر منه ﴾ وأراه مناسكه ، وأنس بالتقوى مسالكه ، وأشهد على عمله
الصالح بطحاوه وما تنزله الملائكة . صدرت هذه المكاتبة بتحياتها المباركة ، وأثنتها
اتى لا تزال اليه بها أفئدة من الناس سالكة ، وتوضح لعلمه الكريم
الثانى ، ممن يكاتب بمكة المشرفة قاضيها ورسم المكاتبة اليه على ما ذكره فى التثقيف (١)
﴿ القاعدة الثالثة المدينة المنورة (٢) ﴾ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .
والمكاتبة الى اميرها كأمر مكة على الاختلاف السابق فى روايتي التعريف والتثقيف
﴿ القاعدة الثالثة ينبع ﴾ ورسم المكاتبة الى نائبها « هذه المكاتبة الى المجلس
السامى الأمير » والعلامة الاسم ، وتعريفه النائب بالينبع
والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) لم يورد صورة هذه المكاتبة ولا اهتدينا اليها فى الصبح (٢) انتهت النسخة
الموجودة من هذا الكتاب الجليل بنهاية الكلام على مكة وإنما أوردنا ما أوردناه فى
القاعدتين الأخيرين : المدينة والينبع ، اخذنا من الصبح تبهما لهذا الباب

﴿ تنبيه ﴾

كنا اردنا ان ننبه القراء الى كل ما نقف عليه اِبان الطبع من مسخ النسخ نحو التحريف والتصحيف والتبديل والتغيير والزيادة والنقص وعملا بهذه الارادة في أول الكتاب - ثم رأينا ان ذلك يطول على غير طائل فأعرضنا عنه واكتفينا برد المحرف والمصحف والمبدل الى أصله دون اشارة اليه . اما ما ترك على بياض في نسخة « الضوء » فأخذناه من « الصبح » ووضعناه بين قوسين كهذين () . واما ما اختلف فيه « الصبح » و« الضوء » فأشرنا اليه في موضعه من سياق عبارته بقولنا بعد الكلمة المختلف فيها :
(وفي الصبح : كذا)